المعروف بالدرفيل دوادار الملك الظاهر بيبرس، وعمره اصطبلا ودارا، وهى الدار التى تعرف اليوم بخواجا عبد العزيز على باب درب الحبشي، ثم عمل الاصطبل الخان الذى يعرف اليوم بخان منجك، وابتنى الناس فى مكان درب الحبشى الدور، وزال أثر القصر. فلم يبق منه شيء البتة.

الخزائن التي كانت بالقصر

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب، وخزانة البنود، وخزائن السلاح، وخزائن الدرق، وخزائن السروج، وخزانة الفرش، وخزانة الكسوات، وخزائن الادم، وخزائن الشراب، وخزانة التوابل، وخزائن الخيم، ودار التعبية، وخزائن دار افتكين، ودار الفطرة، ودار العلم، وخزانة الجوهر والطيب، وكان الخليفة يمضى إلى موضع من هذه الخزائن، وفى كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فراش يخدمها وينظفها طول السنة، وله جار فى كل شهر فيطوفها كلها فى السنة.

خزانة الكتب

قال المسيحي: وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره، فأخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد، وحمل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة بخطه، وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها، وقال فى كتاب الذخائر: عدة الخزائن التى برسم الكتب فى سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة، خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة، وأن الموجود فيها من جملة

الكتب المخرجة فى شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن فى ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما، وأن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك فى واجباتهم ببعض قيمته، ولم يبق فى خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التى لا يتوصل إليها، ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما. قال: وكنت بمصر فى العشر الأول من محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا محمولة إلى دار الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر المغربي. فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق فى الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وغلمانهما من ديوان الجيليين، وأن حصة الوزير أبى الفرج منها قومت عليه من جارى مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار، وذكر لى من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر فى صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبى الفرج وابن أبى كدينة وغيرهما. هذا سوى ما كان فى خزائن دارالعلم بالقاهرة، وسوى ما صار إلى عماد الدولة أبى الفضل بن المحترق بالإسكندرية ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب، وسوى ما ظفرت به لواتة محمولا مع ما صار إليه بالابتياع والغصب فى بحر النيل إلى الإسكندرية فى سنة إحدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار، المعدومة المثل فى سائر الأمصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة، التى أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم عمل ما يلبسونه فى أرجلهم وأحرق ورقها، تأولا منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره، وأن فيها كلام المشارقة الذى يخالف مذهبهم، سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الأقطار، وبقى منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب، فصار تلالا باقية إلى اليوم فى نواحى آثار تعرف بتلال الكتب. وقال ابن الطوير: خزانة الكتب كانت فى أحد مجالس المارستان اليوم يعنى المارستان العتيق. فيجيء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر إليه من يتولاها، وكان فى ذلك الوقت الجليس بن عبد القوي. فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب. فإن عن له أخذ شيء منها. أخذه ثم

بعيده. وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف فى دور ذلك المجلس العظيم، والرفوف مقطعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب من المجلدات، ويسير من المجردات. فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ، ومنها النواقص التى ما تممت. كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة ومافيها من المصاحب الكريمة فى مكان فوقها، وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره، وتولى بيعها ابن صورة فى أيام الملك الناصر صلاح الدين. فإذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها، وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر. فيعطى الشاهد عشرين دينارا، ويخرج إلى غيرها. وقال ابن أبى طى بعدما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر: ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب، وكانت من عجائب الدنيا. ويقال إنه لم يكن فى جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التى كانت بالقاهرة فى القصر، ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبرى إلى غير ذلك. ويقال إنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة. انتهي، ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد، وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة فى مدة أعوام. فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضى الفاضل منها شيء، وذكر ابن أبى واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد.

خزانة الكسوات

قال ابن أبى طي: وعلم يعنى المعز لدين الله دارا، وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع أنواع الثياب والبز، ويكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف، وكانت لأولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسما يتوارثونه فى

تفصيل ذلك: شاشية طميم. السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا، منديل بعمود ذهب. السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهبا عراقيا، فإن كان الذهب نظير المصرى كان الذى يرقم فيه ثلاثمائة وخمسة وعشرين مثقالا، لأن كل مثقال نظير تسع قصبات ذهبا عراقيا، وسط سرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبة ذهبا عراقيا. ثوب موشح مجاوم مطرف. السلف خمسون دينارا وثلاثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا، عاليا أجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلاثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصفا، وثوب ديبقى حريرى وسطاني. السلف اثنا عشر دينارا، غلالة ديبقى حريري، السلف عشرون دينارا. منديل كم أول مذهب. السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهبا عراقيا. منديل كم ثان حريرى السلف خمسة دنانير، حجرة. السلف أربعة دنانير. عرضى مذهب. السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهبا، عاليا عرضى لفافة للتخت دينار واحد، ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها باللفافتين عشر قطع. السلف مائةوأربعة عشر دينارا، ومن الذهب العالى خمسة وخمسون مثقالا، ومن الذهب العراقى سبعمائة وأربعون قصبة. تفصيل ذلك: شاشية طميم. السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا. منديل السلف ستون دينارا وستمائة قصبة ذهبا عراقيا، شقة وكم. السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا، عاليا أجرة كل مثقال ثمن دينار، شقة ديبقى حريرى وسطانى اثنا عشر دينارا، شقة ديبقى غلالة ثمانية دنانير، منديل الكم الحريرى خمسة دنانير، حجرة أربعة دنانير، عرضى بخمسة دنانير، عرضى برسم التخت دينار واحد ونصف، وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم فى أيام الأفضل، لأنه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة، فإنه كان قد نقل ما يعمل فى القصور من الاسمطة والدواوين إلى داره. فصار يعمل هناك ما هو برسم الأجل أبى الفضل جعفر أخى الخليفة الآمر بدلة مذهبة، مبلغها تسعون دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهبا عاليا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا، تفصيل ذلك: منديل السلف خمسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا، شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرة دنانير، شقة غلالة ديبقى السلف ثمانية دنانير، حجرة ثلاثة دنانير وثلث، عرضى ديبقى ثلاثة دنانير.

وكذلك من يتفق حضورة من الرسل على هذا الحكم. مقدمو الركاب. عفيف الدولة. مقبل. بدلة مذهبة، القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك. أربعة من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريري، الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريري. الخاص من الفراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة مميزون لكل منهم بدلة مذهبة، وبقيتهم لكل واحد بدلة حريري، الأطباء. الشديد أبو الحسن على بن أبى الشديد بدلة حريري. أبو الفضل النسطورى بدلة حريري، وكذلك الفئة المستخدمون برسم الحكام وهم ثمانية. مقدمهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريري. والى القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة. المستخدمون فى المواكب. الأمير كوكب الدولة حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريري. حاملا الرمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما منديل وشقة وفوطة، وهؤلاء الثلاثة رماح ما هى عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب. حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهما بدلة. متولى بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريري. متولى حمل المظلة. كذلك عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حمل العشرة رماح العربية المغشاة بالديباج وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة. حامل السبع وراء الموكب بدلة حريري. المقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة. عرفاء الفراشين الذين ينحطون عن فراشى الخاص وفراشى المجلس وفراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريري. الفراشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالإيوان، وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدى الخليفة ليلة الموسم فإنها لا تشد إلا بين يديه، ويبدأ هو باللف عليها بيده على سبيل البركة، ويكمل المستخدمون بقية شدها وما سوى ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها، وعدتهم سبعة لكل منهم منديل سوسى وشقتان إسكندراني. المستخدمون برسم حمل القضب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر، كذلك مشارف خزانة الطيب - وكانت من الخدم الجليلة - وكان بها أعلام الجوهر التى يركب بها الخليفة فى الأعياد، ويستدعى منها عند الحاجة، ويعاد إليها عند الغنى عنها، وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية. مشارف خزائن السروج بدلة حريري. مشارف خزائن الفرش، وكاتب بيت

بدلتان . احداهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضي ، والأخرى جميعها حريرى برسم العود . وكذلك ما يختص بإخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة ، وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة ، فى تخت ، وبرسم أولاده الثلاثة . ثلاث بدلا مذهبة ، وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت ، وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبى الردّاد فى تخوت كل تخت عدة بدلات ، وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة ، وما يفرق ويفصل برسم الخلع ، وما يخرج من حاصل الخزائن عن الواصل ، وهو ما يفصل برسم الخاص من الغلمان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون داري ، وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الحمر ، وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الإسكندرانى والكلوتات ، وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها ، وعددها وأسماء المستمرين لقبضها .

وقال فى كتاب الذخائر وحدثنى من أثق به عن ابن عبد العزيز أنه قال : قوّمنا ما أخرج من خزائن القصر يعنى فى سنى الشدة أيام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة . أكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال : أخرج من الخزائن مما حررت قيمته على يدى وبحصرتى أكثر من ألف قطعة ، وحدثنى أبو الفضل يحيي بن إبراهيم البغدادى أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى أبو سعيد النهاوندى المعروف بالمعتمد بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الأمناء فى مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ، ويحكم منها ما يساوى الألف دينار إلى عشرة دنانير ، ونيف وعشرون ألف قطعة خسرواني . وحدثنى عميد الملكُ أبو الحسن على بن عبد الكريم فخر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة أرسل يطالب المستنصر بما بقى لغلمانه . فذكر أنه لم يبق عنده شيء إلا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة ، فقومت وحملت إليه ، وقال ابن الطوير : الخدمة فى خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة فى المباشرات ، وهما خزانتان . فالظاهرة يتولاها خاصة أكبر حواشى الخليفة . إما أستاذ أو غيره ، وفيها من الحواصل ما يدل على إسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس . الشروب والخاص الديبقى الملونة رجالية ونسائية ، والديباج الملونة والسقلاطون

وإليها يحمل ما يستعمل فى دار الطراز بتنيس ودمياط وإسكندرية من خاص المستعمل ، وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ، ولأصحابه مكان لخياطتهم ، والتفصيل يعمل على مقدار الأوامر وما تدعو الحاجة إليه ، ثم ينقل إلى خزانة الكسوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة ، ويتولاها امرأة تنعت بزين الخزان أبدا ، وبين يديها ثلاثون جارية . فلا يغير الخليفة أبدا ثيابه إلا عندها ، ولباسه خافيا الثياب الدارية ، وسعة أكمامها سعة نصف أكمام الظاهر ، وليس فى جهة من جهاته ثياب أصلا ، ولا يلبس إلا من هذه الخزانة ، وكان برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطيء الخليج - يعنى أبدا فيه النسرين والياسمين . فيحمل فى كل يوم منه شيء فى الصيف والشتاء لا ينقطع ألبتة برسم الثياب والصناديق . فإذا كان أوان التفرقة الصيفية أو الشتوية شد لمن تقدم ذكره من أولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة على ترتيب المفروض ، من شقق الديباج الملون والسقلاطون إلى السوسى والإسكندرانى على مقدار الفصول من الزمان ما يقرب من مائتى شدة . فالخواص فى العراضى الدبيقى ودونهم فى أوطية حرير ، ودونهم فى فوط إسكندرية ، ويدخل فى ذلك كتاب ديوانى الإنشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم و ، ذلك يخرج من الجوارى فى الشهر المطلقات .

وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة : بعد وفاة العاضد وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر . فقيل إن الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع ، وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة ، وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر ، وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش .

خزائن الجوهر والطيب والطرائف

قال ابن المأمون : وكان بها الاعلام والجوهر التى يركب بها الخليفة فى الأعياد ، ويستدعى منها عند الحاجة ، ويعاد إليها عند الغنى عنها ، وكذلك السيف الخاص والثلاثة

رماح المعزية، وقال فى كتاب الذخائر والتحف: وذكر بعض شيوخ دار الجوهر بمصر أنه استدعى يوما هو غيره من الجوهريين من أهل الخبرة بقيمة الجوهر إلى بعض خزائن القصر - يعنى فى أيام الشدة زمن المستنصر. فأخرج صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرذ قيمتها على الأقل ثلثمائة ألف دينار، وكان هناك جالسا فخر العرب بن حمدان وابن سنان وابن أبى كدينة وبعض المخالفين. فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجوهريين كم قيمة هذا الزمرذ. فقالوا إنما نعرف قيمة الشيء إذا كان مثله موجودا، ومثل هذا لا قيمة له ولا مثل، فاغتاظ وقال ابن أبى كدينة: فخر العرب كثير المؤنة وعليه خرج، فالتفت إلى كتاب الجيش وبيت المال فقال يحسب عليه فيه خمسمائة دينار فكتب ذلك وقبضه وأخرج عقد جوهر قيمته على الأقل من ثمانين ألف دينار فصاعدا فتحريا فيه. فقال يكتب بألفى دينار وتشاغلوا بنظر ما سواه وانقطع سلكه فتناثر حبه، فأخذ واحدمنهم واحدة فجعلها فى جيبة، وأخذ ابن أبى كدينة أخرى وأخذ فخر العرب بعض الحب وباقى المخالفين التقطوا ما بقى منه، وغاض كأن لم يكن وأخذ ما كان أنفذه الصليحى من نفيس الدر الرفيع الرائع وكيله على ما ذكر سبع ويبات، وأخذوا ألفا ومائتى خاتم ذهبا وفضة فصوصها من سائر أنواع الجوهر المختلف الألوان والقيم والأثمان والأنواع، مما كان لأجداده وله، وصار إليه، من وجوه دولته. منها ثلاثة خواتم ذهب مربعة عليها ثلاثة فصوص أحدها زمرذ والاثنان ياقوت سماقى ورمانى بيعت باثنى عشر ألف دينار بعد ذلك، وأحضر خريطة فيها نحو ويبة جوهر وأحضر الخبراء من الجوهريين وتقدم إليهم بقيمتها، فذكروا أن لا قيمة لها، ولا يشترى مثلها إلا الملوك، فقومت بعشرين ألف دينار فدخل جوهر الكاتب المعروف بالمختار عز الملك إلى المستنصر وأعلمه أن هذا الجوهر اشتراه جده بسبعمائة ألف دينار واسترخصه، فتقدم بإنفاقه فى الاتراك فقبض كل واحد منهم جزء بقيمة الوقت، وفرق عليهم. قال: فأما ما أخذ مما فى خزائن البلور والمحكم والمينا المجرى بالذهب والمجرود والبغدادى والخيار والمدهون والخلنج والعينى والدهيمى والأمدي، وخزائن الفرش والبسط والستور والتعاليق فلا يحصى كثرة. وحدثنى من أثق به من المستخدمين فى بيت المال أنه أخرج يوما فى جملة ما أخرج من خزائن القصر عدة صناديق، وأن واحدا

منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان الفقاع من صافى البلور المنقوش والمجرود شيء كثير، وأن جميعها مملوء من ذلك وغيره، وحدثنى من أثق به أنه رأى قدح بلور بيع مجرودا بمائتين وعشرين دينارا، ورأى خردادى بلور بيع بثلثمائة وستين دينارا، وكوز بلور بيع بمائتين وعشرة دنانير، ورأى صحون مينا كثيرة تباع من المائة دينار إلى ما دونها، وحدثنى من أثق بقوله أنه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج الغاية فى النقاء وحسن الصنعة. إحداهما خردادى والأخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منها اسم العزيز بالله تسع الباطية سبعة أرطال بالمصرى ماء، والخردادى تسعة وأنه عرضهما على جلال الملك أبى الحسن على ابن عمار فدفع فيهما ثمانمائة دينار فامتنع من بيعهما، وكان اشتراهما من مصر من جملة ما أخرج من الخزائن، وأن الذى تولى بيعه أبو سعيد النهاوندى من مخرج القصر دون غيره من الأمناء فى مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور، ويحكم منها ما يساوى الألف دينار إلى عشرة دنانير، وأخرج من صوانى الذهب المجراة بالمينا وغير المجراة المنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوء جميعها من سائر أنواعه وألوانه وأجناسه شيء كثير جدا، ووجد فيما وجد غلف خيار مبطنة بالحرير محلاة بالذهب مختلفة الأشكال. خالية مما فيها من الأواني. عدتها سبعة عشر ألف غلاف، كان فى كل قطعة. إما بلور مجرود أو محكم أو ما يشاكله، ووجد أكثر من مائة كاس بادزهر ونصب وأشباهها على أكثرها اسم هارون الرشيد وغيره، ووجد فى خزائن القصر عدة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر، وصناديق كثيرة مملوءة من أنواع الدوى المربعة والمدورة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والأبنوس الزنجى والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجوهر والذهب والفضة وسائر الأنواع الغريبة والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها، فيها ما يساوى الألف دينار والأكثر والأقل، سوى ما عليها من الجواهر، وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة مخرقة بالسواد. صغار وكبار مصنوعة بأحسن ما يكون من الصنعة وعدة أزيار صينى كبار مختلفة الألوان مملوءة كافورا قيصوريا، وعدة من جماجم العنبر الشحرى ونوافج المسك التبتى وقواريره وشجر العود وقطعه، ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت فى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ما

قيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار من جملته ثلاثون ثوب خز مقطوع، واثنا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا، ومائة قاطرمين مملوءة كافورا قيصوريا، ومما وجد لها معممات بجواهرها من أيام المعز وبيت هارون الرشيد الخز الأسود الذى مات فيه بطوس، وكان من ولى من الخلفاء ينتظرون وفاتها فلم يقض ذلك إلا للمستنصر بالله فحازه فى خزانته، ووجد لعبدة بنت المعز أيضا، وماتت فى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة مالا يحصي. حدثنى بعض خزان القصر أن خزائن السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها، وما يجب أن يختم عليه ذهب من الشمع فى خواتيمه على الصحة والمشاهدة أربعون رطلا بالمصري، وأن بطائق المتاع الموجود كتبت فى ثلاثين رزمة ورق، ومما وجد لها أيضا أربعمائة قمطرة وألف وثلاثمائة قطعة مينا فضة مخرقة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم، وأربعمائة سيف محلى بالذهب، وثلاثون ألف شقة صقلية، ومن الجوهر ما لا يحد كثرة وزمرد كيله أردب واحد، وأن سيد الوزراء أبا محمد البازورى وجد فى موجوداتها طستا وإبريقا، فلفرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما فوهبهما له، ووجد مدهن ياقوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا، وأخرج أيضا تسعون طستا وتسعون إبريقا من صافى البلور، ووجد فى القصر خزائن مملوءة من سائر أنواع الصينى منها أجاجين صينى كبار محلاة. كل أجانة منها على ثلاثة أرجل على صورة الوحوش والسباع. قيمة كل قطعة منها ألف دينار معمولة لغسل الثياب، ووجد عدة أقفاص مملوءة ببيض صينى معمول على هيئة البيض فى خلقته وبياضه يجعل فيها ماء البيض النيمبرشت يوم الفصاد، ووجد حصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلا ذكر أنها الحصير التى جليت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون، وأخرج ثمان وعشرون صينية مينا مجرا بالذهب بكعوب. كان أرسلها ملك الروم إلى العزيز بالله قومت كل صينية منها بثلاثة آلاف دينار. أنفذ جميعها إلى ناصر الدولة، ووجد عدة صناديق مملوءة مراءى حديد من صيني، ومن زجاج المينا لا يحصى ما فيها كثرة. جميعها محلى بالذهب المشبك والفضة، ومنها المكلل بالجوهر فى غلف الكيمخت، وسائر أنواع الحرير والخيزران وغيره مضبب بالذهب والفضة، ولها المقابض من العقيق وغيره، وأخرج من المظال وقضبها الفضة والذهب شيء كثير، وأخرج من

خزائن الفضة ما يقارب الألف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجراة بالذهب. فيها ما زنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم الغريبة النقش والصنعة التى تساوى خمسة دراهم بدينار، وأن جميعه بيع كل عشرين درهما بدينار، سوى ما أخذ من العشاريات الموكبية وأعمدة الخيام وقضب المظال والمتحوقات والأعلام والقناديل والصناديق والتوقات والروازين والسروج واللجم والمناطق التى للعماريات والقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه، وأخرج من الشطرنج والنرد المعمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والعاج والأبنوس برقاع الحرير والمذهب ما لا يحد كثرة ونفاسة، وأخرج آلات فضة وزنها ثلثمائة ألف ونيف وأربعون ألف درهم. تساوى ستة دراهم بدينار، وأخرج أقفاص مملوءة من سائر آلات مصوغة مجراة بالذهب. عدتها أربعمائة قفص كبار سبكت جميعها وفرقت على المخالفين، وأخرجت أربعة آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها النرجس وألفا بنفسجية كذلك، وأخرج من خزانة الطرائف ستة وثلاثون ألف قطعة من محكم وبلور، وقوم السكاكين بأقل القيم. فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار وأخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة، أقل تمثال منها وزنه اثنا عشر منا، وأكبره يجاوز ذلك، ومن تماثيل الخليفة ما لا يحد. من جملتها ثمانمائة بطيخة كافور، وأخرجت الكلوتة المرصعة بالجوهر، وكانت من غريب ما فى القصر ونفيسه. ذكر أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار قومت بثمانين ألف دينار، وكان وزن ما فيها من الجوهر سبعة عشر رطلا، اقتسمها فخر العرب وتاج الملوك فصار إلى فخر العرب منها قطعة بلخش، وزنها ثلاثة وعشرون مثقالا، وصار إلى تاج الدين مما وقع إليه حبات در كل حبة. ثلاثة مثاقيل عدتها مائة حبة فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت، وأخرج من خزائن الطيب خمسة صوارى عود هندي، كل واحد من تسعة أذرع، إلى عشرة أذرع وكافور قيصورى زنة كل حبة من خمسة مثاقيل إلى ما دونها، وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال وأخرج متارد صينى محمولة على ثلاثة أرجل ملء كل وعاء منها مائتا رطل من الطعام، وعدة قطع شب وبادزهر. منها جام سعته ثلاثة أشبار ونصف، وعمقه شبر. مليح الصنعة وقاطر ميز بلور فيه صور ثابتة تسع سبعة عشر رطلا، وبلوجة بلور مجرود

تسع عشرين رطلا، وقصرية نصب كبيرة جدا، وطابع ند فيه ألف مثقال. كان فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة بن بويه الديلمى عمله مكتوب فى وسطه فخر الدولة شمس الملة وأبيات منها:

ومن يكن شمس أهل الأرض قاطبة

فنـــده طـــابع من ألف مثقـال

وطاووس ذهب مرصع بنفيس الجوهر. عيناه من ياقوت أحمر، وريشه من الزجاج المينا المجرى بالذهب على ألوان ريش الطاوس. وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون من أعراف الديوك من الياقوت الأحمر مرصع بسائر الدر والجوهر، وعيناه ياقوت، وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع، ومجمع سكارج من بلور تخرج منه وتعود فيه فتحته أربعة أشبار. مليح الصنعة فى غلاف خيزران وبطيخة من الكافور فى شباك ذهب مرصعة. وزنها خالصة سبعون مثقالا من كافور. وقطعة عنبر تسمى الخروف وزنها سوى ما يمسكها من الذهب ثمانون منا. وبطيخة كافور أيضا وجد ما عليها من الذهب ثلاثة آلاف مثقال، ومائدة نصب كبيرة واسعة. قوائمها منها، وبيضة بلخش وزنها سبعة وعشرون مثقالا أشد صفاء من الياقوت الأحمر، وقاطرميز بلور مليح التقدير يسع مروقتين قوم فى المخرج بثمانمائة دينار. دفع إلى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألفا دينار، فامتنع عن بيعه، ومائدة جزع يقعد عليها جماعة قوائمها مخروطة منها، ونخلة ذهب مكللة بالجوهر وبديع الدر فى أجانة ذهب تجمع الطلع والبلح والرطب بشكله ولونه وعلى صفته وهيأته من الجواهر لا قيمة لها، وكوز زير بلور يحمل عشرة أرطال ماء، ودارج مرصع بنفيس الجوهر لا قيمة له، ومزيرة مكللة بحب لؤلؤ نفيس، وقبة العشارى وكارته وكسوة رحله الذى استعمله على بن أحمد الجرجراي، وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا، وسبعمائة درهم نقرة، وأطلق للصناع عن أجرة صياغته وثمن ذهب للطلاء ألفان وتسعمائة دينار، وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم بستة دنانير وربع، سعر ستة عشر درهما بدينار، وأخرج العشارى الفضى الذى استعمله على بن أحمد لأم المستنصر، وكان فيه مائة ألف وعشرون ألف درهم نقرة، وصرف أجرة

صياغة وطلاء ألفان وأربعمائة دينار وكسوة بمال جليل، وأخرج جميع كسا العشاريات التى برسم البرية والبحرية وعدتها ومناطقها، ورؤوس منحرفات وأهله وصفريات، وكانت أربعمائة ألف دينار لستة وثلاثين عشاريا، وعدة مياكيم فضة. فيها ما وزنه مائة وتسعة أرطال فضة، وأخرج بستان أرضه فضة مخرقة مذهبة وطينه ند، وأشجاره فضة مذهبة مصوغة، وأثماره عنبر وغيره، وزنه ثلاثمائة وستة أرطال، وبطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال، وقطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهما، وقطع زمرذ زنة كل قطعة ثمانون درهما، ونصاب مرآة من زمرذ له طول وثخن، كل ذلك أخذه المخالفون.

خزائن الفرش والأمتعة

قال فى كتاب الذخائر: وحدثنى من أثق به عن ابن عبد العزيز الأنماطى قال: قومنا ما أخرج من خزائن القصر من سائر الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة. أكثرها، مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال: أخرج من الخزائن ما حررت قيمته على يدى وبحضرتى أكثر من مائة ألف قطعة، وأخرج مرتبة خسراونى حمراء بيعت بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار، ومرتبة قلمونى بيعت بألفين وأربعمائة دينار، وثلاثون سندسية بيعت كل واحدة منها بثلاثين دينارا، ونيف وعشرون ألف قطعة خسروانى فى هدبه لم يقطع منها شىء وكانت قيمة الغرض المبيع بأقل القيم وأبرز الأثمان فى مدة خمسة عشر يوما من صفر سنة ستين وأربعمائة سوى ما نهب، وسرق ثلاثون ألف ألف دينار قبض جميعها الجند والأتراك ليس لأحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق. وحدثنى الأمير أبو الحسن على بن الحسن أحد مقدمى الخيميين بالقصر أن الفراشين دخلوا إلى بعض خزائن الفرش لما اشتدت مطالبة المارقى للمستنصر بالمال إلى الخزانة المعروفة بخزانة الرفوف، وسميت بذلك لكثرة رفوفها ولكل رف منها سلم مفرد فأنزلوا منها ألفى عدل شقق طميم بهدبها من

سائر أنواع الخسرواني وغيره لم تستعمل بعد، وجميع ما فيه أمذهب معمول بسائر الأشكال والصور وأنهم فتحوا عدلا منها فوجدوا ما فيه أجلة معمولة للفيلة من خسرواني أحمر مذهب، كأحسن ما يكون من العمل وموضع نزول أفخاذ الفيل ورجليه ساذجة بغير ذهب، وأخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسرواني أحمر مطرز بأبيض في هدبها لم يفصل من كسا بيوت كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها، وكل بيت يشتمل على مسانده ومخاده ومساوره ومراتبه وبسطه وعتبه ومقاطعه وستوره، وكل ما يحتاج إليه فيه. قال: وأخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلموني والديبقي من سائر ألوانه وأنواعه المخمل والخسرواني والديباج الملكي والخز وسائر الحرير من جميع ألوانه وأنواعه ما لا يحصى كثرة، ولا يعرف قدره نفاسة، وأخرج من الحصر والانخاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة من المخرمة والطيور والفيلة المصورة بسائر أنواع الصور شيء كثير، والتمس بعض الأتراك من المستنصر مقرمة يعني ستارة سندس أخضر مذهبة. فأخرج عدل منها مكتوب عليه مائة وثمانية وثمانون من جملة أعداد أعدال فيها من المتاع، ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها عدة مئين تقارب الألف. فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها، مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة أيامه وشرح حاله، وأخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسرواني مذهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه وتعاليقه، وسائر آلاته منسوجة في خيط واحد باقية على حالها لم تمس، وصار إلى فخر العرب مقطع من الحرير الأزرق التستري القرقوبي غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير، كان المعز لدين الله أمر بعمله في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة فيه صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها شبه جغرافيا، وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير، وفي آخره: «مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقا إلى حرم الله وإشهارا لمعالم رسول الله، في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة» والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار، وصار إلى تاج الملوك بيت أرمني أحمر منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثل له ولا قيمة، وبساط خسرواني دفع إليه فيه ألف

دينار فامتنع من بيعه، وقال ابن الطوير: خزانة الفرش. وهى قريبة من باب الملك يحضر إليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها ويستخبر عن أحوالها، ويأمر بإدامة الاستعمال، وكان من حقوقها استعمال السامان فى أماكن خارجها بالقاهرة ومصر ويعطى مستخدمها خمسة عشر دينارا - يعنى يوم يطوف بها الخليفة.

خزائن السلاح

قال فى كتاب الذخائر: فأما خزائن السيوف والآلات والسلاح فإن بعضها أخذ وقسم بين العشرة الثائرين على المستنصر وهم ناصر الدولة بن حمدان وأخواه، وبلدكوس، وابن سبكتكين، وسلام عليك، وشاور بن حسين، حتى صار ذو الفقار إلى تاج الملوك وصمصامة عمرو بن معدى كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسى وسيف كافور وسيف المعز وسيف أبى المعز إلى الأعز بن سنان، ودرع المعز لدين الله وكانت تساوى ألف دينار وسيف الحسين ابن على بن أبى طالب عليهما السلام، ودرقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه، وسيف جعفر الصادق رضى الله عنه ومن الخود والدروع والتخافيف والسيوف المحلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية وصناديق النصول وجعاب السهام الخلنج وصناديق القسى ورزم الرماح الزان الخطية وشدات القسى الطوال والزرد والبيض مئين ألوف، وكان كل صنف مفردا عشرات ألوف.

وقال ابن الطوير: خزانة السلاح يدخل إليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على السرير هناك. ويتأمل حواصلها من الكراغندات المدفونة بالزرد المغشاة بالديباج المحكمة الصناعة، والجواشن المبطنة المذهبة والزرديات السابلة برؤوسها، والخود المحلاة بالفضة، وكذلك أكثر الزرديات والسيوف على اختلافها من العربيات والقلجوريات والرماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة والأسنة البرصانية، والقسى لرماية اليد المنسوبة إلى صناعها مثل الخطوط المنسوبة إلى أربابها. فيحضر إليه منها ما يجربه، ويتأمل النشاب وكانت

نصوله مثلثة الأركان على اختلافها ثم قسى الرجل والركاب، وقسى اللولب الذى زنة نصله خمسة أرطال، ويرمى من كل سهم بين يديه، فينظر كيف مجراه، والنشاب الذى يقال له الجراد وطوله شبر يرمى به عن قسى فى مجال معمولة برسمه، فلا يدرى به الفارس أو الراجل إلا وقد نفذ، فإذا فرغ من نظر ذلك كله خرج من خزانة الدرق، وكانت فى المكان الذى هو خان مسرور وهى برسم الاستعمالات للأساطيل من الكبورة الخرجية، والخود الجلودية إلى غير ذلك، فيعطى مستخدمها خمسة وعشرون دينارا ويخلع على متقدم الاستعمالات جوكانية مزيدة حريرا وعمامة لطيفة.

خزائن السروج

قال فى كتاب الذخائر: أخرج فيما أخرج صناديق سروج محلاة بفضة مجراة بسواد ممسوحة - وجد على صندوق منها الثامن والتسعون والثلاثمائة وعدة ما فيها زيادة على أربعة آلاف سرج وأخرج المستنصر من خزائن السروج خمسة آلاف سرج. كان أبو سعد إبراهيم ابن سهل التسترى ادخرها فيها وتقدم بحفظها، كل سرج منها يساوى من سبعة آلاف دينار إلى ألف وأكثرها عال سبك، جميعها وفرق فى الأتراك. كان برسم ركابه منها أربعة آلاف سرج، وأخذ من خزائن السيدة والدته أربعة آلاف سرج مثلها ودونها صنع بها مثل ذلك.

وقال ابن الطوير خزانة السروج تحتوى على ما لا يحتوى عليه مملكة من الممالك، وهى قاعة كبيرة بدورها مصطبة، علوها ذراع، ومجالسها كذلك، وعلى تلك المصطبة متكآت مخلصة الجانبين. على كل متكأ ثلاثة سروج متطابقة، وفوقه فى الحائط وتد مدهون مضروب فى الحائط قبل تبييضه، وهو بارز بروزا متكئا عليه المركبات الحلى على لجم، تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة، أو الفضة خاصة أو الذهب والفضة وقلائدها وأطواقها لأعناق الخيل، وهى لخاص الخليفة وأرباب الرتب ما يزيد على ألف سرج،

ومنها لجام هو الخاص ومنها الوسط ومنها الدون، وهى خيار غيرها برسم العوارى لأرباب الرتب والخدم، ومنها ما هو قريب من الخاص. فيكون عند المستخدم بشداده الدائم، وجاريه على الخليفة ما دام مستخدما، والعلف مطلق من الأهراء، وأما الصاغة فإن فيها منهم ومن المركبين والخرازين عددا جما دائمين لا يفترون عن العمل، وكل مجلس مضبوط بعد متكآته، وما عليها من السروج والأوتاد واللجم وكل مجلس لذلك عند مستخدميه فى العرض. فلا يختل عليهم منها شيء، وكذلك وسط قاعتها بعدة متوالية أيضا. والشدادون مطلبون بالنقائص منها أيام المواسم، وهم يحضرونها أو قيمتها فيعرض ويركب ويحضر إليها الخليفة ويطوفها من غير جلوس، ويعطى حاميها للتفرقة فى المستخدمين عشرين دينارا، ويقال إن الحافظ لدين الله عرضت له فيها حاجة فجاء إليها مع الحامى فوجد الشاهد غير حاضر، وختمه عليها فرجع إلى مكانه وقال لا يفك ختم العدل إلا هو ونحن نعود فى وقت حضوره. انتهى، وكان الخليفة الآمر بأحكام الله تحدثه نفسه بالسفر إلى المشرق والغارة على بغداد. فأعد لذلك سروجا مجوفة القرابيص، وبطنها بصفائح من قصدير ليجعل فيها الماء، وجعل لها فما فيه صفارة، فإذا دعت الحاجة إلى الماء شرب منه الفارس، وكان كل سرج منها يسع سبعة أرطال ماء، وعمل عدة مخال للخيل من ديباج وقال فى ذلك:

دع اللوم عنى لست منى بموثق

فلابد لى من صدمة المتحقق

وأسقى جيادى من فرات ودجلة

وأجمع شمل الدين بعد التفرق

وأول من ركب المتصرفين فى دولته من خيوله بالمراكب الذهب فى المواسم العزيز بالله نزار بن المعز.

خزائن الخيم

قال فى كتاب الذخائر : وأخبرنى سماء الرؤساء أبو الحسن على بن أحمد بن مدبر وزير ناصر الدولة . قال : أخرج فيما أخرج من خزائن القصر عدة لم تحص من أعدال الخيم والمضارب والفازات والمسطحات والجركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والفساطيط المعمولة من الديبقى والمخمل والخسروانى والديباج الملكى والأرمنى والبهنساوى والكردوانى والجيد من الحلى ، وما أشبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه وأنواعه ، ومن السندس والطميم أيضا . منها المفيل والمسبع والمخيل والمطوس والمطير ، وغير ذلك من سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الأشكال والصور البديعة الرائعة ، ومنها الساذج والمنقوش فى ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الأعمدة الملبسة أنابيب الفضة ، والثياب المذهبة وغير المذهبة من سائر أنواعها وألوانها والصفريات الفضة على أقدارها ، والحبال الملبسة القطن والحرير والأوتاد وسائر ما يحتاج إليه من جميع آلاتها وعدتها ، المبطون جميعها بالديبقى الطميم المذهب والخسروانى المذهب ، وثياب الحرير الصينى والتسترى والمضبب والرجيج والشرفى والشعرى والديباج والمريش وسائر أنواع الحرير من سائر الألوان وأنواعها كبارا وصغارا ، منها ما يحمل خرقه وأوتاده وعمده وسائر عدته على عشرين بعيرا ، ودون ذلك وفوقه ، فالمسطح بيت مربع له أربعة حيطان وسقف بستة أعمدة . منها عمودان للحائط الواحد المرفوع للدخول والخروج ، والخيمة ظهرها حائط مربع وسقيفتها إلى الباب حائط مربع وأركانها شوارك من الجانبين على قدر القائم ، وفيها أربعة أعمدة اثنان فى الباب ، واثنان فى وسطها ، وكلما زادت زاد عمدها وسقفها ، ولها حدان مشروكان من الجانبين ، والشراع حائط فى الظهر مسقف على الرأس بعمودين من أى موضع دارت الشمس حول إلى ناحية الشمس ، والمشرعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تام ، وشراع سابل خلفها من أى موضع دارت الشمس أدير والقبة على حالها .

وحدثنى أبو الحسن على بن الحسن الخيمى قال : أخرجنا فى جملة ما أخرج من خزائن القصر أيام المارقين حين اشتدت المطالبة على السلطات فسطاطا كبيرا أكبر ما يكون ، يسمى

المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا بالكبير، ودائر فلكته عشرون ذراعا، وقطرها ستة أذرع وثلثا ذراع، ودائره خمسمائة ذراع، وعدة قطع خرقه أربع وستون قطعة. كل قطعة منها تحزم فى عدل واحد بجمع بعضه إلى بعض بعرى وشراريب حتى ينصب يحمل خرقه وحباله وعدته على مائة جمل، وفى صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطير مصرية، يحملها من داخلها قضبان حديد من سائر نواحيها تمتلىء ماء من راوية جمل، قد صور فى رفرفه كل صورة حيوان فى الأرض، وكل عقد مليح وشكل ظريف، وفيه باذهنج طوله ثلاثون ذراعا فى أعلاه. كان أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازورى أمر بعمله أيام وزارته، فعمله الصناع وعدتهم مائة وخمسون صانعا فى مدة تسع سنين، واشتملت النفقة عليه على ثلاثين ألف دينار، وكان عمله على مثال القاتول الذى كان العزيز بالله أمر بعمله أيام خلافته إلا أن هذا أعلى عمودا منه، وأوسع وأعظم وأحسن، وكان الخليفة أنفذ إلى ملك الروم فى طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار، أحدهما فى هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة أذرع، والآخر حمله ناصر الدولة بن حمدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله إلى الإسكندرية، وما أدرى ما فعل به. قال: وأقمنا مدة طويلة فى تفصيل بعضه من بعض وتقطيعه خرقا وشققا قومت على المذكورين بأقل القيم، وتفرق فى الآفاق. وقال لى أيضا: أخرجنا مسطحا قلمونيا مخملا موجها من جانبيه عمل بتنيس للعزيز بالله، يسمى دار البطيخ وسطه بكنيس على ستة أعمدة. أربعة منها فى أركان الكنيس، وفى أربعة الأركان أربع قباب، ومن القبة إلى القبة رواق دائر عليه، والقباب دونه، وفى كل قبة أربعة أعمدة طول كل عمود من أعمدة الكنيس ثمانية عشر ذراعا، وكذلك طول قائم القباب. وفعلنا به مثل ما فعلنا فى الأول. وقال لى أخرجنا مسطحا عمل للظاهر لإعزاز دين الله بتنيس ذهب فى ذهب طميم. قائم على عمود له ست صفارى بلور، وستة أعمدة فضة أنفق عليه أربعة عشر ألف دينار، ومسطحا ديبقيا كبيرا مذهبا بدوائر كردوانى منقوش، وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام بشرفات من المخمل والقلمونى والديبقى والديباج الخسروانى والحرير من سائر أنواعه وألوانه المذهبة المنقوشة

بحياضها ودككها ومصاطبها وقدورها وزجاجها وسائر عددها، وأخرجنا من الخيام الكردواني شيئا كثيرا، وأخرجنا خيمة كبيرة مدورة كردواني مليحة النقش والصنعة. عدتها قطع كثيرة. طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعا، فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالأول، وأخرج في جملتها الفسطاط الكبير. المعروف بالمدورة الكبيرة المتولي عمله بحلب الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الأيسر في سني نيف وأربعين وأربعمائة المنفق على خرقه ونقشه وعمله، وعدته ثلاثون ألف دينار. الذي عموده أطول ما يكون من صواري درامين الروم البنادقة أربعون ذراعا، ودائر فلكة عموده أربعة وعشرون شبرا، ويحمل على سبعين جملا، ووزن صفريته الفضة قنطاران. سوى أنابيب عمده، ويتولى اتقان عمده ونصبه مائتا رجل من فراش ومعين، وهو شبيه بالقاتول العزيزي وسمي بالقاتول لأنه ما نصب قط إلا وقتل رجلا أو رجلين ممن يتولى اتقانه من فراش وغيره. قال: ووجد في خزائن مملوءة من سائر أنواع الصواني المدهونة ببغداد المذهبة التي حشيت كل واحدة منها بما دونها في السعة إلى ما سعته دون الدرهم، ومن سائر أنواع الأطباق الخلع الرازي في هذه السعة. وفوق ذلك ودونه قد حشيت بطونها بما دونها في السعةإلى ما سعته دون الدينار، ومن الموائد القوائمية الصغار والكبار ألوف، ومن موائد الكرم وماأشبهها شيء كثير، ومن الجفان الحور الواسعة التي قد عملت مقابضها من الفضة، وحليت بأنواع الحلي التي لا يقدر الجمل القوي على حمل جفنتين منها لعظمها، تساوي الواحدة منها مائة دينار، وفوقها ودونها شيء كثير ووجد من الدكك والمحاريب والأسرة العود والصندل والعاج والأبنوس والبقم شيء كثير مليح الصنعة.

وقال ابن ميسر: وعمل الأفضل بن أمير الجيوش خيمة سماها خيمة الفرح. اشتملت على ألف ألف وأربعمائة ألف ذراع، وقائمها ارتفاعه خمسون ذراعا بذراع العمل، صرف عليها عشرة آلاف، ومدحها جماعة من الشعراء.

خزانة الشراب

قال ابن المأمون: ولم يكن فى الإيوان فيما تقدم شراب حلو. بل إنها قررت لاستقبال النظر المأمونى، وأطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر قنطارا، ويرسم الورد المربى خمسة عشر قنطارا وأما ما يستعمل بالكافورى من الحلو الفانيد والحامض، فالمبلغ فى ذلك على ما حصره شاهده فى السنة. ستة آلاف وخمسمائة دينار، وما يحمل للكافورى أيضا يرسم كرك الماورد ما يستدعيه متولى الشراب.

وقال ابن الطوير: خزانة الشراب. وهى أحد مجالسه أيضا - يعنى القاعة التى هى الآن المارستان العتيق. فإذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حاميها، وهو من كبار الأستاذين وشاهدها. فيحضر إليه فراشوها بين يدى مستخدمها من عيون الأصناف العالية من المعاجين العجيبة فى الصينى والطيافير الخلنج. فيذوق ذلك شاهدها بحضرته ويستخبر عن أحوالها بحضور أطباء الخاص. وفيها من الآلات والازيار الصينى والبرابى عدة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين، وأصناف الأدوية من الراوند الصينى وما يجرى مجراه، مما لا يقدر أحد على مثله إلا هناك. وما يدخل فى الأدوية من آلات العطر إلى ذلك، ويسأل عن الدرياق الفاروق، ويأمرهم بتحصيل أصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه، ويؤكد فى ذلك تأكيدا عظيما ويستأذن على ما يطلق منها برقاع أطباء الخاص للجهات وحواشى القصر. فيأذن فى ذلك ويعطى الحامى للتفرقة فى الجماعة ثلاثين دينارا.

خزانة التوابل

وقال ابن المأمون: فأما التوابل العالى منها والدون فإنها جملة كثيرة، ولم يقع لى شاهد بها. بل إننى اجتمعت بأحد من كان مستخدما فى خزانة التوابل، فذكر أنها تشتمل على

خمسين ألف دينار في السنة، وذلك خارج عما يحمل من البقولات، وهى باب مفرد مع المستخدم فى الكافورى، والذى استقر إطلاقه على حكم الاستيمار من الجرايات المختصة بالقصور والرواتب المستجدة والمطلق من الطيب، ويذكر الطراز وما يبتاع من الثغور ويستعمل بها وغير ذلك. فأولها جراية القصور وما يطلق لها من بيت المال إدرارا لاستقبال النظر المأمونى ستة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وأربعون دينارا تفصيله منديل الكم الخاص الآمرى فى الشهر ثلاثة آلاف دينار. عن مائة دينار كل يوم أربع جمع الحمام. فى كل جمعة مائة دينار، أربعمائة دينار وبرسم الإخوة والاخوات، والسيدة الملكة والسيدات والأمير أبى على وإخوته والموالى والمستخدمات ومن استجد من الأفضليات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون دينارا، ولم يكن للقصور فى الأيام الأفضلية من الطيب راتب فيذكر، بل كان إذا وصلت الهدية والجاوى من البلاد اليمنية تحمل برمتها إلى الإيوان فينقل منها بعد ذلك للأفضل، والطيب المطلق للخليفة من جملتها، فانفسخ هذا الحكم وصار المرتب من الطيب مياومة ومشاهرة على ما يأتى ذكره ما هو برسم الخاص الشريف. فى كل شهر ند مثلث ثلاثون مثقالا عود صيفى. مائة وخمسة دراهم كافور قديم خمسة عشر درهما عنبر خام. عشرة مثاقيل زعفران. عشرون درهما ماء ورد. ثلاثون رطلا برسم بخور المجلس الشريف فى كل شهر فى أيام السلام ند مثلث عشرة مثاقيل. عود صيفى عشرون درهما. كافور قديم ثمانية دراهم. زعفران شعر عشرة دراهم. ما هو برسم بخور الحمام فى كل ليلة جمعة عن أربع جمع فى الشهر. ند مثلث أربعة مثاقيل. عود صيفى عشرة مثاقيل. ما هو برسم السيدات والجهات والإخوة فى كل شهر. ند مثلث خمسة وثلاثون مثقالا. عود صيفى مائة وعشرون درهما. زعفران شعر خمسون درهما. عنبر خام عشرون مثقالا. كافور قديم عشرون درهما. مسك خمسة عشر مثقالا. ماء ورد أربعون رطلا. ما هو برسم المائدة الشريفة ما تستلمه المعلمة. مسك خمسة عشر مثقالا. ماء ورد خمسة عشر رطلا. ما هو برسم خزانة الشراب الخاص. مسك ثلاثة مثاقيل. ند مثلث سبعة مثاقيل. عود صيفى خمسة وثلاثون درهما. ماء ورد عشرون رطلا. ما هو برسم بخور المواكب الستة، وهى الجمعتان الكائنتان فى شهر رمضان برسم الجامعين

بالقاهرة - يعنى الجامع الأزهر والجامع الحاكمى والعيدان وعيد الغدير وأول السنة بالجوامع والمصلى. ند خاص جملة كثيرة لم تتحقق فتذكر، ولم يكن للغرتين - غرة السنة وغرة شهر رمضان وفتح الخليج بخور فيذكر، وعدة المبخرين فى المواكب ستة. ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن الشمال، وكل منهم مشدود الوسط، وفى كمه فحم برسم تعجيل المدخنة، والمداخن فضة وحامل الدرج الفضة الذى فيه البخور أحد مقدمى بيت المال، وهو فيما بين المبخرين طول الطريق، ويضع بيده البخور فى المدخنة وإذا مات أحد هؤلاء المبخرين لا يخدم عوضا عنه إلا من يتبرع بمدخنة فضة. لأن لهم رسوما كثيرة فى المواسم مع قربهم فى المواكب من الخليفة، ومن الوقت الذى يتبرع فيه بالمدخنة يرجع فى حاصل بيت المال، وإذا توفى حاملها لا ترجع لورثته. وعدة ما يبخر فى الجوامع والمصلى غير هؤلاء فى مداخن كبار فى صوانى فضة ثلاث صوان فى المحراب احداهن، وعن يمين المنبر وشماله اثنتان، وفى الموضع الذى يجلس فيه الخليفة إلى أن تقام الصلاة صينية رابعة، وأما البخور المطلق برسم المأمون فهو فى كل شهر. ند مثلث خمسة عشر مثقالا. عود صيفى ستون درهما. عنبر خام ستة مثاقيل. كافور ثمانية دراهم زعفران شعر. عشرة دراهم. ماء ورد خمسة عشر رطلا، ومنها مقرر المجامع، وما قرر من خزانة التفرقة فى كل يوم اثنا عشر مجمعا. كل بيت عياره رطل واحد، ولكل مجمع ثلاثة أرطال جبن قريش وفاكهة بنصف درهم، والمستقر لهذه المجامع فى كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلا، ومنها مقرر الحلوى والفستق. ومما استجد ما يعمل فى الإيوان برسم الخاص. فى كل يوم من الحلوى اثنا عشر جاما رطبة، ويابسة نصفين. وزن كل جام من الرطب عشرة أرطال ومن اليابس ثمانية أرطال، ومقرر الخشكنانج والبسندود فى كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الآمرى والمأمونى قنطار واحد سكر، ومثقالان مسك وديناران برسم المؤن لعمل خشكنانج وبسندود فى قعيان وسلال صفصاف، ويحمل ثلثا ذلك إلى القصر، والثلث إلى الدار المأمونية. قال: وجرت مفاوضة بين متولى بيت المال ودار الفطرة بسبب الأصناف، ومن جملتها الفستق وقلة وجوده وتزايد سعره إلى أن بلغ رطل ونصف بدينار، وقد وقف منه لأرباب الرسوم ما حصل شكواهم بسببه فجاوبه متولى الديوان بأن قال: ما تم موجب

الإنفاق لما هو راتب من الديوان، وطالما المقام العالى بأنه لما رسم لهما ذكرا جميع ما اشتمل عليه ما هو مستقر الإنفاق من قلب الفستق والذى يطلق من الخزائن من قلب الفستق إدرارا مستقرا بغير استدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حسابا فى الشهر التام عن ثلاثين يوما خمسمائة وخمسة وثمانون رطلا، وفى الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما خمسمائة وخمسة وستون رطلا حسابا عن كل يوم تسعة عشر رطلا ونصف. من ذلك ما يستلمه الصناع الحلاويون والمستخدمون بالإيوان مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الآمرية عن اثنى عشر جام حلوى خاص. وزنها مائة وثمانية أرطال. منها رطب ستون رطلا، ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلا مما يحمل فى يومه وساعته. منها ما يحمل مختوما برسم المائدتين الآمريتين بالباذهنج والدار الجديدة. اللتين ما يحضرهما إلا من كبرت منزلته وعظمت وجاهته جامان رطبا ويابسا، وما يفرق فى العوالى من الموالى والجهات على أوضاع مختلفة تسع جامات، وما يحمل إلى الدار المأمونية برسم المائدة بالدار دون السماط جام واحد. تتمة المياومة المذكورة ما يتسلمه مقدم الفراشين فى خدمة المائدة الشريفة التى تتولاها المعلمة بالقصور الزاهرة. أربعة أرطال فستق. ما يتسلمه الشاهد والمشارف على المطابخ الآمرية مما يصنع فيها برسم الجامات الحلوى وغيره، مما يكون على المدورة فى الاسمطة المستمرة بقاعة الذهب فى أيام السلام وفى أيام الركوبات وحلول الركاب بالمناظر أربعة أرطال، وما يتسلمه الحاج مقبل الفراش برسم المائدة المأمونية مما يوصله لزمام الدار دون المطابخ الرجالية رطلان. الحكم الثانى يطلق مشاهرة بغير توقيع ولا استدعاء باسماء كبراء الجهات والمستخدمين من الأصحاب والحواشى فى الخدم المميزة، وهو فى الشهر ثلاثة عشر رطلا، والديوان شاهد بأسماء أربابه، وما يطلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاءات والمطالعات ويوقع عليه بالإطلاق من هذا الصنف فى كل سنة على ما يأتى ذكره، وما يستدعى برسم التوسعة فى الراتب عند تحويل الركاب العالى إلى اللؤلؤة مدة أيام النيل المبارك فى كل يوم رطلان، وما يستدعى برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوما. رجب وشعبان حسابا عن كل يوم رطلان. مائة وثمانية عشر رطلا، وما يستدعى لما يصنع بدار الفطرة فى كل ليلة برسم الخاص خشكنانج لطيفة وبسندود

وجوارشات ونواطف، ويحمل فى سلال صفصاف لوقته عن كل يوم رطلان. مائة وثمانية عشر رطلا، وما يستدعى لما يصنع بدار الفطرة فى كل ليلة برسم الخاص خشكنانج لطيفة وبسندود وجوراشات ونواطف، ويحمل في سلال صفصاف لوقته عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها سلخ رمضان عن تسعة وثمانين يوما مائة وثمانية وسبعون رطلا. لكل ليلة رطلان، ويسمى ذلك بالتعبية. ومايستدعيه صاحب بيت المال ومتولى الديوان فيما يصنع بالإيوان الشريف برسم الموالد الشريفة الأربعة النبوى والعلوى والفاطمى والآمرى مما هو برسم الخاص والموالى والجهات بالقصور الزاهرة والدار المأمونية والأصحاب والحواشى. خارجا عما يطلق مما يصنع بدار الوكالة، ويفرق على الشهود والمتصدرين والفقراء والمساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن. عشرون رطلا قلب فستق حسابا لكل يوم مؤبد منها خمسة أرطال ما يستدعى برسم ليالى الوقود الأربع الكائنات فى رجب وشعبان مما يعمل بالايوان برسم الخاصيين والقصور خاصة عشرون رطلا. لكل ليلة خمسة أرطال، وأما ما ينصرف فى الأسمطة والليالى المذكورات فى الجامع الأزهر بالقاهرة والجامع الظاهرى بالقرافة. فالحكم فى ذلك، يخرج عن هذه الخزائن ويرجع إلى مشارف الدار السعيدة، وكذلك ما يستدعيه المستخدمون فى المطابخ الآمرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور فى جملة غيره برسم الأسمطة لمدة تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان وسلخه لاسماط فيه، وفى الأعياد جميعها بقاعة الذهب وما يستدعيه النائب برسم ضيافة من يصرف من الأمراء فى الخدم الكبار، ويعود إلى الباب ومن يرد إليه من جميع الضيوف، وما يستدعيه المستخدمون فى دار الفطرة برسم فتح الخليج وهى الجملتان الكبيرتان. فجميع ذلك لم يكن فى هذه الخزائن محاسبته ولا ذكر جملته، والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة، وأما ما يطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن فى هذه الولائم والأفراح وإرسال الإنعام فهو شىء لم تتحقق أوقاته ولا مبلغ استدعائه. أنهى، المملوكان ذلك، والمجلس فضل السمو والقدرة فيما يأمر به إن شاء الله تعالى.

دار التعبية

قال ابن المأمون : دار التعبية كانت فى الأيام الأفضلية تشتمل على مبلغ يسير . فانتهى الأمر فيها إلى عشرة دنانير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية ، وهو النرجس والنينوفران الأصفر والأحمر ، والنخل الموقوف برسم الخاص، وما يصل إليه من الفيوم وثغر الإسكندرية ومن جملتها تعبية القصور للجهات والخاص والسيدات ، ولدار الوزارة، وتعبية المناظر فى الركوبات إلى الجمع فى شهر رمضان . خارجا عن تعبية الحمامات ، وما يحمل كل يوم من الزهرة ، وبرسم خزانة الكسوة الخاص ، وبرسم المائدة ، وتفرقة الثمرة الصيفية فى كل سنة على الجهات والأمراء والمستخدمين والحواشى والأصحاب ، وما يحمل لدارالوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة .

خزانة الأدم

قال : وأما الراتب من عند بركات الأدمى فإنه فى كل شهر ثمانون زوجا أوطية من ذلك برسم الخاص . ثلاثون زوجا برسم الجهات . أربعون زوجا برسم الوزارة . عشرة أزواج خارجا عن السباعيات ، فإنها تستدعى من خزانة الكسوة ، وفى كل موسم تكون مذهبة .

خزائن دار أفتكين

قال ابن الطوير : وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين الذى رافق نزار ابن المستنصر بالإسكندرية . جعلوها برسم الخزن . فقيل خزائن دار أفتكين ، وتحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الإسكندرية وغيرها ، وجميع القلوب المأكولة من

الفستق وغيره، والاعسال على اختلاف أصنافها، والسكر والقند والشيرج والزيت. فيخرج منهذه الخزائن بيد حاميها، وهو من الأستاذين المميزين ومشارفها، وهو من المعدلين راتب المطابخ خاصا وعاما ليوم أو لأيام. ينفق منها للمستخدمين، ثم لأرباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم فى كل شهر من أرباب الرتب. حتى لا يخرج عما يحتاجون فيها إلا اللحم والخضراوات فهى أبدا معمورة بذلك. انتهى.

خبر نزار وأفتكين

لما مات الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد. ابن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبى على منصور فى ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة بادر الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى إلى القصر، وأجلس أبا القاسم أحمد بن المستنصر فى منصب الخلافة، ولقبه بالمستعلى بالله، وسير إلى الأمير نزار والأمير عبد الله والأمير إسماعيل أولاد المستنصر. فجاءوا إليه فإذا أخوهم أحمد وهو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة. فامتعضوا لذلك وشق عليهم وأمرهم الأفضل بتقبيل الأرض. وقال لهم: قبلوا الأرض لمولانا المستعلى بالله وبايعوه، فهو الذى نص عليه الإمام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده، فامتنعوا من ذلك، وقال كل منهم: إن أباه قد وعده بالخلافة وقال نزار: لو قطعت ما بايعت من هو أصغر منى سنا، وخط والدى عندى بأنى ولى عهده، وأنا أحضره، وخرج مسرعا ليحضر الخط فمضى لا يدرى به أحد، وتوجه إلى الاسكندرية فلما أبطأ مجيئه بعث الأفضل إليه ليحضر بالخط، فلم يعلم له خبرا فانزعج لذلك انزعاجا عظيما، وكانت نفرة نزار من الأفضل لأمور. منها أنه خرج يوما فإذا بالأفضل قد دخل من باب القصر وهو راكب فصاح به نزار: أنزل يا أرمنى الجنس فحقدها عليه، وصار كل منهما يكره الآخر، ومنها أن الأفضل كان يعارض نزارا فى أيام أبيه ويستخف به ويضع من حواشيه وأسبابه ويبطش بغلمانه. فلما مات

المستنصر خافه، لأنه كان رجلا كبيرا وله حاشية وأعوان. فقدم لذلك أحمد بن المستنصر بعدما اجتمع بالأمراء وخوفهم من نزار، ومازال بهم حتى وافقوه على الإعراض عنه وكان من جملتهم محمود بن مصال فسير خفية إلى نزار وأعلمه بما كان من اتفاق الأفضل مع الأمراء على إقامة أخيه أحمد وإدارته لهم عنه، فاستعد إلى المسير إلى الاسكندرة هو وابن مصال فلما فارق الأفضل ليحضر إليه بخط أبيه خرج من القصر متنكرا وسار هو وابن مصال إلى الإسكندرية وبها الأمير نصر الدولة أفتكين أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالى، ودخلا عليه ليلا، وأعلماه بما كان من الأفضل وتراميا عليه، ووعده نزار، بأن يجعله وزيرا مكان الأفضل فقبلهما أتم قبول وبايع نزارا وأحضر أهل الثغر لمبايعته ونعته بالمصطفى لدين الله. فبلغ ذلك الأفضل. فأخذ يتجهز لمحاربتهم، وخرج فى آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بعساكره وسار إلى الإسكندرية فبرز إليه نزار وأفتكين وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر فيها الأفضل ورجع بمن معه منهزما إلى القاهرة، فقوى نزار وأفتكين وصار إليهما كثير من العرب، واشتد أمر نزار وعظم، واستولى على بلاد الوجه البحرى وأخذ الأفضل يتجهز ثانيا إلى المسير لمحاربة نزار ودس إلى أكابر العربان ووجوه أصحاب نزار وأفتكين وصاروا إلى الإسكندرية فنزل الأفضل إليها وحاصرها حصارا شديدا، وألح فى مقاتلتهم وبعث إلى أكابر أصحاب نزار ووعدهم. فلما كان فى ذى القعدة وقد اشتد البلاد من الحصار جمع ابن مصال ماله، وفر فى البحر إلى جهة بلاد المغرب ففت ذلك فى عضد نزار وتبين فيه الانكسار واشتد الأفضل وتكاثرت جموعه فبعث نزار وأفتكين إليه يطلبان الأمان منه. فأمنهما ودخل الإسكندرية وقبض على نزار وأفتكين وبعث بهما إلى القاهرة. فأما نزار فإنه قتل فى القصر بأن أقيم بين حائطين بنيا عليه فمات بينهما، وأما أفتكين فإنه قتله الأفضل بعد قدومه، ودار أفتكين هذه كانت خارج القصر، وموضعها الآن حيث مدرسة القاضى الفاضل وآدره بدرب ملوخيا.

خزانة البنود

البنود هى الرايات والاعلام، ويشبه أن تكون هى التى يقال لها فى زمننا العصائب السلطانية. وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير، ومن حقوقه فيما بين قصر الشوك وباب العيد. بناها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم على بن الحاكم بأمر الله، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع، وكانت أيام الظاهر هذا سكونا وطمأنينة، وكان مشتغلا بالأكل والشرب والنزه وسماع الأغانى، وفى زمانه تأنق أهل مصر والقاهرة فى اتخاذ الأغانى والرقاصات، وبلغ من ذلك المبالغ العجيبة، واتخذت له حجرة المماليك، وكانوا يعلمونهم فيها أنواع العلوم، وأنواع آلة الحرب، وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة وغير ذلك.

وقال فى كتاب الذخائر والتحف: ولما وهب السلطان - يعنى الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بـ «سلام عليك» ما فى خزانة البنود من جميع المتاع والآلات وغير ذلك فى اليوم السادس من صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة، حمل جميعه ليلا وكان فيما وجد سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة إلى ما سوى ذلك من آلات الحرب وما سواه، وغير ذلك من القضب الفضة والذهب والبنود وما سواه، وفى خلال ذلك سقط من بعض الفراشين مقط شمع موقد نارا فصادف هناك أعدال كتان ومتاعا كثيرا فاحترق جميعه، وكانت لتلك غلبة عظيمة وخوف شديد فيما يليها من القصر ودور العامة والأسواق. وأعلمنى من له خبرة بما كان فى خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والأمتعة والذخائر لا يعرف له قيمة عظما، وإن المنفق فيها كل سنة من سبعين ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر وبناء القصر من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة إلى هذا الوقت، وذلك زائد على مائة سنة، وأن جميعه باق فيها على الأيام لم يتغير، وأن جميعه احترق حتى لم يبق منهم باقية ولا أثر، وأنه احترق فى هذه الليلة من قربات النفط عشرات ألوف ومن زراقت النفط أمثالها، فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب فلا تحصى بوجه ولا سبب. مع ما فيها من قضب الفضة وثيابها المذهبة وغيرها، والبنود

المجملة، وسروج ولجم، وثياب الفرحية المصبغات والبنادين وغيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه حتى لواء الحمد وسائر البنود وجميع العلامات والألوية. وحدثنى من أثق به أيضا أنه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف، وما لا يحصى كثرة، وأن السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج إلى إخراج شيء من السلاح لبعض مهماته فأخرج من خزانة واحدة مما بقى وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى غيرها. حدثنى بجميعه الأجل عظيم الدولة متولى الستر الشريف. انتهى.

وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحريق حبسا، وفيها يقول القاضى المهذب بن الزبير لما اعتقل بها وكتب بها للكامل بن شاور:

أيا صاحبى سجن الخزانة خليا
نسيم الصبا يرسل إلى كبدى نفحا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد
إلى نظرى أم لا أرى بعدها صبحا
ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى
سريعا بفضل الكامل العفو والصفحا

وقال:

أيا صاحبى سجن الخزانة خليا
من الصبح ما يبدو سناه لناظرى
فو الله ما أدرى أطرفى ساهر
على طول هذا الليل أم غير ساهر
ومالى من أشكو إليه أذا كما
سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

واستمرت سجنا للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة فاتخذها ملوك بنى أيوب أيضا سجنا تعتقل فيه الأمراء والمماليك.

ومن غريب ما وقع بها أن الوزير أحمد ابن على الجرجراى لما توفى طلب الوزارة الحسن بن على الأنبارى فأجيب إليها. فتعجل من سوء التدبير قبل تمامه ما فوته مراده وضيع ماله ونفسه، وذلك أنه كان قد نبغ فى أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان يتصرف أحدهما فى التجارة والآخر فى الصرف، وبيع ما يحمله التجار من العراق، وهما أبو سعد إبراهيم وأبو نصر هارون ابنا سهل التستري، واشتهر من أمرهما فى البيوع وإظهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار فى القرب والبعد ما ينشأ به جميل الذكر فى الآفاق. فاتسع حالها لذلك، واستخدم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبا سعد إبراهيم بن سهل التسترى فى ابتياع ما يحتاج إليه من صنوف الأمتعة، وتقدم عنده فباع له جارية سوداء. فتحظى بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر فرعت لأبى سعد ذلك. فلما أفضت الخلافة إلى المستنصر ولدها قدمت أبا سعد وتخصصت به فى خدمتها. فلما مات الوزير الجرجراى وتكلم ابن الأنبارى فى الوزارة قصده أبو نصر أخو أبى سعد فجبهه أحد أصحابه بكلام مؤلم. فظن أبو نصر أن الوزير ابن الابنارى إذا بلغه ذلك ينكر على غلامه ويعتذر إليه فجاء منه خلاف ما ظنه، وبلغه عنه أضعاف ما سمعه من الغلام. فشكا ذلك إلى أخيه أبى سعد، وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما فلم يفتر أبو سعد عن ابن الأنباري، وأغرى به أم المستنصر مولاته. فتحدثت مع ابنها الخليفة المستنصر فى أمره حتى عزله عن الوزارة، فسعى أبو سعد عند أم المستنصر لأبى نصر صدقة بن يوسف الفلاحى فى الوزارة فاستوزره المستنصر، وتولى أبو سعد الاشراف عليه، وصار الوزير الفلاحى منقادا لأبى سعد تحت حكمه، وأخذ الفلاحى يعمل على ابن الانبارى ويغرى به، ويصنع عليه ديونا ويذكر عنه ما يوجب الغضب عليه حتى تم ما يريد، فقبض عليه وخرج عليه من الدواوين أموالا كثيرة مما كان يتولاه قديما، وألزمه بحملها ونوع له أصناف العذاب واستصفى أمواله وهو معتقل بخزانة البنود، ثم قتله فى يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين وأربعمائة بها. فاتفق أن الفلاحى لما صرف عن الوزارة

اعتقل بخزانة البنود، حيث كان ابن الانباري، ثم قتل بها وحفر له ليدفن فظهر فى الحفر رأس ابن الانبارى قبل أن يمضى فيه القتل. فقال: لا إله إلا الله هذا رأس ابن الانباري. أنا قتلته ودفنته ههنا وأنشد

رب لحد قد صار لحدا مرارا

ضاحكا من تزاحم الأضداد

فقتل ودفن فى تلك الحفرة مع ابن الانباري. فعد ذلك من غرائب الاتفاق.

ثم إن خزانة البنود جعلت منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية أيام كانت محاربة المسلمين لهم. فأنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاون الأسارى بعد حضوره من الكرك، وأبطل السجن بها، فلم يزالوا فيها بأهاليهم وأولادهم فى أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون. فصار لهم فيها أفعال قبيحة وأمور منكرة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر والتظاهر بالزنا واللياطة، وحماية من يدخل إليها من أرباب الديون وأصحاب الجرائم وغيرهم فلا يقدر أحد ولو جل على أخذ من صار إليهم واحتمى بهم، والسلطان يغضى عنهم لما يرى فى ذلك من مراعاة المصلحة والسياسة التى اقتضاها الحال من مهادنة ملوك الفرنج، وكان يسكن بالقرب منها الأمير الحاج آل ملك الجوكندار، ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم، وفحش أمرهم فرفع الخبر إلى السلطان وأكثر من شكايتهم غير مرة، والسلطان يتغافل عن ذلك، إلى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان فى أمرهم فقال له السلطان انتقل أنت عنهم يا أمير. فلم يسعه إلا الإعراض عن ذلك وعمر داره التى بالحسينية، والاصطبل والجامع المعروف بآل ملك والحمام والفندق، وانتقل من داره التى كان فيها بجوار خزانة البنود، وسكن بالحسينية إلى أن مات السلطان الملك الناصر فى أخريات سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وتنقل الملك فى أولاده إلى أن جلس الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاون، وضرب شورى على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة كما كانت العادة فى ذلك مدة الدولة التركية. فأشير بتولية الأمير بدر الدين جنكل بن الباب فنصل من ذلك وأبى قبوله، فعرضت النيابة على الأمير الحاج آل ملك فاستبشر وقال

لى شروط أشرطها على السلطان فإن أجابنى إليها فعلت ما يرسم به، وهى ألا يفعل شيء فى المملكة إلا برأيي، وأن يمنع الناس من شرب الخمر، ويقام منار الشرع ولا يعترض على أمر من الأمور. فأجيب إلى ما سأل، وأحضرت التشاريف فأفيضت عليه بالجامع من قلعة الجبل فى يوم الجمعة الثانى عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة، وأصبح يوم السبت جالسا فى دار النيابة من القلعة، وحكم بين الناس وأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة بالنزول إلى خزانة البنود، وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والفواحش، ويخرج الأسرى منها ويهدمها حتى يجعلها دكا، ويسوى بها الأرض فنزل إليها ومعه الحاجب فى عدة وافرة، وهجموا على من فيها وهم آمنون، وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه، وقد اجتمع من العامة والغوغاء ما لا يقع عليه حصر فأراقوا منها خمورا كثيرة تتجاوز الحد فى الكثرة، وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب الفساد، وقبض على الفرنج والأرمن، وهدمها حتى لم يبق لها أثر، ونودى فى الناس فحكروها، وبنوا فيها الدور والطواحين على ما هى عليه الآن، وأمر بالأسرى فأنزلوا بالقرب من المشهد النفيسى بجوار كيمان مصر فهم هناك إلى الآن، وأنزل من كان منهم أيضا بقلعة الجبل فأسكنوا معهم، وطهر الله تلك الأرض منهم وأراح العباد من شرهم، فإنها كانت شر بقعة من بقاع الأرض. يباع فيها لحم الخنزير على الوضم كما يباع لحم الضأن، ويعصر فيها من الخمور فى كل سنة ما لا يستطيع أحد حصره. حتى يقال إنه كان يعصر بها فى كل سنة اثنان وثلاثون ألف جرة خمر، ويباع فيها الخمر نحو اثنى عشر رطلا بدرهم إلى غير ذلك من سائر أنواع الفسوق.

دار الفطرة

قال ابن الطوير: دار الفطرة خارج القصر بناها العزيز بالله، وهو أول من بناها، وقرر فيها ما يعمل مما يحمل إلى الناس فى العيد وهى قبالة باب الديلم من القصر الذى يدخل منه إلى المشهد الحسيني، ويكون مبدأ الاستعمال فيها وتحصيل جميع أصنافها من السكر

والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق لاستقبال النصف الثانى من شهر رجب كل سنة ليلا ونهارا من الخشكنانج والبسندود وأصناف الفانيذ الذى يقال له كعب الغزال والبرما ورد والفستق، وهو شوابير مثال الصنج، والمستخدمون يرفعون ذلك إلى أماكن وسيعة مصونة. فيحصل منه فى الحاصل شيء عظيم هائل بيد مائة صانع. للحلاويين مقدم، وللخشكنانيين آخر، ثم يندب لها مائة فراش لحمل طيافير للتفرقة على أرباب الرسوم، خارجا عمن هو مرتب لخدمتها من الفراشين الذين يحفظون رسومها ومواعينها الحاصلة بالدائم. وعدتهم خمسة. فيحضر إليها الخليفة والوزير معه، ولا يصحبه فى غيرها من الخزائن. لأنها خارج القصر، وكلها للتفرقة فيجلس على سريره بها، ويجلس الوزير على كرسى ملين على عادته فى النصف الثانى من شهر رمضان، ويدخل معه قوم من الخواص، ثم يشاهد ما فيها من تلك الحواصل المعمولة المعباة مثل الجبال من كل صنف فيفرقها من ربع قنطار إلى عشرة أرطال إلى رطل واحد، وهو أقلها، ثم ينصرف الخليفة والوزير بعد أن ينعم على مستخدميها بستين دينارا، ثم يحضر إلى حاميها ومشارفها الأدعية المعمولة، المخرجة من دفتر المجلس كل دعو لتفريق فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من أرباب الرسوم إلا واسمه وارد فى دعو من تلك الأدعية، ويندب صاحب الديوان الكتاب المسلمين فى الديوان فيسيرهم إلى مستخدميها. فيسلم كل كاتب دعوا أو دعوين أو ثلاثة على كثرة ما يحتويه وقلته، ويؤمر بالتفرقة من ذلك اليوم. فيقدمون أبدا مائتى طيفور من العالى والوسط والدون. فيحملها الفراشون برقاع من كتاب الأدعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دنا، وينزل اسم الفراش بالدعو أو عريفه حتى لا يضيع منها شيء ولا يختلط. ولا يزال الفراشون يخرجون بالطيافير ملأى ويدخلون بها فارغة. فبمقدار ما تحمل المائة الأولى عبيت المائة الثانية. فلا يفتر ذلك طول التفرقة. فأجل الطيافير ما عدد خشكنانه مائة حبة، ثم إلى سبعين وخمسين، ويكون على صاحب المائة طرحه فوق قوارته ثم إلى خمسين، ثم إلى ثلاث وثلاثين، ثم إلى خمس وعشرين، ثم إلى عشرين، ونسبة منثور كل واحد على عدد خشكنانه، ثم العبيد السودان بغير طيافير. كل طائفة يتسلمه لها عرفاؤها فى أفراد الخواص. لكل طائفة على مقدارها. الثلاثة الأفراد والخمسة

والسبعة إلى العشرة ، فلا يزالون كذلك إلى أن ينقضى شهر رمضان ، ولا يفوت أحدا شيء من ذلك ، ويتهاداه الناس فى جميع الإقليم . قال وما ينفق فى دار الفطرة فيما يفرق على الناس منها سبعة آلاف دينار .

وقال ابن عبد الظاهر : دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الإمام الحسين عليه السلام ، وهى الفندق الذى بناه الأمير سيف الدين بهادر الآن فى سنة ست وخمسين وستمائة . أول من رتبها الإمام العزيز بالله ، وهو أول من سنها وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الأفضل إلى مصر تعمل بالإيوان ، وتفرق منه ، وعند ما تحول إلى مصر نقل الدواوين من القصر إليها ، واستجد لها مكانا قبالة دار الملك بإيوانى المكاتبات والإنشاء ، فإنهما كانا بقرب الدار ، ويتوصل إليهما من القاعة الكبرى التى فيها جلوسه . ثم استجد للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقة ، وهى الآن دار الأمير عز الدين الأفرم بمصر قبالة دار الوكالة ، وعملت بها الفطرة مدة ، وفرق منها إلا ما يخص الخليفة والجهات والسيدات والمستخدمات والأستاذين . فإنه كان يعمل بالإيوان على العادة ، ولما توفى الأفضل ، وعادت الدواوين إلى مواضعها . أنهى خاصة الدولة ريحان ، وكان يتولى بيت المال أن المكان بالإيوان يضيق بالفطرة ، فأمره المأمون أن يجمع المهندسين ويقطع قطعة من اصطبل الطارمة يبنيه دار الفطرة . فأنشأ الدار المذكورة قبالة مشهد الحسين ، والباب الذى بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم ، وصار يعمل بها ما استجد من رسوم المواليد والوقودات ، وعقدت لها جملتان . إحداهما وجدت فسطرت ، وهى عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى المستخدمين ، والجملة الثانية فصلت فيها الأصناف وشرحها . دقيق ألف حملة سكر سبعمائة قنطار . قلب فستق ستة قناطير . قلب لوز ثمانية قناطير . قلب بندق أربعة قناطير . تمر أربعمائة إردب . زبيب ثلاثمائة إردب . خل ثلاثة قناطير . عسل نحل خمسة عشر قنطارا . شيرج مائتا قنطار . حطب ألف ومائتا حملة . سمسم أردبان ، أنيسون أردبان . زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا . ماء ورد خمسون رطلا . مسك خمس نوافج . كافور قديم عشرة . مثاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما ، وبيد الوكيل برسم المواعين والبيض والسقائين وغير ذلك من المؤن على ما يحسب به ، وبرفع المحازيم خمسمائة دينار .

ووجدت بخط ابن ساكن قال: كان المرتب فى دار الفطرة ولها ما يذكر وهو: زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا. مقاطع سكندرى برسم القوارات ثلاثمائة مقطع. طيافير جدد برسم السماط ثلاثمائة طيفور. شمع برسم السماط وتوديع الامراء ثلاثون قنطارا. أجرة الصناع ثلاثمائة دينار. جارى الحامى مائة وعشرون دينارا. جارى العامل والمشارف مائة وثمانون دينارا وشقة ديبقى بياض حريرى ومنديل ديبقى كبير حريرى وشقة سقلاطون أندلسي، يلبسها قدام الفطرة يوم حملها، ليفرق طيافير الفطرة على الأمراء وأرباب الرسومات وعلى طبقات الناس حتى يعم الكبير والصغير والضعيف والقوي، ويبدأ بها من أول رجب إلى آخر رمضان.

ذكر ما اختص من صفة الطيافير

الأعلى منها طيفور فيه مائة حبة خشكنانج. وزنها مائة رطل، وخمسة أرطال بسندود. عشرون حبة كعك وزبيب وتمر قنطار. جملة الطيفور ثلاثة قناطير وثلث إلى ما دون ذلك على قدر الطبقات إلى عشر حبات.

وقال ابن أبى طي: وعمل المعز لدين الله دار أسماها دار الفطرة. فكان يعمل فيها من الخشكنانج والحلواء والبسندود والفانيذ والكعك والتمر والبندق شيء كثير من أول رجب إلى نصف رمضان. فيفرق جميع ذلك فى جميع الناس الخاص والعام على قدر منازلهم فى أوان لا تستعاد، وكان قبل ليلة العيد يفرق على الأمراء الخيول بالمراكب الذهب، والخلع النفيسة والطراز الذهب، والثياب برسم النساء.

المشهد الحسيني

قال الفاضل محمد بن علي بن يوسف بن ميسر : وفي شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل بن أمير الجيوش بعساكر جمة إلى بيت المقدس ، وبه سكان وايلغازى ابنا ارتق فى جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك فراسلهما الأفضل يلتمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك . فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانبا فلم يجدا بدا من الإذعان له وسلماه إليه ، فخلع عليهما وأطلقهما وعاد فى عساكره وقد ملك القدس فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأخرجه وعطره وحمله فى سفط إلى أجل دار بها ، وعمر المشهد . فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا إلى أن أحله فى مقره . وقيل إن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي ، وكمله ابنه الأفضل ، وكان حمل الرأس إلى القاهرة من عسقلان ووصوله إليها فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان والقاضي المؤتمن بن مسكين مشارفها ، وحصل فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور .

ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف ، وله ريح كريح المسك ، فقدم به الأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة ، وأنزل به إلى الكافوري ، ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرذ ، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة . فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الأرض أمام القبر ، وكانوا ينحرون فى يوم عاشوراء عند القبر الإبل والبقر والغنم ، ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم .

وقال ابن عبد الظاهر : مشهد الإمام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من

الفرنج، وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار، فغلبه أهل القصر على ذلك، وقالوا لا يكون ذلك إلا عندنا. فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له، ونقلوا الرخام إليه، وذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وسمعت من يحكى حكاية يستدل بها على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهي: أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ هذا القصر وشى إليه بخادم له قدر فى الدولة المصرية، وكان زمام القصر، وقيل له إنه يعرف الأموال التى بالقصر والدفائن. فأخذ وسئل فلم يجب بشيء وتجاهل، فأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه فأخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية وقيل إن هذه أشد العقوبات، وأن الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلا تنقب دماغه وتقتله ففعل ذلك به مرارا وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة، فعجب من ذلك وأحضره وقال له: هذا سر فيك ولابد أن تعرفنى به فقال والله ما سبب هذا إلا أنى لما وصلت رأس الإمام الحسين حملتها. قال: وأى سر أعظم من هذا وراجع فى شأنه فعفا عنه.

ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء، وفوضها للفقيه البهاء الدمشقي، وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى الضريح خلفه. فلما وزر معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ بن حمويه ورد إليه أمر هذا المشهد بعد إخوته جمع من أوقافه ما بنى به ايوان التدريس الآن وبيوت الفقهاء العلوية. خاصة واحترق هذا المشهد فى الأيام الصالحية فى سنة بضع وأربعين وستمائة، وكان الأمير جمال الدين بن يعمور نائبا عن الملك الصالح فى القاهرة. وسببه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئا فسقطت منه شعلة، فوقف الأمير جمال الدين المذكور بنفسه حتى طفيء وأنشدته حينئذ فقلت:

قالوا تعصب للحسين ولم يزل
بالنفس للهول المخوف معرضا
حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح المسـ
ـود من تلك المخاوف أبيضا

أرضـــى الإلـــه بما أتـــى فكأنه

بين الأنام بفعله موسى الرضي

قال: ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار ما إذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية، وهى بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية.

وقال فى كتاب الدر النظيم فى أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم: ومن جملة مبانيه الميضأة قريب مشهد الإمام الحسين بالقاهرة، والمسجد والساقية، ووقف عليها أراضى قريب الخندق ظاهر القاهرة ووقفها دارٌ جار، والانتفاع بهذه المثوبة عظيم، ولما هدم المكان الذى بنى موضعه مئذنة وجد فيها شيء من طلسم لم يعلم لأى شيء هو فيه اسم الظاهرين الحاكم واسم أمه رصد.

«خبر الحسين»

هو الحسين بن على بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى أبو عبد الله، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع، وقيل سنة ثلاث، وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبش، وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنته فضة، وقال: أرونى ابني. ما سميتموه؟ فقال على بن أبى طالب «حربا» فقال بل هو «حسين» وكان أشبه الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من صدره وكان فاضلا دينا كثير الصوم والصلاة والحج، وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة، ويعرف الموضع أيضا بالطف قتله سنان ابن انس اليحصبي، وقيل قتله رجل من مذحج، وقيل قتله شمر بن ذى الجوشن، وكان أبرص، وأجهز عليه خولى بن يزيد الاصبحى من حمير حز رأسه وأتى عبيد الله بن زياد وقال:

أوقر ركابى فضـــــة وذهبا

أنى قتلت الملـك المحجبا

قتلت خـــير النـــاس أما وأبا

وخـيرهم إذ ينسبون نسبا

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبى وقاص، وكان الأمير على الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتل الحسين وأمر عليهم عمرو بن سعد ووعده أن يوليه الرى إن ظفر بالحسين وقتله، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم. فقلت بأبى أنت وأمى ما هذا؟ قال هذا دم الحسين لم أزل التقطه منه اليوم. فوجدته قد قتل فى ذلك اليوم، وهذا البيت زعموا قديما لا يدرى قائله:

أترجو أمة قتلت حسينـا

شفاعة جده يوم الحساب

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة، وقيل قتل معه من أهل بيته وإخوته ثلاثة وعشرون رجلا.

وكان سبب قتله أنه لما مات معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فى سنة ستين وردت بيعة اليزيد على الوليد بن عقبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها. فأرسل إلى الحسين بن علي، وإلى عبد الله بن الزبير ليلا فأتى بهما. فقال: بايعا. فقالا مثلنا لا يبايع سرا، ولكنا نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا. فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلهما إلى مكة، وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب. فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة، وخرج يوم التروية يريد الكوفة بكتب أهل العراق إليه. فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم التميمى صاحب شرطته فنزل القادسية، ونظم الخيل ما بينها وبين جبل لعلع فبلغ الحسين الحاجز له عن البلاد. فكتب إلى أهل الكوفة يعرفهم بقدومه مع قيس بن مسهر فظفر به الحصين وبعث به إلى ابن زياد فقتله، وأقبل

الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضاعة . فقام حتى أعلم الناس بذلك ، وقال : قد خذلنا شيعتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف فليس عليه ذمام منا . فتفرقوا حتى بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه من مكة وسار فأدركته الخيل وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ، ونزل الحسين فوقفوا تجاهه وذلك فى نحر الظهيرة فسقى الحسين الخيل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم أنى لم آتكم حتى اتتنى كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا ، فليس لنا إمام ، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتكم فإن تعطونى ما أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذى أقبلت منه فسكتوا ، وقال للمؤذن أقم فأقام وقال الحسين للحر أتريد أن تصلى أنت بأصحابك قال بل صل أنت ونصلى بصلاتك فصلى بهم ودخل فاجتمع إليه أصحابه وانصرف الحر إلى مكانه ، ثم صلى بهم العصر واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أيها الناس إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله ، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم . السائرين فيكم بالجور والعدوان . فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا ، وكان رأيكم غير ما أتتنى به كتبكم انصرفت عنكم . فقال الحر إنا والله ما ندرى ما هذه الكتب والرسل التى تذكر . فأخرج خرجين مملوءين صحفا . فنشرها بين أيديهم فقال الحر : إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمرنا إذا نحن قليناك ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد . فقال الحسين : الموت أدنى إليك من ذلك ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا فمنعهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك أمك ما تريد؟ فقال له : والله لو كان غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان ، والله ما لى إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه . فقال له الحسين ما تريد؟ قال أريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد وتراد الكلام فقال له الحر : إنى لم أومر بقتالك ، وإنما أمرت ألا أفارقك حتى أدخلك الكوفة فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تزول إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنى فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك فتياسر عن

طريق العذيب والقادسية والحر يسايره. فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة إحدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف، وبعث إلى الحسين رسولا يسأله ما الذى جاء به؟ فقال كتب إلى أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم. فإذا كرهونى فأنا انصرف عنهم. فكتب عمرو إلى ابن زياد يعرفه ذلك. فكتب إليه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد. فإن فعل رأينا فيه رأينا، وإلا تمنعه ومن معه الماء فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ونادى مناد: ياحسين ألا تنظر الماء. لا ترى منه قطرة حتى تموت عطشا ثم التقى الحسين بعمرو بن سعد مرارا. فكتب عمرو بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد فإن الله قد أطفأ الثائرة وجمع الكلمة، وقد أعطانى الحسين أن يرجع إلى المكان الذى أتى منه، أو أن تسيره إلى أى ثغر من الثغور شاء، أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده، فى يده وفى هذا لكم رضى وللأمة صلاح. فقال ابن زياد لشمر بن ذى الجوشن: أخرج بهذا الكتاب إلى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي. فإن فعلوا فليبعث بهم، وإن أبوا فليقاتلهم فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن أبى فأنت الأمير عليه وعلى الناس، واضرب عنقه وابعث إليّ برأسه، وكتب إلى عمرو بن سعد: أما بعد فإنى لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله، ولا لتقعد له عندى شافعا. انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلما، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين فأوطيء الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم. فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام. فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر فأرسل إليهم الحسين ما لكم؟ فقالوا جاء أمر الأمير بكذا فاستمهلهم إلى غدوة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون.

فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وعبى الحسين أصحابه، وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه واقتتل أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به

وقال اشهدوا أني أول من رمى الناس، وحمل أصحابه فصرعوا رجالا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتالا شديدا حتى انتصف النهار ولا يقدرون يأتونهم إلا من وجه واحد وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين، وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن القتال حتى يصلى ففعلوا، ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال ووصل إلى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا من النهار، كلما انتهى إليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله. فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربة على رأسه بالسيف قطع البرنس وأدماه فأخذ الحسين دمه بيده فصبه فى الأرض ثم قال: اللهم إن كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم من هؤلاء الظالمين واشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع فى فمه فتلقى الدم بيده ورمى به إلى السماء ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه: اللهم إنى أشكو إليك ما يصنع بابن بنت نبيك، اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا فأقبل شمر فى نحو عشرة إلى منزل الحسين وحالوا بينه وبين رحله، وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقى فى ثلاثة ومكث طويلا من النهار ولو شاءوا أن يقتلوه لقتلوه، ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فنادى شمر فى الناس: ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمكم فحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمى كفه الأيسر وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو، فحمل عليه فى تلك الحال سنان بن انس النخعى فطعنه بالرمح فوقع. وقال لخولى بن يزيد الاصبحي: احتز رأسه فأرعد وضعف فنزل عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه إلى خولي، وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله، ومال الناس فانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء، ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة وناد عمر بن سعد فى أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره، وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلا، ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين رجلا غير الجرحي، ودفن أهل العاصرية من بنى أسد الحسين بعد قتله بيوم، وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورؤوس أصحابه وبعث بها إلى ابن زياد فأحضر الرؤوس بين يديه وجعل ينكث بقضيب ثنايا الحسين وزيد بن أرقم حاضر، وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين. ثم رحل إلى الكوفة ومعه ثياب الحسين

وإخوانه ومن كان معه من الصبيان . وعلى بن الحسين مريض فأدخلهم على زياد ، ولما مرت زينب بالحسين صريعا صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء . مزمل بالدماء مقطع الأعضاء . يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق ، وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ، ثم أرسل بها إلى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفى عنق على بن الحسين ويده الغل وحملوا على الاقتاب فدخل بعض بنى أمية على يزيد فقال : أبشر يا أمير المؤمنين فقد أمكنك الله من عدو الله وعدوك قد قتل ووجه برأسه إليك . فلم يلبث إلا أياما حتى جيء برأس الحسين . فوضع بين يدى يزيد فى طشت فأمر الغلام فرفع الثوب الذى كان عليه . فحين رآه خمر وجهه بكمه كأنه شم منه رائحة وقال الحمد لله الذى كفانا المؤنة بغير مؤنة . كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله . قالت ريا حاضنة يزيد فدنوت منه فنظرت إليه وبه ردغ من حناء ، والذى أذهب نفسه وهو قادر على أن يغفر له : لقد رأيته يقرع ثناياه بقضيب فى يده ويقول أبياتا من شعر ابن الزبعري ، ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ، ثم أنزل فى خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك فبعث إليه . فجيء به وقد محل وبقى عظما أبيض ، فجعله فى سفط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفنه فى مقابر المسلمين فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح أن وجه إليّ برأس الحسين بن علي . فكتب إليه : سليمان أخذه وجعله فى سفط وصلى عليه ودفنه فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس الكريمة الشريفة فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به .

وقال السرى لما قتل الحسين بن على بكت السماء عليه ، وبكاؤها حمرتها ، وعن عطاء فى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض . قال بكاؤها حمرة أطرافها ، وعن على بن مسهر قال حدثتنى جدتى قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء أياما كأنها علقة ، وعن الزهري : بلغنى أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين إلا وجد تحته دم عبيط ، ويقال إن الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا ، ولم يمس أحد من زعفرانهم شيئا فجعله على وجهه إلا احترق ، وأنهم أصابوا إبلا فى عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم . فما استطاعوا أن يسيغو منها شيئا ، وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شيء لهم ملآن دما .

ما كان يعمل فى يوم عاشوراء

قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله، فى يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين. قبر كلثوم ونفيسة، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام، وكسروا أوانى السقائين فى الأسواق وشققوا الروايا، وسبوا من ينفق فى هذا اليوم، ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح، وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل، فخرج أبو محمد الحسين بن عمار، وكان يسكن هناك فى دار محمد بن أبى بكر، وأغلق الدرب، ومنع الفريقين، ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز، ولولا ذلك لعظمت الفتنة. لأن الناس قد أغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الأسواق، وإنما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر، وقد كانت مصر لا تخلو منهم فى أيام الإخشيدية والكافورية فى يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة، وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة، وتتعلق السودان فى الطرقات بالناس، ويقولون للرجل من خالك فإن قال معاوية أكرموه، وإن سكت لقى المكروه وأخذت ثيابه وما معه. حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج. . وقال المسيحي: وفى يوم عاشوراء يعنى من سنة ست وتسعين وثلاثمائة جرى الأمر فيه على ما يجرى كل سنة من تعطيل الأسواق، وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد، ثم جمع بعد هذا اليوم قاضى القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم: لا تلزموا الناس أخذ شيء منهم إذا وقفتم على حوانيتهم، ولا تؤذوهم، ولا تكسبوا بالنوح والنشيد، ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء، ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة فى الجامع العتيق بعد الصلاة، وأنشدوا وخرجوا إلى الشارع بجمعهم، وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودى عليه: هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم، وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه.

وقال ابن المأمون: وفى يوم عاشوراء يعنى من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبى السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر، التى كان يسكنها الأفضل بن أمير الجيوش وهو السماط المختص بعاشوراء، وهو يعبى فى غير المكان الجارى به العادة فى الأعياد، ولا يعمل مدورة خشب. بل سفرة كبيرة من أدم والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس، وجميع الزبادى أجبان وسلائط ومخللات، وجميع الخبز من شعير وخرج الأفضل من باب فرد الكم، وجلس على بساط صوف من غير مشورة، واستفتح المقرئون، واستدعى الاشراف على طبقاتهم، وحمل السماط لهم، وقد عمل فى الصحن الأول الذى بين يدى الأفضل إلى آخر السماط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى إلى آخر السماط، ثم رفع وقدمت صحون جميعها عسل نحل، ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشر وخمسمائة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب الباذهنج يعنى من القصر بعد قتل الأفضل وعود الاسمطة إلى القصر على كرسى جريد بغير مخدة مثلما هو وجميع حاشيته. فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الأمراء الكبار والصغار بالقراميز وأذن للقاضى والداعى والاشراف والأمراء بالسلام عليه، وهم بغير مناديل ملثمون حفاة، وعبى السماط فى غير موضعه المعتاد، وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان فى الأيام الأفضلية، وتقدم إلى والى مصر والقاهرة بألا يمكنا أحد من جمع ولا قراءة مصرع الحسين، وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم.
قال: وفى ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الأجل الوزير المأمون على السنة الأفضلية من المضى فيها إلى التربة الجيوشية، وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرآن إلى آخر الليل وعوده إلى داره، واعتمد فى صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك، وجلس الخليفة على الأرض مثلما يرى به الحزن، وحضر من شرف بالسلام عليه، والجلوس على السماط بما جرت به العادة.

قال ابن الطوير: إذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس. فإذا علا النهار ركب قاضى القضاة والشهود وقد غيروا زيهم. فيكونون كما هم اليوم، ثم صاروا إلى المشهد الحسيني. وكان قبل ذلك يعمل فى الجامع الأزهر. فإذا جلسوا فيه ومن معهم

من قراء الحضرة والمتصدرين فى الجوامع جاء الوزير. فجلس صدرا والقاضى والداعى من جانبيه، والقراء يقرءون نوبة بنوبة، وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت عليهم السلام، فإن كان الوزير رافضيا تغلوا، وإن كان سنيا اقتصدوا، ولا يزوال كذلك إلى أن تمضى ثلاث ساعات. فيستدعون إلى القصر بنقباء الرسائل. فيركب الوزير وهو بمنديل صغير إلى داره ويدخل قاضى القضاة والداعى ومن معهما إلى باب الذهب. فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط، وينصب فى الأماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هناك. فيجلس القاضى والداعى إلى جانبه، والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا، ثم يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان الساذجة، والأعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد. فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة، وأدخل الناس للأكل منه. فيدخل القاضى والداعي، ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران إلى جانبه، وفى الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك. فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم ركبانا بذلك الزى الذى ظهروا فيه، وطاف النوّاح بالقاهرة ذلك اليوم، وأغلق البياعون حوانيتهم إلى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون.

ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي

وكان لهذا القصر الكبير الشرقى تسعة أبواب. أكبرها وأجلها باب الذهب، ثم باب البحر، ثم باب الريح، ثم باب الزمرد، ثم باب العيد ثم باب قصر الشوك، ثم باب الديلم، ثم باب تربة الزعفران ث، م باب الزهومة.

«باب الذهب»

وهو باب القصر الذى تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة فى يومى الاثنين والخميس للموكب المقدم ذكره بقاعة الذهب. قال ابن أبى طيء عن المعز لدين الله أنه لما خرج من بلاد المغرب، أخرج أموالا كانت له ببلاد المغرب وأمر بسبكها أرحية كارحية الطواحين، وأمر بها حين دخل إلى مصر فألقيت على باب قصره، وهى التى كان الناس يسمونها الحشرات، ولم تزل على باب القصر إلى أن كان زمن الغلاء فى أيام الخليفة المستنصر بالله. فلما ضاق بالناس الأمر أذن لهم أن يبردوا منها بمبارد. فاتخذ الناس مبارد حادة وغرهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها ف. أمر بحمل الباقى إلى القصر فلم تر بعد ذلك.

وقال ابن ميسر: إن المعز لما قدم إلى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب. وقال غيره: كانت خمسمائة جمل على كل جمل ثلاثة أرحية ذهبا، وأنه عمل عضادتى الباب من تلك الارحية واحدة فوق أخري. فسمى باب الذهب.

«جلوس الخليفة فى الموالد بالمنظرة علو باب الذهب»

قال ابن المأمون فى أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة: وفى الثانى عشر من المحرم كان المولد الآمري، واتفق كونه فى هذا الشهر يوم الخميس، وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكنانج وحلوى وكعك، وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة. لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج، وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوي، وتفرق على المتصدرين والقراء والفقراء للمتصدرين ومن معهم فى صحون، وللفقراء على أرغفة السميذ. ثم حضر فى الليلة المذكورة القاضى والداعى والشهود وجميع المتصدرين وقراء الحضرة، وفتحت الطاقات التى قبلى باب الذهب، وجلس الخليفة وسلموا عليه، ثم خرج متولى بيت المال بصندوق مختوم ضمنه عينا مائة دينار وألف

وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم، وفرقت الصوانى بعدما حمل منها للخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة، وإلى دار الوزارة والأجلاء الإخوة والأولاد وكاتب الدست ومتولى حجبه الباب والقاضى والداعى ومفتى الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر، وبقية الأشراف. قال: وخرج الآمر. يعنى فى سنة سبع عشرة وخمسمائة بإطلاق ما يخص المولد الآمرى برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق، وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة. خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق، وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للأعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكنانج، وحضر القاضى والداعى والمستخدمون بدار العيد والشهود فى عشية اليوم المذكور، وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلس الخليفة فى المنظرة وقبلوا الأرض بين يديه، والمقرئون الخاص جميعهم يقرءون القرآن، وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها، وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من أنشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه، ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال النجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره. قال واستهل ربيع الأول. ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله وسلم لثلاث عشرة منه، وأطلق ما هو برسم الصدقات من مال النجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الأصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة، ومن الخزائن برسم المتولين والسدنه للمشاهد الشريفة التى بين الجبل والقرافة التى فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد، وما يتولى تفرقته سنا الملك ابن ميسر أربعمائة ألف رطل حلاوة وألف رطل خبزا. قال: وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الأربعة النبوى والعلوى والفاطمى والإمام الحاضر وما يهتم به، وقدم العهد به حتى نسى ذكرها. فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله، ويرددون الحديث معه فيها، ويحسنون له معارضة الوزير بسببها وإعادتها، وإقامة الجوارى والرسوم فيها، فأجاب إلى ذلك وعمل ما ذكر، وقال ابن الطوير: ذكر جلوس الخليفة فى الموالد الستة فى تواريخ مختلفة وما يطلق فيها،

وهى مولد النبى صلى الله عليه وسلم، ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ومولد فاطمة عليها السلام، ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد الخليفة الحاضر. ويكون هذا الجلوس فى المنظرة التى هى أنزل المناظر وأقرب إلى الأرض قبالة دار فخر الدين جهاركس والفندق المستجد. فإذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الأول، تقدم بأن يعمل فى دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها وتعنى فى ثلاثمائة صينية من النحاس، وهو مولد النبى صلى الله عليه وسلم فتفرق تلك الصوانى فى أرباب الرسوم من أرباب الرتب، وكل صينية فى قوارة من أول النهار إلى ظهره، فأول أرباب الرسوم قاضى القضاة. ثم داعى الدعاة، ويدخل فى ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد، ولا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجانب بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه. فإذا صلى الظهر ركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر، ومعهم أرباب تفرقة الصواني. فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة، ثم يستدعى قاضى القضاة ومن معه، فإن كانت الدعوة مضافة إليه وإلا حضر الداعى معه بنقباء الرسائل. فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين، فيقفون هناك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هناك، وكنست الطريق فيما بين ذلك، ورشت بالماء رشا خفيفا، وفرش تحت المنظرة المذكورة بالرمل الأصفر، ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة ووالى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة. فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضى ومن معه من مكان وقوفهم، فيقربون من المنظرة ويترجلون قبل الوصول إليها بخطوات فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة، فتفتح إحدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عدة من الأستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم، ويفتح بعض الأستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى فى كمه، ويشير به قائلا: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم القضاة أولا بنعوته وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية

جملة جملة من غير تعيين أحد، فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة، ويكونون قياما فى الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم إلى حائط المنظرة. فيقدم خطيب الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم: فيخطب كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فيقول: وإن هذا يوم مولده إلى ما من الله به على ملة الإسلام من رسالته، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يؤخر، ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك، والقراء فى خلال خطابة الخطباء يقرءون. فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ رأسه ويده فى كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان فتنفض الناس، ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام إلى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص. انتهي، وهذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دار الأمير فخر الدين جهاركس الصلاحى التى عرفت بعد ذلك بالدار القطبية، وهى الآن المارستان المنصوري، وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس.

«باب البحر»

هو من إنشاء الحاكم بأمر الله أبى على منصور، وهدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، وشوهد فيه أمر عجيب. قال جامع السيرة الظاهرية: لما كان يوم عاشوراء - يعنى من سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقض علو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث الكاملية. لأجل نقل عمد فيه لبعض العمائر السلطانية. فظهر صندوق فى حائط مبنى عليه فللوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة، وفتح الصندوق فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسى شبه الهرم ارتفاعه قدر شبر له أربعة أرجل تحمل الكرسي، والصنم جالس متوركا وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا. يحمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار، وفى هذه الصحيفة أشكال ثابتة، وفى

الوسط صورة رأس بغير جسد ودائره مكتوب كتابة بالقبطى وبالقلفطيريات، وإلى جانبها فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة، وإلى الجانب الآخر شكل آخر، وعلى رأسه صليب والآخر فى يده عكاز وعلى رأسه صليب، وتحت أرجلهم أشكال طيور، وفوق رؤوس الأشكال كتابة، ووجد من هذا الصنم فى الصندوق لوح من ألواح الصبيان التى يكتبون فيها بالمكاتب مدهون. وجهه الواحد أبيض ووجه الواحد أحمر وفيه كتابة قد تكشط، وأما الوجه الأبيض فهومكتوب بقلم الصحيفة القبطى والمكتوب فى الوجه الأحمر على هذه الصورة السطر الأول بقى منه مكتوبا الإسكندر، والسطر الثانى الأرض وهبها له، والسطر الثالث وجرب لكل، والسطر الرابع أصحاب السطر الخامس وهو بحرس السطر السادس واحترازه بقوة، والسطر السابع الملك مرجو، وأبواب السطر الثامن غير بيته سبعة. السطر التاسع عالم حكيم عالم فى عقله، والسطر العاشر وصفها فلا تفسد، والسطر الحادى عشر طارد كل سوء والذى صاغها النساء، والسطر الثانى عشر سد أيضا كل آثار أسدية بيبرس وهى أحد السطر الثالث عشر بيبرس ملك الزمان والحكمة كلمة الله عز وجل. هذا صورة ما وجد في اللوح مما بقى من الكتابة، والبقية قد تكشط، وقيل إن هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم وأعجب ما فيه اسم السلطان وهو بيبرس، ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته فعرض على قراء الأقلام فقرىء، وذلك بالقلم القبطي، ومضمونه طلسم عمل للظاهرين الحاكم واسم أمه رضد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورقى وأسماء روحانية وصور ملائكة أكثره حرس لديار مصر وثغورها وصرف الأعداء عنها وكفهم عن طروقهم إليها، وابتهال إلى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية وصونها من الأعداء، وحفظها من كل طارق من جميع الأجناس، وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلفطيريات وأوفاقا وصورا وخواص لا يعلمها إلا الله تعالي، وحمل هذا الطلسم إلى السلطان وبقى فى ذخائره. قال ورأيت فى كتاب عتيق رث. سماه مصنفه وصية الإمام العزيز بالله والد الإمام الحاكم بأمر الله لولده المذكور، وقد ذكر فيه الطلسمات التى على أبواب القصر ومن جملتها أن أول البروج الحمل وهو بيت المريخ وشرف الشمس، وله القوة على جميع سلطان الفلك. لأنه صاحب السيف واسفهسلارية العسكر بين يدى

الشمس الملك، وله الأمر والحرب والسلطان والقوة والمستولى لقوة روحانيته على مدينتنا، وقد أقمنا طلسما لساعته ويومه لقهر الأعداء وذل المنافقين. فى مكان أحكمناه على إشرافه عليه والحصن الجامع لقصر مجاور الأول باب بنيناه. هذا نص ما رأيته. انتهي، ولعل معنى كتابة بيبرس فى هذا اللوح إشارة إلى أن هدم هذا الباب يكون على زمان بيبرس. فإن القوم كانت لهم معارف كثيرة وعنايتهم بهذا الفن وافرة كبيرة والله أعلم وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف بباب قصر بشتاق قبالة المدرسة الكاملية.

«باب الريح»

كان على ما أدركته تجاه سور سعيد السعداء على يمنة السالك من الركن المخلق إلى رحبة باب العيد، وكان بابا مربعا يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم إلى حيث المدرسة السابقية ودار الطواشى سابق الدين وقصر أمير السلاح، وينتهى إلى ما بين القصرين تجاه حمام البيسري، وعرف هذا الباب فى الدولة الايوبية بباب قصر ابن الشيخ، وذلك أن الوزير الصاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يسكن بالقصر الذى فى داخل هذا الباب، ثم قيل له فى زمننا باب القصر، وكان على حاله له عضادتان من حجارة ويعلوه أسكفة حجر مكتوب فيها نقرا فى الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفى لم يتهيأ لى قراءة ما فيها، وكان دهليز هذا الباب عريضا يتجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع فى طول كبير جدا، ويعلو هذا الباب دور للسكنى تشرف على الطريق. ومازال على ذلك إلى أن أنشأ الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته برحبة باب العيد، واغتصب لها أملاك الناس، وكان مما اغتصب ما بجوار المدرسة المذكورة من الحوانيت والرباع التى فوقها وما جاور ذلك، وهدمها ليبنيها على ما يريد. فهدم هذا الباب فى صفر سنة إحدى عشرة وثمانمائة وبنى فى مكانه ومكان الدهليز المظلم الذى كان ينتهى بالسالك فيه من هذا الباب إلى المدرسة السابقية هذه القيسارية الكبيرة، ذات

الحوانيت والسقيفة والأبواب الجديدة، ودخل فيها بعض مما كان بجانبي هذا الباب من الحوانيت وعلوها، ولما هدم هذا الباب ظهر فى داخل بنيانه شخص، وبلغنى ذلك فسرت إلى الأمير المذكور، وكان بينى وبينه صحبة لأشاهد هذا الشخص المذكور، والتمست منه احضاره فأخبرنى أنه أحضر إليه شخص من حجارة قصير القامة. إحدى عينيه أصغر من الأخري. فقلت لابد لى من مشاهدته. فأمر بإحضاره الموكل بالعمارة وأنا معه إذ ذاك فى موضع الباب وقد هدم ما كان فيه من البناء. فذكر أنه رماه بين أحجار العمارة وأنه تكسر وصار فيما بينها ولا يستطيع تمييزه منها. فأغلظ عليه وبالغ فى الفحص عنه فأعياهم إحضاره. فسألت الرجل حينئذ عنه فقال لي: إنهم لما انتهوا فى الهدم إلى حيث كان هذا الشخص إذا بدائرة فيها كتابة وبوسطها شخص قصير صغير إحدى العينين من حجارة، وهذه كانت صفة جمال الدين. فإنه كان قصير القامة إحدى عينيه أصغر من الأخري، ويشبه والله أعلم أن يكون قد عين فى تلك الكتابة التى كانت حول الشخص أن هذا الباب يهدمه من هذه صفته كما وجد فى باب البحر اسم بيبرس الذى هدم على يديه وبأمره، وقد ظفر جمال الدين هذا بأموال عظيمة وجدها فى داخل هذا القصر لما أنشأ داره الأولى فى الحدرة من داخل هذا الباب فى سنة ست وتسعين وسبعمائة، وكان لكثرة هذا المال لا يستطيع كتمانه، ومن شدة خوفه يومئذ من الظاهر برقوق أن يظهر عليه لا يقدر أن يصرح به فكان يقول لأصحابه وخواصه: وجدت فى هذا المكان سبعين قفة من حديد. أخبرنى اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه أنه قال لهما هذا القول. وكنت إذ ذاك أيام عمارته لهذه القاعة أتردد لشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقية، وبها كان يسكن، فتعرفت بجمال الدين منه، وكان يومئذ من عرض الجند ويعرف باستادار نحاس. فاشتهر هناك أنه وجد حال هدمه وعمارته القاعة والرواق بالحدرة مكانا مبنيا تحت الأرض مبيض الحيطان فيه مال. فما كان عندى شك أنه من أموال خبايا الفاطميين. فإنه قد ذكر غير واحد من الإخباريين أن السلطان صلاح الدين لما استولى على القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشيء من الخبايا و، عاقب جماعة فلم يوقفوه على أمرها.

«باب الزمرذ»

هذا الباب مكانه اليوم فى داخل درب السلامى بخط رحبة باب العيد، وهو عقد محكم البناء، ويعلوه قبة قد عملت مسجدا، وتحتها حانوت يسكنه سقاء ويقابله مصطبة، وأدركت العامة وهم يسمون هذا القبة بالقاهرة، ويزعمون أن الخليفة كان يجلس بها ويرخى كمه فتأتي الناس وتقبله، وهذا غير صحيح، وقيل لهذا الباب باب العيد. لأن الخليفة كان يخرج منه فى يومى العيد إلى المصلى بظاهر باب النصر. فيخطب بعد أن يصلى بالناس صلاة العيد كما سنقف عليه عند ذكر المصلى إن شاء الله تعالي. وفى سنة إحدى وستين وستمائة بنى الملك الظاهر بيبرس خانا للسبيل بظاهر مدينة القدس، ونقل إليه باب العيد هذا فعمله بابا له، وتم بناؤه فى سنة اثنتين وستين.

«باب قصر الشوك»

وهو الذى كان يتوصل منه إلى قصر الشـوك وموضعه الآن تجاه حمام عرفت بحمام الأيدمري، ويقال لها اليوم حمام يونس عند موقف المكارية بجوار خزانة البنـود على يمنة السالك منها إلى رحبة الأيدمري، وهو الآن زقاق ينتهى إلى بئر يسـقى منها بالدلاء، ويتوصل من هناك إلى المارستان العتيق وغيره، وأدركت منه قطعـة من جانبه الأيسر.

«باب الديلم»

وكان يدخل منه إلى المشهد الحسينى وموضعه الآن درج ينزل منها إلى تجاه الفندق الذى كان دار الفطرة و، لم يبق لهذا الباب أثر البتة .

«باب تربة الزعفران»

مكانه الآن بجوار خان الخليلى من بحريه مقابل فندق المهمندار الذى يدق فيه ورق الذهب، وقد بنى بأعلاه طبقة ورواق، ولا يكاد يعرفه كثير من الناس، وعليه كتابة بالقلم الكوفى ، وهذا الباب كان يتوصل منه إلى تربة القصر المذكورة فيما تقدم .

«باب الزهومة»

كان فى آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق التى هى اليوم خان مسرور وقيل له باب الزهومة. لأن اللحوم وحوائج الطعام التى كانت تدخل إلى مطبخ القصر الذى للحوم إنما يدخل بها من هذا الباب. فقيل له باب الزهومة يعنى باب الزفر، وكان تجاهه أيضا درب السلسلة الآتى ذكره إن شاء الله تعالي، وموضعه الآن باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية تجاه فندق مسرور الصغير، ومن بعد باب الزهومة المذكور باب الذهب الذى تقدم ذكره فهذه أبواب القصر الكبير التسعة .

ذكر المنحر

وكان بجوار هذا القصر الكبير المنحر، وهو الموضع الذى اتخذه الخلفاء لنحر الأضاحى فى عيد النحر وعيد الغدير، وكان تجاه رحبة باب العيد، وموضعه الآن يعرف بالدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس، وصار موضعه ما فى داخل هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها، وظاهره تجاه رأس حارة برجوان. يفصل بينه وبين حارة برجوان الحوانيت التى تقابل باب الحارة، ومن جملة المنحر الساحة العظيمة التى عملت لها خوند بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين البوابة العظيمة بخط الركن المخلق بجوار قيسارية الجلود، التى عمل فيها حوانيت الأساكفة، وكان الخليفة إذا صلى صلاة عيد النحر وخطب ينحر بالمصلي، ثم يأتى المنحر المذكور وخلفه المؤذنون يجهرون بالتكبير ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيء، وتكون الحربة فى يد قاضى القضاة وهو بجانب الخليفة ليناوله إياها إذا نحر، وأول من سن منهم إعطاء الضحايا وتفرقتها فى أولياء الدولة على قدر رتبهم العزيز بالله نزار.

«ما كان يعمل فى عيد النحر»

قال المسبحي: وفى يوم عرفة يعنى من سنة ثمانين وثلاثمائة حمل يانس صاحب الشرطة السماط، وحمل أيضا على بن سعد المحتسب سماطا آخر، وركب العزيز بالله يوم النحر فصلى وخطب على العادة ثم نحر عدة نوق بيده، وانصرف إلى قصره فنصب السماط والموائد، وأكل ونحر بين يديه، وأمر بتفرقة الضحايا على أهل الدولة، وذكر مثل ذلك فى باقى السنين. وقال ابن المأمون: فى عيد النحر من سنة خمس عشرة وخمسمائة وأمر بتفرقة عيد النحر والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعون دينارا، ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع. برسم الأمراء المطوقين والأستاذين المحنكين وكاتب

الدست ومتولى حجبة الباب وغيرهم من المستخدمين، وعدة ما ذبح ثلاثة أيام النحر فى هذا العيد وعيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا. تفصيله. نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا. جاموس عشرون رأسا هذا الذى ينحره ويذبحه الخليفة بيده فى المصلى والمنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون من الكباش ألفين وأربعمائة رأس، والذى اشتملت عليه نفقات الاسمطة فى الأيام المذكورة خارجا عما يعمل بالدار المأمونية من الاسمطة وخارجا عن أسمطة القصور عند الحرم، وخارجا عن القصور الحلواء، والقصور المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة ألف وثلاثمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار، ومن السكر برسم القصور، والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطارا تفصيله. عن قصرين فى أول يوم خاصة اثنا عشر قنطارا. المنفوخ عن ثلاث الأيام اثنا عشر قنطارا، وقال فى سنة ست عشرة وخمسمائة، وحضر وقت تفرقة كسوة عيد النحر، ووصل ما تأخر فيها بالطراز، وفرقت الرسوم على من جرت عادته خارجا عما أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد وأضحيته، وخارجا عما يفرق على سبيل المناخ ومن باب الساباط مذبوحا ومنحورا ستمائة دينار وسبعة عشر دينارا، وفى التاسع من ذى الحجة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على سرير الملك، وحضر الوزير وأولاده وقاموا بما يجب من السلام، واستفتح المقرئون، وتقدم حامل المظلة، وعرض ما جرت عادته من المظال الخمسة التى جميعها مذهب، وسلم الأمراء على طبقاتهم، وختم المقرئون، وعرضت الدواب جميعها والعماريات والوحوش، وعاد الخليفة إلى محله. فلما أسفر الصبح خرج الخليفة وسلم على من جرت عادته بالسلام عليه، ولم يخرج شيء عما جرت به العادة فى الركوب والعود، وغير الخليفة ثيابه، ولبس ما يختص بالنحر، وهى البدلة الحمراء بالشدة التى تسمى بشدة الوقار والعلم. الجوهر فى وجهه بغير قضيب ملك فى يده إلى أن دخل المنحر، وفرشت الملاءة الديبقى الحمراء وثلاث بطائن مصبوغة حمر، ليتقى بها الدم مع كون كل من الجزارين بيده مكبة صفصاف مدهونة. يلقى بها الدم على الملاءة، وكبر المؤذنون، ونحر الخليفة أربعا وثلاثين ناقة، وقصد المسجد الذى آخر صف المنحر وهو مغلق بالشروب والفاكهة المعباة فيه بمقدار ما غسل يديه، ثم ركب من فوره، وجملة ما

نحره وذبحه الخليفة خاصة فى المنحر وباب الساباط دون الأجل الوزير المأمون وأولاده وإخوته فى ثلاثة الأيام ما عدته ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأسا، تفصيله. نوق مائة وثلاث عشرة ناقة نحر منها فى المصلى عقيب الخطبة ناقة وهى التى تهدي، وتطلب من آفاق الأرض للتبرك بلحمها، ونحر فى المناخ مائة ناقة، وهى التى يحمل منها للوزير وأولاده وإخوته والامراء والضيوف والأجناد والعسكرية والمميزين من الراجل، وفى كل يوم يتصدق منها على الضعفاء والمساكين بناقة واحدة، وفى اليوم الثالث من العيد تحمل ناقة منحورة للفقراء فى القرافة، وينحر فى باب الساباط ما يحمل إلى من حوته القصور، وإلى دار الوزارة، وإلى الأصحاب والحواشى اثنتا عشرة ناقة، وثمانى عشرة بقرة وخمس عشرة جاموسة، ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم فى باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر، وأما مبلغ المنصرف على الاسمطة فى ثلاثة الأيام خارجا عن الأسمطة بالدار المأمونية فألف وثلثمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار، ومن السكر برسم قصور الحلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة خارجا عن المطابخ ثمانية وأربعون قنطارا.

وقال ابن الطوير: فإذا انقضى ذو القعدة وأهل ذو الحجة اهتم بالركوب فى عيد النحر، وهو يوم عاشره فيجرى حاله كما جرى فى عيد الفطر من الزى والركوب إلى المصلي، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمر الموشح، ولا ينخرم منه شيء وركوبه ثلاثة أيام متوالية. فأولها يوم الخروج إلى المصلي، والخطابة كعيد الفطر، وثانى يوم وثالثه إلى المنحر، وهو المقابل لباب الريح الذى فى ركن القصر المقابل لسور دار سعيد السعداء - الخانقاه اليوم - وكان براحا خاليا لا عمارة فيه. فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه، ويكون الوزير واقفا عليه فيترجل ويدخل ماشيا بين يديه بقربه هذا بعد انفصالهما من المصلي، ويكون قد قيد إلى هذا المنحر أحد وثلاثون فصيلا وناقة أمام مصطبة مفروضة يطلع عليها الخليفة والوزير ثم أكابر الدولة، وهو بين الأستاذين المحنكين فيقدم الفراشون له إلى المصطبة رأس، ويكون بيده حربة من رأسها الذى لا سنان فيه ويد قاضى القضاة فى أصل سنانها فيجعله القاضى فى نحر النحيرة ويطعن بها الخليفة وتجر من بين يديه حتى يأتى على العدة

المذكورة، فأول نحيرة هى التى تقدد، وتسير إلى داعى اليمن، وهو الملك فيه فيفرقها على المعتقدين من وزن نصف درهم، إلى ربع درهم ثم يعمل ثانى يوم كذلك. فيكون عدد ما ينحر سبعا وعشرين، ثم يعمل فى اليوم الثالث كذلك وعدة ما ينحر ثلاث وعشرون. هذا وفى مدة هذه الأيام الثلاثة يسير رسم الأضحية إلى أرباب الرتب والرسوم كما سيرت الغرة فى أول السنة من الدنانير بغير رباعية ولا قراريط على مثال الغرة من عشرة دنانير إلى دينار، وأما لحم الجزور فإنه يفرق فى أرباب الرسوم للتبرك فى أطباق مع أدوان الفراشين، وأكثر ذلك تفرقة قاضى القضاة وداعى الدعاة للطلبة بدار العلم، والمتصدرين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بها من الشيعة للتبرك. فإذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحمر، الذى كانت عليه ومنديلا آخر بغير السمة، والعقد المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنحر، فيركب الوزير من القصر بالخلع المذكورة شاقا القاهرة، فإذا خرج من باب زويلة انعطف على يمينه سالكا على الخليج. فيدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة، وبذلك انفصال عيد النحر.

وقال ابن أبى طيّ: عدة ما يذبح فى هذا العيد فى ثلاثة أيام النحر، وفى يوم عيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله. نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر. أربعة وعشرون رأسا جاموس. عشرون رأسا هذا الذى ينحره الخليفة ويذبحه بيده فى المصلى والمنحر وباب الساباط، ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفا وأربعمائة رأس.

وقال ابن عبد الظاهر كان الخليفة ينحر بالمنحر مائة رأس، ويعود إلى خزانة الكسوة فيغير قماشه ويتوجه إلى الميدان وهو الخرنشف بباب الساباط للنحر والذبح، ويعود بعد ذلك إلى الحمام ويغير ثيابه للجلوس على الاسمطة، وعدة ما يذبحه ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا مائة وثلاث عشر ناقة والباقى بقر وغنم.

قال ابن الطوير: وثمن الضحايا على ما تقرر ما يقرب من ألفى دينار، وكانت تخرج المخلقات إلى الأعمال بشائر بركوب الخليفة فى يوم عيد النحر. فمما كتب به الأستاذ البارع أبو القسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى المنعوت بتاج الرياسة: أما بعد فالحمد لله الذى رفع منار الشرع وحفظ نظامه.. ونشر راية هذا الدين

وأوجب إعظامه . . وأطلع بخلافة أمير المؤمنين كواكب سعوده . . وأظهر للمؤلف والمخالف عزة أحزابه وقوة جنوده . . وجعل فرعه ساميا ناميا، وأصله ثابتا راسخا . . وشرفه على الأديان بأسرها، وكان لعراها فاصما، ولأحكامها ناسخا . . يحمده أمير المؤمنين أن ألزم طاعته الخليقة . . وجعل كراماته الأسباب الجديرة بالإمارة الخليقة . . ويرغب إليه فى الصلاة على جده محمد الذى حاز الفخار أجمعه . . وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذى أنزل معه . . ورفعه إلى أعلى منزلة تخير لها منها المحل . . وأرسله بالهدى ودين الحق فزهق الباطل وخمدت ناره واضمحل . . صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب خير الأمة وإمامها . . وحبر الملة وبدر تمامها . . والموفى يومه فى الطاعات على ماضى أمسه . . ومن أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المباهلة مقام نفسه . . واختصه بأبعد غاية فى سورة براءة فنادى فى الحج بأولها، ولم يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسد مكانه . . لأنه قال لا يبلغ عنى إلا رجل من أهل بيتي . عملا فى ذلك بما أمر الله به سبحانه . . وعلى الأئمة من ذريتهما خلفاء الله فى أرضه . . والقائمين فى سياسة خلقه . . بصريح الإيمان ومحضه . . والمحكمين من أمر الدين ما لا وجه لحله ولا سبيل إلى نقضه . . وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه . . ولا يخشى انصرامه . . و مجد وكرم . . وشرف وعظم . . وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم الأحد عيد النحر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة الذى تبلج فجره عن سيئات محصت . . ونفوس من آثار الذنوب خلصت . . ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت . . ومغفرة هنأت ونشرت . . وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين برز لجميع من بحضرته من أوليائه . . متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه . . فى عترة راسخة، قواعدها متمكنة . . وعساكر جمة تضيق عنها ظروف الأمكنة . . ومواكب تتوالى كتوالى السيل . . وتهاب هيبة مجيئه فى الليل . . بأسلحة تحسر لها الأبصار وتبرق . . وترتاع الأفئدة منها وتفرق . . فمن مشرفى إذا ورد تورد . . ومن سمهرى إذا قصد تقصد . . ومن عمد إذا عمدت . . تبرأت المغافر من ضمانها . . و من قسى إذا أرسلت بنانها وصلت إلى القلوب بغير استئذانها . . ولم يزل سائرا فى هدى الإمامة وأنوارها . . وسكينة الخلافة ووقارها . . إلى

أن وصل إلى المصلى قدام المحراب . . وأدى الصلاة . إذا لم يكن بينه وبين التقبيل حجاب . . ثم علا المنبر فاستوى على ذروته . . ثم هلل الله وكبر ، وأثنى على عظمته . . وأحسن إلى الكافة ببليغ موعظته . . وتوجه إلى ما أعد من البدن فنحره تكميلا لقربته . . وانتهى فى ذلك إلى ما أمر الله عز وجل وعاد إلى قصوره المكرمة . . ومنازله المقدسة . . وقد رضى الله عمله . . وشكر فعله وتقبله . . أعلمك أمير المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه . . وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاريه . . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالي .

ذكر دار الوزارة الكبري

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقى تجاه رحبة باب العيد دار الوزارة الكبري ، ويقال لها الدار الأفضلية والدار السلطانية .

قال ابن عبد الظاهر : دار الوزارة بناها بدر الجمالى أمير الجيوش ، ثم لم يزل يسكنها من يلى أمرة الجيوش إلى أن انتقل الأمر عن المصريين ، وصار إلى بنى أيوب . فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة ، وسكنها السلطان الملك الصالح ولده ، ثم أرصدت دار الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة إلى هذا الوقت ، وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب ، وأضافها الأفضل إلى دور بنى هريسة ، وعمرها دارا وسماها دار الوزارة . انتهي ، والذى تدل عليه كتب ابتياعات الأملاك القديمة التى بتلك الخطة أنها من بناء الأفضل ، لا من عمارة أبيه بدر والدار التى عمرها أمير الجيوش بدر هى داره بحارة برجوان . التى قيل لها دار المظفر ، وما زال وزراء الدولة الفاطمية أرباب السيوف من عهد الأفضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هذه إلى أن زالت الدولة ، فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وابنه من بعده الملك العزيز عثمان ، ثم ابنه الملك المنصور ثم الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، ثم ابنه الملك الكامل وصاروا يسمونها

الدار السلطانية، وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر أيوب، وجعلها منزلا للرسل فلما ولى قطز سلطنة ديار مصر وتلقب بالملك العادل فى سنة سبع وخمسين وستمائة، وحضر إليه البحرية وفيهم بيبرس البندقدارى وقلاون الألفى من الشام خرج الملك العادل قطز إلى لقائهم، وأنزل الأمير ركن الدين بيبرس بدار الوزارة. فلم يزل بها حتى سافر صحبة قطز إلى الشام وقتله، وعاد إلى مصر فتسلطن وسكن بقلعة الجبل.

وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة لما قتل الأشرف خليل بن قلاوون فى واقعة بيدرا، ثم قتل بيدرا، وأجلس الملك الناصر محمد على تخت الملك، وثارت الأشرفية من المماليك على الأمراء وقتل من قتل منهم خاف بقية الأمراء من شر المماليك الأشرفية. فقبض منهم على نحو الستمائة مملوك، وأنزل بهم من القلعة وأسكن منهم نحو الثلاثمائة بدار الوزارة، وأسكن منهم كثير فى مناظر الكبش، وأجريت عليهم الرواتب، ومنعوا من الركوب إلى أن كان من أمرهم ما هو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب.

ولما كانت سنة سبعمائة أخذ الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة فى أيام الملك المنصور حسام الدين لاجين قطعة من دار الوزارة. فبنى بها الربع المقابل لخانقاه سعيد السعداء، ثم بنى المدرسة المعروفة بالقراسنقرية، ومكتب الأيتام. فلما كانت دولة البرجية بنى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية والرباط بجانبها من جملة دار الوزارة، وذلك فى سنة تسع وسبعمائة، ثم استولى الناس على ما بقى من دار الوزارة وبنوا فيها. فمن حقوقها الربع تجاه الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء، والمدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس وما بجوارها من دار قزمان ودار الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الوزير المعروفة بدار خوند طولوباى الناصرية جهة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وحمام الأعسر التى بجانبها الحمام المجاورة لها، وما وراء هذه الأماكن من الآدر وغيرها وهى الفرن والطاحون التى قبليّ المدرسة القراسنقرية، ومن الآدر والخربة التى قبليّ ربع قراسنقر وما جاور باب سر المدرسة القراسنقرية من الآدر وخربة أخرى هناك، والدار الكبرى المعروفة بدار الأمير سيف الدين برلغى الصغير - صهر

الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المعروفة اليوم بدار الوزارة إلى سعيد السعداء، وهو باق إلى الآن فى صدر قاعتها، وذكر أن فيه حية عظيمة، ومن حقوق دار الوزارة المناخ المجاور لهذه القاعة، وكان على دار الوزارة سور مبنى بالحجارة، وقد بقى الآن منه قطعة فى حد دار الوزارة الغربى وفى حدها القبلي، وهو الجدار الذى فيه باب الطاحون والساقية تجاه باب سعيد السعداء من الزقاق. الذى يعرف اليوم بخرائب تتر، ومنه قطعة فى حدها الشرقى عند باب الحمام والمستوقد بباب الجوانية، وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد فى القبة التى دفن تحتها بيبرس الجاشنكير من خانقاهه، وهو الشباك الذى يقرأ فيه القراء، وكان موضوعا فى دار الخلافة ببغداد، يجلس فيه الخلفاء من بنى العباس. فلما استولى الأمير أبو الحرث البساسيرى على بغداد، وخطب فيها للخليفة المستنصر بالله الفاطمى أربعين جمعة، وانتهب قصر الخلافة، وصار الخليفة القائم بأمر الله العباسى إلى عانة، وسير البساسيرى الأموال والتحف من بغداد إلى المستنصر بالله بمصر فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة، كان من جملة ما بعث به منديل الخليفة القائم بأمر الله الذى عممه بيده فى قالب من رخام، قد وضع فيه كما هو حتى لا تتغير شدته، ومع هذا المنديل رداءه، والشباك الذى كان يجلس فيه ويتكيء عليه. فاحتفظ بذلك إلى أن عمرت دار الوزارة على يد الأفضل بن أمير الجيوش. فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزيرويتكيء عليه، ومازال بها إلى أن عمر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية، وأخذ من دار الوزارة أنقاضا. منها هذا الشباك فجعله فى القبة، وهو شباك جليل وأما العمامة والرداء فما زالا بالقصر حتى مات العاضد، وتملك السلطان صلاح الدين ديار مصر فسيرهما فى جملة ما بعث من مصر إلى الخليفة المستضيء بالله العباسى ببغداد، ومعهما الكتاب الذى كتبه الخليفة القائم على نفسه، وأشهد عليه العدول فيه أنه لاحق لبنى العباس ولا له من جملتهم فى الخلافة مع وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان البساسيرى ألزمه حتى أشهد على نفسه بذلك، وبعث بالإشهاد إلى مصر فأنفذه صلاح الدين إلى بغداد مع ما سير به من التحف التى كانت بالقصر، وأخبرنى شيخ معمر يعرف بالشيخ على السعودى ولد فى سنة سبع وسبعمائة قال: رأيت مرة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور

لخانقاه بيبرس من جملة ما بقى من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس إنسان كبير. عندى أن هذا الرأس من جملة رؤوس الأمراء البرقية الذين قتلهم ضرغام فى أيام وزارته للعاضد بعد شاور، فإنه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة، وصار يستدعى واحدا بعد واحد إلى خزانة بالدار، ويوهم أنه يخلع عليهم فإذا صار واحد منهم فى الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وكانت دار الوزارة فى الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن وبستان وغيره، وكان فيها مائة وعشرون مقسما للماء الذى يجرى فى بركها ومطابخها ونحو ذلك.

ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك

أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فإنه لم يوقع اسم الوزارة على أحد فى أيامه، وأول من قيل له الوزير فى الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله أبى منصور نزار بن المعز، وإليه تنسب الحارة الوزيرية كما سنقف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب. فلما مات ابن كلس لم يستوزر العزيز بالله بعده أحدا، وإنما كان رجل يلى الوساطة والسفارة. فاستقر فى ذلك جماعة كثيرة بقية أيام العزيز وسائر أيام ابنه أبى على منصور الحاكم بأمر الله، ثم ولى الوزارة أحمد بن على الجرجراى فى أيام الظاهر أبى هاشم على بن الحاكم ومازال الوزراء من بعده واحدا بعد واحد، وهم أرباب أقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالي.

قال ابن الطوير: وكان من زى هؤلاء الوزراء أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم مثل العدول الآن. وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذراريع وأحدها ذراعة، وهى مشقوقة أمام وجهه إلى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعري، ومنهم من

تكون أزراره من ذهب مشبك، ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة الوزارة، ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب، ويقف بين يديه الحجاب، وأمره نافذ فى أرباب السيوف من الأجناد وأرباب الأقلام، وكان آخرهم الوزير ابن المغربى الذى قدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووزر للمستنصر وزير سيف، ولم يتقدمه فى ذلك أحد. انتهى، وترتيب وزارته بأن تكون وزارته وزارة صاحب سيف بأن تكون الأمور كلها مردودة إليه، ومنه إلى الخليفة دون سائر خدمه. فعقد له هذا العقد وأنشيء له السجل، ونعت بالسيد الأجل أمير الجيوش، وهو النعت الذى كان لصاحب ولاية دمشق وأضيف إليه كافل قضاة المسلمين، وهادى دعاة المؤمنين، وجعل القاضى والداعى نائبين عنه ومقلدين من قبله، وكتب له فى سجله وقد قلدك أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره، وناط بك النظر فى كل ما وراء سريره، فباشر ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك، مدبرا للبلاد ومصلحا للفساد، ومدمرا أهل العناد، وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق، وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقورزى قاضى القضاة، وذلك فى سنة سبع وستين وأربعمائة. فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض، ويقال لمتوليها أمير الجيوش، وبطل اسم الوزارة. فلما قام شاهنشاه بن أمير الجيوش من بعد أبيه، ومات الخليفة المستنصر وأجلس ابن بدر فى الخلافة أحمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلى صار يقال له الأفضل، ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يتلقب به أيضا، وأول من لقب بالملك منهم مضافا إلى بقية الألقاب رضوان بن ولخشى عندما وزر للحافظ لدين الله، فقيل له السيد الاجل الملك الأفضل، وذلك فى سنة ثلاثين وخمسمائة، وفعل ذلك من بعده فتلقب طلائع بن رزيك بالملك المنصور، وتلقب ابنه رزيك بن طلائع بالملك العادل، وتلقب شاور بالملك المنصور، وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب بالملك الناصر، وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر إلى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد، وإليه الحكم فى الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية، وهو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية، وصار حال الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الأتراك. إذا كان السلطان

صغيرا والقائم بأمره من الأمراء، وهو الذى يتولى تدبير الأمور. كما كان الأمير يلبغا الخاصكى مع الأشرف شعبان، وكما أدركنا الأمير برقوق قبل سلطنته مع ولدى الأشرف، وكما كان الأمير ايتمش مع الملك الناصر فرج بعد موت الظاهر برقوق.

قال ابن أبى طي: وكانت خلعهم يعنى الخلفاء الفاطميين على الأمراء الثياب الديبقى والعمائم القصب بالطراز الذهب، وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار، ويخلع على أكابر الأمراء الأطواق الذهب والأسورة والسيوف المحلاة، وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر.

قال ابن الطوير: وخلع عليه يعنى على أمير الجيوش بدر الجمالى بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق، وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور، زى قاضى القضاة، وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب الأقلام فى زمننا هذا. غير أنه لقصور أحوال الدولة جعل عوض العقد الجوهر الذى كان للوزير ويفك بخمسة آلاف مثقال ذهبا قلادة من عنبر مغشوش. يقال لها العنبرية، ويتميز بها الوزير خاصة، ويلبس أيضا الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة. ويشاركه فيها جميع أرباب العمائم إذا خلع عليهم، فإنه تكون خلعهم بالطرحة، وترك أيضا اليوم من خلعة الوزير وغيره الذؤابة المرخاة وهى العذبة، وصارت الآن من زى القضاة فقط، وهجرها الوزراء، ويشبه والله أعلم أن يكون وضعها فى الدولة الفاطمية للوزير فى خلعه إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف والأقلام. فإنه كان مع ذلك يتقلد بالسيف، وكذلك ترك فى الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيف. لأنه لا حكم له على أرباب السيوف، ولما قام الأفضل بن أمير الجيوش خلع أيضا عليه بالسيف والطيلسان المقور، وبعد الأفضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك. إلى أن قدم طلائع بن رزيك، ولقب بالملك الصالح عندما خلع عليه للوزارة و، جعل فى خلعته السيف والطيلسان المقور.

قال ابن المأمون: وفى يوم الجمعة ثانيه يعنى ثانى ذى الحجة يعى سنة خمس عشرة وخمسمائة خلع على القائد ابن فاتك البطائحى من الملابس الخاص الشريفة فى فردكم مجلس الكعبة، وطوق بطوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك، وسلم على الخليفة الآمر

بأحكام الله، وأمر الخليفة الأستاذين المحنكين بالخروج بين يديه، وأن يركب من المكان الذى كان الأفضل بن أمير الجيوش يركب منه، ومشى فى ركابه القواد على عادة من تقدمه، وخرج بتشريف الوزارة يعنى من باب الذهب، ودخل من باب العيد راكبا، وجرى الحكم فيه على ما تقدم للأفضل، ووصل إلى داره فضاعف الرسوم، وأطلق الهبات، ولما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع أمراء الدولة لتقبيل الأرض بين يدى الخليفة الآمر على العادة التى قررها مستجدة، واستدعى الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة، فلما حضر أمر بإحضار السجل للأجل الوزير المأمون من يديه فقبله وسلمه لزمام القصر، وأمر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه، وقرىء السجل على باب المجلس. وهو أول سجل قرىء فى هذا المكان، وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالإيوان ورسم للشيخ أبى الحسن أن ينقل النسبة للأمراء والمحنكين من الأمراء إلى المأمونى للناس أجمع، ولم يكن أحد منهم ينتسب للأفضل ولا لأمير الجيوش، وقدمت الدواة للمأمون فعلم فى مجلس الخليفة، وتقدمت الأمراء والأجناد فقبلوا الأرض، وشكروا على هذا الإحسان وأمر الخليفة بإحضار الخلع لحاجب الحجاب حسام الملك، وطوق بطوق ذهب. وسيف ذهب ومنطقة ذهب ثم أمر بالخلع للشيخ أبى الحسن بن أبى أسامة باستمراره على ما بيده من كتابة الدست الشريف، وشرفه بالدخول إلى مجلس الخليفة، ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن أبى الليث، وخلع عليه بدلة مذهبة وكذلك أبو الرضى سالم ابن الشيخ أبى الحسن، وكذلك أبو المكارم أخوه وأبو محمد أخوهما، ثم أبو الفضل بن الميدمى ووهبه دنانير كثيرة بحكم أنه الذى قرأ السجل، وخلع على الشيخ أبى الفضائل بن أبى الليث صاحب دفتر المجلس ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد الضيف متولى أمور الضيافات والرسل الواصلين إلى الحضرة من مجلس الأفضل، ولا يصل لعتبته أحد لا حاجب الحجاب ولا غيره سوى عدى الملك هذا. فإنه كان يقف من داخل العتبة وكانت هذه الخدمة فى ذلك الوقت من أجل الخدم وأكبرها، ثم عادت من أهون الخدم وأقلها. فعند ذلك قال القاضى أبو الفتح بن قادوس يمدح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه وقد زيد فى نعوته.

قالوا أتاه النعت وهو السيد

المأمون حقا والأجل الأشرف

ومغيث أمة أحمد ومجيرها

ما زادنا شيء على ما نعرف

قال: ولما استمر حسن نظر المأمون للدولة وجميل أفعاله بلغ الخليفة الآمر بأحكام الله فشكره وأثنى عليه. فقال له المأمون: ثم كلام يحتاج إلى خلوة. فقال الخليفة تكون فى هذا الوقت وأمر بخلو المجلس. فعند ذلك مثل بين يدى الخليفة وقال له: يا مولانا استنالنا الأمر صعب ومخالفته أصعب، وما يتسع خلافه قدام أمراء دولته، وهو فى دست خلافته، ومنصب آبائه وأجداده، وما فى قواى ما يرومه مني، ويكفينى هذا المقدار، وهيهات أن أقوم به، والأمر كبير، فعند ذلك تغير الخليفة. وأقسم إن كان لى وزير غيرك وهو فى نفسى من أيام الأفضل وهو مستمر على الاستعفاء إلى أن بان له التغير فى وجه الخليفة، وقال ما اعتقدت أنك تخرج عن أمرى ولا تخالفني. فقال له المأمون عند ذلك لى شروط وأنا أذكرها فقال له: مهما شئت اشترط. فقال له قد كنت بالأمس مع الأفضل، وكان قد اجتهد فى النعوت وحل المنطقة فلم أفعل. فقال الخيفة علمت ذلك فى وقته. قال وكان أولاده يكتبون إليه لما يعلمه مولاى من كونى قد خنته فى المال والأهل، وما كان والله العظيم ذلك منى يوما قط، ثم مع ذلك معاداة الأهل جميعا والأجناد وأرباب الطيالس والأقلام، وهو يعطينى كل رقعة تصل إليه منهم، وما سمع كلام أحد منهم فيّ فعند ذلك قال له الخليفة: فإذا كان فعل الأفضل معك ما ذكرته إيش يكون فعلى أنا؟ فقال المأمون يعرفنى المولى ما يأمر به فأمتثله، بشرط ألا يكون عليه زائد. فأول ما ابتدأ به أن قال أريد الأموال لا تجبى إلا بالقصر، ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور إلا إليه، ولا تفرق إلا منه وتكون أسمطة الأعياد فيه، ويوسع فى رواتب القصور من كل صنف، وزيادة رسم منديل الكم فعند ذلك قال له المأمون سمعا وطاعة. أما الكسوات والجباية من الأسمطة فما تكون إلا بالقصور، وأما توسعة الرواتب فما ثم من يخالف الأمر، وأما زيادة رسم منديل

الكم فقد كان الرسم فى كل يوم ثلاثين دينارا يكون فى كل يوم مائة دينار ومولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك فى الركوبات وأسمطة الأعياد وغيرها فى سائر الأيام. ففرح الخليفة وعظمت مسرته، ثم قال المأمون أريد بهذا مسطورا بخط أمير المؤمنين، ويقسم لى فيه بآبائه الطاهرين ألا يلتفت لحاسد ولا مبغض، ومهما ذكر فيّ يطلعنى عليه، ولا يأمر فيّ بأمر سرا ولا جهرا يكون فيه ذهاب نفسى وانحطاط قدري. وهذه الإيمان باقية إلى وقت وفاتي، فإذا توفيت تكون لأولادى ولمن أخلفه بعدي، فحضرت الدواة وكتب ذلك جميعه وأشهد الله تعالى فى آخرها على نفسه فعندما حصل الخط بيد المأمون وقف وقبل الأرض وجعله على رأسه، وكان الخط بالأيمان نسختين. إحداهما فى قصبة فضة. قال: فلما قبض على المأمون فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة أنفذ الخليفة الآمر بأحكام الله يطلب الإيمان فنفذ له التى فى القصبة الفضة. فحرقها لوقتها، وبقيت النسخة الأخرى عندي، فعدمت فى الحركات التى جرت.

وقال ابن ميسر فى حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة: وفيها تشرف القائد أبو عبد الله محمد ابن الأمير نور الدولة أبى شجاع فاتك ابن الأمير منجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى المعروف بابن البطائحى فى الخامس من ذى الحجة، وكان قبل ذلك عند الأفضل استاداره، وهو الذى قدمه إلى هذه المرتبة، واستقرت نعوته فى سجله المقرر على كافة الأمراء والأجناد بالأجل المأمون تاج الخلافة وجيه الملك فخر الصنائع ذخر أمير المؤمنين، ثم تجدد له من النعوت بعد ذلك الأجل المأمون تاج الخلافة عز الإسلام فخر الأنام نظام الدين والدنيا، ثم نعت بما كان ينعت به الأفضل. وهو السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين، ولما كان يوم الثلاثاء التاسع من ذى الحجة وهو يوم الهناء بعيد النحر جلس المأمون فى داره عند أذان الصبح، وجاء الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والأقلام، ثم الأمراء والأستاذون المحنكون والشعراء بعدهم فركب إلى القصر وأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له فى موضعها الجارى به العادة، وأغلق الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف والأقلام، وهذا الباب يعرف بباب السرداب فعندما شاهد

الحال فى المرتبة توقف عن الجلوس عليها لأنها حالة لم يجر معه حديث فيها، ثم ألجأته الضرورة لأجل حضور الأمراء إلى الجلوس فجلس عليها، وجلس أولاده الثلاثة عن يمينه وأخواه عن يساره والأمراء المطوقون خاصة دون غيرهم قيام بين يديه. فإنه لا يصل أحد إلى هذا المكان سواهم، فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب، وخرج عدة من الأستاذين المحنكين بسلام أمير المؤمنين، وخرج إليه الأمير الثقة متولى الرسالة وزمام القصور فعند حضوره وقف له أولاد المأمون وأخواه فطلع عند خروجه قبالة المرتبة، وقال أمير المؤمنين يرد على السيد الأجل المأمون السلام. فوقف عند ذلك المأمون وقبل الأرض، وعاد فجلس مكانه وتأخر الأمير إلى أن نزل من المصطبة وقبل الأرض وقبل يد المأمون، ودخل من فوره من الباب وأغلق الباب على حاله على ما كان عليه الأفضل، وكان الأفضل يقول ما أزال أعد نفسى سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة والباب يغلق فى وجهى والدخان فى أنفي، فإن الحمام كانت من خلف الباب فى السرداب ثم فتح الباب وعاد الثقة، وأشار بالدخول إلى القصر. فدخل إلى المكان الذى هيىء له، وعاد لمجلس الوزارة وبقى الأمراء بالدهاليز إلى أن جلس الخليفة واستفتح القراء واستدعى المأمون، فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده وإخوته، وأحلّ الأمراء على قدر طبقاتهم. أولهم أرباب الأطواق، ويليهم أرباب العماريات والأقصاب ثم الضيوف والأشراف، ثم دخل ديوان المكاتبات وسلم بهم الشيخ أبو الحسن بن أبى أسامة، ثم ديوان الإنشاء وسلم بهم الشريف ابن أنس الدولة، ثم بقية الطالبيين من الأشراف، ثم سلم القاضى ابن الرسعنى بشهوده، والداعى ابن عبد الحق بالمؤمنين، ثم سلم القائد مقبل مقدم الركاب الآمرى بجميع المقدمين الآمرية، ثم سلم بعدهم الشيخ أبو البركات بن أبى الليث متولى ديوان المملكة، ثم دخل الأجناد من باب البحر وسلم كل طائفة بمقدمها. فلما انقضى ذلك دخل وإلى القاهرة، ووالى مصر وسلم كل منهما ببياض أهل البلدين، ثم دخل البطرك بالنصارى وفيهم كتاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه الكتاب من اليهود، ثم سلم المقربون، وقد قارب القصر، ودخل الشعراء على طبقاتهم، وأنشد كل منهم ما سمحت به قريحته. قال: فكان هذا رتبة الوزير المأمون قال ابن المأمون: وأما ما قرر للوزارة عينا فى الشهر بغير إيجاب بل يقبض

من بيت المال فهو ثلاثة آلاف دينار تفيصلها . ما هو على حكم النيابة فى العلامة ألف دينار وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار ، وما هو عن مائة غلام برسم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة دنانير فى الشهر . فأما الغلمان الركابية وغيرهم من الفراشين والطباخين فعلى حكم ما يرغب فى إثباته ، وفى السنة من الإقطاعات خمسون ألف دينار . منها دهشور وجزيرة الذهب وبقية الجملة صفقات ، ومن البساتين ثلاثة . بستان الأمير تميم وبستانان بكوم أشفين ، ومن القوت يعنى القمح ومن القضم يعنى الشعير والبرسيم فى السنة عشرون ألف أردب قمحا وشعيرا ، ومن الغنم برسم مطابخه ساقة من المراحات ثمانية آلاف رأس ، وأما الحيوان والأحطاب وجميع التوابل العال منها والدون فمهما استدعاه متولى المطابخ يطلق من دار أفتكين وشون الأحطاب وغير ذلك ، وقد تقدم مقرر كسوة الوزارة فى العيدين وفصلى الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير وفتح الخليج ، وغير ذلك من غرتى شهر رمضان وأول العام وغيره ـ كما سيرد فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالي ، وقد استقصيت سير الوزراء فى كتابى الذى سميته تلقيح العقول والآراء فى تنقيح أخبار الجلة الوزراء فانظره .

ذكر الحجر التى كانت برسم الصبيان الحجرية

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالحجر . جمع حجرة . فيها الغلمان المختصون بالخلفاء . كما أدركنا بالقلعة البيوت التى كان يقال لها الطباق ، وكانت هذه الحجر من جانب حارة الجوانية وإلى حيث المسجد الذى يعرف بمسجد القاصد تجاه باب الجامع الحاكمى الذى يفضى إلى باب النصر ، فمن حقوق هذه الحجر دار الأمير بهادر اليوسفى السلاحدار الناصرى التى تجاور المسجد الكائن على يمنة من سلك من باب الجوانية طالبا باب النصر ، ومنها الحوض المجاور لهذه الدار ودار الأمير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون ، والمسجد المعروف بالنخلة ، وما

بجواره من القاعتين اللتين تعرف إحداهما بقاعة الأمير علم الدين سنجر الجاولي، وما فى جانبها إلى المسجد القاصد، وما وراء هذه الدور وكان لهؤلاء الحجرية اصطبل برسم دوابهم سيأتى ذكره إن شاء الله تعالي، ومازالت هذه الحجر باقية بعد انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين إلى ما بعد السبعمائة، فهدمت وابتنى الناس مكانها الأماكن المذكورة.

قال ابن أبى طى عن المعز لدين الله: وجعل كل ماهر فى صنعة صانعا للخاص، وأفرد لهم مكانا برسمهم، وكذلك فعل بالكتاب والأفاضل، وشرط على ولاة الأعمال عرض أولاد الناس بأعمالهم. فمن كان ذا شهامة وحسن خلقة أرسله ليخدم فى الركاب، فسيروا إليه عالما من أولاد الناس فأفرد لهم دورا وسماها الحجر.

وقال ابن الطوير: وكوتب الأفضل ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهتم للتوجه إليها. فلم يبق ممكنا من مال وسلاح وخيل ورجال واستناب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر بين يدى الخليفة مكانه، وقصد استنقاذ الساحل من يد الفرنج. فوصل إلى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر فخذل من جهة عسكره، وهى نوبة النصة، وعلم أن السبب فى ذلك من جنده، ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الآلات، وكان عند الفرنج شاعر منتجع إليهم. فقال يخاطب صنجل ملك الفرنج

نصرت بسيفك دين المسيح

فلله درك من صنجل

وما سمع الناس فيما رووه

بأقبح من كسرة الأفضل

فتوصل الأفضل إلى ذبح هذا الشاعر ولم ينتفع بعده هذه النوبة أحد من الأجناد بالأفضل، وحظر عليهم النعوت، ولم يسمع لأحد منهم كلمة، وأنشأ سبع حجر واختار من أولاد الأجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم فى الحجر، وجعل لكل مائة زماما ونقيبا، وزم الكل بأمير يقال له الموفق، وأطلق لكل منهم ما يحتاج إليه من خيل وسلاح وغيره وعنى بهولاء الأجناد. فكان إذا دهمه أمر مهم جهزهم إليه مع الزمام الأكبر.

وقال ابن المأمون : وكان من جملة الحجرية الذين يحضرون السماط رجل يعرف بابن زحل وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا ويستوفيه إلى آخره، ثم يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكر وجميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها ما لم يعمل قط مثله من الأطعمة فيأكل معظمه، وكان يقعد فى طرف المدورة حتى يكون بالقرب من نظر الخليفة لا لميزته، وكان من الأجناد، وأسر فى أيام الأفضل وقيده الفرنجى الذى أسره وعذبه وطالت مدته فى الأسر وكان فقيرا فاتفق أن ذكر للفرنجى كثرة أكله فأراد أن يمتحنه فقال له أحضر لى عجلا أكبر عجل عندكم آكله إلى آخره. فضحك منه الفرنجى ونقص عقله، وأتاه بعجل كبير ويقال بخنزير فقال له أذبحه وأشوه وائتنى معه بجرة خل ثم قال إذا كلته ما يكون لى عندك؟ فغلط الفرنجى وقال له أطلقك تمضى إلى أهلك. فاستحلفه على ذلك وغلظ عليه اليمين، وأحضر الفرنجى عدة من أصحابه ليشاهدوا فعله، فلما استوفى العجل جميعه صلب كل من الحاضرين على وجهه وتعجب من فعله وأطلقه، فقال أخاف من أن يعتقد أننى هربت فأرد إليكم، فأحضر الفرنجى من العربان من سلمه إليهم ولم يشعر به إلا بباب عسقلان فطلع منها، وأعفى بعد ذلك من السفر وبقى برسم الاسمطة.

وقال ابن عبد الظاهر الحجر قريب من باب النصر، وهو مكان كبير فى صف دار الوزارة إلى جانبه باب القوس الذى يسمى باب النصر قديما على يمنة الخارج من القاهرة، كان تربى فيه جماعة من الشباب يسمون صبيان الحجر يكونون فى جهات متعددة، وهم يناهزون خمسة آلاف نسمة، ولكل حجرة اسم تعرف به، وهى المنصورة والفتح والجديدة وغير ذلك مفردة لهم، وعندهم سلاحهم فإذا جردوا خرج كل منهم لوقته لا يكون له ما يمنعه، وكانوا فى ذلك على مثال الذؤابة والاستار، وكانوا إذا سمى الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هناك إلى الأمرة أو التقدمة مثل على بن السلار وغيره، ولا يأوى أحد منهم إلا بحجرته بفرسه وعدته وقماشه، وللصبيان الحجرية حجرة مفردة عليهم أستاذون يبيتون عندهم وخدام برسمهم.

ذكر المناخ السعيد

وكان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر المناخ، وهو موضع برسم طواحين القمح التى تطحن جرايات القصور، وبرسم مخازن الأخشاب والحديد ونحو ذلك.

وقال ابن الطوير: وأما المناخات ففيها من الحواصل ما لا يحصر، إلا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة وآلات الأساطيل من الأسلحة المعمولة بيد الفرنج القاطنين فيه، والقنب والكتان والمنجنيقات المعدة، والطواحين الدائرة برسم الجرايات المقدمة ذكرها والزفت فى المخازن الذى عليه الأتربة، ولا ينقطع إلا بالمعاول، وقد أدركت هذه الدولة - يعنى دولة بنى أيوب منه شيئا كثيرا فى هذا المكان انتفع به، وإليه يأوى الفرنج فى بيوت برسمهم وكانت عدتهم كثيرة. ففيه من النجارين والجزارين والدهانين والخبازين والخياطين والفعلة ومن العجانين والطاحنين فى تلك الطواحين والفرانين فى أفران الجرايات، وفى هذا المكان مادة أكثر أهل الدولة، وحاميه أمير من الأمراء ومشارفه من العدول، وفيه أيضا شاهد النفقات وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف، وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهما بجار غير جواريهم، لأن أوقاتهم مستغرقة فى مباشرة الإطلاقات وغيرها، وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطائحى استجد طواحين برسم الرواتب.

ذكر اصطبل الطارمة

الطارمة بيت من خشب، وهو دخيل، وكان بجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم من شرقى الجامع الأزهر اصطبل.

قال ابن الطوير : و كا ن لهم اصطبلان . احدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشوك، والاخر بحارة زويلة يعرف بالجميزة، وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس فى كل اصطبل . النصف من ذلك منها ما هو برسم الخاص، ومنها ما يخرج برسم العوارى لأرباب الرتب والمستخدمين دائما، ومنها ما يخرج أيام المواسم، وهى التغيرات المتقدم ذكر إرسالها لأرباب الرتب والخدم، والمرتب لكل اصطبل منها لكل ثلاثة أرؤس سائس واحد ملازم، ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها، وفى كل اصطبل بئر بساقية تدور إلى أحواض ومخازن فيها الشعير والأقراط اليابسة المحمولة من البلاد إليها، ولكل عشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالضمان. لأنهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلي، ويعيدونها إليها كما تقدم ذكره فى خزائن السروج، ولكل من الاصطبلين رائض كأمير اخور، ولهما ميرة وجامكية متسعة، وللعرفاء على السواس ميرة وللجماعات الجرايات من القمح والخبز خارجا من الجامكيات، فإذا بقى لأيام المواسم التى يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة أسبوع أخرج إلى كل رائض فى الاصطبل مع أستاذ مظلة ديبقى مركبة على قنطارية مدهونة، ويختص الرائض على ما يركبه الخليفة، إما فرسين أو ثلاثة وعليهما المركبات الحلى التى يركبها الخليفة، فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السرج ويركب الأستاذ بغلة مظلة، ويحمل تلك المظلة ويسير فى براح الاصطبل، وفيه سعة عظيمة، مارا وعائدا، وحولها البوق والطبل، فيكرر ذلك عدة دفعات فى كل يوم. مدة ذلك الأسبوع ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك، ولا ينفر منه فى حال الركوب عليه فيعمل كذلك فى كل اصطبل من الاصطبلين والدواب، والبغلة التى تتهيأ هى التى يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم الموسم، ولا يختل ذلك، ويقال إنه ما راثت دابة ولا بالت والخليفة راكبها ولا بغلة صاحب المظلة أيضا إلى حين نزولهما عنهما وكان فى الساحل بطريق مصرمن القاهرة فى البساتين المنسوبة إلى ملك صارم الدين حاليا اشونتان مملوءتان تبنا معبيتان كتعبيته فى المراكب كالجبلين الشاهقين، ولهما مستخدمون. حام ومشارف وعامل بجامكية جيدة تصل بذلك المراكب التبانة الموهلة له من موظف الاتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل إليه فى أيام النيل، ولها رؤساء، وأمرها جار فى ديوان

العمائر والصناعة، والإنفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الأواسى الديوانية، وعوامل بساتين الملك، وإذا جرى بين المستخدمين خلف فى الشنف التبن المعتبر عادوا إلى قبضه بالوزن، فيكون الشنف التبن ثلاثمائة وستين رطلا بالمصرى نقيا، وإذا أنفقوا دريسا قد تغيرت صورة قته كان عن القتة اثنا عشر رطلا ولم يزل ذلك كذلك إلى آخر وقته، ومما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا أدهم قط، ولا يرون إضافته إلى دوابهم بالاصطبلات، وقال ابن عبد الظاهر: اصطبل الطارمة كان اصطبلا للخليفة، فلما زالت تلك الأيام اختط وبنى آدرا.

ذكر دار الضرب وما يتعلق بها

وكان بجوار خزانة الدرق التى هى اليوم خان مسرور الكبير دار الضرب، وموضعها حينئذ كان بالقشاشين التى تعرف اليوم بالخراطين، وصار مكان دار الضرب اليوم درب يعرف بدرب الشمسى فى وسط سوق السقطيين المهامزيين، وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفر. فإذا دخلت هذا الدرب فما كان على يسارك من الدور. فهو موضع دار الضرب، وبجوارها دار الوكالة الحافظية. فجعلت الحوانيت التى على يمينة من سلك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر طالبا الجامع الأزهر فى ظهر دار الضرب، وأنشأ هذه الحوانيت وما كان يعلوها من البيوت الأمير المعظم خمرتاش الحفاظي، وجعلها وقفا وقال فى كتاب وقفها: وحد هذه الحوانيت الغربى ينتهى إلى دار الضرب، وإلى دار الوكالة وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجمالية مما اغتصب من الأوقاف، ومازالت دار الضرب حيث هى اليوم كما تقدم ذكره وكان لدار الضرب المذكورة فى أيامهم أعمال، ويعمل بها دنانير الغرة، ودنانير خميس العدس ويتولاها قاضى القضاة لجلالة قدرها عندهم.

قال ابن المأمون: وفى شوال منها وهى سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الأجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقر الخلافة وموطن الإمامة. فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الآمرية، واستخدم لها العدول، وصار دينارها أعلى عيارا من جميع ما يضرب بجميع الامصار. انتهي، وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدرق. فما عن يمينك الآن إذا سلكت من رأس الخراطين فهو موضع دار الضرب، ودار الوكالة هكذا إلى الحمام التى بالخراطين، وما وراءها، وما عن يسارك فهو موضع المارستان.

قال ابن عبد الظاهر فى أيام المأمون بن البطائحى وزير الآمر بأحكام الله بنيت دار الضرب فى القشاشين قبالة المارستان الذى هناك، وسميت بالدار الآمرية.

«دار العلم الجديدة»

وكان بجوار القصر الكبير الشرقى دار فى ظهر خزانة الدرق من باب تربة الزعفران لما أغلق الأفضل بن أمير الجيوش دار العلم، التى كان الحاكم بأمر الله فتحها فى باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم، فامتنع الوزير المأمون من إعادتها فى موضعها. فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع فعمل دار العلم فى شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وخمسمائة وولاها لأبى محمد حسن بن آدم، واستخدم فيها مقرئين، ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية.

قال ابن عبد الظاهر: رأيت فى بعض كتب الأملاك القديمة ما يدل على أنها قريبة من القصر النافعيّ، وكذا ذكر لى السيد الشريف الحلبى أنها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن خلف فندق مسرور الكبير، وكذلك قال لى والدى رحمه الله، وقد بناها جمال الدين الاستادار الحلبى دارا عظيمة غرم عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذكره. انتهي، وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلاقة بجوار درب ابن عبد الظاهر، قريبا من خان الخليلى بخط الزراكشة العتيق.

«موسم أول العام»

قال ابن المأمون: وأسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة وبادر المستخدمون فى الخزائن وصناديق الانفاق بحمل ما يحضر بين يدى الخليفة من عين وورق من ضرب السنة المستجدة، ورسم جميع من يختص به من إخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الأستاذين العوالى والادوان، وثنوا بحمل ما يختص بالأجل المأمون وأولاده وإخوته، واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالأجل المأمون وأولاده والأصحاب والحواشى والأمراء والضيف والأجناد. فأمروا بتفرقته، والذى اشتمل عليه المبلغ فى هذه السنة نظير ما كان قبلها، وجلس المأمون باكرا على السماط بداره، وفرقت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع أصنافه على ما تضمنته الأوراق، وحضرت التعاشير والتشريفات وزى الموكب إلى الدار المأمونية، وتسلم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحجبة ومصفات العساكر، وترتيب الاسمطة، وأصمد كل منهم إلى شغله، وتوجه لخدمته ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون. ثم خرج من باب الذهب، وقد نشرت مظلته، وخدمت الرهجية، ورتب الموكب والجنائب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله، وجميع تجار البلدين من الجوهريين والصيارف والصاغة والبزازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة، وخرج من باب الفتوح والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيها وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور، ودخل من باب النصر، والصدقات تعم المساكين، والرسوم تفرق على المستقرين إلى أن دخل من باب الذهب فلقيه المقرئون بالقرآن الكريم فى طول الدهاليز إلى أن دخل خزانة الكسوة الخاص، وغير ثياب الموكب بغيرها، وتوجه إلى تربة آبائه للترحيم على عادته، وبعد ذلك إلى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة وعبيت الاسمطة، وجرى الحال فيها، وفى جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهيئة قصور الخلافة، وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر، وتوجه الاجل المأمون إلى داره، فوجد الحال فى الأسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها أكثر مما تقدمها، وكذلك الهناء فى صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور،

وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء، ويعدهم الشعراء على طبقاتهم، وعادت الأمور في أيام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود، وأحضر كل من المستخدمين فى الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر والمطالعات مما تحتاج إليه الدولة فى طول السنة، وينعم به ويتصدق، ويحمل إلى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل فى التذاكر على يد المندوبين، ويحمل إلى الثغور ويخزن من سائر الأصناف ما يستعمل، ويباع فى الثغور والبلاد والاستيمار وجريدة الأبواب، وتذكرة الطراز والتوقيع عليها.

وقال ابن الطوير: فإذا كان العشر الأخير من ذى الحجة فى كل سنة انتصب كل من المستخدمين بالأماكن لإخراج آلات الموكب من الأسلحة وغيرها. فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الأسلحة، وهو الصماصم المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدبة والدبابيس الكيمخت الأحمر والأسود، ورؤوسها مدورة مضرسة واللتوت كذلك، ورؤوسها مستطيلة مضرسة أيضا، وآلات يقال لها المستوفيات وهى عمد حديد من طول ذراعين مربعة الأشكال بمقابض مدورة فى أيديهم بعدة معلومة من كل صنف. فيتسلمها نقباؤهم وهى فى ضمانهم، وعليهم إعادتها إلى الخزائن بعد تقضى الخدمة بها، ويخرج للطائفة من العبيد الأقوياء السودان الشباب، ويقال لهم أرباب السلاح الصفر، وهم ثلاثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة. كل اثنتين فى شرابة وثلاثمائة درقة بكوامخ فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم. فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودرقة، ثم يخرج من خزانة التجمل. وهى من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشريف الوزير والأمراء أرباب الرتب وأزمة العساكر والطوائف من الفارس والراجل، وهى رماح ملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب إلا ذراعين منها، فيشد فى ذلك الخالى من الأنابيب عدة من المعاجر الشرب الملونة ويترك أطرافها المرقومة مسبلة كالصناجق، وبرؤوسها رمامين منفوخة فضة مذهبة وأهلة مجوفة كذلك، وفيها جلاجل لها حس إذا تحركت، وتكون عدتها ما يقرب من مائة، ومن العماريات وهى شبه الكخاوات من الديباج الأحمر وهو أجلها، والأصفر والقرقوبى والسقلاطون مبطنة مضبوطة بزنانير حرير، وعلى دائر التربيع منها مناطق بكوامخ فضة

مسمورة فى جلد نظير عدد القصب، فيسير من القصب عشرة، ومن العماريات مثلها من الحمر خاصة، ويخرج للوزير خاصة لواءان على رمحين طويلين ملبسين بمثل تلك الأنابيب، ونفس اللواء ملفوف غير منشور، وهذا التشريف يسير أمام الوزير، وهو للأمراء من ورائهم، ثم يسير للأمراء أرباب الرتب فى الخدم. وأولهم صاحب الباب - وهو أجلهم - خمس قصبات وخمس عماريات، ويرسل لاسفهسلار العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدة ألوان ومن سواهما من الأمراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث، واثنتان اثنتان، وواحدة واحدة. ثم يخرج من البنود الخاص الديبقى المرقوم الملون عشرة برماح ملبسة بالأنابيب، وعلى رؤوسها الرمامين والأهلة للوزير خاصة. ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة ورؤوسها ورمامينها من نحاس مجوف مطلى بالذهب. فتكون هذه أمام الأمراء المذكورين من تسعة إلى سبعة أذرع، برأسها طلعة مصقولة وهى من خشب القنطاريات داخلة فى الطلعة، وعقبها حديد مدور أسفل. فهى فى كف حاملها الأيمن، وهو يفتلها فيه فتلا متدارك الدوران، وفى يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها، وعدتها ستون مع ستين رجلا، يسيرون رجالة فى الموكب يسيرون يمنة ويسرة، ثم يخرج من النقارات حمل عشرين بغلا. على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات. يقال لها طبول فيتسلمها صناعها ويسيرون فى الموكب اثنين اثنين. ولها حس مستحسن، وكان لها ميزة عندهم فى التشريف، ثم يخرج لقوم متطوعين بغير جار ولا جراية تقرب عدتهم من مائة رجل، لكل واحد درقة من درق اللمط، وهى واسعة وسيف، ويسيرون أيضا رجالة فى الموكب هذا وظيفة خزائن السلاح، ثم يحضر حامى خزائن السروج، وهو من الأستاذين المحنكين إليها مع مشارفها، وهو من الشهود المعدلين. فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلى ما هو برسم ركوبه. وما يجنب فى موكبه مائة سرج. منها سبعون على سبعين حصانا، ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة، كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب وفضة، أو من ذهب منزل فيه المينا، أو من فضة منزلة بالمينا، وروادفها وقرابيسها من نسبتها، ومنها ما هو مرصع بالجواهر الفائقة، وفى أعناقها الأطواق الذهب وقلائد العنبر، وربما يكون فى أيدى وأرجل أكثرها خلاخل

مسطوحة دائرة عليها. ومكان الجلد من السروج الديباج الأحمر والأصفر وغيرهما من الألوان والسقلاطون المنقوش بألوان الحرير. قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار، فيشرف الوزير من هذه بعشرة حصن لركوبه وأولاده وإخوته ومن يعز عليه من أقاربه، ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد، التى هى ثابتة فيها بعلاماتها فى أماكنها وأعدادها، وعدد كل مركب منقوش عليه مثل أول وثان وثالث إلى آخرها. كما هو مسطور فى الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة، ويسلمها العرفاء للشدادين بضمان عرفائهم إلى أن تعود، وعليهم غرامة ما نقص منها وإعادتها برمتها، ثم يخرج من الخزائن المذكورة لأرباب الدواوين المرتبين فى الخدم على مقاديرهم مركبات أيضا من الحلى دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلاثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال يتسلمها العرفاء المتقدم ذكرهم على الوجه المذكور، وينتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب الخدم سيفا وقلما. فيعرف كل شداد صاحبه فيحضر إليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب، ولهم من الركاب رسوم من دينار إلى نصف دينار. إلى ثلث دينار فإذا تكمل هذا الأمر وسلم أيضا الجمالون المناخات أغشية العماريات، ويكون إراحة فى ذلك كله إلى آخر الثامن والعشرين من ذى الحجة، وأصبح اليوم التاسع والعشرون من سلخه على رأى القوم عزم الخليفة على الجلوس فى الشباك لعرض دوابه الخاص المقدم ذكرها، ويقال له يوم عرض الخيل فيستدعى الوزير بصاحب الرسالة، وهو من كبار الأستاذين المحنكين وفصحائهم وعقلائهم ومحصليهم. فيمضى إلى استدعائه فى هيئة المسرعين على حصان دهراج امتثالا لأمر الخليفة بالإسراع على خلاف حركته المعتادة. فإذا عاد مثل بين يدى الخليفة وأعلمه باستدعائه الوزير. فيخرج راكبا من مكانه فى القصر، ولا يركب أحد فى القصر إلا الخليفة، وينزل فى السد لا بدهليز باب الملك الذى فيه الشباك، وعليه من ظاهره للناس ستر، فيقف من جانبه الأيمن زمام القصر، ومن جانبه الأيسر صاحب بيت المال، وهما من الأستاذين المحنكين، فيركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء. فإذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء وهو راكب، ويكون دخوله فى هذا اليوم من باب العيد، ولا يزال راكبا إلى أول باب من الدهاليز الطوال، فينزل هناك ويمشى فيها وحواليه حاشيته

وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه، ويصل إلى الشباك فيجد تحته كرسيا كبيرا من كراسى البلق الجيد فيجلس عليه ورجلاه تطأ الأرض فإذا استوى جالسا رفع كل أستاذ الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا فى المرتبة الهائلة، فيقف ويسلم ويخدم بيديه إلى الأرض ثلاث مرات، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس، ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل شيء بآيات لائقة بذلك الحال مقدار نصف ساعة، ثم يسلم الأمراء، ويسرع فى عرض الخيل والبغال الخاص المقدم ذكرها دابة دابة، وهى هادئة كالعرائس بأيدى شداديها إلى أن يكمل عرضها. فيقرأ القراء لختم ذلك الجلوس، ويرخى الأستاذان الستر، فيقدم الوزير ويدخل إليه ويقبل يديه ورجليه، وينصرف عنه إلى داره فيركب من مكان نزوله، والأمراء بين يديه لوداعه إلى داره ركبانا ومشاة إلى قريب المكان. فإذا صلى الخليفة الظهر بعد انفضاض ما تقدم جلس لعرض ما يلبسه فى عيد تلك الليلة، وهو يوم افتتاح العام بخزائن الكسوات الخاص، ويكون لباسه فيه البياض غير الموشح. فيعين على منديل خاص وبدلة. فأما المنديل فيسلم لشاد التاج الشريف، ويقال له شدة الوقار، وهو من الأستاذين المحنكين وله ميزة لماسة ما يعلو تاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه، شكل الاهليلجة، ثم يحضر إليه اليتيمة وهى جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة فتنظم هى وحواليها ما دونها من الجواهر، وهى موضوعة فى الحافر، وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال فى الدنيا فتنظم على خرقة حرير أحسن وضع، ويخيطها شاد التاج بخياطة خفيفة ممكنة فتكون بأعلى جبهة الخليفة، ويقال إن زنة الجوهرة سبعة دراهم وزنة الحافر أحد عشر مثقالا، وبدائرها قصبة زمرد ذبابى له قدر عظيم، ثم يؤمر بشد المظلة التى تشابهها تلك البدلة المحضرة بين يديه، وهى مناسبة للثياب، ولها عندهم جلالة لكونها تعلو رأس الخليفة، وهى اثنا عشر شوركا عرض سقل كل شورك شبر، وطوله ثلاثة أذرع وثلث، وآخر الشورك من فوق دقيق جدا. فيجتمع ما بين الشوارك فى رأس عودها بدائرة وهو قنطارية من الزان ملبسة بأنابيب الذهب، وفى آخر أنبوبة تلى الرأس من جسمه فلكة بارزة مقدار عرض إبهام، فيشد آخر الشوارك فى حلقة من ذهب ويترك متسعا فى رأس الرمح، وهو مفروض فتلقى تلك الفلكة فتضع المظلة من الحدور فى العمود المذكور، ولها

اضلاع من خشب الخلنج مربعات مكسوة بوزن الذهب على عدد الشوارك. خفاف فى الوزن. طولها طول الشوارك، وفيها خطاطيف لطاف وحلق يمسك بعضها ببعض، وهى تنضم وتنفتح على طريقة شوكة الكيزان، ولها رأس شبه الرمانة، ويعلوه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان، ولها رفرف دائر يفتحها من نسبتها عرضه أكثر من شبر ونصف، وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره ثلاث أصابع. فإذا أدخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر شوارك المظلة فى رأس العمود ركبت الرمانة عليها ولفت فى عرض ديبقى مذهب. فلا يكشفها منه إلا حاملها عند تسليمها إليه وقت الركوبة، ثم يؤمر بشد لواءى الحمد المختصين بالخليفة، وهما رمحان طويلان ملبسان بمثل أنابيب عمود المظلة إلى حد نصفهما، وهما من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب وغير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمحين فيشدان ليخرجا بخروج المظلة إلى أميرين من حاشية الخليفة برسم حملهما، ويخرج إحدى وعشرون راية لطاف من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تخالف ألوانها من غيره، ونص كتابتها «نصر من الله وفتح قريب» على رماح مقومة من القنا المنتقي. طول كل راية ذراعان فى عرض ذراع ونصف. فى كل واحدة ثلاث طرازات فتسلم لأحد وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخاص، ولهم بشارة عود الخليفة سالما عشرون دينارا، ثم يخرج رمحان رؤوسهما أهلة من ذهب صامتة فى كل واحد سبع من ديباج أحمر وأصفر، وفى فمه طارة مستديرة يدخل فيه الريح فينفتحان، فيظهر شكلهما، ويتسلمهما فارسان من صبيان الخاص، فيكونان أمام الرايات ثم يخرج السيف الخاص، وهو من صاعقة وقعت على ما يقال، وجلبته ذهب مرصعة بالجوهر فى خريصة مرقومة بالذهب. لا يظهر إلا رأسه ليسلم إلى حامله، وهو أمير عظيم القدر، وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار، وهو أكبر حامل، ثم يخرج الرمح وهو رمح لطيف فى غلاف منظوم من اللؤلؤ، وله سنان مختصر بحلية ذهب ودرقة بكوامخ ذهب فيها سعة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فى غشاء من حرير، لتخرج إلى حاملها، وهو أمير مميز، ولهذه الخدمة وصاحبها عندهم جلالة، ثم تشعر الناس بطريق الموكب وسلوكه لا يتعدى دورتين إحداهما كبري، والأخرى صغري. أما الكبرى فمن باب القصر إلى باب النصر، مارا إلى

حوض عز الملك نبا ومسجده هناك، وهو أقصاها، ثم ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح إلى القصر، والأخرى إذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور، ودخل من باب الفتوح. فيعلم الناس بسلوك إحداهما فيسيرون إذا ركب الخليفة فيها من غير تبديل للموكب ولا تشويش ولا اختلال، فلا يصبح الصبح من يوم الركوب إلا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرتب وأرباب التميزات من أرباب السيوف والأقلام قياما بين القصرين، وكان براحا واسعا خاليا من البناء الذى فيه اليوم فيسع القوم لانتظار الخليفة، ويبكر الأمراء إلى الوزير إلى داره، فيركب إلى القصر من غير استدعاء، لأنها خدمة لازمة للخليفة، فيسير أمامه تشريفه المقدم ذكره والأمراء بين يديه ركبانا ومشاة، وأمامه أولاده وإخوته وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك، وهو فى أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل، وهو بالحنك ويتقلد بالسيف المذهب. فإذا وصل القصر ترجل قبله أهله فى أخص مكان لا يصل الأمراء إليه، ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين إلى دهليز يقال له دهليز العمود. فيترجل على مصطبة هناك، ويمشى بقية الدهليز إلى القاعة. فيدخل مقطع الوزارة هو وأولاده وإخوته وخواص حاشيته، ويجلس الأمراء بالقاعة على دكك معدة لذلك مكسوة فى الصيف بالحصر السامان، وفى الشتاء بالبسط الجهرمية المحفورة. فإذا أدخلت الدابة لركوب الخليفة. وأسندت إلى الكرسى الذى يركب عليه من باب المجلس أخرجت المظلة إلى حاملها فيكشفها مما هى ملفوفة فيه غير مطوية. فيتسلمها بإعانة أربعة من الصقالبة برسم خدمتها. فيركزها فى آلة حديد. متخذة شكل القرن، وهو مشدود فى ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد، فيمسك العمود بحاجز فوق يده. فيبقى وهو منتصف واقف، ولم يذكر قط أنها اضطربت فى ريح عاصف، ثم يخرج بالسيف فيتسلمه حامله، فإذا تسلمه أرخيت ذؤابته ما دام حاملا له، ثم تخرج الدواة فتسلم لحاملها، وهو من الأستاذين المحنكين، وكان الوزراء حملوها لقوم من الشهود المعدلين وهى الدواة التى كانت من أعاجيب الزمان، وهى فى نفسها من الذهب وحليتها مرجان، وهى ملفوفة فى منديل شرب بياض مذهب، وقد قال فيها بعض

الشعراء يخاطب الخليفة التى صنعت حلية المرجان فى وقته، وهذا من أغرب ما يكون. ذكر ذلك فى بيتين وهما:

ألين لداود الحديد كرامة

فقدر منه السرد كيف يريد

ولان لك المرجان وهو حجارة

ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع، وتنضم إليه الأمراء ويقفون إلى جانب الراية فيرفع صاحب المجلس الستر، فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم، وفى أثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حالها فى لباسه الثياب المعروضة عليه، والمنديل الحامل لليتيمة بأعلى جبهته وهو محنك مرخى الذؤابة مما يلى جانبه الأيسر، ويتقلد بالسيف المغربي، وبيده قضيب الملك وهو طول شبر ونصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالدر والجوهر، فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك، وعلى أهله وعلى الأمراء بعدهم، ثم يخرج أولئك أولا فأولا، والوزير يخرج بعد الأمراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته، ويخرج الخليفة وحواليه الأستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلقها على الرخام. فإذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل ببوق لطيف من ذهب معوج الرأس، يقال له الغربية بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات. فإذا سمع ذلك ضربت الأبواق فى الموكب، ونشرت المظلة، وبرز الخليفة من الباب ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة، وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ ألا يزول عنه ظلها، ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب منهم اثنان فى الشكيمة، واثنان فى عنق الدابة من الجانبين، واثنان فى ركابه. فالأيمن مقدم المقدمين، وهو صاحب المقرعة التى يتناولها ويناولها، وهو المؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الأوامر والنواهي، ويسير الموكب بالحث. فأوله فروع الأمراء وأولادهم وأخلاط بعض العسكر الأماثل إلى أرباب القصب إلى أرباب الأطواق إلى الأستاذين

المحنكين إلى حامل اللواءين من الجانبين إلى حامل الدواة، وهى بينه وبين قربوس السرج إلى صاحب السيف، وهما فى الجانب الأيسر. كل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه، ويحجبه أهل الوزير المقدم ذكرهم من الجانب الأيمن بعد الأستاذين المحنكين، ثم يأتى الخليفة وحواليه صبيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم، وهم أكثر من ألف رجل، وعليهم المناديل الطبقيات ويتقلدون بالسيوف وأوساطهم مشدودة بمناديل، وفى أيديهم السلاح مشهور وهم من جانبى الخليفة كالجناحين المادين، وبينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد، وبالقرب من رأسها الصقلبيان الحاملان للمذبتين، وهما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تؤدة ورفق، وفى طول الموكب من أوله إلى آخره وإلى القاهرة مار وعائد يفسح الطرقات، ويسير الركبان فيلقى فى عوده الاسفهسلار كذلك مارا وعائدا، لحث الأجناد فى الحركة والإنكار على المزاحمين المعترضين، ويلقى فى عوده صاحب الباب ومروره فى زمرة الخليفة إلى أن يصل إلى الاسفهسلار، فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة، وفى يد كل منهم دبوس، وهو راكب خير دوابه وأسرعها. هذا لمن أمام الموكب، ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابه، ثم عشرة يحملون عشرة سيوف فى خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب غزيرة يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الأعناق، ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المقدم ذكرهم أولا، ثم يأتى الوزير فى هيبة، وفى ركابه من أصحابه قوم يقال لهم صبيان الزرد من أقوياء الأجناد يختارهم لنفسه ما مقداره خمسمائة رجل من جانبيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة، وكأنه على وفز من حراسة الخليفة، ويجتهد ألا يغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصفافير، وهو مع عدة كثيرة تدوى بأصواتها وحسها الدنيا، ثم يأتى حامل الرمح المقدم ذكره ودرقته حمراء، ثم طوائف الراجل من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزيرية زمرة زمرة، فى عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف فى الوقت الحاضر، وهم أضعاف ذلك، ثم أصحاب الرايات والسبعين، ثم طوائف العساكر من الآمرية والحجرية الكبار والحافظية والحجرية الصغار المنقولين، والأفضلية والجيوشية ثم الأتراك المصطنعون ثم الديلم، ثم

الأكراد ثم الغز المصطنعة، وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسيّ اليد وقسيّ الرجل فى أكثر من خمسمائة، وهم المعدون للأساطيل، ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف، وهذا كله بعض من كل. فإذا انتهى الموكب إلى المكان المحدود عادوا على أدراجهم، ويدخلون من باب الفتوح، ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا قبله، فإذا وصل الخليفة إلى الجامع الأقمر بالقماحين اليوم، وقف وقفة بجملته فى موكبه، وانفرج الموكب للوزير فتحرك مسرعا ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه فيمر الخليفة، ويسكع له سكعة ظاهرة، فيشير الخليفة للسلام عليه إشارة خفية، وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة، ولا تكون إلا للوزير صاحب السيف، وسبقه إلى دخول باب القصر راكبا على عادته إلى موضعه، ويكون الأمراء قد نزلوا قبله، لأنهم فى أوائل الموكب، فإذا وصل الخليفة إلى باب القصر ودخله ترجل الوزير، ودخل قبله الأستاذون المحنكون وأحد قوابه، والوزير أمام وجه الفرس مكان ترجله إلى الكرسى الذى ركب منه فينزل عليه، ويدخل إلى مكانه بعد خدمة المذكورين له فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجارى به على عادته، والأمراء بين يديه وأقاربه حواليه فيركبون من أماكنهم، ويسيرون صحبته إلى داره فيدخل وينزل أيضا إلى مكانه على كرسي، فتخدمه الجماعة بالوداع، ويتفرق الناس إلى أماكنهم فيجدون قد أحضر إليهم الغرة، وهو أنه يقدم الخليفة. بأن يضرب بدار الضرب فى العشر الأخر من ذى الحجة بتاريخ السنة التى ركب أولها فى هذا اليوم جملة من الدنانير والرباعية والدراهم المدورة المقسقلة. فيحمل إلى الوزير منها ثلاثمائة وستون دينارا وثلاثمائة وستون رباعيا وثلاثمائة وستون قيراطا، وإلى أولاده وإخوته من كل صنف من ذلك خمسون، وإلى أرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام من عشرة دنانير وعشر رباعيات وعشرة قراريط إلى دينار واحد ورباعى واحد وقيراط واحد، فيقبلون ذلك على حكم البرمكية من مبلغ الخليفة، قال ومبلغ الغرة التى ينعم بها فى أول العام المقدم ذكرها من الدنانير والرباعيات والقراريط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار، والله تعالى أعلم.

ذكر ما كان يضرب فى خميس العدس من خراريب الذهب

قال ابن المأمون: وأحضر الأجل المأمون كاتب الدفتر، وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدس من الخراريب الذهب، وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة، واستدعى كاتب بيت المال، ووقع له بإطلاق ألف دينار، وأمره بإحضار مشارف دار الضرب وسلمها إليه، فاعتمد ذلك وضربت عشرون ألف خروبة، وأحضرها. فأمر بحملها إلى الخليفة فسير الخليفة منها إلى المأمون ثلاثمائة دينار، وذكر أنها لم تضرب فى مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ثم بطل حكمها ونسى ذكرها. قال: وصارما يضرب باسم الخليفة يعنى الآمر بأحكام الله فى ستة مواضع القاهرة ومصر وقوص وعسقلان وصور والاسكندرية.

وقال ابن عبد الظاهر: خميس العدس كان يضرب فيه خمسمائة تعمل عشرة آلاف خروبة. كان الأفضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتى دينار والبقية برسمه، ثم جعلت فى الأيام المأمونية ألف دينار، وربما زادت أو نقصت يسيرا، وقد تقدم أن قاضى القضاة كان يتولى عيار دار الضرب، ويحضر التغليق بنفسه، ويختم عليه ويحضر للموعد الآخر لفتحه.

ذكر دار الوكالة الآمرية

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب، وموضعها الآن على يمنة السالك من رأس الخراطين إلى سوق الخيميين والجامع الأزهر.

قال ابن المأمون فى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة: ثم أنشأ يعنى المأمون بن البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار، ولم يسبق إلى ذلك.

ذكر مصلى العيد

وكان في شرقي القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر، وهذا المصلى بناه القائد جوهر لأجل صلاة العيد فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقى إلى الآن بعض هذا المصلى، واتخذ فى جانب منه موضع مصلى الأموات اليوم.

ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها

قال ابن زولاق: وركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد إلى مصلى القاهرة التى بناها القائد جوهر، وكان محمد بن أحمد بن الأدرع الحسنى قد بكر وجلس فى المصلى تحت القبة فى موضع. فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا موضعه أباب جعفر مسلما، وأقعدوه هو دونه، وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلي، وأقبل المعز فى زيه وبنوده وقبابه، وصلى بالناس صلاة العيد تامة طويلة قرأ فى الأولى بأم الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية، ثم كبر بعد القراءة وركع فأطال، وسجد فأطال أنا سبحت خلفه فى كل ركعة وفى كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة، وكان القاضى النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير، وقرأ فى الثانية بأم الكتاب وسورة الضحي، ثم كبر أيضا بعد القراءة، وهى صلاة جده على بن أبى طالب عليه السلام، وأطال أيضا فى الثانية الركوع والسجود. أنا سبحت خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة فى كل ركعة، وفى كل سجدة، وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة، وأنكر جماعات يتوسمون بالعلم قراءته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم فى العلوم. . حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا عمر بن شيبة. حدثنا عبد الله ورجاء عن إسرائيل عن أبى اسحق عن الحارث عن عليّ عليه السلام، أنه كان يقرأ فى صلاة العيد قبل التكبير. فلما فرغ المعز من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا ثم ستر

بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه، وكان في أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عليها بين الخطبتين، واستفتح لخطبة ببسم الله الرحمن الرحيم وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيع صاحب المظلة ثم قال الله أكبر الله أكبر واستفتح بذلك وخطب وأبلغ، وأبكى الناس، وكانت خطبة بخشوع وخضوع، فلما فرغ من خطبته انصرف فى عساكره وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن والخود على الخيل بأحسن زي، وساروا بين يديه بالفيلين. فلما حضر فى قصره أحضر الناس فأكلوا، وقدمت إليهم السمط ونشطهم إلى الطعام وعتب على من تأخر وهدد من بلغه عنه صيام العيد.

وقال المسبحي فى حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة وبقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل التكبير من المصلى إلى القصر، وفيه تقدم أمر القاضى محمد بن النعمان بإحضار المتفقهة والمؤمنين. يعنى الشيعة، وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب، ولم يزل يرتب الناس، وكتب رقاعا فيها أسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة. فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب، وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يده الجنائب والقباب الديباج بالحلى والعسكر فى زيه من الأتراك والديلم والعزيزية والأخشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب، وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر، والسروج بالعنبر، وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرّاقة، وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف.

وقال ابن المأمون: ولما توفى أمير الجيوش بدر الجمالى وانتقل الأمر إلى ولده الأفضل بن أمير الجيوش جرى على سنن والده فى صلاة العيد، ويقف فى قوس باب داره الذى عند باب النصر. يعنى دار الوزارة، فلما سكن بمصر صار يطلع من مصر باكرا، ويقف على باب داره على الحالة الأولى حتى تستحق الصلاة. فيدخل من باب العيد إلى الايوان ويصلى به القاضى ابن الرسعنى ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة إلى أن تنقضى الخطبة. فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره، ثم يخلع عليه ويتوجه

إلى داره بمصر . فيكون السماط بهامدى الأعياد . فلما قتل الأفضل واستقر بعده المأمون بن البطائحى في الوزارة قال هذا نقص فى حق العيد ، ولا يعلم السبب فى كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الآمر بأحكام الله فما تراه أنت؟ فقال : يجلس مولانا فى المنظرة التى استجدت بين باب الذهب وباب البحر . فإذا جلس مولانا فى المنظرة وفتحت الطاقات ، وقف المملوك بين يديه فى قوس باب الذهب ، وتجوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا إليها . فإذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والزى وجميع الأمراء والأجناد ، واجتاز بأبواب القصر ودخل الايوان . فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه ، وبالغ فى شكره ، ثم عاد المأمون إلى مجلسه وأمر بتفرقة كسوة العيد والهبات يعنى فى عيد النحر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار وسبعة دنانير ، ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الأمراء المطوقين والأستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب وغيرهم . قال : ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر شهر رمضان يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة ، وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ، ويسمى بعيد الحلل ، لأن الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للأعيان خاصة ، وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزانة الكسوة من هذا الكتاب .

قال : ولما كان فى التاسع والعشرين من شهر رمضان خرجت الأوامر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة برسم السحور . بحكم أنها ليلة ختم الشهر ، وحضر المأمون فى آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة ، والحضور على الاسمطة على العادة ، وحضر إخوته وعمومته وجميع الجلساء ، وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور بلاحى وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ديبقي ، وجعلت أمام المذكورين . ليشملها بركة ختم القرآن ، واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ، ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ، ودعا فأبلغ ، ورفع الفراشون ما أعدوه برسم الجهات ، ثم كبر المؤذنون وهللوا ، وأخذوا فى الصوفيات إلى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير ورباعيات ، وقدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوي . فجروا على

عادتهم وملأوا أكمامهم، ثم خرج أستاذ من باب الدار الجليلة بخلع خلعها على الخطيب وغيره، ودارهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين، ورسم أن تحمل الفطرة إلى قاعة الذهب، وأن تكون التعبية فى مجلس الملك، وتعبى الطيافير المشورة الكبار من السرير إلى باب المجلس، وتعبى من باب المجلس إلى ثلثى القاعة سماطا واحدا مثل سماط الطعام، ويكون جميعه سدا واحدا من حلاوة الموسم، ويزين بالقطع المنفوخ.

فامتثل الأمر وحضر الخليفة إلى الإيوان واستدعى المأمون وأولاده وإخوته، وعرضت المظال المذهبة المحاومة، وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التى فى سورة النحل ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا﴾(*) إلى آخرها، وجلس الخليفة ورفعت الستور، واستفتح المقرئون وجدد المأمون السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه، وسلم الأمراء جميعهم على حكم منازلهم لا يتعدى أحد منهم مكانه، والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم، وسلم الرسل الواصلون من جميع الأقاليم، ووقفوا فى آخر الايوان، وختم المقرئون وسلموا، وخدمت الرهجية، وتقدم متولى كل اصطبل من الروّاض وغيرهم يقبل الأرض، ويقف ودخلت الدواب من باب الديلم، والمستخدمون فى الركاب بالمناديل يتسلمونها من الشدادين، ويدورون بها حول الايوان، ودواب المظلة متميزة عن غيرها. يتسلمها الأستاذون والمستخدمون فى الركاب، ويعلون بها إلى قريب من الشباك الذى فيه الخليفة، وكلما عرض دواب اصطبل قبل الأرض متوليه وانصرف، وتقدم متولى غيره على حكمه إلى أن يعرض جميع ما أحضروه، وهو ما يزيد على ألف فرس خارجا عن البغال، وما تأخر من العشاريات والحجور والمهارة، ولما عرضت الدواب أبطلت الرهجية، وعاد استفتاح المقرئين وكانوا محسنين فيما ينتزعونه من القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران ﴿زين للناس حب الشهوات﴾(**) إلى آخرها ثم بعدها ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾(***) إلى آخرها، وعرضت الوحوش بالأجلة الديباج والديبقى بقباب الذهب والمناطق والاهلة، وبعدها النجب والبخاتى

(*) ٨١ ك النحل ١٦.

(**) ٢ م سورة آل عمران آية ١٤.

(***) ٢ م سورة آل عمران آية ٢٦.

بالاقتاب الملبسة بالديبقى الملون المرقوم، وعرض السلام وآلات الموكب جميعها، ونصبت الكسوات على باب العيد، وضربت طول الليل، وحملت الفطرة الخاص التى يفطر عليها الخليفة بأصناف الجوارشات بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التى يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتختم، وسلمت للمستخدمين فى القصور وعبيت فى مواعين الذهب المكللة بالجواهر، وخرجت الأعلام والبنود، وركب المأمون فلما حصل بقاعة الذهب أخذ فى مشاهدة السماط من سرسر الملك إلى آخرها، وخرج الخليفة لوقته من الباذهنج وطلع إلى سرير ملكه، وبين يديه الصوانى المقدم ذكرها، واستدعى بالمأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام، وأمر بإحضار الأمراء المميزين والقاضى والداعى والضيوف، وسلم كل منهم على حكم ميزته، وقدمت الرسل وشرّفوا بتقبيل الأرض، والمقرئون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون، وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدى الخليفة. فبدأ وكبر وأخذ بيده تمرة فأفطر عليها، وناول مثلها الوزير. فأظهر الفطر عليها، وأخذ الخليفة فى أن يستعمل من جميع ما حضر، ويناول وزيره منه وهو يقبله، ويجعله فى كمه وتقدمت الأجلاء إخوة الوزير وأولاده من تحت السرير، وهو يناولهم من يده فيجعلونه فى أكمامهم بعد تقبيله، وأخذ كل من الحاضرين كذلك، ويومىء بالفطور، ويجعله فى كمه على سبيل البركة. فمن كان رأيه الفطور أفطر، ومن لم يكن رأيه أومأ، وجعله فى كمه لا ينتقد على أحد فعله، ثم قال المأمون بعد ذلك: ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصه بل له به الشرف والميزة، ومد يده وأخذ من الطيفور الذى كان بين يديه عود نبات وجعله فى كمه بعد تقبيله، وأشار إلى الأمراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك، وملأوا أكمامهم، ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك. ثم خرج الوزير إلى داره والجماعة فى ركابه، فوجد التعبية فيها من صدر المجلس إلى آخره على ما أمر به، ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصوانى الخاص. فجلس على مرتبته والأجلاء أولاده، واستدعى بالعوالى من الأمراء والقاضى والداعى والضيوف فحضروا، وشرفوا بجلوسهم معه وحصل من مسرتهم بذلك ما بسطهم، ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف، ثم انصرفوا وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم إلى أن حمل جميع ما كان

بالدار بأسره، وانقضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ فى غيره، وضربت الطبول والأبواق على أبواب القصور والدار المأمونية، وأحضرت التغايير وفرقت على أربابها من الأجناد والمستخدمين، وخرجت أزمة العساكر فارسها وراجلها، وندب الحاجب الذى بيده الدعو لترتيب صفوفها من باب القصر إلى المصلي، ثم حضر إلى الدار المأمونية الشيوخ المميزون، وجلس المأمون فى مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته، ورفعت الستور وابتدأ المقرئون، وسلم متولى الباب والشيوخ، ولم يدخل المجلس غير كاتب الدست ومتولى الحجبة، وبالغ كل منهما فى زيه وملبوسه وجروا على رسمهم فى تقبيل الأرض وعتبة المجلس، ووصل إلى الدار المأمونية التجمل الخاص الذى برسم الخليفة جميعه. القصب الفضة والأعلام والمنجوقات والعقبات والعماريات، ولواءا الوزارة لركوب الخليفة بالمظلة بالطميم، والمراكيب الذهب المرصعة بالجوهر. وغير ذلك من التجملات، وركب المأمون من داره وجميع التشاريف الخاص بين يديه، وخدمت الرهجية، ومن جملتهم الغريبة، وهى أبواق لطاف عجيبة غريبة الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة، ولا تضرب قدام الوزير إلا فى المواسم خاصة وفى أيام الخلع عليه والأمراء مصطفون عن يمينه وعن شماله، ويليهم إخوته، وبعدهم أولاده ودخل إلى الإيوان وجلس على المرتبة المختصة به، وعن يمينه جميع الأجلاء والمميزون وقوف أمامه، ومن انحط عنهم من باب الملك إلى الإيوان قيام، ويخرج خاصة الدولة ريحان إلى المصلى بالفرش الخاص، وآلات الصلاة وعلق المحراب بالشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وأعلاها السجادة اللطيفة التى كانت عندهم معظمة، وهى قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جملة حصير لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يصلى عليها، وفرش الأرض جميعها بالحصر المحاريب، ثم علق على جانبى المنبر وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخاد التى يجلس عليها الخليفة، وعلق اللواءان عليه، وقعد تحت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضي، وأطلق البخور ولم يفتح من أبوابه إلا باب واحد، وهو الذى يدخل منه الخليفة ويقعد الداعى فى الدهليز، ونقباء المؤمنين بين يديه، وكذلك الأمراء والأشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف، ولا يمكن من الدخول إلا من يعرفه الداعى

ويكون فى ضمانه واستفتحت الصلاة، وأقبل الخليفة من قصوره بغاية زيه، والعلم الجوهر فى منديله، وقضيب الملك بيده وبنو عمه واخوته وأستاذوه فى ركابه، وتلقاه المقرئون عند وصوله والخواص، واستدعى بالمأمون فتقدم بمفرده، وقبل الأرض وأخذ السيف والرمح من مقدمى خزائن الكسوة، والرهجية تخدم، وحمل لواء الحمد بين يديه إلى أن خرج من باب العيد فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه، والذى بيده الدعو فى ترتيب الحجبة لمن شرف بها لا يتعدى أحد حكمه وسائر المواكب بالجنائب الخاص، وخيل التخافيف ومصفات العساكر والطوائف جميعها بزيها وراياتها وراء الموكب. إلى أن وصل إلى قريب المصلى والعماريات والزراقات، وقد شد على الفيلة بالاسرة مملوءة رجالا مشبكة بالسلاح لا يتبين منهم إلا الأحداق، وبأيديهم السيوف المجردة والدرق الحديد الصيني، والعساكر قد اجتمعت وترادفت صفوفا من الجانبين إلى باب المصلي، والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة ما لم يبلغوه، والموكب سائر بهم، وقد أحاط بالخليفة والوزير صبيان الخاص، ويعدهم الأجناد بالدروع المسبلة والزرديات بالمغافر ملثمة، والبروك الحديد بالصماصم والدبابيس، ولما طلع الموكب من ربوة المصلى ترجل متولى الباب والحجاب، ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة، إلى أن اجتاز المأمون راكبا بمن حول ركابه ورد الخليفة السلام عليه بكمه وصار أمامه وترجل الأمراء المميزون والأستاذون المحنكون بعدهم، وجميع الاجلاء، وصار كل منهم يبدأ بالسلام على الوزير، ثم على الخليفة إلى أن صار الجميع فى ركابه، ولم يدخل من باب المصلى راكبا غير الوزير خاصة. ثم ترجل على بابه الثانى إلى أن وصل الخليفة إليه فاستدعى به فسلم، وأخذ الشكيمة بيده إلى أن ترجل الخليفة فى الدهليز الآخر، وقصد المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح الخليفة فى المحراب، وسامته فيه وزيره والقاضى والداعى عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين، ويتصل منهم التكبير إلى مؤذنى مصلى الرجال والنساء الخارجين عن المصلى الكبير وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان الإنشاء يصلون تحت عقد المنبر، ولا يمكن غيرهم أن يكون معهم، ولما قضى الخليفة الصلاة وهى ركعتان قرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية وكبر سبع تكبيرات وركع وسجد، وفى الثانية بالفاتحة

وسورة والشمس وضحاها وكبر خمس تكبيرات وهذه سنة الجميع ومن ينوب عنهم فى صلاة العيدين على الاستمرار، وسلم وخرج من المحراب وعطف عن يمينه والحرص عليه شديد، ولا يصل إليه إلا من كان خصيصا به، وصعد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمصلى والتربة لا يسأم نظره ويكثرون من الدعاء له، ولما حصل فى أعلى المنبر أشار إلى المأمون فقبل الأرض وسارع فى الطلوع إليه وأدى ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه، ووقف بأعلى درجة وأشار إلى القاضى فتقدم وقبل كل درجة إلى أن يصل إلى الدرجة الثالثة وقف عندها وأخرج الدعو من كمه وقبله ووضعه على رأسه وأعلي، بما تضمنه، وهو ما جرت به العادة من تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة، وكانت الحال فى أيام وزراء الأقلام والسيوف إذا حصل الخليفة فى أعلى المنبر بقى الوزير مع غيره، وأشار الخليفة إلى القاضى فيقبل الأرض ويطلع إلى الدرجة الثالثة ويخرج الدعو من كمه ويقبله ويضعه على رأسه، ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء للدولة، ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك فيصعد بعد القاضى فراعى الخليفة ذلك الأمر فى حق الوزير، فجعل الإشارة منه إليه أولا ورفعه عن أن يكون مزمورا مثل غيره، وجعلها له ميزة على غيره ممن تقدمه، واستمرت فيما بعد، واستفتح الخليفة بالتكبير الجارى به العادة فى الفطر والخطبتين إلى آخرهما وكبر المؤذنون ورفع اللواءان وترجل كل أحد من موضعه كما كان ركوبه، وصار الجميع فى ركاب الخليفة، وجرى الأمر فى رجوعه على ما تقدم شرحه، ومضى إلى تربة آبائه وهى سنتهم فى كل ركبة بمظلة، وفى كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تفرق، وأما الوزير المأمون فإنه توجه وخرج من باب العيد والأمراء بين يديه إلى أن وصل إلى باب الذهب فدخل منه بعد أن أمر ولده الأكبر بالوصول إلى داره والجلوس على سماط العيد على عادته، ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الشروع قد وقع من المستخدمين بتعبية السماط. فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها، وهو ما يحمل إلى مجلس الوزارة برسم الحاشية، ولكل من حاشية أولاده وإخوته وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب ومتولى الديوان وكاتب الدفتر والنائب. لكل منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة، وعند انقضاء الاسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم، ثم حضر أبو الفضائل بن أبى الليث

واستأذن على طيافير الفطرة الكبار التى فى مجلس الخليفة . فأمره الوزير بأن يعتمد فى تفرقتها على ما كان يعتمده فى الأيام الأفضلية وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور . فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه إلى التربة جلس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالمينا معباة بالزبادى الذهب واستدعى الوزير واصطف الناس من المدورة إلى آخر السماط من الجانبين على طبقاتهم ، ورفعت الستور واستفتح المقرئون ووفى الدولة اسعاف متولى المائدة مشدود الوسط ، ومقدم خزانة الشراب بيده شربة فى مرفع ذهب وغطاء مرصعين بالجوهر والياقوت ، ومتولى خزائن الإنفاق بيده خريطة مملوءة دنانير لمن يقف يطلب صدقة وإنعاما . فيؤمر بما يدفع إليه ، وتفرقة الرسوم الجارى بها العادة ، ولعبت المنافقون والتحسارية ، وتناوب القراء والمنشدون ، وأرخيت الستور وعبى السماط ثانيا على ما كان عليه أولا ، ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسماط من جرت العادة به ، وفرقت الدنانير على المقرئين والمنشدين والتحسارية والمنافقين ، ومن هو معروف بكثرة إلا كل ونهبت قصور الخليفة ، وفرق من الأصناف ما جرت به العادة وأرخيت الستور ، وأحضر متولى خزانة الكسوة الخاص للخليفة بدلة إلى أعلى السرير حسبما كان أمره فلبسها وخلع الثياب التى كانت عليه ، على الوزير بعد ما بالغ فى شكره والثناء عليه وتوجه إلى داره فوصل إليه من الخليفة الصوانى الخاص المكللة معباة على ما كانت بين يديه وغيرها من الموائد ، وكذلك إلى أولاده وإخوته صينية صينية ، ولكاتب الدست ومتولى حجبة الباب مثل ذلك ، ويكبر الوزير بجلوسه فى داره معلنا ، وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد والخلع ، وبما جرى فى صعود المنبر وحضر الشعراء وأسنيت لهم الجوائز ، وجرى الحال يومئذ فى جلوس الخليفة ، وفى السلام لجميع الشيوخ والقضاة والشهود والأمراء والكتاب ومقدمى الركاب والمتصدرين بالجوامع والفقهاء ، والقاهريين والمصريين ، واليهود برئيسهم ، والنصارى ببطريقهم على ما جرت به عادتهم ، وختم المقرئون ، وقدمت الشعراء على طبقاتهم إلى آخرهم وجدد لكل من الحاضرين سلامه وانكفأ الخليفة إلى الباذهنج لأداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عبيت المائدة الخاص ، واستحضر المأمون وأولاده واخوته على عادتهم ، واستدعى من شرف بحضور المائدة ، وهم الشيخ أبو الحسن

كاتب الدست، وأبو الرضى سالم ابنه، ومتولى حجبة الباب، وظهير الدين الكنانى على ما كان عليه الحال قبل الصيام وانقضى حكم العيد.

وقال ابن الطوير: إذا قرب آخر العشر الآخر من شهر رمضان خرج الزى من أماكنه على ما وصفنا فى ركوب أول العام، ولكن فيه زيادات يأتى ذكرها، ويركب فى مستهل شوال بعد تمام شهر رمضان وعدته عندهم أبدا ثلاثون يوما. فإذا تهيأت الأمور من الخليفة والوزير والأمراء وأرباب الرتب على ما تقدم، وصار الوزير بجماعته إلى باب القصر ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة واليتيمة والآلات المقدم ذكرها، ولباسه فى هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة، وهى أجل لباسهم، والمظلة كذلك فإنها أبدا تابعة لثيابه كيف كانت، الثياب كانت ويكون خروجه من باب العيد إلى المصلي، والزيادة ظاهرة فى هذا اليوم فى العساكر، وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر إلى باب المصلي، ويكون صاحب بيت المال قد تقدم على الرسم لفرش المصلى فيفرش الطراحات على رسمها فى المحراب مطابقة، ويعلق سترين يمنة ويسرة فى الأيمن البسملة والفاتحة وسبح اسم ربك الأعلى، وفى الأيسر مثل ذلك وهل أتاك حديث الغاشية، ثم يركز فى جانب المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة، وهما مستوران مرخيان فيدخل الخليفة من شرقى المصلى إلى مكان ليستريح فيه دقيقة، ثم يخرج محفوظا كما يحفظ فى جامع القاهرة، فيصير إلى المحراب ويصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة والوزير وراءه والقاضي، ويقرأ فى كل ركعة ما هو مرقوم فى السترين. فإذا فرغ وسلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر. فإذا جلس فى الذروة وهناك طراحة سامان أو ديبقى على قدرها وباقية يستر ببياض على مقداره فى تقطيع درجه، وهو مضبوط لا يتغير فيراه أهل ذلك الجمع جالسا فى الذروة، ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير وقاضي القضاة وصاحب الباب اسفهسلار العساكر، وصاحب السيف وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة، وزمام الإشراف الأقارب وصاحب بيت المال وحامل الرمح، ونقيب الاشراف الطالبيين، ووجه الوزير إليه فيشير إليه. فيصعد ويقرب وقوفه منه، ويكون وجهه موازيا رجليه فيقبلهما بحيث يراه العالم. ثم يقوم ويقف على

يمينه . فإذا وقف أشار إلى قاضى القضاة فيصعد إلى سابع درجة ، ويتطلع إليه صاغيا لما يقول فيشير إليه فيخرج من كمه مدرجا قد أحضر إليه أمس من ديوان الإنشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير . فيعلن بقراءة مضمونه ، ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم . ثبت بمن شرف بصعوده المنبر الشريف فى يوم كذا وهو عيد الفطر من سمة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، بعد صعود السيد الاجل ونعوته المقررة ودعائه المحرر . فإن أراد الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد الوزير وإخوته استدعاه القاضى بالنعت المذكور ، ثم يتلو ذلك ذكر القاضى وهو القارىء . فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته ولا دعاءه . بل يقول المملوك فلان بن فلان وقرأه مرة القاضى ابن أبى عقيل فلما وصل إلى اسمه قال العبد الذليل المعترف بالصنع الجميل فى المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن أبى عقيل ، فاستحسن ذلك منه ، ثم حذا حذوه الأعز بن سلامة وقد استقضى فى آخر الوقت فقال المملوك فى محل الكرامه . . الذى عليه من الولاء أصدق علامه . . حسن بن على بن سلامة . . ثم يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر بنعوتهم ، وذكر خدمهم ودعائهم على الترتيب . فإذا طلع الجماعة وكل منهم يعرف مقامه فى المنبر يمنة ويسرة ، أشار الوزير إليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذى بجانبه فيستر الخليفة ويسترون ، وينادى فى الناس بأن ينصتوا . فيخطب الخليفة من المسطور على العادة ، وهى خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم . فإذا فرغ ألقى كل من فى يده من اللواء شيء خارج المنبر . فينكشفون وينزلون أولا فأولا . الأقرب فالأقرب إلى القهقري ، فإذا خلا المنبر منهم قام الخليفة هابطا ، ودخل إلى المكان الذى خرج منه . فلبث يسيرا وركب فى زيه المفخم ، وعاد من طريقه بعينها إلى أن يصل إلى قريب القصر . فيتقدمه الوزير كما شرحنا ، ثم يدخل من باب العيد فيجلس فى الشباك وقد نصب منه إلى فسقية كانت فى وسط الايوان مقدار عشرين قصبة سماط من الخشكنان والبسندود والبرماورد مثل الجبل الشاهق ، وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار إلى رطل فيدخل ذلك الجمع إليه ويفطر منه . . من يفطر وينقل منه من ينقل ، ويباح ولا يحجر عليه ولا مانع دونه . فيمر ذلك بأيدى الناس وليس هو مما يعتد به ولا يعنى مما يفرق للناس ، ويحل إلى

دورهم، ويعمل فى هذا اليوم سماط من الطعام فى القاعة يحضر عليه الخليفة والوزير. فإذا انقضى ذو القعدة وهل هلال ذى الحجة اهتم بركوب عيد النحر. فيجرى حاله كما جرى فى عيد الفطر من الزى والركوب إلى المصلي، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمر الموشح ولا ينخرم منه شيء. انتهى.

وصعد مرة الخليفة الحافظ لدّين الله أبو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيد فوقف الشريف ابن أنس الدولة بإزائه وقال مشيرا إلى الحاضرين:

خشوعا فإن الله هذا مقـــــامه

وهمسا فهذا وجهه وكلامه

وهذا الذى فى كل وقت بروزه

تحيـــــاته من ربنا وسلامه

فضرب الحافظ الجانب الأيسر من المنبر فرقى إليه زمام القصر فقال له: قل للشريف حسبك قضيت حاجتك، ولم يدعه يقول شيئا آخر، وكانت تكتب المخلفات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد و، يبعث بها إلى الأعمال ف. مما كتب به من إنشاء ابن الصيرفي.

أما بعد: فالحمد لله الذى رفع بأمير المؤمنين عماد الدين وثبت قواعده.. وأعز بخلافته معتقده وأذل بمهابته معانده.. وأظهر من نوره ما انبسط فى الآفاق وزال معه الإظلام.. ونسخ به ما تقدمه من الملل. فقال إن الدين عند الله الإسلام.. وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه، وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه.. وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفى له الدين.. وبعثه إلى الأقربين والأبعدين.. وأيده فى الإرشاد حتى صار العاصى مطيعا.. ودخل الناس فى التوحيد فرادى وجميعا.. وغدوا بعروته الوثقى متمسكين.. وأنزل عليه: **﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾**(*). وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب إمام الأمة.. وكاشف الغمة.. وأوجه الشفعاء

(*) ٦ ك الأنعام ١٦١-١٦٢.

لشيعته يوم العرض . . ومن الإخلاص فى ولائه قيام بحق وأداء فرض . . وعلى الأئمة من ذريتهما سادة البرية . . والعادلين فى القضية . . والعاملين بالسيرة المرضية . . وسلم وكرم . . وشرف وعظم . . وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأدائه . . وجريه فى ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه . . وما ينبئك به . . ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه . . وذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح . . وعاد المحرم المحظور بما أطلقه المحلل المباح . . توجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها إلى بابه . . وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه . . ثم انثنت إلى مصافها فى الهيآت . . التى يقصر عنها تجريد الصفات . . وتغنى مهابتها عن تجريد المرهفات . . وتشهد أسلحتها وعددها بالتنافس فى الهمم . . وتقلق مواضيها فى أغمادها شوقا إلى الطلى والقمم . . وقد امتلأت الأرض بازدحام الرجل والخيل . . وثار العجاج فلم ير أغرب من اجتماع النهار والليل . . وبرز أمير المؤمنين من قصوره . . و ظهر للإبصار على أنه محتجب بضيائه ونوره . . وتوجه إلى المصلى فى هدى جده وأبيه . . والوقار الذى ارتفع فيه عن النظير والشبيه . . ولما انتهى إليه قصد المحراب واستقبله . . وأدى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله . . وأجرى أمرها على أفضل المعهود . . ووفاها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود . . وانتهى إلى المنبر فعلا وكبر الله . . وهلله على ما أولاه . . وذكر الثواب على إخراج الفطرة وبشربه . . وإن المسارعة إليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه . . ووعظ وعظا ينتفع قابله فى عاجلته ومنقلبه . . ثم عاد إلى قصوره الزاهرة مشمولا بالوقاية . . مكنوفا بالكفاية . . منتهيا فى إرشاد عبيده ورعاياه أقصى الغاية . . أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن إليه . . وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا فى معرفته ، ويشكروا الله عليه . . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالي .

وكان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخف لها إقطاعات وجرايات وكسوات ورسوم . فإذا ركب الخليفة فى العيدين مدوا حبلين مسطوحين من أعلى باب النصر إلى

الأرض . حبلا عن يمين الباب . وحبلا عن شماله فإذا عاد الخليفة من المصلى نزل على الحبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون، وفى أيديهم رايات، وخلف كل واحد منهم رديف وتحت رجليه آخر معلق بيديه ورجليه، ويعملون أعمالا تذهل العقول، ويركب منهم جماعة فى الموكب على خيول فيركضون، وهم يتقلبون عليها، ويخرج الواحد منهم من تحت إبط الفرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر، ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شيء إلى الأرض، ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف .

ذكر القصر الصغير الغربي

وكان تجاه القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره فى غربيه قصر آخر صغير . يعرف بالقصر الغربي، ومكانه الآن حيث المارستان المنصوري، وما فى صفه من المدارس، ودار الأمير بيسري، وباب قبو الخرنشف، وربع الملك الكامل المطل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديما بالتبانين وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الأقمر، وما وراء هذه الأماكن إلى الخليج، وكان هذا القصر الغربى يعرف أيضا بقصر البحر، والذى بناه العزيز بالله نزار بن المعز .

قال المسبحي : ولم يبن مثله فى شرق ولا فى غرب . . وقال ابن أبى طي : فى أخبار سنة سبع وخمسين وأربعمائة : ففيها تمم الخليفة المستنصر بناء القصر الغربى وسكنه وغرم عليه ألفى ألف دينار، وكان ابتداء بنيانه فى سنة خمسين وأربعمائة، وكان سبب بنائه أنه عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد، ويجمع بنى العباس إليه، ويجعله كالمجلس لهم فخانه أمله، وتممه فى هذه السنة، وجعله لنفسه وسكنه .

وقال ابن ميسر : إن ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم ، وأن والدها العزيز بالله كان قد أفردها بسكنى القصر الغربي ، وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بالقصرية . وهذا يدلك على أن القصر الغربى كان قد بنى قبل المستنصر وهو الصحيح ، وكان هذا القصر يشتمل أيضا على عدة أماكن .

«الميدان»

وكان بجوار القصرالغربى ومن حقوقه الميدان ويعرف هذا الميدان ، اليوم بالخرنشف واصطبل القطبية .

«البستان الكافوري»

وكان من حقوق القصر الصغير الغربى البستان الكافوري ، وكان بستانا أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طفج بن جف الإخشيد أمير مصر ، وكان مطلا على الخليج . فاعتنى به الأخشيد وجعل له أبوابا من حديد، وكان ينزل به ويقيم فيه الأيام، واهتم بشأنه من بعد الأخشيد ابناه الأمير أبو القاسم أو نوجور بن الإخشيد والأمير أبو الحسن على ابن الأخشيد فى أيام إمارتهما بعد أبيهما . فلما استبد من بعدهما الأستاذ أبو المسك كافور الإخشيدى بإمارة مصر كان كثيرا ما يتنزه به ، ويواصل الركوب إلى الميدان الذى كان فيه ، وكانت خيوله بهذا الميدان . فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لأخذ ديار مصر أناخ بجوار هذا البستان ، وجعله من جملة القاهرة وكان منتزها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم ، وكانوا يتوصلون إليه من سراديب مبنية تحت الأرض ينزلون إليها من القصر الكبير الشرقي ، ويسيرون فيها بالدواب إلى البستان الكافورى ومناظر اللؤلؤة ،

بحيث لا تراهم الأعين ومازال البستان عامرا إلى أن زالت الدولة. فحكر وبنى فيه فى سنة إحدى وخمسين وستمائة كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب، وأما الاقباء والسراديب فإنها عملت أسربة للمراحيض وهى باقية إلى يومنا هذا تصب فى الخليج.

«القاعة»

وكان من جملة القصر الغربى قاعة كبيرة هى الآن المارستان المنصوري. حيث المرضي، كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وكانت أحوالها متسعة جدا.. قال فى كتاب الذخائر والتحف وأهدت السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله إلى أخيها يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة هدايا من جملتها ثلاثون فرسا بمراكبها ذهبا، منها مركب واحد مرصع ومركب من حجر البلور، وعشرون بغلة بسروجها ولجمها، وخمسون خادما منهم عشرة صقالبة، ومائة تخت من أنواع الثياب وفاخرها، وتاج مرصع بنفيس الجوهر، وبديعه وشاشية مرصعة، وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه، وبستان من الفضة مزروع من أنواع الشجر. قال: وخلفت حين ماتت فى مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة ما لا يحصى كثرة، وكان إقطاعها فى كل سنة يغل خمسين ألف دينار، ووجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف جارية منها بنيات ألف وخمسمائة، وكانت سمحة نبيلة كريمة الأخلاق والفعل، وكان فى جملة موجودها نيف وثلاثون زيرا صينيا مملوء جميعها مسكا مسحوقا، ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مثاقيل.

قال المسبحي: ولدت بالمغرب فى ذى القعدة سنة خمس وثلاثمائة ولما زالت الدولة عرفت هذه الدار بالأمير فخر الدين جهاركس موسك، ثم بالملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل، فلما كان فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وستمائة

شرع الملك المنصور قلاون الألفى فى بنائها مارستانا ومدرسة وتربة، وتولى عمارتها الأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الممالك، ويقال إن ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع.

أبواب القصر الغربي

كان لهذا القصر عدة أبواب منها باب الساباط وباب التبانين وباب الزمرذ.

«باب الساباط»

هذا الباب موضعه الآن باب سر المارستان المنصورى الذى يخرج منه الآن إلى الخرنشف، وكان من الرسم أن يذبح فى باب الساباط المذكور مدة أيام النحر وفى عيد الغدير عدة ذبائح تفرق على سبيل الشرف.

قال ابن المأمون فى سنة ست عشرة وخمسمائة: وجملة ما نحره الخليفة الآمر بأحكام الله وذبحه خاصة فى المنحر وباب الساباط دون المأمون وأولاده وإخوته فى ثلاثة الأيام ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا. فذكر ما كان بالمنحر قال: وفى باب الساباط مما يحمل إلى من حوته القصور وإلى دار الوزارة والأصحاب والحواشى اثنتا عشرة ناقة وثمانية عشر رأس بقر وخمسة عشر رأس جاموس، ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس، ويتصدق كل يوم فى باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر.

وقال ابن عبد الظاهر: كان فى القصر باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة فى العيد يخرج منه إلى الميدان وهو الخرنشف الآن لينحر فيه الضحايا.

«باب التبانيـن»

هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن، وجعل فى موضعه دار العلم التى بناها الحاكم الآتى ذكرها إن شاء الله تعالي .

«باب الزمرذ»

كان موضع اصطبل القطبية قريبا من باب البستان الكافورى الموجود الآن .

ذكر دار العلم

وكان بجوار القصر الغربى من بحريه دار العلم، ويدخل إليه من باب التبانين الذى هو الآن يعرف بقبو الخرنشف، وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضيرى الكائنة بدرب الخضيرى المقابل للجامع الأقمر، ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله فاستمرت إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش .

قال الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله المسيحي : وفى يوم السبت - هذا يعنى العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة، وجلس فيها الفقهاء، وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة، ودخل الناس إليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء، بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها، وحصل فى هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم

بأمر الله من الكتب التى أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها . فكان ذلك من المحاسب المأثورة أيضا ، التى لم يسمع بمثلها من إجراء الرزق السنى لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره ، وحضرها الناس على طبقاتهم . فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعلم ، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر ، وهى الدار المعروفة بمختار الصقلبى قال : وفى سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق ، وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغنى بن سعيد ، وجماعة من الأطباء إلى حضرة الحاكم بأمر الله ، وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ، ثم خلع على الجميع ووصلهم ، ووقف الحاكم بأمر الله أماكن فى فسطاط مصر على عدة مواضع ، وضمنها كتابا ثبت على قاضى القضاة مالك بن سعيد ، وقد ذكر الجامع الأزهر وقال فيه ، وقد ذكر دار العلم ، ويكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج إليه فى كل سنة من العين المغربى مائتان وسبعة وخمسون دينارا من ذلك لثمن الحصر العبدانى وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير ، ومن ذلك لورق الكاتب يعنى الناسخ تسعون دينارا ، ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون دينارا ، ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر دينارا ومن ذلك للفراش خمسة عشر دينارا ، ومن ذلك للورق والحبر والأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر دينارا ، ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ، ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر دينارا ، ومن ذلك لثمن لبود للفرش فى الشتاء خمسة دنانير ، ومن ذلك لثمن طنافس فى الشتاء أربعة دنانير .

وقال ابن المأمون : وفى هذا الشهر يعنى شهر ذى الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار وهى طويلة ، وأولها من الأيام الأفضلية ، وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات والآخر حميد بن مكى الاطفيحى القصار مع جماعة يعرفون بالبديعية وهم على الإسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة ، وكانوا يجتمعون فى دارالعلم بالقاهرة . فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب ، وكان ذلك فى أيام

الأفضل، فأمر للوقت بغلق دار العلم والقبض على المذكور فهرب، وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور أستاذان من القصر. فلما طلب بركات المذكور واستتر دقق الأستاذان الحيلة إلى أن أدخلاه عندهما في زى جارية اشترياها وقاما بحقه وجميع ما يحتاج إليه، وصار أهله يدخلون إليه في بعض الأوقات. فمرض بركات عند الأستاذين فحارا في أمره ومداواته وتعذر عليهما إحضار طبيب له واشتد مرضه ومات فأعملا الحيلة وعرفا زمام القصر أن إحدى عجائزهما قد توفيت وأن عجائزهما يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها إلى تربة النعمان بالقرافة، وكتبا عدة من يخرج ففسح لهما في العدة، وأخذا في غسله وألبساه ما أخذاه من أهله وهو ثياب معلمة وشاشية ومنديل وطيلسان مقور وأدرجوه في الديبقي، وتوجه مع التابوت الأستاذان المشار إليهما فلما قطعوا به بعض الطريق أرادا تكميل الأجر له على قدر عقولهما فقالا للحمالين هو رجل تربيته عندنا فنادوا عليه نداء الرجال، واكتموا الحال، وهذه أربعة دنانير لكم فسر الحمالون بذلك فلما عادوا إلى صاحب الدكان عرفوه بما جرى وقاسموه الدنانير فخافت نفسه وعلم أنها قضية لا تخفي. فمضى بهم إلى الوالى وشرح له القضية فأودعهم في الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكتب مطالعة بالحال. فمن أول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك الذى قيل له بعد ذلك المأمون بالقضية، وكان مدرب الأمور في الأيام الأفضلية قال: هو بركات المطلوب وأمر بإحضار الأستاذين والكشف عن القضية وإحضار الحمالين والكشف عن القبر بحضورهم فإذا تحققوا. . أمرهم بلعنه، فمن أجاب إلى ذلك منهم أطلقوه، ومن أبى أحضروه فحققوا معرفته. فمنهم من بصق في وجهه وتبرأ منه، ومنهم من همّ بتقبيله ولم يتبرأ منه. فجلس الأفضل واستدعى الوالى والسياف واستدعى من كان تحت الحوطة من أصحابه، فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله وبقى من الجماعة ممن لم يتبرأ منه خمسة نفر وصبى لم يبلغ الحلم فأمر بضرب رقابهم، وطلب الأستاذين فلم يقدر عليهما. وقال للصبى من لفظه تبرأ منه وأنعم عليك وأطلق سبيلك. فقال له الله يطالبك إن لم تلحقنى بهم فإنى مشاهد ما هم فيه وأخذ بسيفه على الأفضل. فأمر بضرب عنقه فلما توفى الأفضل أمر الخليفة الآمر بأحكام الله وزيره المأمون بن البطائحى باتخاذ دار العلم، وفتحها على الأوضاع الشرعية، ثم عاد حميد القصار المثنى بذكره وظهر وسكن مصر يدق الثياب

بها ويطلع إلى دار العلم وأفسد عقل أستاذ وخياط وجماعة وادعى الربوبية، فحضر الداعى ابن عبد الحقيق إلى الوزير المأمون وعرفه بأن هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام على مذهب أبى الحسن الاشعري، ثم انسلخ عن الإسلام وسلك طريق الحلاج فى التمويه فاستهوى من ضعف عقله وقلت بصيرته. فإن الحلاج فى أول أمره كان يدعى أنه داعية المهدي، ثم ادعى أنه المهدى ثم ادعى الإلهية، وأن الجن تخدمه وأنه أحيا عدة من الطيور، وكان هذا القصار شيعى الدين، وجرت له أمور فى الأيام الأفضلية ونفى دفعة، واعتقل أخرى ثم هرب بعد ذلك، ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل واستصحب من استهواه من أصحابه. فإذا أبعد قال لبعضهم بع دأن يصلى ركعتين نطلب شيئا تأكله أصحابنا فيمضى ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه. فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى أنهم يخافون الإثم فى تأمل صورته، فلا ينفكون مطرقين بين يديه، وكان قصيرا دميم الخلقة وادعى مع ذلك الربوبية، وكان ممن اختص بحميد رجل خياط وخصي. فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع أصحابه فهرب الخياط وطلب فلم يوجد، ونودى عليه، وبذل لمن يحضر به مال فلم يقدر عليه واعتقل القصار وأصحابه وقرروا فلم يقروا بشيء من حاله، وبعد أيام تماوت فى الحبس فلما استؤمر عليه أمر بدفنه، فلما حمل ليدفن ظهر أنه حي، فأعيد إلى الاعتقال، وبقى كل من لم يتبرأ منه معتقلا ما خلا الخصى فإنه لم يتبرأ منه وذكر أن القتل لا يصل إليه فأمر بقطع لسانه ورمى قدامه وهو مصر على ما فى نفسه، فأخرج القصار والخصى ومن لم يتبرأ منه من أصحابه فصلبوا على الخشب، وضربوا بالنشاب فماتوا لوقتهم ثم نودى على الخياط ثانيا فأحضر، وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له: ها أنت تنظره، فلم يتبرأ منه وصلب إلى جانبه وذكر أن بعض أصحاب هذا القصار ممن لم يعرف أنه كان يشترى الكافور ويرميه بالقرب من خشبته التى هو مصلوب عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق، ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله. فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب وأن تخلط رممهم ويدفنوا متفرقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم، وكان قتلهم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة

وخمسمائة، قال: وكان الشريف عبد الله يحدث عن صديق له مأمون القول أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه أراد أن يمتحنه. فتسبب إلى أن خالطه وصار فى جملة أصحابه ومن يعظمه ويطلع معه إلى الجبل. فأفسد عقله وغير معتقده وأخرجه عن الإسلام وأنه لامه على ذلك وردعه فحدثه بعجائب منها أنه قال والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه إلى الجبل أحد إلا ويسأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان فيحضره إليه لوقته، وإن بيده سكينا لا تقطع إلا بيده، وإذا أمسك طائرا وقبضه أحد من الحاضرين يدفع السكين التى معه له ويقول له اذبحه فلا تمشى فى يده فيأخذها هو ويذبحه بها ويجرى دمه ثم يعود ويمسكه بيده ويسرحه فيطير، ويقول إن الحديد لا يعمل فيه، ويوسع القول فيما يشاهده منه ويسمعه، فلما اعتقل القصار بقى الرجل مصراً على اعتقاده، فلما قتل وخرج إليه وشاهده، وتحقق موته علم أن ما كان فيه سحر وزور وإفك، فتصدق بجملة من ماله، وعاد إلى مذهبه وصح معتقده.

وقال ابن عبد الظاهر: دار العلم كان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطلها، وهى بجوار باب التبانين، وهى متصلة بالقصر الصغير، وفيها مدفون الداعى المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الاعجمي، وكان لابطالها أمور سببها اجتماع الناس والخوض فى المذاهب والخوف من الاجتماع على المذهب النزاري، ولم يزل الخدام يتوصلون إلى الخليفة الآمر بأحكام الله حتى تحدث فى ذلك مع الوزير المأمون. فقال أين تكون هذه الدار؟ فقال بعض الخدام تكون بالدار التى كانت أولاً فقال المأمون: هذا لا يكون، لأنه باب صار من جملة أبواب القصر وبرسم الحوائج، ولا يمكن الاجتماع ولا يؤمن من غريب يتحصل به، فأشار كل من الأستاذين بشيء فأشار بعضهم أن تكون فى بيت المال القديم. فقال المأمون يا سبحان الله قد منعنا أن تكون متاخمة للقصر الكبير الذى هو سكن الخليفة نجعلها ملاصقة! فقال الثقة زمام القصور فى جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالطا له يجوز أن يعمر، ويكون دارالعلم فأجاب المأمون إلى ذلك. وقال: بشرط أن يكون متوليها رجلا دينا والداعى الناظر فيها، ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن. فاستخدم فيها أبو محمد حسن بن آدم فتولاها، وشرط عليه ما تقدم ذكره، واستخدم فيها مقرئون.

ذكر دار الضيافة

خرج مالك فى الموطا عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : كان إبراهيم عليه السلام أول من ضيف الضيف، وأول من اتخذ دار ضيافة فى الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة، وأعد فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره، وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء إلى ماء حتى يوصلهم إلى البلد. فلما استخلف عثمان ابن عفان رضى الله عنه أقام الضيافة لأبناء السبيل والمتعبدين فى المسجد، وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبى العاص السهمى أحد من شهد فتح مصر من الصحابة، وكان ميدان القصر الغربى الذى هو الآن الخرنشف دار الضيافة بحارة برجوان، وكانت هذه الدار أولا تعرف بدار الأستاذ برجوان، وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة برجوان، ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فى أيام الخليفة المستنصر من عكا واستبد بأمر الدولة أنشأ هناك دارا عظيمة وسكنها، ولم يسكن بدار الديباج التى كانت دار الوزارة القديمة، فلما مات أمير الجيوش بدر واستولى سلطنة ديار مصر ابنه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش. وأنشأ دار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى قريبا من رحبة باب العيد أقر أخاه أبا محمد جعفرا المنعوت بالمظفر بن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة برجوان. فعرفت بدار المظفر ومازال بها حتى مات وقبر بها وإلى اليوم قبره بها، وتسميه العامة جعفرا الصادق، ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة برسم الرسل الواردين من الملوك، واستمرت كذلك إلى أن انقرضت الدولة، فانزل بها السلطان صلاح الدين أولاد العاضد إلى أن نقلهم إلى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، فلما كان فى سنة تسع وسبعين وستمائة تقدم أمر الملك المنصور قلاون لوكيل بيت المال القاضى مجد الدين عيسى بن الخشاب ببيع دار المظفر، فباع القاعة الكبرى وما هو من حقوقها، وبيعت دار المظفر الصغري، وهدمها الناس وبنوا فى مكانها دورا، وموضعها الآن دار قاضى القضاة شمس الدين محمد

الطرابلسى الحنفى وما بجوارها إلى الدار التى بها سكنى اليوم، وهى من حقوق دار المظفر الصغرى على ما فى كتبها القديمة، ولما أنشأ قاضى القضاة شمس الدين المذكور داره فى سنة سبع أو سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ظهر من تحت الأرض عند حفر الأساس حجر عظيم قيل إنه عتبة دار المظفر الكبري، وكان إذ ذاك الأمير جهاركس الخليلى يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التى فى خط بين القصرين. فلما بلغه خبر هذا الحجر بعث إليه وأمر بجره إلى العمارة فعمل عتبة باب المزملة التى للمدرسة، وكان من وراء هذه الدار رحبة الأفيال أدركتها ساحة ثم عمر فيها.

قال ابن الطوير: الخدمة المعروفة بالنيابة للقاء المرسلين، وهى خدمة جليلة يقال لمتوليها النائب وينعت بعدى الملك، وهو ينوب عن صاحب الباب فى لقاء الرسل الوافدين على مسافة، وإنزال كل واحد فى دار تصلح له، ويقيم له من يقوم بخدمته، وله نظير فى دار الضيافة، وهو يسمى اليوم بمهمندار، ويرتب لهم ما يحتاجون إليه، ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم، ويذكر صاحب الباب بهم، ويبالغ فى نجاز ما وصلوا فيه، وهو الذى يسلم بهم أبدا عند الخليفة والوزير وينفذ بهم ويستأذن عليهم، ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده اليسري. فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم، ويجتهد فى انفصالهم على أحسن الوجوه، وبين يديه من الفراشين المقدم ذكرهم عدة لإعانته، وإذا غاب أقام عنه نائبا إلى أن يعود، وله من الجارى خمسون دينارا فى كل شهر، وفى اليوم نصف قنطار خبز، وقد يهدى إليه المرسلون طرفا فلا يتناولها إلا بإذن. انتهي.

وفى هذه الدولة التركية يقال لمتولى هذه الوظيفة مهمندار، ولا يليها عندهم إلا صاحب سيف من الأمراء العشراوات، وكانت فى الدولة الفاطمية على ما ذكره ابن الطوير لا يليها إلا أعيان العدول، وأرباب العمائم، وينعت أبدا بعدى الملك، وأصل هذه الكلمة بالفارسية مهمان دار «ومعناها ملتقى الضيوف».

ذكر اصطبل الحجرية

وكان بجوار دار الضيافة اصطبل الصبيان الحجرية المقدم ذكرهم، وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بخان الوراقة داخل باب الفتوح القديم بسوق المرحلين، على يسرة من أراد الخروج من باب الفتوح القديم تجاه زيادة الجامع الحاكمي، ومن حقوق هذا الاصطبل أيضا الموضع الذى فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست، التى هى اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجملون الصغير، وكانت بهذا الاصطبل خيول الصبيان الحجرية - إحدى طوائف العساكر فى زمن الخلفاء الفاطميين.

ذكر مطبخ القصر

وكان بجوار القصر الغربى قبالة باب الزهومة من القصر الكبير مطبخ القصر، وموضعه الآن الصاغة تجاه المدارس الصالحية، ولما كانت مطبخا كان يخرج إليه من باب الزهومة، وذكر ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام ت، فرق كل يوم على أرباب الرسوم والضعفاء.

«درب السلسلة»

وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة. قال ابن الطوير: ويبيت خارج باب القصر فى كل ليلة خمسون فارسا. فإذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الإمام الراتب بها بالمقيمين فيها من الأستاذين وغيرهم، ووقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة ابن الكركندي. فإذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق ولواثقهما من

عدة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية، ثم يخرج بعد ذلك أستاذ برسم هذه الخدمة فيقول: أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام. فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده. فإذا رفعها أغلق الباب وسار حوالى القصر سبع دورات. فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم، وانصرف المؤذنون إلى خزانتهم هناك وترمى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين. فينقطع المار من ذلك المكان إلى أن تضرب النوبة سحرا قرب الفجر ف. تنصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة.

وقال ابن عبد الظاهر: درب السلسلة الذى هو الآن إلى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه إلى قبالته تعلق كل يوم من الظهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر، وهذا الدرب يعرف بسنان الدولة بن الكركندي، وهذا الدرب هو المختص بالتقفيزة، وهذه التقفيزة أمرها مستطرف لا من قبل الحسن، بل من قبل التعجب من العقول، ولها خمسة أوقات، وهى ليالى العيدين وغرة السنة وغرة شهر رمضان ويوم فتح الخليج، وهو أنه يقف راكبا فى وسط الزلاقة التى لباب الذهب قبالة الدار القطبية، فيخرج إليه السلام من الخليفة، ثم يخدم الرهجية، ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقدامه دواب المظلة يمنة ويسرة، والرهجية تخدم، وأرباب الضوء ومستخدمو الطرق على السلسلة. فإذا كان الطرف وصلوا إليه، واجتمعت الرهجية كلهم، وركب فرسا وعليه ثياب حسنة وكشف عن راياته، وأخذ بيده رمحا واجتمعت الرهجية حوله، ويعبر مشورا وأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الإمام. ثم يسير بذاك الجمع وخيل المظلة إلى أبواب القصر. فيقف عند كل باب تخدم الرهجية، إلى أن يعودوا إلى باب الذهب، ثم إلى دار الوزارة للهناء فلم يزالوا كذلك إلى ولاية ابن الكركندي، فبطلت هذه السنة فى الأيام الآمرية، وصاحب التقفيزة ممن وصل آباؤه صحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب. فكانت هذه سنتهم.

ذكر الدار المأمونية

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية، وهى المدرسة السيوفية، وكانت هذه الدار سكن المأمون بن البطائحى ،وعرفت قديما بقوام الدولة حبوب، ثم جددها المأمون محمد ابن فاتك .

«المأمون البطائحى»

هو أبو عبد الله محمد ابن الأمير نور الدولة أبى شجاع فاتك ابن الأمير منجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى. اتصل بخدمة الأفضل بن أمير الجيوش فى شهر شوال سنة إحدى وخمسمائة، عندما تغير على تاج المعالى مختار. الذى كان اصطنعه وفخم أمره وسلم إليه خزائن أمواله وكسواته، وسلم ما كان بيده من الخدمة لمحمد بن فاتك. فتصرف فيها، وقرر له الأفضل ما كان باسم مختار من العين. خاصة دون الإقطاع وهو مائة دينار فى كل شهر، وثلاثون دينارا عن جارى الخزائن. مضافا إلى الأصناف الراتبة مياومة ومشاهرة ومسانهة. فحسن عند الأفضل موقع خدمته، فاعتمد عليه وسلم له جميع أموره، وصرفه فى كل أحواله. فلما كثر عليه الشغل استعان بأخويه أبى تراب حيدرة، وأبى الفضل جعفر فأطلق الأفضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمسانهة، ونعته الأفضل بالقائد فصار يخاطب بالقائد ويكاتب به، وصار عنده بمنزلة الاستادار. فلما قتل الأفضل ليلة عيد الفطر من سنة خمس عشرة وخمسمائة قام القائد أبو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الآمر بأحكام الله، وأطلعه على أموال الأفضل، وبالغ فى مناصحته، حتى لقد اتهم أنه هو الذى دبر فى قتل الأفضل بإشارة الخليفة. فخلع عليه الآمر فى مستهل ذى القعدة بمجلس اللعبة من القصر، وهو المجلس الذى يجلس فيه الخليفة، ولم يخلع قبله على أحد فيه، وحل المنطقة من وسطه وخلع على ولده وحل منطقته وخلع على

اخوته، واستمر تنفيذ الأمور إليه إلى أن استهل ذو الحجة. ففى يوم الجمعة ثانية خلع عليه من الملابس الخاص فى فرد كم مجلس اللعبة طوق ذهب مرصع، وسيف ذهب كذلك، وسلم على الخليفة وتقدم الأمر للأمراء وكافة الأستاذين المحنكين بالخروج بين يديه، وأن يركب من المكان الذى كان الأفضل يركب منه، ومشى فى ركابه القواد على عادة من تقدمه، وخرج بتشريف الوزارة، ودخل من باب العيد راكبا، ووصل إلى داره فضاعف الرسوم وأطلق الهبات. فلما كان يوم الاثنين خامسه اجتمع الأمراء بين يدى الخليفة وأحضر السجل فى لفافة خاص مذهبة. فسلمه الخليفة له من يده فقبله وسلمه لزمام القصر فأمره الخليفة بالجلوس إلى جانبه عن يمينه، وقرىء السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرىء هناك، وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالإيوان، ورسم للشيخ أبى الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست أن ينقل نسبة الأمراء والمحنكين من الآمرى إلى المأمونى، وكذا الناس أجمع، ولم يكن أحد ينتسب إلى الأفضل ولا لأمير الجيوش، وقدمت له الدواة. فعلم فى مجلس الخليفة، ونعت بالسيد الأجل المأمون تاج الخلافة ووجيه الملك فخر الصنائع ذخر أمير المؤمنين عز الإسلام فخر الأنام نظام الدين أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين. وكان يجلس بداره فى يومى الأحد والأربعاء للراحة والنفقة فى العسكر البساطية إلى الظهر، ثم يرفع النفقة ويحط السماط، ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه فينفق فى الراجل إلى آخر النهار، وفى يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرته خمسة دنانير، ولكل من هو مستمر القراءة على بابه من الضعفاء والأجراء مما هو ثابت بأسمائهم خمسمائة درهم، ولبقية الضعفاء والمساكين خمسمائة درهم أخرى، فإذا توجه يوم الجمعة إلى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لأربابه، ولم يزل إلى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فقبض الآمر المذكور عليه وعلى اخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهله واعتقله ثم صلبه مع اخوته فى سنة اثنتين وعشرين.

قيل إن سبب القبض عليه ما بلغ الآمر عنه أنه بعث إلى الأمير جعفر بن المستعلى يغريه بقتل أخيه ليقيمه مكانه فى الخلافة، وكان الذى بلغ الآمر ذلك الشيخ أبا الحسن بن أبى

أسامة وبلغه ايضاً عنه أنه سير نجيب الدولة أبا الحسن إلى اليمن ليضرب سكة عليها الامام المختار محمد بن نزار ، وذكر عنه انه سم شيئاً ودفعه لقصاد الخليفة فنم عليه القصاد ، وكان مولد المأمون فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وكان من ذوى الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول كريماً واسع الصدر سفاكا للدماء كثير التحرز والتطلع إلى معرفة أحوال الناس من العامة والجند فكثر الوشاة فى أيامه .

حبس المعونة

وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة وموضعه اليوم قيساريه العنبر . قال ابن المأمون فى سنة سبع عشرة وخمسمائة تقدم أمر المأمون إلى الواليين بمصر والقاهرة بإحضار عرفاء السقائين وأخذ الحجج على المتعيشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة إليهام ليلاً ونهاراً ، وكذلك يعتمد فى القربيين وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفعلة بالطوارئ والمساحي ، وأن يقوما لهم بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم . انتهى وكان حبس المعونة هذا يسجن فيه ارباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بخزانة شمائل ، وأما الأمراء والأعيان فيسجنون بخزانة البنود كما تقدم ، ولم يزل هذا الموضع سجناً مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بنى أيوب إلى أن عمره الملك المنصور قلاوون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين فى سنة ثمانين وستمائة .

ذكر الحسبة ودار العيار

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة . ومكانها اليوم يعرف بالإبازرة ومكسر الحطب بجوار سوق القصارين والفحامين . قال ابن الطوير : وأما الحسبة فإن من تسند إليه لايكون إلا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين . لانها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة

ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم، وله الجلوس بجامعى القاهرة ومصر يوماً بعد يوم. ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعايش ويأمر نوابه بالختم على قدور الهراسين ونظر لحمهم ومعرفة من جزاره. وكذلك الطباخون، ويتتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب إن لا يحلموا أكثر من وسق السلامة، وكذلك مع الحمالين على البهائم، ويأمرون السقائين بتغطية الروايا بالأكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوا. كل دلو أربعون رطلاً وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى زرق، وينذرون معملى المكاتب بأن لايضربوا الصبيان ضرباً مبرحاً ولا فى مقتل، وكذلك معلمو العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سيء المعاملة فينهونه بالردع والادب، وينظرون المكاييل والموازين وللمحتسب النظر فى دار العيار، ويخلع عليه ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر، ولايحال بينه وبين مصلحة إذا رآها. والولاة تشد معه إذا احتاج إلى ذلك، وجاريه ثلاثون ديناراً فى كل شهر انتهى وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها، وجميع الصنج، وكان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطانى فيما تحتاج إليه من الأصناف كالنحاس والحديد والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات وأجر الصناع والمشارفين ونحوهم، ويحضر المحتسب أو نائبه إلى هذه الدار ليعير المعمول فيها بحضوره. فإن صح ذلك أمضاه، وإلا أمر بإعادة عمله حتى يصح، وكان بهذه الدار أمثلة يصحح بها العيار فلا تباع الصنج والموازين والأكيال إلا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة إلى هذه الدار، باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتغير فى كل قليل، فإن وجد فيها الناقص استهلك، وأخذ من صاحبه لهذه الدار، وألزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار والقيام بثمنه، ثم سومح الناس، وصار يلزم من يظهر فى ميزانه أو صنجه خلل بإصلاح ما فيها من فساد فقط، والقيام بأجرته فقط ومازالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية. فلما استولى صلاح الدين على السلطنة أقر هذه الدار، وجعلها وقفا على سور القاهرة مع ما كان جاريا فى أوقاف السور من الرباع والنواحى الجارية فى ديوان الأسوار، ومازالت هذه الدار باقية.

«اصطبل الجميزة»

وكان بجوار القصر الغربى من قبليه اصطبل الجميزة من جانب باب الساباط، الذى هو الآن باب سر المارستان المنصورى، وقيل له اصطبل الجميزة من أجل أنه كان فى وسطه شجرة جميز كبيرة، وكان موضع هذا الاصطبل تجاه من يخرج من باب الساباط. فينزل من الحدرة التى هى الآن تجاه باب سر المارستان المتوصل منها إلى حارة زويلة، ويمتد فيما حاذاه يسارك إذا وقفت بأول هذه الحدرة. حيث الطاحون الكبيرة التى هى الآن فى أوقاف المارستان وما وراءها، ويحاذيها إلى الموضع المعروف اليوم بالبندقانيين، وكانت بئره تعرف ببئر زويلة، وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول، وموضع هذا، البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس تجاه درب الأنجب. وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الأمير يونس الدوادار هذه القيسارية والربع علوها، فرأيت بئرا كبيرة جدا، وقد عقد على فوهتها عقد ركب فوقه بعض القيسارية وترك منها شىء. ومنها الآن الناس تسقى بالدلاء. ومازال هذا الاصطبل باقيا إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية. فحكر وبنى فى مكانه الآدر التى هى موجودة الآن، وحكره جار فى أوقاف الصلاح الأزبكى و، قد تقدم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة فانظر رسومه هناك.

«دار الديباج»

وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الديباج. وهى حيث المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب وما جاورها، ومن جانبها وما خلفها إلى الوزيرية، وكانت هى دار الوزارة القديمة، وأول من أنشأها الوزير يعقوب بن يونس بن كلس وزير العزيز بالله، ثم سكنها الوزير الناصر للدين قاضى القضاة وداعى الدعاة علم المجد أبو محمد الحسن بن علىّ بن عبد الرحمن البازورى، وما زالت سكن الوزراء إلى أن قدم أمير الجيوش بدر

الجمالى من عكا ووزره المستنصر، وصار وزيرا مستبدا، فأنشأ داره بحارة برجوان وسكنها، وسكن من بعده ابنه الأفضل بن أمير الجيوش بدار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى، وصارت هذه الدار تعرف بدار الديباج. لأنه يعمل فيها الحرير الديباج. ويتولاها الأماثل والأعيان. فممن وليها أبو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح وخزائن السروج والصناعات. فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس فى مكان دار الديباج المدرسة السيفية وما وراءها من المواضع التى تعرف أماكنها اليوم بدرب الحريرى وما جاور هذا الدرب إلى المدرسة الصاحبية وما بجوارها وما هو فى ظهرها. فصار يعرف خط دار الديباج فى زمننا بخط سويقة الصاحب.

«الأهراء السلطانية»

وكانت أهراء الغلال السلطانية فى دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التى فيها الآن خزانة شمائل وما وراءها إلى قرب الحارة الوزيرية.

قال ابن الطوير: وأما الأهراء فإنها كانت فى عدة أماكن بالقاهرة هى اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوى على ثلاثمائة ألف أردب من الغلات وأكثر من ذلك، وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغداى. وآخر الفول، وآخر القرافة، ولها الحماة من الأمراء والمشارفين من العدول، والمراكب واصلة إليها بأصناف الغلات إلى ساحل مصر وساحل المقس، والحمالون يحملون ذلك إليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية، وأكثر ذلك من الوجه القبلى ومنها إطلاق الأقوات لأرباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان بتعريفات، وما ينفق فى الطواحين برسم خاص الخليفة، وهى طواحين مدارها سفل وطواحينها علو، حتى لا تقارب زبل الدواب، ويحمل دقيقها للخاص وما يختص بالجهات فى خرائط من شقق حلبية، ومن الاهراء تخرج جرايات رجال الأسطول، وفيها ما هو قديم يقطع

بالمساحى ويخلط فى بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين وجرايات السودان ، ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لأخباز الرسل ومن يتبعهم ، وما يعمل من القمح برسم الكعك لزاد الأسطول . فلا يفتر مستخدموها من دخل وخرج ولهم جامكية مميزة ، وجرايات برسم أقواتهم ، وشعير لدوابهم وما يقبض من الواصلين بالغلال إلا ما يماثل العيون المختومة معهم والاذرى وطلب العجز بالنسبة .

وذكر ابن المأمون أن غلات الوجه القبلى كانت تحمل إلى الاهراء ، وأما الأعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان والغربية والكفور والأعمال الشرقية فيحمل منها اليسير ، ويحمل باقيها إلى الإسكندرية ودمياط وتنيس ليسير إلى ثغر عسقلان وثغر صوروانه كان يسير إليهما فى كل سنة مائة وعشرون ألف إردب . منها لعسقلان خمسون ألفا ، ولصور سبعون ألفا . فيصير هناك ذخيرة ، ويباع منها عند الغنى عنها . قال : وكان متحصل الديوان فى كل سنة ألف ألف إزدب .

وذكر جامع السيرة البازورية أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة ، وأن الوزير أبا محمد البازورى قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضى القضاة ، وقد قصر النيل فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، ولم يكن بالمخازن السلطانية غلال . فاشتدت المسغبة بأمير المؤمنين : إن المتجر الذى يقام بالغلة فيه مضرة على المسلمين ، وربما أقحط السعر من مشتراها ، ولا يمكن بيعها فتتغير فى المخازن وتتلف ، وأنه يقام متجر لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ، ولا يخشى عليه من تغير فى المخازن ، ولا انحطاط سعر وهو الصابون والخشب والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك . فأمضى الخليفة ما رآه ، واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس وتوسعوا .

ذكر المناظر التى كانت للخلفاء الفاطميين
ومواضع نزههم وما كان لهم فيها من أمور جميلة

وكان للخلفاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة، وكانت لهم عدة متنزهات أيضا . . فمن مناظرهم التى بالقاهرة منظرة الجامع الأزهر، ومنظرة اللؤلؤة على الخليج، ومنظرة الدكة، ومنظرة المقس، ومنظرة باب الفتوح، ومنظرة البعل، ومنظرة التاج، والخمس وجوه، ومنظرة الصناعة بمصر، ودار الملك، ومنازل العز، والهودج بالروضة، ومنظرة بركة الحبش، والأندلس بالقرافة، وقبة الهواء، ومنظرة السكرة، وكان من متنزهاتهم كسر خليج أبى المنجا، وقصر الورد بالخرقانية وبركة الحب.

«منظرة الجامع الأزهر»

وكان بجوار الجامع الأزهر من قبليه منظرة تشرف على الجامع الأزهر، يجلس الخليفة فيها لمشاهدة ليالى الوقود.

«ذكر ليالى الوقود»

قال المسبحى فى حوادث شهر رجب من سنة ثمانين وثلاثمائة : وفيه خرج الناس فى لياليه على رسمهم فى ليالى الجمع وليلة النصف إلى جامع القاهرة ـ يعنى الجامع الأزهر

عوضا عن القرافة، وزيد فيه فى الوقيد على حافات الجامع وحول صحنه التنانير والقناديل والشمع على الرسم فى كل سنة، والأطعمة والحلوى والبخور فى مجامر الذهب والفضة، وطيف بها، وحضر القاضى محمد بن النعمان فى ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد، وقدمت إليه سلال الحلوى والطعام، وجلس بين يديه القراء وغيرهم، والمنشدون والناحة، وأقام إلى نصف الليل وانصر إلى داره بعد أن قدم إلى من معه أطعمة من عنده وبخرهم.

وقال فى شعبان: وكان الناس فى كل ليلة جمعة وليلة النصف على مثل ما كانوا عليه فى رجب وأزيد، وفى ليلة النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين، وحضر القاضى محمد بن النعمان فى جميع شهوده ووجوه البلد، ووقدت التنانير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه، ووضع الشمع على المقصورة وفى مجالس العلماء، وحمل إليهم العزيز بالله الأطعمة والحلوى والبخور. فكان جمعا عظيما.

قال: وفى شهر رجب سنة اثنتين وأربعمائة قطع الرسم الجارى من الخبز والحلوى الذى يقام فى هذه الثلاثة الأشهر لمن يبيت بجامع القاهرة فى ليالى الجمع والأنصاف، وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى إلى جامع القاهرة ليلة النصف من رجب، واجتمع الناس بالقرافة على ما جرت به رسومهم من كثرة اللعب والمزاح.

روى الفاكهى فى كتاب مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصيح فى أهل مكة ويقول يا أهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم فأوضحوا فجاجكم لحاج بيت الله واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا. وكان الأمر على ذلك بمكة فى هذه الليلة، حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة. فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب. فيحرسوا عمار أهل اليمن. ففعلوا ذلك فى ولايته ثم تركوه بعد.

وفى ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة وأربعمائة حضر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم على بن الحاكم بأمر الله، ومعه السيدات وخدم الخاصة وغيرهم وسائر

العامة والرعايا. فجلس الخليفة فى المنظرة، وكان فى ليلة شعبان أيضا اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله، وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد، كان مشهدا عظيما بعد عهد الناس بمثله. لأن الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك فانقطع عمله.

وقال ابن المأمون: ولما كانت ليلة مستهل رجب يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة عملت الأسمطة الجارى بها العادة، وجلس الخليفة الآمر بأحكام الله عليها والأجل المأمون الوزير ومن جرت عادته بين يديه، وأظهر الخليفة من المسرة والانشراح ما لم تجر به عادته، وبالغ فى شكر وزيره وإطرائه وقال: قد أعدت لدولتى بهجتها، وجددت فيها من المحاسن ما لم يكن، وقد أخذت الأيام نصيبها من ذلك، وبقيت الليالى، وقد كان بها مواسم قد زال حكمها، وكان فيها توسعة وبر ونفقات. وهى ليالى الوقود الأربع. وقد آن وقتهن فاشتهى نظرهن فامتثل الأمر وتقدم بأن يحمل إلى القاضى خمسون دينارا يصرفها فى ثمن الشمع، وأن يعتمد الركوب فى الأربع الليالى، وهى ليلة مستهل، رجب وليلة نصفه، وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وأن يتقدم إلى جميع الشهود بأن يركبوا صحبته وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة فى الزيت برسم الوقود. ويتقدم إلى متولى بيت المال بأن يهتم برسم هذه الليالى من أصناف الحلاوات مما يحب برسم القصور ودار الوزارة خاصة.

وقال: فى سنة سبع عشرة وخمسمائة، وفى الليلة التى صبيحتها مستهل رجب حضر القاضى أبو الحجاب يوسف بن أيوب المغربى، ووقع له بما استجد إطلاقه فى العام الماضى، وهو خمسون دينارا من بيت المال لابتياع الشمع برسم أول ليلة من رجب، واستدعى ما هو برسم التعبيتين. إحداهما للمقصورة، والأخرى للدار المأمونية بحكم الصيام من مستهل رجب إلى سلخ رمضان ما يصنع فى دار الفطرة خشكنانج صغير وبسندود فى كل يوم قنطار سكر ومثقالان مسكا وديناران مؤنة، وكان يطلق فى أربع ليالى الوقود برسم الجوامع الستة. الأزهر والأقمر والأنور بالقاهرة والطولونى والعتيق بمصر، وجامع القرافة والمشاهد التى تضمنت الأعضاء الشريفة وبعض المساجد التى لأربابها وجاهة جملة كبيرة من الزيت الطيب، ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر، والجامع بالمقس يسير. قال: ولقد حدثنى القاضى المكين بن حيدرة، وهو من أعيان الشهود

أن من جملة الخدم التى كانت بيده مشارفة الجامع العتيق، وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة إلى أن يكملوا ثمانية عشر ألف فتيلة، وأن المطلق برسمه خاصة فى كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف قنطار زيت طيب، وذكر ركوب القاضى والشهود فى الليلة المذكورة على جارى العادة. قال: وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثانى الشهر بموكبه إلى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من المشاهد، ثم إلى جامع القرافة وبعده إلى الجامع العتيق بمصر، وقد عم معروفه جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة، وعند انقضاء الصلاة أحضر إليه الشريف الخطيب المصحف الذى بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فوقع بإطلاق ألف دينار من ماله، وأن يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب، وكتب عليه اسمه وفى الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال فى ركوب القاضى وشهوده على الترتيب الذى تقدم فى أول الشهر، ولما وصل إلى الجامع وجده قد عبى فى الرواق الذى عن يمين الخارج منه سماط كعك وخشكنانج وحلوى فجلس عليه بشهوده، ونهبه الفقراء والمساكين، وتوجه بعده إلى ما سواه من جامع القرافة وغيره فوجد فى رواق الجامع المذكور سماطا مثل السماط المذكور، فاعتمد فيه على ما ذكره، وله أيضا رسم صدقة فى هذا النصف للفقراء، وأهل الربط مما يفرقه القاضى عشرة دنانير يفرقها القاضى.

وقال ابن الطوير: إذا مضى النصف من جمادى الآخرة، وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يوما أمر أن يسبك فى خزائن دار أفتكين ستون شمعة. وزن كل شمعة منها سدس قنطار بالمصرى، وحملت إلى دار قاضى القضاة لركوب ليلة مستهل رجب فإذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتم الشهود أيضا. فمنهم من يركب بثلاث شمعات إلى اثنتين إلى واحدة ويمضى أهل مصر منهم إلى القاهرة فيصلون المغرب فى الجوامع والمساجد، ثم ينتظرون ركوب القاضى. فيركب من داره بهيئته وأمامه الشمع المحمول إليه موقودا مع المندوبين لذلك. من الفراشين من الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة، وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدر محفوظ، ويندب فى حجبته ثلاثة من نواب الباب، وعشرة من الحجاب، خارجا عن حجاب الحكم

المستقرين، وعدتهم خمسة فى زى الأمراء وفى ركابه القراء يطربون بالقراءة، والشهود وراءه على الترتيب فى جلوسهم بمجلس الحكم. الأقدم فالأقدم، وحوالى كل واحد ما له من شمع فيشقون من أول شارع فيه دار القاضى إلى بين القصرين وقد اجتمع من العالم فى وقت جوازهم ما لا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبيانا. بحيث لا يعرف الرئيس من المرءوس وهو مار، إلى أن يأتى هو والشهود باب الزمرذ من أبواب القصر فى الرحبة الوسيعة تحت المنظرة العالية فى السعة العظيمة من الرحبة المذكورة، وهى التى تقابل درب قراصيا. فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء كما شرحنا فى المواليد الستة، ويترجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع ويبين شخصه، ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة، ويخطبون كالمواليد ويذكرون استهلال رجب، وأن هذا الركوب علامته. ثم يسلم الأستاذ من الطاقة الأخرى استفتاحا وانصرافا كما ذكرنا، ثم يركب الناس إلى دار الوزارة فيدخل القاضى والشهود إلى الوزير فيجلس لهم فى مجلسه، ويسلمون عليه، ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة، ويدعون له ويخرجون عنه فيشق القاضى والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها، ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام، ووالى القاهرة فى خدمته اليوم مستكثرا من الأعوان والحفظة فى الطرقات إلى جامع ابن طولون. فيدخل القاضى إليه للصلاة. فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التى فى طريقه أيضا فإذا وصل إلى باب مصر ترتب كما ترتب فى القاهرة وسار شاقا الشارع الأعظم إلى باب الجامع من الزيادة التى يحكم فيها. فيوقد له التنور الفضة الذى كان معلقا فيه - وكان مليحا فى شكله - وتعليقه غير منافر فى الطول والعرض واسع التدوير. فيه عشر مناطق فى كل منطقة مائة وعشرون بزاقة، وفيه سروات بارزة مثل النخيل فى كل واحدة عدة بزاقات، تقرب عدة ذلك من ثلاثمائة، ومعلق بدائر سفله مائة قنديل نجومية، ويخرج له الحاكم فإن كان ساكنا بمصر استقر بها، وإن كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودعه وإلى مصر ويسير معه والى القاهرة إلى داره. فإذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ركب ليلة الخامس عشر كذلك، وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر إلى القرافة ليصلى فى

جامعها، والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه فى كل مكان، ولا يملون من ذلك. فإذا انقضت هذه الليلة استدعى منه الشمع ليكمل بعضه حتى يركب به فى أول شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة، والأسواق معمورة بالحلواء، ويتفرغ الناس لذلك هذه الأربع الليالى.

«منظرة اللؤلؤة»

وكان للخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بقصر اللؤلؤة وبمنظرة اللؤلؤة على الخليج. بالقرب من باب القنطرة، وكان قصرا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة، وهو أحد منتزهات الدنيا المذكورة. فإنه كان يشرف من شرقيه على البستان الكافورى، ويطل من غربيه على الخليج، وكان غربى الخليج إذ ذاك ليس فيه من المبانى شىء، وإنما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف ببطن البقرة. فيرى الجالس فى قصر اللؤلؤة جميع أرض الطبالة وسائر أرض اللوق وما هو من قبلها و، يرى بحرالنيل من وراء البساتين.

قال ابن ميسر: هذه المنظرة بناها العزيز بالله، ولما ولى برجوان وزارة الحاكم بأمر الله بعد أمين الدولة ابن عمار الكتامى سكن بمنظرة اللؤلؤة فى جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة إلى أن قتل، وفى السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة ونهبها، فهدمت ونهبت وبيع ما فيها.

وقال المسبحى: وفى سادس عشرى ربيع الآخر. يعنى سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللؤلؤة على الخليج موازاة المقس، وأمر بنهب أنقاضه فنهبت كلها، ثم قبض على من وجد عنده شىء من نهب أنقاض اللؤلؤة واعتقلوا.

وقال ابن المأمون: ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحكم الأول يعنى قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الأفضل أمر بإزالة ما لم تكن العادة جارية به من مضايقها بالبناء، ولما بدت زيادة النيل وعول الخليفة الآمر بأحكام الله

على السكن باللؤلؤة أمر الوزير المأمون بأخذ جماعة الفراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بها على سبيل الحراسة . لا على سبيل السكن بها، وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر بإخراج الخيم ، وعندما قارب النيل الوفاء تحول الخليفة فى الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته إلى اللؤلؤة ، وتحول المأمون إلى دار الذهب ، وأسكن الشيخ أبا الحسن محمد بن أبى أسامة الغزالة على شاطىء الخليج ، وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج ، وأمر متولى المعونة أن يكشف الأدر المطلة على الخليج قبلى اللؤلؤة ولا يمكن أحدا من السكن فى شىء منها إلا من كان له ملك ، ومن كان ساكنا بالأجرة ينقل ، ويقام بالأجرة لرب الملك ليسكن بها حواشى الخليفة مدة سنة ، وقرر من التوسعة فى النفقات وما يكون برسم المستخدمين فى المبيتات ما يخص برواتب القصور مدة المقام فى اللؤلؤة فى أيام النيل مياومة من الغنم والحيوان وجميع الأصناف ، وهى جملة كبيرة وأمر متولى الباب أن يندب فى كل يوم خروف شواء وقنطار خبز ، وكذلك جميع الدروب من يحرسها ، ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك ، وتكون نوبة دائرة بينهم وبقية مستخدمى الركاب ملازمون لأبواب القصر على رسمهم ، وفى يومى الركوب يجتمعون للخدمة إلا من هو فى نوبته فيما رسم له ، وأمر متولى زمام المماليك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة . وفى الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم فى كل يوم مثل ما تقدم ، والرهجية تقسم قسمين . أحدهما على أبواب القصور والآخر على أبواب اللؤلؤة ، وأصحاب الضوء مثل ذلك ، وقرر للجماعة المقدم ذكرها فى الليل عن رسم المبيت ، وعن ثمن الوقود ما يخرج إليهم مختوما بأسماء كل منهم ، ويعرضهم متولى الباب فى كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده ، وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ، ولهم رسوم كما تقدم لغيرهم ، والمتفرجون يخرجون كل ليلة للنزهة عليهم ويقيمون إلى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج فى شىء من ذلك عما يوجبه الشرع ، وفى يومى السلام يمضى الخليفة من قصوره بحيث لا يراه إلا أستاذوه وخواصه إلى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقى ، ويحضر الوزير على عادته إليه . فيكون السلام بها على مستمر العادة

والأسمطة بها فى يومى الاثنين والخميس، وتكون الركوبات من اللؤلؤة فى يومى السبت والثلاثاء إلى المتنزهات.

وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة: ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر بإخراج الخيام والمضارب الديبقى والديباج، وتحول الخليفة الآمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة بحاشيته، وأطلقت التوسعة فى كل يوم لما يخص الخاص والجهات والأستاذين من جميع الأصناف وانضاف إليها ما يطلق كل ليلة عينا وورقا، وأطعمة للبياتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار، والسهر فى طول الليل من باب القنطرة بما دار إلى مسجد الليمونة من التزين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب. كل طائفة بنقيبها، والعرض من متولى الباب واقع بالعدة فى طرفى كل ليلة، ولا يمكن بعضهم بعضا من المنام، والرهجية تخدم على الدوام، وتحول الوزير المأمون إلى دار الذهب، وأطلقت التوسعة والحال فى إطلاق الاسمطة لهم فى الليل والنهار مستمر.

وقال ابن عبد الظاهر: المنظرة المعروفة باللؤلؤة على بر الخليج بناها الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم - يعنى بعدما هدمها أبوه الحاكم، وكانت معدة لنزهة الخلفاء، وكان التوصل إليها من القصر يعنى القصر الغربى من باب مراد، وأظنه فيما ذكره لى علم الدين بن مماتى الوراق أنه شاهد فى كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها، وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل، ولما حصل التوهم من النزارية والحشيشية قبل تصرفهم. لا سيما لصغر سن الخليفة وقلة حواشيه، أمر بسد باب مراد المذكور الذى يتوصل منه إلى الكافورى وإلى اللؤلؤة، وأسكن فى بعضها فراشين لحفظها. فإذا كان فى صبيحة كسر الخليج استؤذن الأفضل بن أمير الجيوش فى فتح باب مراد الذى يتوصل منه إلى اللؤلؤة وغيرها فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء، ثم يعود ويسد الباب. هذا إلى آخر أيام الأفضل، فلما راجع الوزير المأمون فى ذلك سارع إليه فأصلحت وأزيل ما كان أنشىء قبالتها على ما سيذكر فى مكانه إن شاء الله تعالى، ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله والفائز، وحملوا إلى القصر الكبير الشرقى من السراديب، ولما قدم نجم الدين أيوب بن شادى من الشام على ولده صلاح الدين

يوسف، وخرج الخليفة العاضد لدين الله إلى لقائه بصحراء الهليلج بآخر الحسينية عند مسجد تبر أنزل بمنظرة اللؤلؤة فسكنها حتى مات فى سنة سبع وستين وخمسمائة، واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عمارة اليمنى، والرضى أبو سالم يحيى الأحدب ابن أبى حصيبة الشاعر فى قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد. فأنشد ابن أبى حصيبة نجم الدين أيوب فقال:

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفا

منهـــا وما كان منها لم يكن طرفا

قد عجل الله هذى الدار تسكنها

وقـــد أعد لك الجنـــات والغرفا

تشرفت بك عمن كان يسكنها

فالبس بها العز ولتلبس بك الشرفا

كانوا بهـــا صدفا والدار لؤلؤة

وأنت لؤلؤة صـــارت لها صدفا

فقال الفقيه عمارة يرد عليه:

أثمت يا من هجا السادات والخلفا

وقلت ما قلته فى ثلبهم ســـــخفا

جعلتهم صـــدفا حلُّـــوا بلؤلؤة

والعرف مازال سكنى اللؤلؤ الصدفا

وإنما هى دار حـــــل جوهرهم

فيهـــا وشف فأسناها الذى وصفا

فقـــــال لؤلؤة عجبا ببهجتها
وكونها حوت الأشراف والشرفا
فهم بسكناهم الآيات إذ سكنوا
فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا
والجوهر الفرد نور ليس يعرفه
من البرية لا كل من عـــــــرفا
لولا تجسمهم فيــه لكان على
ضعف البصائر للإبصار مختطفا
فالكلب ياكلب اسنى منك مكرمة
لأن فيه حفـــاظا دائمـــا ووفا

فلله در عـمارة . لقد قام بحق الوفاء ، ووفى بحسن الحفاظ كما هى عادته . لا جرم أنه قتل فى واجب من يهوى كما هى سنة المحبين ، فالله يرحمه ويتجاوز عنه .

«منظرة الغزالة»

وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تعرف بالغزالة على شاطىء الخليج تقابل حمام ابن قرقة ، وقد خربت هذه المنظرة أيضا ، وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربى الذى من ناحية الخليج ، وقد خرجت أيضا حمام ابن قرقة ، وصار موضعها فندقا بجوار حمام السلطان التى هناك يعرف بفندق عماد ، وموضع منظرة الغزالة اليوم ربع يعرف بربع غزالة إلى جانب قنطرة الموسكى فى الحد الشرقى ، وكان يسكن بهذه المنظرة الأمير أبو القاسم ابن

المستنصر والد الحافظ لدين الله، ثم سكنها أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست، وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة فى الطراز أيام الخلفاء.

قال ابن المأمون: لما ذكر تحول الخليفة الآمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة وأسكن الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست الغزالة التى على شاطىء الخليج، ولم يسكن أحد فيها قبلة ممن يجرى مجراه، ولا كانت إلا سكن الأمير أبى القاسم ولد المستنصر والد الإمام الحافظ قال: وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستيمار، والشائع فيها أنها كانت تشتمل فى الأيام الأفضلية على أحد وثلاثين ألف دينار، فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار، قيمة الذهب العراقى والمصرى ستة عشر ألف دينار، ثم اشتملت فى الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار، وتضاعفت فى الأيام الآمرية.

وقال ابن الطوير: الخدمة فى الطراز، وينعت بالطراز الشريف، ولا يتولاه إلا أعيان المستخدمين من أرباب العمائم والسيوف، وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، ومقامه بدمياط وتنيس وغيرهما، وجاريه أمير الجوارى، وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى، وله عشارى دتماس مجرد معه، وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونواتية لا يبرحون، ونفقاتهم جارية من مال الديوان. فإذا وصل بالاستعمالات الخاصة التى منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمعى وغيره، هيىء بكرامة عظيمة وندب له دابة من مراكيب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود إلى خدمته، وينزل فى الغزالة على شاطىء الخليج، وكانت من المناظر السلطانية، وجددها شعاع بن شاور، ولو كان لصاحب الطراز فى القاهرة عشرة دور لا يمكن من نزوله إلا بالغزالة، وتجرى عليه الضيافة كالغرباء الواردين على الدولة. فيتمثل بين يدى الخليفة بعد حمل الاسفاط المشدودة على تلك الكساوى العظيمة، ويعرض جميع ما معه، وهو ينبه على شىء فشىء بيد فراشى الخاص فى دار الخليفة مكان سكنه، ولهذا حرمة عظيمة ولا سيما إذا وافق استعماله غرضهم. فإذا انقضى عرض ذلك بالمدرج الذى يحضره سلم لمستخدم الكسوات، وخلع عليه بين يدى الخليفة باطنا، ولا يخلع على أحد كذلك سواه، ثم ينكفىء إلى مكانه وله فى بعض الأوقات التى لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنه بذلك

غير غريب منه، ولا يمكن أن يكون إلا ولدا أو أخا فإن الرتبة عظيمة، والمطلق له من الجامكية فى الشهر سبعون دينارا، ولهذا النائب عشرون دينارا. لأنه يتولى عنه إذا وصل بنفسه، ويقوم إذا غاب فى الاستعمال مقامه، ومن أدواته أنه إذا عبى ذلك فى الأسفاط استدعى والى ذلك المكان ليشاهده عند ذلك، ويكون الناس كلهم قياما لحلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة فى مجلس دار الطراز وهو جالس فى مرتبته، والوالى واقف على رأسه خدمة لذلك، وهذا من رسوم خدمته وميزتها.

«دار الذهب»

وكان بجوار الغزالة دار الذهب، وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة، وكانت مطلة على الخليج، وفى مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الأعسر، وبقى منها عقد بجوار دار الأعسر، يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين.

قال ابن المأمون: لما ذكر تحول الخليفة الآمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة ثم أحضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان، وأمره أن يمضى إلى دارى الفلك والذهب اللتين على شاطىء الخليج. فالدار الأولى التى من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك، وذكر أنه من الأستاذين الحاكمية، ولم تكن تعرف إلا بدار الفلك، ولما بنى الأفضل ابن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التى من حيز باب سعادة، وسماها دار الذهب غلب الاسم على الدارين، ويصلح ما فسد منهما، ويضيف إليهما دار الشابورة. وذكر أن هذه الدار لم تسم بهذا الاسم إلا لأن جزءا منها بيع فى أيام الشدة فى زمن المستنصر بشابورة. قال: وعندما قارب النيل الوفاء تحول الخليفة فى الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته إلى اللؤلؤة، وتحول الأجل المأمون بالأجلاء أولاده إلى دار الذهب وما أضيف إليها.

وقال ابن عبد الظاهر : دار الذهب بناها الأفضل ابن أمير الجيوش، وكانت عادة الأفضل أن يستريح بها . إذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب، وكذلك كان المأمون من بعده وكان حرس دار الذهب يسلم للوزيرية من باب سعادة يسلم لهم، ومن باب الخوخة للمصامدة أرباب الشعور وصبيان الخاص، وكان المقرر لهم في كل يوم سماطين . أحدهما بقاعة الفلك للمماليك الخاص والحاشية وأرباب الرسوم، والآخر على باب الدار برسم المصامدة حتى أنه من اجتاز ورأى أنه يجلس معهم على السماط لا يمنع، والضعفاء والصعاليك يقعدون بعدهم، وفى أول الليل بمثل ذلك ، ولكل منم رسم لجميع من يبيت من أرباب الضوء إلى الأعلى .

«منظرة السكرة»

وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة تعرف بمنظرة السكرة فى بر الخليج الغربى . يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج، وكان لها بستان عظيم، بناها العزيز بالله ابن المعز، وقد دثرت هذه المنظرة، ويشبه أن يكون موضعها فى المكان الذى يقال له اليوم المريس قريبا من قنطرة السد، وكانت السكرة من جنات الدنيا المزخرفة، وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الأستاذين .

ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج

قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله : وفى ذى القعدة يعنى من سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وهى السنة التى قدم فيها الخليفة المعز لدين الله إلى القاهرة من بلاد المغرب ركب المعز لدين الله عليه السلام لكسر خليج القنطرة، فكسر بين يديه ثم سار على شاطىء النيل حتى بلغ إلى بنى وائل، ومر على سطح الجرف فى موكب عظيم وخلفه وجوه أهل الدولة، ومعه أبو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ويعرفه بالمواضع التى يجتاز

عليها، ونجعت له الرعية بالدعاء، ثم عطف على بركة الحبش، ثم على الصحراء على الخندق الذى حفره القائد جوهر، ومر على قبر كافور وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طبا طبا الحسنى، وعرفه به ثم عاد إلى قصره.

وذكر الأمير المسبحى فى تاريخه الكبير ركوب العزيز بالله بن المعز وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز، وركوب الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم فى كل سنة لفتح الخليج.

وقال ابن المأمون فى سنة ست عشرة وخمسمائة: وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر بإخراج الخيم، وأن يضرب الثوب الكبير الأفضلى المعروف بالقاتول، وهو أعظم ما فى الحاصل بأربعة دهاليز وأربع قاعات خارجا عن القاعة الكبيرة، ومساحته على ما ذكر ألف ألف ذراع وأربعمائة ذراع بالذراع الكبير خارجا عن سرادقه، وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعا، ولما كمل استعماله فى أيام الأفضل ونصب تأذى منه جماعة، ومات رجلان فسمى بالقاتول لأجل ذلك، ومازال لا يضرب إلا بحضور المهندسين، وتنصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة، والمستخدمون يكرهون ضربه، ويرغبون فى ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وإن كانا عظيمين إلا أنهما لا يصلان بجملتهما إلى مقايسته ولا مئونته ولا صنعته، وأقام هذا الثوب فى الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناع عليه، وما يضرب منه سوى القاعة الكبيرة لا غير وأربعة الدهاليز وبعض السرادق الذى هو سور عليه لضيق المكان الذى يضرب فيه، وكونه لا يسعه بجملته. قال: ووصلت كسوة موسم فتح الخليج، وهى ما يختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير.

فأما ما يختص بالخليفة خاصة فبدلة شرحها بدنة طميم. منديل سلفه مائة وعشرون دينارا وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهبا عراقيا دمجا لوحا واحدا، والثانى ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون دينارا. ثوب طميم سلفه خمسون دينارا، والذهب الذى فى الثوب والمنديل والحنك ألف دينار وخمسة دنانير. فتكون جملتها بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين دينارا شاشية طميم. للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا، فتكون جملة سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير. منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة قيمته،

كذلك وسط برسم المنديل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر دينارا. غلالة ديبقى حريرى السلف عشرة دنانير. منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير ومائتا قصبة وأربع قصبات ذهبا عراقيا. قيمة ذلك خمسة وعشرون دينارا. منديل كم ثان حريرى خمسة دنانير. حجره أربعة دنانير عرضى لفافة خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالا ذهبا مصريا، فيكون سلفه وذهبه خمسة وعشرين دينارا. عرضى ثان برسم تغطية التخت دينار واحد ونصف، تخت ثان ضمنه بدلة خاص حريرى برسم العود من السكرة. شرحها منديل حريرى سلفه ستون دينارا، وسط شرب رسمه اثنا عشر دينارا، شقة ديبقى وكم عشرون دينارا، شقة وسطانى اثنا عشر دينارا. غلالة خمسة عشر دينارا. غلالة عشرة دنانير. منديل سلام ديناران. منديل كم خمسة دنانير منديل كم ثان أيضا خمسة دنانير. شاشية حريرى ديناران. حجره أربعة دنانير. عرضى لفافة خمسة دنانير. عرضى ثان برسم لفافة التخت دينار واحد ونصف.

قال: ورأيت شاهدا أن قيمة كل حلة من هذه الحلل وسلفها إذا كانت حريرى ثلاثمائة وستة دنانير، وإذا كانت مذهبة ألف دينار، واختصر ما باسم أبى الفضل جعفر أخى الخليفة وأربع جهات.

وأما ما يختص بالوزير فبدلة مذهبة شرحها. منديل سلفه سبعون دينارا وخمسمائة وسبعون قصبة عراقى جملة سلفه وذهبه مائة وأربعة عشر دينارا. شقة ديبقى وكم السلف ستة عشر دينارا وثمانية وعشرون مثقالا ذهبا عاليا. تكون جملة ذلك خمسين دينارا. نصف شقة ديبقى وسطانى اثنا عشر دينارا ونصف. شقة وسطانى برسم العود ثلاثة دنانير. غلالة ديبقى سبعة دنانير ونصف. شقة برسم الغلالة ديناران ونصف. منديل كم سبعة دنانير واثنا عشر مثقالا ذهبا تكون قيمته تسعة عشر دينارا. حجره ثلاثة دنانير. عرضى أربعة دنانير وأحد عشر مثقالا ذهبا تكون قيمته تسعة عشر دينارا، حجره ثلاثة دنانير عرضى أربعة دنانير وأحد عشر مثقالا تكون سلفه وذهبه سبعة عشر دينارا، ثم ذكر بعد ذلك ما يكون لجهة الوزير وما يكون برسم صبيان الحمام وما يفصل برسم المماليك الخاص. صبيان الرايات والرماح. خمسمائة شقة سقلاطون دارى، تكون قيمتها

سبعمائة وخمسين قباء، يحمل منها برسم غلمان الوزير مائة قباء، ويفرق جميع ذلك. قال ولم يكن لأحد من الأصحاب والحواشى وغيرهم فى هذا الموسم شىء فيذكر بل لهم من الهبات العين والرسوم الخارجة عن ذلك ما يأتى ذكره فى موضعه، وفى صبيحة هذا الموسم خلع على ابن أبى الرداد، وعلى رؤساء المراكب وغيرهم، وحمل إلى المقياس برسم المبيت وركوب الخليفة بتجمله ومواكبه إلى السكرة ما فصله وبينه مما يطول ذكره.

وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة: ولما جرى النيل، وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر بإخراج الخيام والمضارب الديبقى والديباج، وتحول الخليفة إلى اللؤلؤة بحاشيته، وتحول المأمون إلى دار الذهب، ووصلت كسوة الموسم المذكور من الطراز، وإن كانت يسيرة العدة فهى كثيرة القيمة، ولم تكن للعموم من الحاشية والمستخدمين. بل للخليفة خاصة وإخوته وأربع من خواص جهاته والوزير وأولاده وابن أبى الرداد، فلما وفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير إلى الصناعة بمصر، ورميت العشاريات بين أيديهما، ثم عديا فى إحداها إلى المقياس وصليا ونزل ونزل الثقة صدقة ابن أبى الرداد منزلته، وخلق العامود وعاد الخليفة على فوره، وركب البحر فى العشارى الفضى والوزير صحبته والرهجية تخدم برا وبحرا والعساكر طول البر قبالته إلى أن وصل إلى المقس ورتب الموكب، وقدم العشارى بالخليفة الآمر بأحكام الله والوزير المأمون وسار الموكب والرهجية تخدم والصدقات والرسوم تفرق، ودخل من باب القنطرة، وقصد باب العيد، واعتمد ما جرت به العادة من تقديم الوزير وترجله فى ركابه إلى أن دخل من باب العيد إلى قصره، وتقدم بالخلع على ابن أبى الرداد بدلة مذهبة وثوب ديبقى حريرى وطيلسان مقور وبياض مذهب وشقة سقلاطون وشقة تحتانى وشقة خز وشقة ديبقى وأربعة أكياس دراهم، ونشرت قدامه الاعلام الخاص الديبقى المحاومة بالألوان المختلفة التى لا ترى إلا قدامه. لأنها من جملة تجمل الخليفة، وأطلق له برسم المبيت من البخور والشموع والاأنام والحلاوات كثير.

قال: وهيئت المقصورة فى منظرة السكرة برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه، وقد وقعت المبالغة فى تعليقها وفرشها وتعبيتها، وقدم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها. المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين المشدود والمظفور عليها المكلل باللؤلؤة والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة. جميعها عنبر معجون كخلقة الفيل ونابا ه فضة وعيناه جوهرتان كبيرتان، فى كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده، وعليه سرير منجور من عود بمتكآت فضة وذهب، وعليه عدة من الرجال ركبان، وعليهم اللبوس تشبه الزرديات، وعلى رؤوسهم الخود وبأيديهم السيوف المجردة والدرق، وجميع ذلك فضة، ثم صور السباع منجورة من عود وعيناه ياقوتتان حمراوان، وهو على فريسته، وبقية الوحوش وأصناف تشد من المرسين المكلل باللؤلؤ شبه الفاكهة.

قال: ومن جملة ما وقع الاهتمام به فى هذا الموسم ما صار يستعمل فى الطراز، وإن لم يتقدم نظيره للولائم التى تتخذ برسم تغطية الصوانى عدة من عراضى ديبقى، ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى، مفتح كل قوارة منهن دون أربعة أشبار سلف كل واحدة منهن خمسة عشر دينارا، ورقم فى كل منهن سجف ذهب عراقى ثمنه من أربعين إلى ثلاثين دينارا، تكون الواحدة بخمسين دينارا، ويستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوارات الإسكندرانى التى تشد على الموائد التى تحمل من عند كل جهة قوارات ديبقى مقصور من كل لون محاومة بالرقم الحريرى، مفتح كل قوارة أربعة أذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينارا، ولقد بيعت عدة من القوارات الشرب فسارع التجار العراقيون إلى شرائها، ونهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر دينارا وسافروا بها إلى البلاد فلم يبع لهم منها سوى اثنتين، وعادوا بالبقية إلى الديار المصرية فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وحفظوا منهن شيئاً عن السوق، فلم يحفظ لهم رأس ما لهن. قال: وكان ما تقدم من الزبادى فى الطيافير من الصينى إلى آخر أيام الأفضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون، وإنما استجدت الأوانى الذهب فى أواخر الأيام الآمرية، والذى يعبى بين يدى الخليفة قوائمية ضمنها عدة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الأطباق الحارة،

وليس فى المواسم مائدة بغير سماط للأمراء، ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم وإن كان يجرى مجرى الأعياد، وله البخور مطلق مثلها، وينفرد بالجلوس معه الجلساء المميزون والمستخدمو، وعند كمال تعبيتها وبخورها جلس الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه، ومن شرف بحضوره، وفى آخرها فرق منها ما جرت به العادة على سبيل البركة.

وقال فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة: ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج، وهى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان. إحداهما منديلها وثوبها طميم برسم المضى، والأخرى جميعها حريرى برسم العود، وكذلك ما يخص إخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة، وبرسم الوزير بدلة موكبة مذهبة فى تخت، وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة، وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت. وهؤلاء المميزون لكل منهم تخت، وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبى الرداد فى تخوت. كل تخت فيه عدة بدلات، وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفرق وما يفصل برسم الخلع، وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل، وهو ما يفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء، خمسمائة وشقتان سقلاطون دارى، وبرسم رؤساء العشارى من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الأحمر، وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الإسكندرانى والكلوتات، فوقع بإنفاق جميع ذلك وتفصيل ما يجب منه، ثم ابتيع ذلك بمطالعة ثانية برسم ماهو مستمر العموم من النقد العين والورق للموسم المذكور، وهو من العين أربعة آلاف وخمسمائة دينار، ومن الورق خمسة عشر ألف درهم، فوقع بإطلاق ذلك، وذكر تفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها، وحضر متولى المائدة الآمرية بمطالعة يستدعى ما جرت به العادة فى هذا الموسم من الحيوان والضأن والبقر، وغير ذلك من الأصناف برسم التفرقة والأسمطة، وحضر متولى دار التعبية يستدعى ما يبتاع به الثمرة والزهرة، وهيئة المتعينين لتعبية السكرة لأجل حلول الركاب بها ومقامه فيها، وتعبية جميع مقاصيرها التى برسم الأستاذين والأصحاب والحواشى، وهو مائة دينار. فوقع بإطلاقها. وفى العاشر من الشهر المذكور يعنى شهر

رجب. وفى النيل ستة عشر ذراعا، فتوجه المأمون إلى صناعة العمائر بمصر، ورميت العشاريات بين يديه، وقد جددت وزينت جميعها بالستور الديبقى الملونة والكوامخ والأهلة الذهب والفضة، وشمل الإنعام أرباب الرسوم على عادتهم وعدى فى إحدى العشاريات إلى المقياس، وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب وفرقت رسوم الإطلاق، وانكفأ إلى دار الذهب، وأمر بإطلاق ما يخص المبيت فى المقياس بجميع الشهود والمتصدرين، وهى العشرات، من الخبز عشرة قناطير، وعشرة خراف شوى، وعشر جامات حلوى، وعشر شمعات، وأول من يحضر المبيت الشريف الخطيب سيد المقربين وامام المتصدرين وله وللجماعة من الدراهم التى تفرق أوفى نصيب. قال: وخرج الخليفة بزى الخلافة ووقارها وناموسها بالثياب الطميم التى تذهل الابصار، والمنديل بالشدة العربية التى ينفرد بلباسها فى الأعياد والمواسم. خاصة لأعلى الدوام، وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بغالى الياقوت والزمرذ والجوهر، وعند لباسها تخفق لها الأعلام، ويتجنب الكلام ويهاب، ولا يكون سلام قريب منه وخليل غير الوزير إلا بتقبيل الأرض من بعيد من غير دنو، ثم بين يديه من مقدمى خزائنه من يحمل سيفه ورمحه المرصعين بأفخر ما يكون. ثم المذاب التى كل منها عمودها ذهب، وينفرد بحملها الصقالبة، ويمشى بين الصفين المرتبين راجلا على بسط حرير فرشت له، وكل من الصفين يتناهى فى مواصلة تقبيل الأرض إلى أن وصل إلى مجلس خلافته، وصعد على الكرسى المغشى بالديباج المنصوب برسم ركوبه، وقد صفت الرواض وأزمة الاصطبلات خيل المظلة بعد أن أزالت الأغشية الحرير والشقق الديبقى المذهبة عن السروج، وبقيت كما وصفها الله تعالى فى كتابه. فقدم إليه ما وقع اختياره عليه، وأمر بأن يجنب البقية فى الموكب بين يديه. ولما علا ما قدم إليه استفتح مقرئو الحضرة، وتسلم جميع مقدمى الركاب ركابه، والرواض الشكيمة، وزال حكم الأستاذين المستخدمين فى الركاب، وعادت الموالى والأقارب إلى محالهم، واستدعى بالوزير بجميع نعوته. فواصل تقبيل الأرض إلى أن قبل ركابه، وشرفه بتقبيل يديه بحكم خلوها من قضيب الملك فى هذه المواسم، ولما أدى ما يجب من فرض السلام أخذ السيف من الأمير افتخار الدولة أحد الأمراء الأستاذين

المميزين المحنكين متولى خزانة الكسوة الخاص، وسلمه بعد أن قبله لأخيه الذى يتولى حمله فى الموكب بعد أن أرخيت عذبته تشريفا له مدة حمله خاصة وترفع بعد ذلك، وشد وسطه بالمنطقة الذهب تأدبا وتعظيما لما معه، وسلم الرمح والدرقة لمن يتولى حملهما بلواء الموكب، ولم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا منطقة، واستدعي ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب، وخرج الخليفة من القاعة المذكورة إلى أول دهليز فتقلته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدمين أرباب الميمنة والميسرة، وصبيان وراء صبيان الرسائل، وصبيان السلام. كل منهم فى الخدمة المعينة لا يخرج عنها لسواها، وجميعهم بالمناديل الشروب المعلمة، وبأوساطهم العراض الديبقى المقصورة، وليس الجميع عبيدا بشراء ولا سودان. بل مولدة، وأولاد أعيان وأهل فهم ولسان، ثم احتاط بركابه بعدهم من هو على غير زيهم. بل بالقنابيز المفرجة والمناديل السوسى، وهم المتولون لحمل السلاح الخاص الذى لا يكون إلا فى موكبه خاصة على الاستمرار من الصوارى والفرنجيات والدبابيس واللتوت والصماصم بالدرق الصينى واليمنى بالكوامخ الفضة والذهب، ويحصل الاستدعاء من صبيان السلام فى مسافة الدهاليز لكل من هو مستخدم فى الموكب ركوبه من محل حجبته إلى أن خرج الخليفة من باب الذهب، وقد ضربت الغربية وأبواق السلام، واجتمع الرهج من كل مكان، ونشرت المظلة فاجتمع إليها الزويلية بالعدد الغريبة وظلل بها، وسارت بسيره، والقرآن الكريم عن يمينه ويساره، والحجرية الصبيان المنشدون، واجتمع الموكب بجملته على ما ذكر أولا والترتيب أمامه لمتولى الباب وحجابه، وتلوه لمتولى الستر، وكل منهم على حكم المدارج التى وصلت إليه. لا سبيل إلى الخروج عما رسم فيها، وسار بجملة موكبه على ترتيب أوضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عساكره. فارسها وراجلها. كل طائفة يقدمها زمامها، وقد ازدحموا فى المصفات بعدد المذهبة الحربية والآلات الماتعة المضيئة، وليس بينهم طريق لسالك، وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها. حوانيتها وآدرها وجميع مساكنها وأبواب حاراتها بأنواع من الستور والديباج والديبقى على اختلاف أجناسها، ثم بأصناف السلاح، وملأت النظارة الفجاج والبطاح والوهاد والربا، والصدقات والرسوم تعم أهل الجانبين من أرباب

الجوامع والمساجد وبوابى الأبواب والسقائين والفقراء والمساكين فى طول الطريق. إلى أن أظل على الخيام المنصوبة فوقف بموكبه، واستدعى الوزير بعده من مقدمى ركابه. فاجتاز راكبا بمفرده وجميع حاشيته بسلاحهم رجالة فى ركابه بعد أن بالغ فى الإيماء بتقبيل الأرض أمامه فرد عليه بكمه السلام، وعاد الخليفة فى سيره بالموكب بعد أن حصل الوزير أمامه. وترجل جميع من شرف بحجبته فى ركابه، وآخرهم متولى حمل سيفه ورمحه، وصبيان السلام يستدعون كل منهم إلى تقبيل الأرض بجميع نعوته إكبارا له وتمييزا واحتاطوا بركابه، ووصل إلى المضارب فى الحرس الشديد على أبوابها وسرادقاتها من كل جانب، وقد تبين وجاهة من حصل بها، ومكن من الدخول إليها، وترجل الوزير فى الدهليز الثالث من دهاليزها، وتقدم إلى الخليفة وأخذ شكيمة الفرس من يد الرواض، وشق به الخيام التى جمعت جميع الصور الآدمية والوحشية، وقد فرشت جميعها بالبسط الجهرمية والأندلسية. إلى أن وصل إلى القاعة الكبرى فيها، وترجل على سرير خلافته، وجلس فى محل عظمته، وأجلس وزيره على الكرسى الذى أعد له، واحتاط به المستخدمون حملة السلاح المنتصب جميعه وحجبوا العيون عن النظر إليه، وصف بين يديه الأمراء والضيوف والمشرفون بحجبته، وختم المقرئون القرآن العظيم وقدم عدى الملك النائب شعراء المجلس على طبقاتهم، وعند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون والرواض مقدمة ما أمروا به من الدواب، فعلاه الخليفة والوزير يمسك الشكيمة بيده، وانتظم موكبا عظيما والقراء عوض الرهجية والجماعة فى ركابه رجالة على حكم ما كانوا عليه أولا، وصعد من القاعة التى فى دهاليز الباب القبلى منها فخرج منه، وانفصلت خدمة جميع الأمراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الأرض، وصعد الخليفة ووزيره وأولاده وإخوته والأصحاب والحواشى إلى السكرة وهى من جنات الدنيا المزخرفة، وتلقاه أخوه بعظمة سلامه وتقبيل الأرض بين يديه وجلس لوقته، وفتحت الطاقات التى فى المنظرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان، واعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الأرض له وإدامة النظر نحوه، والمستخدمون جميعهم على السد مشدودى الأوساط واقفين عليه. فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبلوا الأرض جميعا وانصرفوا عنه وتولته

الفعلة فى البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين والقرآن والتكبير من الجانب الغربى . حيث الخليفة والرهج واللعب من الجانب الشرقى ، ولما كمل فتحه انحدرت العشاريات عن آخرها . اللطيف منها يقدم الكبير ، والجميع مزينة بالذهب والفضة والستور المرقومة ورؤساؤهم وخدامهم بالكسوات الجميلة ، وبعد ذلك غلقت الطاقات وحل الخليفة بالمقصورة التى لراحته ، وكذلك الوزير وأولاده واخوته وجميع الأمراء الأستاذين والأصحاب والحواشى ، واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقى ، وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهبان وثوبان عتابى وسقلاطون ، وقبل الأرض من تحت المنظرة وعدى فى البحر إلى حفظ مكانه ، ثم استدعى بعده حامى البساتين ومشارفها فخلع عليهما بدلتين حريرى وثوبين سقلاطون وعتابى ، ثم متولى ديوان العمائر كذلك ، ثم مقدمى الرؤساء كذلك ، واعتمد كل من سلم إليه الإثباتات المشتملة على أصناف الإنعام من العين والورق وصوانى الفطرة والموائد التى يهتم بها جميع الجهات ، والخراف المشوية والجامات الحلواء تفرقة ذلك على ما رسم ، وهو شامل غير مخصص من أخى الخليفة والوزير إلى الأصحاب والحواشى من أرباب السيوف والأقلام ، ثم الأمراء المستخدمين والضيوف المميزين من الأجناد وغيرهم من الادوان ممن يتعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة وأرباب اللعب وغيرهم ، وعبيت الأسمطة فى المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربى من الخيام ، وأمر الوزير أخاه بالمضى إليها والجلوس عليها ، فتوجه وبين يديه متولى حجبة الباب ونوابه والمعروفية والحجاب ، واستدعت الأمراء والضيوف بالسقاة من خيامهم ، وأجلس كل منهم على السماط فى موضعه على عادتهم ، وتلاهم العساكر على طبقاتهم ولم يمنع حضورهم ما يسير لكل منهم من جميع ما ذكر على حكم ميزته ، ولما انقضى حكم الأسمطة المختصة بالأمراء الكبار عاد أخو الوزير إلى حيث مقر الخلافة ، وبقى متولى الباب جالسا لأسمطة العبيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان ، وعبيت المائدة الخاص بالسكرة التى ما يحضرها إلا العوالى الخاص المستخدمون فى الخدم الكبار ، ويجمع له حالتان حضوره فى أشرف مقام وجلوسه فى محل يحصل له به حرمة وذمام ، وجلس الخليفة عليها وأخوه على شماله ، ووزيره على يمينه بعد أن أدى كل منهما

ما يجب من سلامه وتعظيمه، وحضر أولاد الوزير واخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدست وابنه سالم، ومن الأستاذين المحنكين أرباب الخدم، وجرى الحال في المائدة الشريفة على ما هو مألوف، وفرق من جملتها لكل من أرباب الخدم الذين لم يحضروا عليها ما هو لكل منهم على سبيل الشرف، وتميز في ذلك اليوم خاصة ما يختص بالقاضي وشهوده، والداعي وابن خاله الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم في قاعة الخيمة الكبرى أمام سرير الخلافة المنصوب مدة النهار، مع ما يحمل إليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم في الإثباتات مذكور، ولماتكامل وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الأرض وانصرف بعد أن استصحب منها ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة. ويقضى بعد ذلك الفرائض الواجبة في وقتها. ولابد من راحة بعدها، وحضر مقدما الركاب وحاسبا كاتب الدفتر على ما معهما برسم تفرقة الرسوم والصدقات في مسافة الطريق. فكمل لهما على ما بقى معهما مثلما كان أولا، ولما استحق العود عاد كل من المستخدمين إلى شغله من ترتيب الموكب ومصفات العساكر، وترتيب من يشرف بالحضرة من الأمراء والضيوف، وفرقت الصواني الخاص التي تكون بين يدي الخليفة مدة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى، والغرابة من كل صنف، وقد جمعت ملاذ جميع الحواس، والعدة منها يسيرة، وليس ذلك لتقصير من همم الجهات التي تتنوع فيها بالغرائب، بل للتعب الشديد عليها ثم لضيق الزمان، لأن كلا منها لا مندوحة أن يكون فيه زهرة وثمرة، وطول المكث كذلك يتلف ما فيها، وإذا شملت مع قلتها من له الوجاهة العالية من أخي الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية واحدة، وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب، وهو بدلة حريري بشدة الوقار وعلم الجوهر، وسير إلى الوزير صحبة مقدم خزانة الكسوة الخاص على يد المستخدمين عنده من الأستاذين من جملة بدلات الجمع، التي يتوجه منها إلى زيه ما يؤمر به من يسعى إليه بدلة مكملة حريري ومنديلها بياض بالشدة الدانية غير العربية، ولما لبس ما سير إليه وحضر بين يديه لشكر نعمته. أمره بركوب أخيه في إحدى العشاريات فامتثل أمره، وتوجه صحبته من السكرة بجميع خواصه وحواشيه، وفتح لهم الباب الذي

هو منها بشاطىء الخليج، وقدم له إحدى العشاريات الموكبية، وفيها مقدم رياسة البحرية. فركب فيها بجمعه، والوزير واقف راجل على شاطىء الخليج خدمة له إلى أن انحدرت العشاريات جميعها قدامه، ومراكب اللعب بغير أحد من أرباب الرهج، والمستخدمون فى البرين يمنعون من يقاربه، والمتفرجون لا يصدهم ويردهم ما يحل بهم. بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسيرون بسيره، وعاد الوزير إلى السكرة. فلما شاهد الخليفة الدواب الخاص التى برسم ركوبه أمره بما وقع عليه اختياره منها وعلاه. فاحتاط بركابه مقدمو الركاب واستفتح القراء، وخرج من باب السكرة، ودخل من باب الخليفة القبلى وشق قاعتها على سرير مملكته وخص بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالى والقاضى والداعى ومن معهما، ولهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها دون غيرهم، وخرج منها إلى البستان المعروف بنزار، وسار فى ميدانه وجميعه من الجانبين سور معقود من شجر نارنج أصولها مفترقة وفروعها مجتمعة، وظللت الطريق وعليها من الثمرة التى أخرجها من وقته إلى هذا اليوم، وقد خرجت بهجتها عن المعتاد، وحصل عليها ثمرة سنتين إحداهما انتهت والأخرى فى الابتداء وهو بهيئته وزيه وترتيب عساكره وأمرائه، وخرج من الباب بعد أن عمّ من له رسم بإنعامه وعاد الرهج والموكب على ما كان عليه. فلما وصل إلى السد الذى على بركة الحبش كسر بين يديه. . «وقال فى كتاب الذخائر» . . إن مما أخرج من القصر فى سنة إحدى وستين وأربعمائة فى خلافة المستنصر قبة العشارى وقاربه وكسوة رحله، وهو مما استعمله الوزير أحمد بن علىّ الجرجراى فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم فضة نقرة، وأن المطلق لصناع الصاغة عن أجرة ذلك وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وسبعمائة دينار، وعمل أبو سهل التسترى لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالفضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم، ولزم ذلك أجرة الصناعة ولطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار، واستعمل كسوة برسمه بمال جليل، وأنفق على العشاريات التى برسم النزه البحرية التى عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها، وكساها وحلاها من مناطق ورؤوس منجوقات وأهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار.

وقال ابن الطوير : إذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك طالع ابن أبى الرداد بما استقر عليه أذرع القاع فى اليوم الخامس والعشرين من بؤونة ، وأرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربى . فعلم ذلك من مطالعته . وأخرجت إلى ديوان المكاتبات فنزلت فى السير المرتب بأصل القاع ، والزيادة بعد ذلك فى كل يوم تؤرخ بيومه من الشهر العربى وما وافقه من أيام الشهر القبطى . لايزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد قبل الخليفة وبعده الوزير . فإذا انتهى فى ذراع الوفاء وهو السادس عشر إلى أن يبقى منه أصبع أو أصبعان وعلم ذلك من مطالعته . أمر أن يحمل إلى المقياس فى تلك الليلة من المطابخ عشرة قناطير من الخبز السميد وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الجامات الحلواء وعشر شمعات ، ويؤمر بالمبيت فى تلك الليلة بالمقياس . فيحضر إليه قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم . فيستعملون ذلك ويقدرون الشمع عليهم من العشاء الآخرة ، وهم يتلون القرآن برفق ويطربون بمكان التطريب فيختمون الختمة الشريفة ، ويكون هذا الاجتماع فى جامع المقياس فيوفى الماء ستة عشر ذراعا فى تلك الليلة . ولوفاء النيل عندهم قدرعظيم ويبتهجون به ابتهاجا زائدا ، وذلك لأنه عمارة الديار وبه التئام الخلق على فضل الله ، فيحسن عند الخليفة موقعه ، ويهتم بأمره اهتماما عظيما أكثر من كل المواسم . فإذا أصبح الصبح من هذا اليوم وحضرت مطالعة ابن أبى الرداد إليه بالوفاء ركب إلى المقياس لتخليقه . فيستدعى الوزير على العادة فيحضر إلى القصر . فيركب الخليفة بزى أيام الركوب من غير مظلة ولا ما يجرى مجراها . بل فى هيئة عظيمة من الثياب ، والوزير تابعه فى الجمع الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة ، وسالكا الشارع إلى آخر الركن من بستان عباس المعروف اليوم بسيف الإسلام . فيعطف سالكا على جامع ابن طولون والجسر الأعظم بين الركنين إلى الساحل بمصر . إلى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقى على دار الفاضل . إلى باب الصاغة بجوارها وله ، دهليز مادّ بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانىّ بسطا وتأزيرا ، فيشقها والوزير تابعه . فيخرج منها منعطفا على الصناعة الأخرى ، وكانت برسم المكس إلى السيوفيين ، ثم على منازل العز التى هى اليوم مدرسة ، ثم إلى دار الملك فيدخل من الباب

المقابل لسلوكه. فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا إلى المكان المعد له، ويكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشارى الخاص. وهو بيت مثمن من عاج وأبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع وطوله قامة رجل تام. فيجمع بين الأجزاء الثمانية فيصير بيتا دوره أربعة وعشرون ذراعا، وعليه قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقيته ملبس بصفائح الفضة والذهب. فيتسلمه رئيس العشاريات الخاص ويركبه على العشارى المختص بالخليفة، ويجعل باكر ذلك اليوم الذى يركب فيه الخليفة على الباب الذى يخرج منه للركوب إلى المقياس. فإذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التى يخرج من بابها إلى العشارى وأسند إليه. استدعى الوزير من مكانه فيحضر إليه ويخرج بين يديه إلى أن يركب فى العشارى. فيدخل البيت. المذهب وحده ومعه من الأستاذين المحنكين من يأمره من ثلاثة إلى أربعة ثم يطلع فى العشارى. من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير ظاهرا فى رواق من باب البيت. الذى هو بعرانيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب، وهى مدهونة مذهبة، وعليها من جانبيها ستور معمولة برسمها على قدرها. فإذا اجتمع فى العشارى من جرت عادته بالاجتماع اندفع من باب القنطرة طالبا باب المقياس العالى على الدرج التى يعلوها النيل. فيدخل الوزير ومعه الأستاذون بين يدى الخليفة إلى الفسقية. فيصلى هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده. فإذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة التى فيها الزعفران والمسك فيديفها بيده بآلة، ويتناولها صاحب بيت المال فيناولها لابن أبى الرداد. فيلقى نفسه فى الفسقية وعليه غلالته وعمامته والعمود قريب من درج الفسقية. فيتعلق فيه برجليه ويده اليسرى ويخلقه بيده اليمنى، وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرءون القرآن نوبة بنوبة، ثم يخرج على فوره راكبا فى العشارى المذكور، وهو بالخيار إما أن يعود إلى دار الملك ويركب منها عائدا إلى القاهرة أو ينحدر فى العشارى إلى المقس. فيتبعه الموكب إلى القاهرة، ويكون فى البحر فى ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل وبنظر الخليفة. فإذا استقر بالقصر اهتم بركوب فتح الخليج، وفيه همة عظيمة ظاهرة للابتهاج بذلك، ثم يصير ابن أبى الرداد باكر ثانى ذلك اليوم إلى القصر بالإيوان الكبير الذى فى الشباك إلى باب الملك بجواره. فيجد خلعة معباة هناك فيؤمر

بلبسها، ويخرج من باب العيد شاقا بها بين القصرين من أوله قصدا لإشاعة ذلك، فإن ذلك من علامة وفاء النيل، ولأهل البلاد إلى ذلك تطلع، وتكون خلعة مذهبة، وكان من العدول المحنكين فيشرف فى الخلعة بالطيلسان المقور، ويندب له من التغييرات ولمن يريده خمس تغييرات مركبات بالحلى، ويحمل أمامه على أربع بغال مع أربعة من مستخدمى بيت المال أربعة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم ظاهرة فى أكفهم، وبصحبته أقاربه وبنو عمه وأصدقاؤه ويندب له الطبل والبوق ويكتنف به عدة كثيرة من المتصرفين الرجالة. فيخرج من باب العيد ويركب إحدى التغييرات وهى أميزها، وشرف أمامه بجملين من النقارات التى قدمنا ذكرها. يعنى فى ركوب أول العام من زى الموكب. فيسير شاقا القاهرة والأبواق تضرب أمامه كبارا وصغارا، والطبل وراءه مثل الأمراء، وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب القصر فيقبله ويركب، وهكذا يعمل كل من يخلع عليه من كبير وصغير من الأمراء المطوقين إلى من دونهم سيفا وقلما، ويخرج من باب زويلة طالبا مصر من الشارع الأعظم إلى مسجد عبد الله إلى دار الأنماط، جائزا على الجامع إلى شاطىء البحر. فيعدى إلى المقياس بخلعه وأكياسه، وهذه الأكياس معدة لأرباب الرسوم عليه فى خلعه ولنفسه ولبنى عمه بتقرير من أول الزمان. فإذا انقضى هذا الشأن شرع فى الركوب إلى فتح الخليج ثانى يوم، وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظيما. فيعمل فى بيت المال من التماثيل شكل الوحوش من الغزلان والسباع والفيلة والزرافات عدة وافرة. منها ما هو ملبس بالعنبر، ومنها ما هو ملبس بالصندل، ثم شكل التفاح والأترج اللطيف، والوحوش مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب إلى غير ذلك، ثم تخرج الخيمة التى يقال لها القاتول، لأن فراشا سقط من أعلى عمودها فمات. فسميت بذلك وطوله سبعون ذراعا، وأعلاه صفرية فضة تسع راوية ماء، وعليه الفلكة التى كانت فى الايوان إلى قريب الوقت. ثم يعمل فى أول العمود شقة دائرة ثم أوسع منها، ويتوالى ذلك إلى إحدى عشرة شقة. فتصير سعة الخيمة ما يزيدعلى فدانين مستديرة وتنصب فى بر الخليج الغربى على حافته مكان بستان الحلى اليوم، وكانت ثم منظرة يقال لها السكرة برسم جلوس الخليفة لفتح الخليج فى مثل هذا اليوم، وينصب

أرباب الرتب من الأمراء من بحرى تلك الخيمة الكبرى خياما كثيرة ويتمايزون فيها على قدر هممهم وضربهم إياها فى الأماكن الأقرب فالأقرب على قدر رتبهم. فإذا تم ذلك وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين فى المواضع المقدم ذكرها فى ركوب أول العام آلات الموكب على عادته، ويزاد فيه إخراج أربعين بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ويكون بوّاقوها ركبانا، وأرباب الأبواق النحاس مشاة، ومن الطبول الكبار التى مكان خشبها فضة عشرة. فإذا حضر الوزير إلى باب القصر خرج الخليفة فى هيئة عظيمة وهمة عالية، وقد تضاعفت همم الأجناد فى ذلك اليوم. فارسها وراجلها، ويخرج زى الخليفة من المظلة والسيف والرمح والالوية والدواة وغير ذلك من الأستاذين المحنكين، ويركب فى ذلك اليوم من الأقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون، وهم بالنوبة فى كل سنة. فيتقدمون إلى المنظرة فى مكان لهم صحبة أستاذين لخدمتهم وحفظهم، ويكون قد لف عمود الخيمة الكبرى المشار إليها. إما بديباج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه إلى أسفله، وينصب مسندا إليه سرير الملك، ويغشى بقرقوبى وعرانيسه ذهب ظاهرة، فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له البدنة، وهو كله ذهب وحرير مرقوم، والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب فى غير هذا اليوم، ويسير بالموكب الهائل شاقا القاهرة من الطريق التى ركب منها لتخليق المقياس. إلا أنه لا يدخل طرق مصر من الخشابين. بل خارجها من طريق الساحل. فإذا جاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشارى النحاس حبل طويل قوى موضوع آخره فى الطريق، وفيه قوم يقال لهم النحتبارية، واحد فى زىّ فارس على شكل فرس وفى يده رمح وبكتفه درقة. فينحدر على بكرة وفى رجليه آخر ممسكها وهو يتلقب فى الهواء بطنا وظهرا حتى يصل إلى الأرض، ويكون قاضى القضاة وأعيان الشهود جلوسا فى باب الجامع من هذه الجهة. فإذا وازاهم الخليفة، وكانوا قد ركبوا وقف لهم وقفة. فيسلم على القاضى ثم يدخل فيقبل الرجل التى من جانبه لا غير، ويدخل بالشهود فى الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبة المساحة فيسلم عليهم، ويرجعون إلى دوابهم فيركبون، ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان.

إحداهما ديباج أحمر والأخرى ديبقى أبيض بصفارى فضة لكل واحدة. فيتم الخليفة بهيئته إلى أن يدخل من باب الخيمة، ويكون الوزير قد تقدمه على العادة ليخدمه. فيجده راجلا على باب الخيمة. فيمشى بين يديه إلى سرير الملك فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه. ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون بعدهم، ويوضع للوزير الكرسى الجارى به عادته فيجلس عليه ورجلاه تحك الأرض، ويقف أرباب الرتب صافين من ناحية سرير الملك إلى ناحية الخيمة والقراء يقرءون القرآن ساعة زمانية فإذا ختموا قراءتهم استأذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطلق هذا اليوم. فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد واحد، ولهم منازل على مقدار أقدارهم. فالواحد يتقدم الواحد بخطوة فى الإنشاد، وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب، وتقدم شاعر يقال له ابن جبر وأنشأ قصيدة منها:

فتح الخليج فسال منه الماء

وعلت عليه الراية البيضاء

فصفت موارده لنا فكأنه

كف الإمام فعرفها الإعطاء

فانتقد الناس عليه فى قوله فسال منه الماء، وقالوا أى شيء يخرج من البحر غير الماء. فضيع ما قاله بعد هذا المطلع، وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد:

مازال هذا السد ينظر فتحه

إذن الخليفة بالنوال المرسل

حتى إذا برز الإمام بوجهه

وسطا عليه كل حامل معول

فجرى كأن قد ديف فيه عنبر

يعلوه كافور بطيب المندل

فانتقدوا عليه أيضا قوله فى البيت الثانى . وقالوا أهلك وجه الإمام بسطوات المعاول عليه وإن كان قصد فتح السد بالمعاول . لكنه ما نظمه إلا قلقا ، ثم تقدم له شاعر شاهد يقال له كافى الدولة أبو العباس أحمد ، وأنشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضى الاثير بن سنان . فإنه عملها بحضوره بديها :

لمن اجتماع الخلق فى ذا المشهد
للنيل أم لك يا بن بنت محمد؟
أم لاجتماعكما معا فى موطن
وافيتما فيه لأصـــدق موعد؟
ليس اجتماع الخـلق إلا للذى
حـاز الفضيلة منكما فى المولد
شــكروا لكل منكما لوفائه
بالسعى لكن ميلهم للأجــود
ولمن إذا اعتمد الوفاء ففعــله
بالقصد ليس له كمن لم يقصد
هذا يفى ويعــود ينقص تارة
وتسـد أنت النقص إن لم يردد
وقواه إن بلغ النهـاية قصرت
وإذا بلغت إلى النهاية تبتدى
فالآن قد ضاقت مسالك سعيه
بالســد فهو به بحال مقيد

فإذا أردت صـلاحه فافتـح له

ليرى جنابا مخصـبا وترى ندى

وأمر بفصد العرق منه فما شكا

جسم فصح الجسم إن لم يفصد

واسلم إلى أمثال يومك هكذا

فى عيش مغبوط وعز مخـلد

فأمر له على الفور بخمسين دينارا وخلع عليه وزيد فى جاريه، ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبا والوزير بين يديه حتى يطلع على المنظرة المعروفة بالسكرة وقد فرشت بالفرش المعدة لها. فيجلس فيها، ويتهيأ أيضا للوزير مكان يجلس فيه ويحيط بالسد حامى البساتين ومشارفها، لأنه من حقوق خدمتهما فتفتح إحدى طاقات المنظرة، ويطل منها الخليفة على الخليج، وطاقة تقاربها يتطلع منها أستاذ من الخواص ويشير بالفتح فيفتح بأيدى عمال البساتين بالمعاول، ويخدم بالطبل والبوق من البرين. فإذا اعتدل الماء فى الخليج دخلت العشاريات اللطاف، ويقال لها السماويات وكأنها خدم بين يدى العشارى الذهبى المقدم ذكره ثم العشاريات الخاص الكبار هى ستة، الذهبى المذكور والفضى والأحمر والأصفر واللازوردى والصقلى، وكان أنشأه نجار من رؤساء الصناعة صقلى، وزاد فيه على الإنشاء المعتاد فنسب إليه، وهذه العشاريات لا تخرج عن خاص الخليفة فى أيام النيل وتحوله إلى اللؤلؤة للفرجة، وسارت فى الخليج وعلى بيت كل منها الستور الديبقى الملونة، وبرؤوسها وفى أعناقها الاهلة وقلائد من الخرز فتسند إلى البر الذى فيه المنظرة الجالس فيها الخليفة. فإذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنظرة، ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الديبقى البيضاء وصلت المائدة من القصر فى الجانب الغربى من الخليج على رؤوس الفراشين صحبة صاحب المائدة، وعدتها مائة شدة فى الطيافير الواسعة، وعليها القوارات الحرير وفوقها الطراحات، ولها رواء عظيم ومسك فائح، فتوضع فى خيمة واسعة منصوبة لذلك، ويحمل للوزير ما هو مستقر له بعادة جارية، ومن صوانى التماثيل المذكورة ثلاث

صوان، ويخصص منها أيضا لأولاده وإخوته خارجا عن ذلك إكراما وافتقادا، ويحمل إلى قاضى القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيرا للشرع، ويحمل إلى كل أمير فى خيمته شدة طعام وصينية تماثيل، ويصل من ذلك إلى الناس شىء كثير، ولا يزالون كذلك إلى أن يؤذن بالظهر، فيصلون ويقيمون إلى العصر، فإذا أذن به صلى وركب الموكب كله لانتظار ركوب الخليفة. فيركب لابسا غير البدنة بل بهيئته، والمظلة مناسبة لثيابه التى عليه، واليتيمة والترتيب بأجمعه على حاله، ويسير فى البر الغربى من الخليج شاقا البساتين هناك حتى يدخل من باب القنطرة إلى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد و، يمر فيه للقوم أحسن الأيام ويمضى الوزير إلى داره مخدوما على العادة.

وقال فى كتاب الذخائر والتحف إن المستعمل من الفضة قبة العشارى المعروف بالمقدم وقاربه وكسوة رحله فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة فى وزارة على بن أحمد الجرجراى مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة، وإن المطلق للصناع عن أجرة الصناعة وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وتسعمائة دينار وسبعون، وكانت الفضة فى ذلك الوقت كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار، ولما تولى أبو سعيد سهل التسترى الوساطة سنة ست وثلاثين وأربعمائة استعمل لأم المستنصر عشاريا يعرف بالفضى، وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم، ولزم ذلك أجرة الصناعة، ولطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار سوى كسوة له بمال جليل، والمنفق على ستة وثلاثين عشاريا برسم النزه البحرية لآلاتها وجلاها من مناطق ورؤوس منجوقات وأهله وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار، وكانت العادة عندهم إذا حصل وفاء النيل أن يكتب إلى العمال. فمما كتب من إنشاء تاج الرياصة أبى القاسم على بن منجب بن سليمان الصيرفى.

أما بعد. فإن أحق ما وجبت به التهنئة والبشرى.. وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى.. وكان من اللطائف التى غمرت بالمنة العظمى، والنعمة الجسيمة الكبرى.. ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه.. وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان

وناطقه . . وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذى يسره الله تعالى ، وله الحمد يوم كذا . فإن هذه العطية تؤدى إلى خصب البلاد وعمارتها . . وشمول المصالح وغزارتها . . وتفضى بتضاعف المنافع والخيرات . . وتكاثر الأرزاق والأقوات . . ويتساهم الفائدة فيها جميع العباد . . وتنتهى البركة بها إلى كل دان وناء ، وكل حاضر وباد . . فأذع هذه النعمة قبلك . . وانشرها فى كل من يتدبر عملك . . وحثهم على مواصلة الشكر لهذه الألطاف الشاملة لهم ولك . . فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى . . وكتب أيضا : إن أولى ماتضاعف به الابتهاج والجذل . . وانفتح فيه الرجاء واتسع الأمل . . ما عم نفعه صامت الحيوان وناطقه . . وأحدث لكل أحد اغتباطا لزمه وآلى ألا يفارقه . . وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك . الذى تحيا به كل أرض موات . . وتكتسى بعد اقشعرارها حلة النبات . . ويكون سببا لتوافر الأقوات . . فإنه وفى المقدار الذى يحتاج إليه ، فلتذع هذه المنة فى القاصى والدانى . . لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والتهانى . . إن شاء الله تعالى . . وكتب أيضا : من لطف الله الواجب حمده اللازم شكره . . وفضله الذى لا يمل بشره ولا يسأم ذكره . . ومنه الذى استبشر به الأنام . . وتضاعف فيه الانعام . . ومثل الله الحياة به فى قوله تعالى **﴿ إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام ﴾**(*) . . أمر النيل المبارك الذى يعم النجود والتهائم . . وتنتفع به الخلائق وترتع فيما يظهره البهائم . . وقد توجه إليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فلان فأجره على رسمه فى إظهاره مجملا . . وإيصاله إلى رسمه مكملا . . وإذاعة هذه النعمة على الكافة ليتساهموا الاغتباط بها . . ويبالغوا فى الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها . . فاعلم ذلك واعمل به إن شاء الله .

(*) ١٠ ك يونس آية ٢٤ .

«منظرة الدكة»

وكان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بالدكة لها بستان عظيم بجوار المقس، فيما بينه وبين أراضى اللوق، ومازالت باقية حتى زالت الدولة، وحكر مكان البستان وصار خطة تعرف إلى اليوم بخط الدكة، فخربت المنظرة وزال أثرها قال ابن عبد الظاهر: الدكة بالمقس كانت بستانا، وكان الخليفة إذا ركب من كسر الخليج من السكرة بمظلته يسير فى البر الغربى ومضارب الناس والأمراء وخيمهم عن يمينه وشماله إلى أن يصل إلى هذا البستان المعروف بالدكة، وقد غلقت أبوابه ودهاليزه فيدخل إليه بمفرده ويسقى منه الفرس الذى تحته وهى قضية ذكر المؤرخ للسيرة المأمونية أنهم كانوا يعتمدونها إلى آخر وقت، ولم يعلم سببها، ثم يخرج ويسير إلى أن يقف على الترعة الآتى ذكرها، ويدخل من باب القنطرة، وينزل إلى القصر والدكة الآن آدروحارات شهرتها تغنى عن وصفها، فسبحان من لا يتغير.

وقال ابن الطوير عن الظاهر لإعزاز دين الله أبى هاشم على بن الحاكم بأمر الله: كان بمنظرة يقال لها الدكة بساحل المقس. يعنى أنه مات بها.

«منظرة المقس»

وكان من جملة مناظرهم أيضا منظرة بجوار جامع المقس الذى تسميه العامة اليوم جامع المقسي، وكانت هذه المنظرة بحرى الجامع المذكور، وهى مطلة على النيل الأعظم، وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس، وكانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول إلى غزو الفرنج. فتحضر رؤساء المراكب بالشوانى وهى مزينة بأنواع العدد والسلاح، ويعلون بها فى النيل حيث الآن الخليج الناصرى تجاه الجامع وما وراء الخليج من غربيه قال ابن المأمون وذكر تجهيز

العساكر فى البر عند ورود كتب صاحبى دمشق وجلب فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ما يحث على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك وركب الخليفة الآمر بأحكام الله وتوجه إلى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة فى أعلاه واستدعى مقدم الأسطول الثانى وخلع عليه وانحدرت الأساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والأسلحة واعتمد ما جرت العادة به من الانعام عليهم وعاد الخليفة إلى البستان المعروف بالبعل إلى آخر النهار وتوجه إلى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجارى بها العادة فى الركوبات .

وقال ابن الطوير فإذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير إلى ساحل المقس وكان هناك على شاطيء البحر بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداعه يعنى الاسطول ولقائه إذا عاد فإذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر إلى هناك للحركات فى البحر بين يديه وهى مزينة بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتنحدر وتقلع بالمجاذيف كما يفعل فى لقاء العدو بالبحر الملح ويحضر بين يدى الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين دينارا وتنحدر إلى دمياط وتخرج إلى البحر الملح فيكون لها ببلاد العدو صيت وهيبة ، فإذا وقع لهم مركب لا يسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح ، وما عدا ذلك فللأسطول ، واتفق مرة أن قدم على الأسطول سيف الملك الجمل فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال ، وقتل منهم نحوا من مائة وعشرين رجلا وحضر إلى القاهرة ، ففرح الخليفة وركب إلى المقس وجلس بالمنظرة للقائهم ، وأطلقوا الأسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البر ، فاستدعيت الجمال لركوبهم وشق بهم القاهرة ، مصر وهم كل اثنين على جمل ظهرا لظهر ، وعاد الخليفة إلى القصر فجلس فى إحدى مناظره لنظرهم فى جوازهم . فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم إلى المناخات ، فصح منهم ألف رجل فانضافوا إلى من فى المناخ ، وأماالنساء والصبيان فإنهم دخلوا بهم إلى القصر بعد أن حمل منهم للوزير نصيب وافر ، وأخذ الجهات والأقارب بقيتهن ، فيستخدمونهن ويعلمونهن الصنائع ، ويتولى الأستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية ، ويقال لهم الترابى ومن استريب به ، من

الأسرى ونبه عليه بقوة أوقع به والشيخ الذى لا ينتفع به يمضى فيه حكم السيف بمكان يقال له بئر المنامة فى الخراب قريب مصر، ولم يسمع على الدولة قط أنها فادت أسيرا بمال ولا بأسير مثله وهذا الحال فى كل سنة آخذة فى الزيادة لا النقص، وقدم على الأسطول مرة أمير يقال له حرب بن فور صاحب الحاجب لؤلؤ. فكسب بطشة حصل فيها خمسمائة رجل. انتهي، وقد خربت هذه المنظرة، وكان موضعها برج كبير صار يعرف فى الدولة الأيوبية بقلعة المقس مشرف على النيل. فلما جدد الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقس على ما هو عليه الآن فى سنة سبعين وسبعمائة هدم هذا البرج، وجعل مكانه جنينة شرقى الجامع، وتحدث الناس أنه وجد فيه مالا والله أعلم.

«منظرة البعل»

وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منظرة فى بستان أنيق يعرف بالبعل أنشأه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي، وموضع هذا البستان إلى اليوم يعرف بالبعل، وصارت أرضه مزرعة فى جانب الخليج الغربى بحرى أرض الطبالة فى كوم الريش مقابل قناطر الاوز، وقد خربت المنظرة، وبقى منها آثار أدركتها يعطن بها الكتان تدل على عظمها وجلالتها فى حال عمارتها، وكانت منظرة البعل من أجل منتزهاتهم، وكان لهم بهاأوقات عميمة المبرات جليلة الخيرات.

قال ابن المأمون: فأما يوم السبت والثلاثاء فيكون ركوب الوزير من داره بالرهجية ويتوجه إلى القصر فيركب الخليفة إلى ضواحى القاهرة للنزهة فى مثل الروضة والمشتهى ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخمسة وجوه والبستان الكبير، وكان لكل منظرة منهن فرش معلوم مستقر فيها من الأيام الأفضلية للصيف والشتاء، وتفرق الرسوم، ويسلم لمقدمى الركاب اليمين والشمال لكل واحد عشرون دينارا وخمسون رباعيا، ولتالى مقدم الركاب اليمين مائة كاغدة فى كل كاغدة ثلاثة دراهم، ومائة كاغدة فى كل كاغدة

درهمان، ولتالى مقدم الشمال مثل ذلك. فأما الدنانير. فلكل باب يخرج منه من البلد دينار، ولكل باب يدخل منه دينار، ولكل جامع يجتاز عليه دينار، ما خلا جامع مصر فإن رسمه خمسة دنانير، ولكل مسجد يجتاز عليه رباعي، ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة، والفقراء والمساكين من الرجال والنساء لكل من يقف كاغدة، ولكل من يركب الخليفة ديناران، ويكون مع هذا متولى صناديق الإنفاق يحجب الخليفة وبيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به. فإذا حصل فى إحدى المناظر المذكورة فرق من العين ما مبلغه سبعة وخمسون دينارا، ومن الرباعية مائة وستة وثمانون دينارا للحواشى والأستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمنجمين وغيرهم، ومن الخراف الشواء خمسون رأسا منها طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات، وطبق واحد برسم مائدة الوزير، وبقية ذلك بأسماء أربابه ورأسا بقر برسم الهرائس. فإذا جلس الخليفة على المائدة استدعى الوزير وخواصه ومن جرت العادة بجلوسه معه، ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته بحضورها حمل إليه من بين يدى الخليفة على سبيل التشريف، وعند عود الخليفة إلى القصر يحاسب متولى الدفتر مقدمى الركاب على ما أنفق عليه فى مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة، وأما تفرقة الصدقات فهم فيها على حكم الأمانة. قال وإذا وقع الركوب إلى الميادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الإنعام، ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الإنفاق أن يكون معه خريطة فى السرج ديباج تسمى خريطة الموكب فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالإنعام عليه فى حال الركوب.

«منظرة التاج»

هى من جملة المناظر التى كانت الخلفاء تنزلها للنزهة. بناها الأفضل ابن أمير الجيوش، وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف، وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار، وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضى منية الشيرج. قال ابن

عبد الظاهر : وأما التاج فكان حوله البساتين عدة، وأعظم ما كان حوله قبة الهواء وبعدها الخمس وجوه التى هى باقية .

«منظرة الخمس وجوه»

كانت أيضا من مناظرهم التى يتنزهون فيها، وهى من إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش، وكان لها فرش معد لها، وبقى منها آثار بناء جليل على بئر متسعة . كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف . البديع الزي . البهيج الهيئة، والعامة تقول : التاج والسبع وجوه إلى الآن، وموضعها إلى وقتنا هذا من أعظم متفرجات القاهرة، وينبت هناك فى أيام النيل عندما يعم تلك الأراضى البشنين فتفتن رؤيته وتبهج النفوس نضارته وزينته . فإذا نضب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكتانا يقصر الوصف عن تعداد حسنه، وأدركت حول الخمس وجوه غروسا من نخل وغيره تشبه أن تكون من بقايا البستان القديم، وقد تلاشت الآن، ثم إن السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى جدد عمارة منظرة فوق الخمس وجوه ابتدأ بناءها فى يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة .

«منظرة باب الفتوح»

وكان للخلفاء الفاطميين منظرة خارج باب الفتوح، وكان يومئذ ما خرج عن باب الفتوح براحا فيما بين الباب وبين البساتين الجيوشية، وكانت هذه المنظرة معدة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر ووداعها إذا سارت فى البر إلى البلاد الشامية . قال ابن المأمون : وفى هذا الشهرا يعنى المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وصلت رسل ظهير الدين طفدكين صاحب دمشق وآق سنقر صاحب حلب بكتب إلى الخليفة الآمر بأحكام الله،

وإلى الوزير المأمون، إلى القصر، فاستدعوا لتقبيل الأرض كما جرت العادة من إظهار التجمل، وكان مضمون الكتب بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة أن الأخبار تظافرت بقلة الفرنج بالأعمال الفلسطينية والثغور الساحلية، وأن الفرصة قد أمكنت فيهم، والله قد أذن بهلاكهم، وأنهم ينتظرون، انعام الدولة العلوية وعوايد أفضالها، ويستنصرون بقوتها ويحثون على نصرة الإسلام وقطع دابر الكفر، وتجهيز العساكر المنصورة والأساطيل المظفرة والمساعدة على التوجه نحوهم لئلا يتواصل مددهم، وتعود إلى القوة شوكتهم. فقوى العزم على النفقة فى العساكر فارسها وراجلها وتجريدها وتقدم إلى الأزمة بإحضار الرجال الأقوياء، وابتديء بالنفقة فى الفرسان بين يدى الخليفة فى قاعة الذهب، وأحضر الوزانون وصناديق المال وأفرغت الأكياس على البساط، واستمر الحال بعد ذلك فى الدار المأمونية، وتردد الرأى فيمن يتقدم فوقع الاتفاق على حسام الملك البرني، وأحضر مقدم الأساطيل الثانية، لأن الأساطيل توجهت فى الغزو وخلع عليه، وأمر بأن ينزل إلى الصناعتين بمصر والجزيرة وينفق فى أربعين شينيا، ويكمل نفقاتها وعددها، ويكون التوجه بها صحبة العسكر وأنفق فى عشرين من الأمراء للتوجه صحبته فكملت النفقة فى الفارس والراجل وفى الأمراء السائرين، وفى الأطباء والمؤذنين والقراء، وندب من الحجاب عدة، وجعل لكل منهم خدمة، فمنهم من يتولى خزانة الخيام، وسير معه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على خيمة خيم، ومنهم حاجب على خزائن السلاح وأنفق فى عدة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر، وفى كتاب العربان، وأحضر مقدمو الحراسين بالخفار، وتقدم إليها بأنه من تأخر عن العرض بعسقلان وقبض النفقة فلا واجب له ولا إقطاع، وكتبت الكتب إلى المستخدمين بالثغور الثلاثة، الإسكندرية ودمياط وعسقلان بإطلاق وابتياع ما يستدعى برسم الأسمطة على ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الأصناف والغلال ووقع الاهتمام بنجاز أمر الرسل الواصلين وكتبت الأجوبة عن كتبهم، وجهز المال والخلع المذهبات والأطواق والسيوف والمناطق الذهب والخيل بالمراكب الحلى الثقال وغير ذلك من التجملات، وخلع على الرسل وأطلق لهم التغيير، وسلمت إليهم الكتب والتذاكر، وتوجهوا صحبة العسكر،

وركب الخليفة الآمر بأحكام الله إلى باب الفتوح، ونظر بالمنظرة واستدعى حسام الملك، وخلع عليه بدلة جليلة مذهبة، وطوقه بطوق ذهب، وقلده ومنطقه بمثل ذلك، ثم قال الوزير المأمون للأمراء بحيث يسمع الخليفة: هذا الأمير مقدمكم ومقدم العساكر كلها، وما وعد به أنجزته وما قرره أمضيته. فقبلوا الأرض وخرجوا من بين يديه، وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضمنته الصناديق من المال وأعدال الكسوات وحملت قدامه، وفتحت طاقات المنظرة فلما شاهد العساكر الخليفة قبلوا الأرض فأشار إليهم بالتوجه. فساروا بأجمعهم، وركب الخليفة وتوجه إلى الجامع بالمقس، وجلس بالمنظرة واستدعى مقدم الأسطول وخلع عليه وانحدرت الأساطيل مشحونة بالرجال والعـــدة.

«منظرة الصناعة»

وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة بالصناعة فى الساحل القديم من مصر، يجلس بها الخليفة تارة حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير للمقياس حتى يخلق بين يديه عند الوفاء، وكان بهذه الصناعة ديوان العمائر، وأنشأ هذه المنظرة والصناعة التى هى فيها الوزير المأمون، ولم تزل إلى آخر الدولة ودهليزها مادّ بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانى بسطا وتأزيرا، وقد خربت هذه الصناعة والمنظرة وصار موضعهما الآن بستانا كان يعرف ببستان ابن كيسان، ويعرف فى زمننا هذا الذى نحن فيه الآن ببستان الطواشي، وهو بأول مراغة مصر تجاه غيط الجرف على يسرة من يسلك من المراغة يريد الكبارة وباب مصر. قال ابن المأمون: وكانت جميع مراكب الأساطين ما تنشأ إلا بالصناعة التى بالجزيرة. فأنكر الوزير المأمون ذلك، وأمر بأن يكون إنشاء الشوانى وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر، وأضاف إليها دار الزبيب، وأنشأ المنظرة بها، واسمه باق إلى الآن عليها، وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمة الأساطيل ورميها بالمنظرة المذكورة، وأن

يكون ما ينشأ من الجرانى والشلنديات فى الصناعة بالجزيرة. قال: ولما وفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير إلى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما، ثم عديا فى إحداها إلى المقياس، وقال ابن الطوير: الخدمة فى ديوان الجهاد، ويقال له ديوان العمائر، وكان محله بصناعة الإنشاء بمصر للأسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والأحطاب وغيرها، وكانت تزيد على خمسين عشاريا، ويليها عشرون ديماسا منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها، ولكل منها رئيس ونواتى لا يبرحون ينفق فيهم من مال هذا الديوان، وبقية العشاريات الدواميس برسم ولاة الأعمال المميزة. فهى تجر لهم، وينفق فى رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان، وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فإذا صرف عاد فيه، وخرج المتولى الجديد فى العشارى المرسى بالصناعة، ولا يخرج إلا بتوقيع بإطلاقه والإنفاق فيه وللمشارفين بالأعمال عشاريات دون هذه، وفى هذا الديوان برسم خدمة ما يجرى فى الأساطيل نائبان من قبل مقدم الأسطول، وفيه من الحواصل لعمارة المراكب شيء كثير، وإذا لم يف ارتفاعه بما يحتاج إليه استدعى له من بيت المال ما يسد خلله. قال: وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالأساطيل والأجناد ومواصلة إنشاء المراكب بمصر والإسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات إلى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم. مثل صور وعكا وعسقلان، وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدونة. منهم عشرة أعيان تصل جامكية كل منهم إلى عشرين دينارا، ثم إلى خمسة عشر، ثم إلى عشرة دنانير، ثم إلى ثمانية، ثم إلى دينارين وهى أقلها، ولهم إقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيه من النطرون، فيصل دينارهم بالمناسبة إلى نصف دينار وحواليه، ويعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الإجماع عليه لرياسة الأسطول المتوجه للغزو. فيكون معه الفانوس، وكلهم يهتدون به ويقلعون بإقلاعه ويرسون بإرسائه، ويقدم على الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء وأقواهم جنانا، ويتولى النفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير. فإذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة، وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالة، فيتقدم إلى

النقباء بإحضار الرجال، ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة. فيدخل إليها ولهم المشاهرة والجرايات المتقررة مدة أيام السفر، وهم معروفون عند عشرين نقيبا، ولا يعترض أحد أحدا إلا من رغب في ذلك من نفسه. فإذا اجتمعت العدة المغلقة للمراكب المطلوبة أعلم المقدم بذلك الوزير. فطالع الخليفة بالحال وفرز يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة. فيجلس الخليفة على هيئته في المجلس، ويجلس الوزير في مكانه ويحضر صاحبا ديوان الجيش، وهما المستوفي وهو أميرهما، ويجلس داخل عتبة المجلس، وهذه رتبة له مميزة، وكاتب الجيس الأصل، ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة، ولا يخلو المستوفي أن يكون عدلا أو من أعيان الكتاب المسلمين، وأما كاتب الجيش فيهودي في الأغلب، ويفرش أمام المجلس أنطاع تصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون بيت المال لذلك. فإذا تهيأ الإنفاق أدخل القابضون مائة مائة، ويقفون في آخر الوقوف بين يدي الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة، وتكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة، ويستدعي مستوفي الجيش من تلك الأوراق واحدا واحدا. فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه إلى الجانب الخالي فإذا تكمل عشرة رجال وزن الوزانون لهم النفقة، وكانت لكل واحد خمسة دنانير. صرف كل دينار ستة وثلاثون درهما فيتسلمها النقيب وتكتب بيده وباسمه، وتمضي النفقة كذلك إلى آخرها. فإذا تم ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدي الخليفة وانفض ذلك الجمع، فيحمل من عند الخليفة مائدة يقال لها غداء الوزير، وهي سبع مجيفات أوساط. احداها بلحم دجاج وفستق والبقية من شواء، وهي مكمورة بالأزهار. فتكون هذه عدة أيام. تارة متوالية وتارة متفرقة. فإذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب، وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير إلى ساحل المقس وذكر ابن أبي طي أن المعز لدين الله أنشأ ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على مدينة، وعمل دار صناعة بالمقس.

«دار الملك»

وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر، وهى من إنشاء الأفضل ابن أمير الجيوش. ابتدأ فى بنائها وإنشائها فى سنة إحدى وخمسمائة. فلما كملت تحول إليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحول إليها الدواوين من القصر. فصارت بها وجعل فيها الأسمطة، واتخذ بها مجلسا سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه. فلما قتل الأفضل صارت دار الملك هذه من جملة منتزهات الخلفاء، وكان بها بستان عظيم، ومازالت عظيمة إلى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب دار متجر، ثم عملت فى أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة، وموضع دار الملك ما وراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية، وبقى منها جدار يجلس تحته بياعوا الحناء.

قال ابن المأمون: ومن جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفخيم أمر السلطنة، أن المجلس الذى يجلس فيه الأفضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا. فقال القائد مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل، وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس. من كل لون اثنين وجعل فى سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار، فى كل ظرف خمسة آلاف دينار وسكب وبطاقة بوزنه وعدده وشرابة حرير كبيرة، من ذلك ستة ظروف دنانير بالسوية عن اليمين والشمال فى مجلس العطايا الذى برسم الجلوس، وعند مرتبة الأفضل الأفضل بقاعة اللؤلؤة ظرفان. أحدهما دنانير، والآخر دراهم جدد. فالذى فى اللؤلؤة برسم ما يستدعيه الأفضل إذا كان عند الحرم، وأما الذى فى مجلس العطايا فإن جميع الشعراء لم يكن لهم فى الأيام الأفضلية ولا فيما قبلها على الشعر جار، وإنما كان لهم إذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أنشد منهم ما يسهله الله على حكم الجائزة، فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف، وكذلك من يتضرع ويسأل فى طلب صدقة، أو ينعم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف. وإذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه فى البطاقة، ويكتب عليه الأفضل بخطه صح، ويعاد إلى الظرف ويختم عليه. فلما استهل رجب من سنة اثنتى عشرة وخمسمائة،

وجلس الأفضل فى مجلس العطايا على عادته، وحضر الأجل المظفر أخوه للهناء، وجلس بين يديه وشاهد الظروف، والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه، وتقدمت الشعراء على طبقاتهم أمر لكل منهم بجائزة وشاع خبر الظروف وكثر القول فيها، واستعظم أمرها وضوعف مبلغها، واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارى بها العادة فى مثل هذا الشهر لفقهاء مصر والرباطات بالقرافة وفقرائها.

وقال ابن الطوير: وقد ذكر ركوب الخليفة فى أول العام وحضور الغرة وينقطع الركوب بعد هذا اليوم الذى هو أول العام فيركبون فى آحاد الأيام إلى أن يكمل شهر، ولا يتعدى ذلك يومى السبت والثلاثاء، فإذا عزم الخليفة على الركوب فى أحد هذه الأيام أعلم بذلك، وعلامته إنفاق الأسلحة فى صبيان الركاب من خزانة السلاح خاصة دون ما سواها، وأكثر ذلك إلى مصر. ويركب الوزير صحبته من ورائه على أخصر من النظام المتقدم - يعنى فى ركوب أول العام وأقل جمع. فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولونى على المشاهد إلى درب الصفاء، ويقال له الشارع الأعظم إلى دار الأنماط إلى الجامع العتيق. فإذا وصل إلى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة بحصر معلق عليها سجادة، وفى يده المصحف المنسوب خطه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه، وهو من حاصله. فإذا وازاه وقف فى موضعه وناوله المصحف من يده فيتسلمه منه ويقبله ويتبرك به مرارا، ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلات ثلاثين دينارا، وهى رسمه متى اجتاز به، فيوصلها الشريف إلى مشارف الجامع فيكون نصيبهما منها خمسة عشر دينارا، والباقى للقومة والمؤذنين دون غيرهم، ويسير إلى أن يصل دار الملك فينزلها والوزير معه، ومنذ يخرج من باب القصر إلى أن يصل إلى دار الملك لا يمر بمسجد إلا أعطى قيمه من الخريطة دينارا، فلا يزال بدار الملك نهاره فتأتيه المائدة من القصر، وعدتها خمسون شدة على رؤوس الفراشين مع صاحب المائدة، وهو أستاذ جليل غير محنك، وكل شدة فيها طيفور فيها الأوانى الخاص، وفيها من الأطعمة الخاص من كل نوع شهى وكل صنف من المطاعم العالية، ولها رواء ورائحة المسك فائحة منها وعلى كل شدة طرحة حرير تعلو القوارة التى هى الشدة فيحمل إلى الوزير منها جزء وافر، ولمن

صحبه وللأمراء ولكافة الحاضرين فى الخدمة، ويصل منها إلى الناس بمصر من بعضهم بعضا شيء كثير، ولا يزال إلى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلي، ويتحرك إلى العود إلى القاهرة والناس فى طريقه لنظره، فيركب وزيه فى هذه الأيام أنه يلبس الثياب المذهبة البياض والملونة والمنديل من النسبة، وهو مشدود شدة مفردة عن شدات الناس، وذؤابته مرخاة من جانبه الأيسر، ويتقلد بالسيف العربى المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة. فإن ذلك فى أوقات مخصوصة، ولا يمر أيضا بمسجد فى سلوكه فى هذه الطريق بالساحل إلا ويعطى قيمه دينارا أيضا. كما جرى فى الرواح، وينعطف من باب الخرق، ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر. فيكون ذلك من المحرم إلى شهر رمضان إما أربع مرات أو خمس مرات، ومن شعر الأسعد أسعد بن مهذب بن زكريا بن أبى مليح مما فى دار الملك هذه:

حللت بدار الملك والنيل آخذ
بأطرافها والمـــوج يوسعها ضربا
فخيلته قد غار لمـــا وطئتها
عليها فأضحى عند ذلك لها حربا

«منازل العز»

بنتها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز، ولم يكن بمصر أحسن منها، وكانت مطلة على النيل لا يحجبها شيء عن نظره، ومازال الخلفاء من بعد المعز يتداولونها، وكانت معدة لنزهتهم وكان بجوارها حمام، ولها منها باب، وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقيّ الدين عمرو بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شـــادي.

«الهودج»

وكان من منتزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البديعة الزى بناء فى جزيرة الفسطاط، التى تعرف اليوم بالروضة. يقال له الهودج بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية التى غلب عليه حبها بجوار البستان المختار، وكان يتردد إليه كثيرا، وقتل وهو متوجه إليه ومازال منتزها للخفاء من بعده. قال ابن سعيد فى كتاب المحلى بالاشعار: قال القرطبى فى تاريخه تذاكر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك. والاختصار منه أن يقال إن الآمر كان قد بلى بعشق الجوارى العربيات، وصارت له عيون بالبوادى فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب وأظرفهم. شاعرة جميلة. فيقال إنه تزيا بزى بداة الأعراف وكان يجول فى الأحياء إلى أن انتهى إلى حيها، وبات هناك فى ضائفة، وتحيل حتى عاينها هنالك. فما ملك صبره ورجع إلى مقر ملكه وأرسل إلى أهلها يخطبها وتزوجها، فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة. فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج، وكان غريب الشكل على شط النيل، وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت إليه من قصر الآمر:

يا ابن مياح إليك المشتكي

مالك من بعدكم قد ملكا

كنت فى حيي مطاعا آمرا

نائلا ما شئت منكم مدركا

فأنا الآن بقصر مرصد

لا أرى إلا خبيثا ممسكا

كم انثنينا كأغصان اللوا

حيث لانخشى علينا دركا

فأجابها :

بنت عمى والتى غذيته

بالهوى حتى علا واحتبكا

بحت بالشكوى وعندى ضعفها

لو غدا ينفع منا المشتكي

مالك الأمر إليــه أشـــــــتكي

مالك وهو الذى قد ملكا

قال وللناس فى طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول، وكان من عرب طيّ فى قصر الآمر طراد بن مهلهل السنبسى فبلغته هذه القضية فقال :

ألا بلغوا الآمـر المصـطفي

مقـــــال طـراد ونعـم المقـال

قطعت الإلفـــين عن ألفة

بهـا سمر الحى بين الرجـــال

كذلك كان آباؤك الأكرمون

سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الأبيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله، وطلب فى أحياء العرب فلم يوجد، فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات، وكان بالإسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد له مروءات عظيمة، ويحتذى أفعال البرامكة، وللشعراء فيه أمداح كثيرة. مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبى الصلت وغيرهما، وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام، وهو قطعة واحدة وينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره، وكان يجد فى نفسه

برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة فى عصره. فوشى به للبدوية محبوبة الآمر. فسألت الخليفة الآمر فى حمل الجرن إليها فأرسل إلى ابن حديد بإحضار الجرن، فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار إلى الآمر أمر بعمله فى الهودج. فقلق ابن حديد وصارت فى قلبه حرارة من أخذ الجرن. فأخذ يخدم البدوية ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد فى الكثرة حتى قالت البدوية: هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا. فلما قيل له هذا القول عنها قال: ما لى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها. وطول حياتها فى عز غير رد الفسقية التى قلعت من دارى التى بنيتها فى أيامهم من نعمتهم ترد إلى مكانها فتعجبت من ذلك وردتها عليه. فقيل له: حصلت فى حد أن خيرتك البدوية فى جميع المطالب فنزلت همتك إلى قطعة حجر. فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى ألا تغلب فى أخذ ذلك الحجر من مكانه، وقد بلغها الله أملها، وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها فى أيام الآمر وبلغ من علو همته وعظم مروءاته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحى لما قلده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية فى سنة سبع عشرة وخمسمائة، وأضاف إليه الأعمال البحرية ووصل إلى الثغر ووصف له الطبيب دهن شمع بحضور القاضى المذكور. فأمر فى الحال بعض غلمانه بالمضى إلى داره لإحضار دهن شمع. فما كان أكثر من مسافة الطريق إلا أن أحضر حقا مختوما فك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر. بيت دهن بمسك. وبيت دهن بكافور. وبيت دهن بغير طيب ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته. فعندما أحضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علو همته. فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ فى شكر إنعامه وحلف بالحرام إن عاد إلى ملكه. فكان جواب المؤتمن: قد قبلته منك لا لحاجة إليه ولا لنظر فى قيمته بل لإظهار هذه الهمة وإذاعتها، وذكر أن قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار. فانظر رحمك الله إلى من يكون دهن الشمع عنده فى إناء قيمته خمسمائة دينار. ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج إليه البتة. فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات، وهذا إنما هو حال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية،

بالنسبة إلى أعيان الدولة بالحضرة؟ وما نسبة أعيان الدولة وإن عظمت أحوالهم إلى أمر الخلافة وأبهتها إلا يسير حقير، ومازال الخليفة الآمر يتردد إلى الهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد الهودج، وقد كمن له عدة من النزارية فى فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأثخنوه بالجراحة حتى هلك، وحمل فى العشارى إلى اللؤلؤة فمات بها، وقيل قبل أن يصل إليها. وقد خرب هذا الهودج، وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الأمور.

«قصر القرافة»

وكان لهم بالقرافة قصر بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز فى سنة ست وستين وثلاثمائة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسى المحتسب. هو والحمام الذى فى غربيه، وبنت البئر والبستان وجامع القرافة، وكان هذا القصر نزهة من النزه من أحسن الآثار فى إتقان بنيانه وصحة أركانه، وله منظرة مليحة كبيرة محمولة على قبو ماد تجوز المارة من تحته، ويقيل المسافرون فى أيام القيظ هناك، ويركب الراكب إليه على زلاقة، وكان كأحسن ما يكون من البناء وتحته حوض لسقى الدواب يوم الحلول فيه، وكان مكانه بالقرب من مسجد الفتح، ولما كان فى سنة عشرين وأربعمائة جدده الخليفة الآمر، وعمل تحته مصطبة للصوفية، وكان يجلس فى الطاق بأعلى القصر، ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والمجامر بالألوية موضوعة بين أيديهم، والشموع الكثيرة تزهر، وقد بسط تحتهم حصر من فوقها بسط، ومدت لهم الأسمطة التى عليها كل نوع لذيذ ولون شهى من الأطعمة والحلوى أصنافا مصنفة. فاتفق أن تواجد الشيخ أبو عبد الله بن الجوهرى الواعظ ومزق مرقصته، وفرقت على العادة خرقا، وسأل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالقارح المقرى خرقة منها، ووضعها فى رأسه، فلما فرغ التمزيق قال الخليفة الآمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة: يا شيخ أبا اسحق. قال: لبيك يا مولانا. قال أين خرقتي؟ فقال

مجيبا له فى الحال ها هى على رأسى يا أمير المؤمنين . فاستحسن الآمر ذلك وأعجبه موقعه فأمر فى الساعة والوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية ففرقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ، ونثر عليهم متولى بيت المال من الطاق ألف دينار فتخاطفها الحاضرون ، وتعاهد المغربلون الأرض التى هناك أياما لأخذ ما يواريه التراب ، وما برح قصر الأندلس بالقرافة حتى زالت الدولة فهدم فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة .

«المنظرة ببركة الحبش»

وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش . قال الشريف أبو عبد الله محمد الجوانى فى كتاب النقط على الخطط : إن الخليفة الآمر بأحكام الله بنى على المنظرة التى يقال لها بئر دكة الخركة منظرة من خشب مدهونة . فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش ، وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده ، واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر فى المدح وذكر الخركاة ، وكتب ذلك عند رأس كل شاعر ، وبجانب صورة كل منهم رف لطيف مذهب . فلما دخل الآمر وقرأ الأشعار أمر أن يحط على كل رف صرّة مختومة فيها خمسون دينارا ، وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده ففعلوا ذلك وأخذوا صررهم وكانوا عدة شعراء .

«البساتين»

وكان للخلفاء عدة بساتين يتنزهون بها . منها البساتين الجيوشية . وهما بستانان كبيران . أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح إلى المطرية ، والآخر يمتد من خارج باب القنطرة إلى الخندق ، وكان لهما شأن عظيم ، ومن شدة غرام الأفضل بالبستان الذى كان

يجاور بستان البعل عمل له سورا مثل سور القاهرة، وعمل فيه بحرا كبيرا وقبة عشارى تحمل ثمانية أرادب، وبنى فى وسط البحر منظرة محمولة على أربع عواميد من أحسن الرخام وحفها بشجر النارنج، فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط، وسلط على هذا البحر أربع سواق، وجعل له معبرا من نحاس مخروط زنته قنطار، وكان يملأ فى عدة أيام وجلب إليه من الطيور المسموعة شيئا كثيرا، واستخدم للحمام الذى كان به عدة مطيرين، وعمر به أبراجا عدة للحمام والطيور المسموعة، وسرح فيه كثيرا من الطاووس، وكان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخنـــدق. لكل منهما أربعة أبواب من الأربع جهات. على كل منها عدة من الأرمن، وجميع الدهاليز مؤزرة بالحصر العبداني، وعلى أبوابها سلاسل كثيرة من حديد، ولا يدخل منها إلا السلطان وأولاده وأقـــاربه.

قال ابن عبد الظاهر: واتفقت جماعة على أن الذى يشتمل عليه مبيعهما فى السنة من زهر وثمر نيف وثلاثون ألف دينار، وأنها لا تقوم بمؤنهما على حكم اليقين لا الشك، وكان الحاصل بالبستان الكبير والمحصن إلى آخر الأيام الآمرية، وهى سنة أربع وعشرين وخمسمائة ثمانمائة وأحد عشر رأسا من البقر، ومن الجمال مائة وثلاثة رؤوس، ومن العمال وغيرهم ألف رجل وذكر أن الذى دار سور البستانين من سنط وجميز وأثل من أول حدهما الشرقي، وهو ركن بركة الأرمن مع حدهما البحرى والغربى جميعا إلى آخر زقاق الكحل. فى هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ألف ومائتا سجرة، وبقى قبليهما جميعا لم يحصن، وأن السنط تغصن حتى ألحق بالجميز فى العظم وأن معظم قرظه يسقط إلى الطريق، فيأخذه الناس وبعد ذلك يباع بأربعمائة دينار، وكان به كل ثمرة لها دويرة مفردة وعليها سياج، وفيها نخل منقوش فى ألواح عليها برسم الخاص لا تجنى إلا بحضور المشارف، وكان فيهما ليمون تفاحي يؤكل بقشره بغير سكر، وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التى لهم مدة أيام الوزير المأمون لم تخرج عنهم، وكشف ذلك فى أيام الخليفة الحافظ فكان فيهما ستمائة رأس من البقر وثمانون جملا، وقوم ما عليهما من الأثل والجميز فكانت قيمته مائتى ألف دينار، وطلب الأمير شرف الدين وكانت له

حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبى عليه، فتشفع إليه وقومت بسبعين دينارا فرسم الخليفة إن كانت وسط البستان تقطع وإلا فلا، ولما جرى فى آخر أيام الحافظ ما جرى من الخلف ذبحت أبقاره وجماله، ونهبت ما فيه من الآلات والأنقاض ولم يبق إلا الجميز والسنط والأثل لعدم من يشتريه. انتهي، وكان هذان البستانان من جملة الحبس الجيوشي، وهو أن أمير الجيوش بدر الجمالى حبس عدة بلاد وغيرها. منها فى البر الشرقى بناحية بهتيت والأميرية والمنية، وفى البر الغربى ناحية سفط ونهيا ورسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبه. فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنين بأجرة يسيرة، وصار يزرع فى الشرقى منه الكتان، ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير ونصفا وربعا عن كل فدان. فيتناولون فيه ربحا جزيلا لأنفسهم، فلما بعد العهد انقرضت أعقابه ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بأن هذا الحبس باطل. فصار للديوان السلطانى يتصرف فيه، ويحمل متحصله مع أموال بيت المال وتلاشت البساتين، وبنى فى أماكنها ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالي، وبنى العزيز بالله بستانا بناحية سردوس.

«قبة الهواء»

وكان من أحسن متنزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء، وهى مستشرف بهج بديع فيما بين التاج والخمس وجوه. يحيط به عدة بساتين. لكل بستان منها اسم، ولهذه القبة فرش معدة فى الشتاء والصيف، ويركب إليها الخليفة فى أيام الركوبات التى هى يوم السبت والثلاثاء.

«بحر أبى المنجا»

وكان من منتزهات الخلفاء يوم فتح بحر أبى المنجا. قال ابن المأمون: وكان الماء لا يصل إلى الشرقية إلا من السردوسي، ومن الصماصم ومن المواضع البعيدة. فكان أكثرها يشرق

فى أكثر السنين، وكان أبو المنجا اليهودى مشارف الأعمال المذكورة فتضرر المزارعون إليه. وسألوا فى فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه إليهم. فابتدأ بحفر خليج أبى المنجا فى يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة، وركب الأفضل ابن أمير الجيوش ضحي، وصحبته القائد أبو عبد الله محمد بن قاتك البطائحى وجميع إخوته، والعساكر تحاذيه فى البر، وجمعت شيوخ البلاد وأولادها، وركبوا فى المراكب ومعهم حزم البوص فى البحر. وصار العشارى والمراكب تتبعها إلى أن رماها الموج إلى الموضع الذى حفروا فيه البحر، وأقام الحفر فيه سنتين و، فى كل سنة تتبين الفائدة فيه، ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يهون الغرامة عليه.

ولما عرض على الأفضل جملة ما أنفق فيه استعظمه. وقال: غرمنا هذا المال جميعه، والاسم لأبى المنجا. فغير اسمه ودعى بالبحر الأفضلي، فلم يتم ذلك ولم يعرف إلا بأبى المنجا ثم جرى بين أبى المنجا وبين ابن أبى الليث صاحب الديوان بسبب الذى أنفق خطوب أدت إلى اعتقال أبى المنجا عدة سنين، ثم نفى إلى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف، ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك يتلطف بحاله إلى تضاعف من عبرة البلاد ما سهل أمر النفقة فيه، ورأيت بخط ابن عبد الظاهر: وهذا أبو المنجا هو جد بنى صفير الحكماء اليهود، والذين أسلموا منهم، ولما طال اعتقال أبى المنجا فى الاسكندرية فى مكان بمفرده مضيقا عليه تحيل فى تحصيل مصحف، وكتب ختمة وكتب فى آخرها: كتبها أبو المنجا اليهودي، وبعثها إلى السوق ليبيعها. فقامت قيامة أهل الثغر، وطولع بأمره إلى الخليفة فأخرج، وقيل له ما حملك على هذا فقال: طلب الخلاص بالقتل فأدب وأطلق سبيله. وقيل إنه كان فى محبسه حية عظيمة. فأحضر إليه فى بعض الأيام لبن فرأى الحية وقد شربت منه ودخلت جحرها، فصار كل يوم يحضر لها لبنا فتخرج وتشرب منه وتدخل مكانها ولم تؤذه، ولما ولى المأمون البطائحى وزارة الآمر بأحكام الله بعد الأفضل بن أمير الجيوش تحدث الآمر معه فى رؤية فتح هذا الخليج، وأن يكون له يوم كخليج القاهرة. فندب الآمر معه عدى الملك أبا البركات بن عثمان وكيله، وأمره بأن يبنى على مكان السد منظرة متسعة تكون من بحرى السد، وشرع فى عمارتها بعد كمال النيل، ومازال يوم فتح

سد هذا البحر يوما مشهودا إلى أن زالت الدولة الفاطمية. فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر أجروا الحال فيه على ما كان قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة، وركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لفتح بحر أبى المنجا وعاد. قال: وفى سنة تسعين وخمسمائة كسر بحر أبى المنجا بعد أن تأخر كسره عن عيد الصليب بسبعة أيام، وكان ذلك لقصور النيل فى هذه السنة، ولم يباشر السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين بنفسه وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشى لكسره، وبدت فى هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجبه سوء الأفعال من المجاهرة بالمنكرات والإعلان بالفواحش، وقد أفرط هذا الأمر، واشترك فيه الآمر والمأمور، ولم ينسلخ شهر رمضان إلا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله فى الإسلام، وبدا عقاب الله فى الماء الذى كانت المعاصى على ظهره. فإن المراكب كان يركب فيها فى رمضان الرجال والنساء مختلطين مكشفات الوجوه وأيدى الرجال تنال منها وتنال فى الخلوات، والطبول والعيدان مرتفعات الأصوات والصنجات، واستنابوا فى الليل عن الخمر بالماء والجلاب ظاهرا، وقيل إنهم شربوا الخمر مستورا وقربت المراكب بعضها من بعض، وعجز المنكر عن الإنكار إلا بقلبه، ورفع الأمر إلى السلطان. فندب حاجبه فى بعض الليالى ففرق منهم من وجده فى الحالة الحاضرة، ثم عادوا بعد عوده، وذكر أنه وجد فى بعض المعادى خمرا فأراقه، ولما استهل شوال وهو مطموع فيه تضاعف هذا المنكر، وفشت هذه الفاحشة ونسأل الله العفو والعافية عن الكبائر والتجاوز عما تسقط فيه المعـــاذر.

وقال فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة: كسر بحر أبى المنجا، وباشر العزيز كسره وزاد النيل فيه أصبعا، وهى الأصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا، وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبري، وقد تلاشى فى زمننا أمر الاجتماع فى يوم فتح سد بحر أبى المنجا، وقل الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة.

«قصر الورد بالخاقانية»

وكان من أيام منتزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية، وهى قرية من قرى قليوب كانت من خاص الخليفة، وبها جنان كثيرة للخليفة، وكانت من أحسن المنتزهات المصرية، وكان بها عدة دويرات يزرع فيها الورد. فيسير إليها الخليفة يوما ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد، ويخدم بضيافة عظيمة.

قال ابن الطوير عن الخليفة الآمر بأحكام الله: وعمل له بالخاقانية - وكانت من خاص الخليفة - قصر من ورد: فسار إليها يوما، وخدم بضيافة عظيمة. فلما استقر هناك خرج إليه أمير يقال له حسام الملك من الأمراء الذين كانوا مع المؤتمن أخى المأمون البطائحى وتخاذلوا عنه. فوصل إلى الخاقانية وهو لابس لامة حربه، والتمس المثول بين يديه يعنى الخليفة. فاستقل ما جاء به فى ذلك الوقت ما ينافى ما فيه الخليفة من الراحة والنزهة وحيل بينه وبين مقصوده. فقال لجماعة من حواشى الخليفة: أنتم منافقون على الخليفة إن لم أصل أليه فإنه يعاقبكم بذلك فأطلعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح وقوله. فأمر بإحضاره. فلما وقعت عينه عليه قال: يا مولانا لمن تركت أعداءك - يعنى الوزير المأمون البطائحى وأخاه، وكان الآمر قد قبض عليهما واعتقلهما، هذا والعهد قريب غير بعيد أأمنت الغدر؟ فما أجابه إلا وهو على الرهاويج من الخيل فلم تمض ساعة إلا وهو بالقصر، فمضى إلى مكان اعتقال المأمون وأخيه فزادهما وثاقا وحراسة، وفى أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذى كان سيره المأمون فى وزارته إلى اليمن لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية نزار بن المستنصر لما خرجت من القصر وهى به حامل، ويدعو إليه بقية الناس، وأحضر إلى القاهرة على جمل مشوه فأدخل خزانة البنود، وقتل هو والمأمون وجماعة فى تلك الليلة وصلبوا ظاهر القاهرة.

«بركة الجب»

هي بظاهر القاهرة من بحريها، وتسميها العامة في زمننا هذا الذي نحن فيه بركة الحاج. لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج في كل سنة، ونزولهم عند العود بها، ومنها يدخلون إلى القاهرة ومن الناس من يقول جب يوسف وهو خطأ، وإنما هي أرض جب عميرة وعميرة، هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبي من بني القرناء نسبت هذه الأرض إليه. فقيل لها أرض جب عميرة. ذكره ابن يونس، وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بن الحاكم في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة هذا، وهو موضع نزهة بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل اللعب والمجانة، وربما حمل معه الخمر في الروايا عوضا عن الماء، ويسقيه من معه، وأنشده مرة الشريف أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي في يوم عرفة:

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء

ولا تضحِ ضحى إلا بصهباء

وأدرك حجيج الندامى قبل نفرهم

إلى منى قصفهم مع كل هيفاء

وعج على مكة الروحاء مبتكرا

فطف بها حول ركن العود والنائي

قال ابن دحية: فخرج في ساعته بروايا أحمر تزجي بنغمات حداة الملاهي وتساق.. حتى أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق.. فأقام بها سوق الفسوق على ساق.. وفي ذلك العام أخذه الله تعالى وأهل مصر بالسنين.. حتى بيع في أيامه الرغيف بالثمن الثمين.. وعاد ماء النيل بعد عذوبته كالغسلين.. ولم يبق بشاطئيه أحد بعد إن كانا محفوفين بحور عين.. وقال ابن ميسر: فلما كان في جمادى الآخرة من سنة أربع

وخمسين وأربعمائة خرج المستنصر على عادته إلى بركة الجب . فاتفق أن بعض الأتراك جرد سيفا فى سكر منه على بعض عبيد الشراء، فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه، فاجتمع الأتراك بالمستنصر، وقالوا: إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة، وإن كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك، فأنكر المستنصر ما وقع وتبرأ مما فعله العبيد. فتجمع الأتراك لحرب العبيد وبرز بعضهم إلى بعض، وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهزم فيه العبيد وقتل منهم عدد كثير، وكانت أم المستنصر تعين العبيد وتمدهم بالأموال والأسلحة. فاتفق فى بعض الأيام أن بعض الأتراك ظفر بشيء مما تبعث به أم المستنصر إلى العبيد فأعلم بذلك أصحابه - وقد قويت شوكتهم بانهزام العبيد - فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر وخاطبوه فى ذلك وأغلظوا فى القول وجهروا بما لا ينبغي، وصار السيف قائما والحروب متتابعة إلى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن ما كان، وكان من قبل المستنصر يترددون إلى بركة الجب. قال المسيحي: ولاثنتى عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب. فنصب له مضرب ديباج رومى فيه ألف ثوب بصفرية فضة، ونصبت له فازة مثقل وقبة مثقل بالجوهر، وضرب لابنه الأمير أبى على منصور مضرب آخر، وعرضت العساكر، وكان عدتها مائة عسكرى وأقبلت أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون، فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار إلى صلاة المغرب، ومازالت بركة الجب منتزها للخلفاء والملوك من بعد. واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاون، وبنى بها أحواشا وميدانا كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالي. وبركة الجب وما يليها فى درك بنى صبرة، وهم ينسبون إلى صبرة بن بطيح بن مغالة بن دعجان بن عنب بن الكليب بن أبى عمرو بن دمية ابن جدس بن أريش بن أراش بن جزيلة بن لخم فهم - أحد بطون لخم، وفيهم بنو جذام ابن صبرة بن بصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام أخى لخم.

«المشتهي»

وكان من مواضعهم التى أعدت للنزهة المشتهي.

ذكر الأيام التى كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم

وكان للخلفاء الفاطميين فى طول السنة أعياد ومواسم، وهى موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبى صلى الله عليه وسلم، ومولد عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه، ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات.

«موسم رأس السنة»

وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة أول المحرم فى كل عام. لأنها أول ليالى السنة، وابتداء أوقاتها. وكان من رسومهم فى ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عدة كثيرة

من الخراف المقموم، والكثير من الرؤوس المقموم، وتفرق على جميع أرباب الرتب وأصحاب الدواوين من العوالي، والأدوان أرباب السيوف والأقلام، مع جفان اللبن والخبز وأنواع الحلواء، فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته والأستاذين المحنكين إلى أرباب الضوء وهم المشاعلية، ويتنقل ذلك فى أيدى أهل القاهرة ومصر.

«موسم أول العام»

وكان لهم بأول العام عناية كبيرة. فيه يركب الخليفة بزيه المفخم وهيئته العظيمة. كما تقدم، ويفرق فيه دنانير الغرة التى مر ذكرها عند ذكر دار الضرب، ويفرق من السماط الذى يعمل بالقصر لأعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والأقلام بتقرير مرتب خرفان شواء، وزبادى طعام، وجامات حلواء، وخبز، وقطع منفوخة من سكر. وأرز بلبن وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يجل وصفه، ويتبسطون بما يصل إليهم من دنانير الغرة من رسوم الركوب. كما شرح فيما تقدم.

«يوم عاشوراء»

كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق، ويعمل فيه السماط العظيم المسمي: سماط الحزن، وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسينى فانظره، وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير. فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسطون فى المطاعم، ويصنعون الحلاوات، ويتخذون الاوانى الجديدة، ويكتحلون ويدخلون الحمام، جريا على عادة أهل الشام التى سنها لهم الحجاج فى أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه. الذين

يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي . لأنه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط ، وكلا الفعلين غير جيد ، والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط .

وما أحسن قول أبى الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الأهراء ، وكتب بها إليه ليلة عاشوراء عندما أخر عنه ما كان من جاريه فى الأهراء :

قل لشهاب الدين ذى الفضل الندي
والسـيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد العـلى الصمد
إن لم يبـادر لنجاز موعدي
لأحضرن للهنـاء فى غـد
مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الأشراف من التشيع ، وأنه إذا جاءه بهيئة السرور فى يوم عاشوراء غاظه ذلك . لأنه من أفعال الغضب . وهو من أحسن ما سمعته فى التعريض ، فلله دره .

«عيد النصر»

وهو السادس عشر من المحرم عمله الخليفة الحافظ لدين الله . لأنه اليوم الذى ظهر فيه من محبسه ، ويفعل فيه ما يفعل فى الأعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة فى النفقة ، وكتب فيه أبو القاسم على بن الصيرفى إلى بعض الخطباء : عيد النصر ، وهو أفضل الأعياد وأسناها وأعلاها ، وأدلها على تقصير الواصف إذا بلغ وتناهي ، ونحن نأمرك أن تبرز فى يوم الأحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهيئة التى

جرت العادة بمثلها فى الأعياء، وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التى سيرناها إليك قرين هذا الأمر. بشرح هذا اليوم وتفصيله، وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله، وتعتمد فى ذلك ما جرى الرسم فيه فى كل عيد، وتنتهى فيه إلى الغاية التى ليس عليها مزيد. فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى.

«المواليد الستة»

كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشكنانج وحلواء كما مر ذلك.

«ليالى الوقود الأربع»

كانت من أبهج الليالى وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتها من كل أوب وتصل إلى الناس فيها أنواع من البر، وتعظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشاهد فانظره فى موضعه تجده.

«موسم شهر رمضان»

وكان لهم فى شهر رمضان عدة أنواع من البر منها كشف المساجد قال الشريف الجوانى فى كتاب النقط: كان القضاة بمصر إذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر. فيبدأون بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة، ثم بالمشاهد، ثم بالقرافة، ثم بجامع مصر ثم بمشهد الرأس. لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وإزالة شعثه، وكان أكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم والشهود الطفيليون يتعينون لذلك اليوم والطواف مع القاضى لحضور السماط.

«إبطال المسكرات»

قال ابن المأمون: وكانت العادة جارية من الأيام الافضيلة فى آخر جمادى الآخرة من كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم، ويحذر من بيع الخمر، فرأى الوزير المأمون لما ولى الوزارة بعد الأفضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك فى سائر أعمال الدولة. فكتب به إلى جميع ولاة الأعمال، وأن ينادى بأنه من تعرض لبيع شيء من المسكرات أو لشرائها سرا أو جهرا فقد عرض نفسه لتلافها، وبرئت الذمة من هلاكها.

«غرة رمضان»

وكان فى أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الأمراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق، ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرة من ذهب. فيعم ذلك سائر أهل الدولة، ويقال لذلك غرة رمضان.

«ركوب الخليفة فى أول شهر رمضان»

قال ابن الطوير: فإذا انقضى شعبان اهتم بركوب أول شهر رمضان، وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين. فيجرى أمره فى اللباس والآلات والأسلحة والعرض والركوب والترتيب والموكب والطريق المسلوكة كما وصفناه فى أول العام لا يختل بوجه، ويكتب إلى الولاة والنواب والأعمال بمساطير مخلقة يذكر فيها ركوب الخليفة.

«سماط شهر رمضان»

وقد تقدم ذكر السماط فى قاعة الذهب من القصر .

«سحور الخليفة»

قال ابن المأمون : وقد ذكر أسمطة رمضان وجلوس الخليفة بعد ذلك فى الروشن إلى وقت السحور والمقرئون تحته يتلون عشرا ويطربون . بحيث يشاهدهم الخليفة ، ثم حضر بعدهم المؤذنون ، وأخذوا فى التكبير وذكر فضائل السحور ، وختموا بالدعاء ، وقدمت المخاد للوعاظ . فذكروا فضائل الشهر ، ومدح الخليفة والصوفيات ، وقام كل من الجماعة للرقص ، ولم يزالوا إلى أن انقضى من الليل أكثر من نصفه . فحضر بين يدى الخليفة أستاذ بما أنعم به عليهم وعلى الفراشين ، وأحضرت جفان القطائف ، وجرار الجلاب برسمهم . فأكلوا وملأوا أكمامهم وفضل عنهم ما تخطفه الفراشون ، ثم جلس الخليفة فى السدلا التى كان بها عند الفطور وبين يديه المائدة معباة . جميعها من جميع الحيوان وغيره ، والقعبة الكبيرة الخاص مملوءة أوساطه بالهمة المعروفة ، وحضر الجلساء ، واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه ، وأومأ الخليفة بأن يستعمل من القعبة فيفرق الفراشون عليهم أجمعين ، وكل من تناول شيئاً قام وقبل الأرض وأخذ منه على سبيل البركة لأولاده وأهله . لأن ذلك كان مستفاضا عندهم غير معيب على فاعله . ثم قدمت الصحون الصينى مملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة الكفاية ، وقام الخليفة وجلس بالباذهنج وبين يديه السحورات المطيبات من لبئين رطب ومخض ، وعدة أنواع عصارات وافطلوات وسويق ناعم وجريش . جميع ذلك بقلوبات وموز ، ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سفوفا ، وحضر الجلساء ، وأخذ كل منهم فى تقبيل الأرض والسؤال بما ينعم عليه منه . فتناوله المستخدمون والأستاذون وفرقوه . فأخذه القوم فى أكمامهم ثم سلم الجميع وانصرفوا .

«الختم فى آخر رمضان»

وكان يعمل فى التاسع والعشرين منه . . قال ابن المأمون : ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الأمر بإضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر ، وحضر الأجل الوزير المأمون فى آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الأسمطة على العادة ، وحضر إخوته وعمومته وجميع الجلساء ، وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم ، وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور ثلاجى وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ديبقي ، وجعلها أمام المذكورين لتشملها بركة ختم القرآن الكريم ، واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمه القرآن تلاوة وتطريبا ، ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ، ودعا فأبلغ ، ورفع الفراشون ما أعدوه برسم الجهات ، ثم كبر المؤذنون وهللوا ، وأخذوا فى الصوفيات إلى أن نثر عليهم من الروشن دنانير ودراهم ورباعيات ، وقدمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء . فجروا على عادتهم وملأوا أكمامهم ، ثم خرج أستاذ من باب الدار الجديدة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ، ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين .

ذكر مذاهبهم فى أول الشهور

اعلم أن القوم كانوا شيعة ، ثم غلوا حتى عدوا من غلاة أهل الرفض ، وللشيعة فى أثناء الشهور عمل . أحسن مارأيت فيه ما حكاه أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى فى كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال : وفى سنين من الهجرة نجمت ناجمة لأجل أخذهم بالتأويل إلى اليهود والنصاري . فإذا لهم جداول وحسبانات يستخرجون بها شهورهم ، ويعرفون منها صيامهم ، والمسلمون مضطرون إلى رؤية الهلال ، وتفقد ما اكتساه القمر من

النور وجدوهم شاكين فى ذلك، مختلفين فيه، مقلدين بعضهم بعضا فى عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات فرجعوا إلى أصحاب علم الهيئة فألفوا زيجاتهم مفتتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسبانات. فظنوا أنها معمولة لرؤية الأهلة، فأخذوا بعضها ونسبوه إلى جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، وزعموا أنه سر من أسرار النبوة، وتلك الحسبانات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعدلة، أو معمولة على سنة القمر التى هى ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس يوم، وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة، وستة أشهر ناقصة، وان كل ناقص منها فهو تال لتام. فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم فى أغلب الأحوال. فأولوا قوله عليه السلام: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا: معنى صوموا لرؤيته أى صوموا اليوم الذى يرى فى عشيته. كما يقال تهيئوا لاستقباله. فيقدم التهيؤ على الاستقبال. قال: ورمضان لا ينقص عن ثلاثين يوما أبدا.

«قافلة الحاج»

قال فى كتاب الذخائر والتحف: إن المنفق على الموسم كان فى كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار. منها ثمن الطيب والحلواء والشمع راتبا فى كل سنة عشرة آلاف دينار ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار. ومنها فى ثمن الحمايات والصدقات وأجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية، وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار، وأن النفقة كانت فى أيام الوزير البازورى قد زادت فى كل سنة وبلغت إلى مائتى ألف دينار، ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك فى دولة من الدول.

«موسم عيد الفطر»

وكان لهم فى موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات. منها تفرقة الفطرة، وتفرقة الكسوة، وعمل السماط، وركوب الخليفة لصلاة العيد، وقد تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق.

«عيد النحر»

فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة وتفرقة الكسوة لأرباب الخدم من أهل السيف والقلم وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد، وفيه تفرقة الأضاحى كما مر ذلك مبينا فى موضعه من هذا الكتاب.

«عيد الغدير»

فيه تزويج الأيامي، وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وضيوفها والأستاذين المحنكين والمميزين، وفيه النحر أيضا وتفرقة النحائر على أرباب الرسوم، وعتق الرقاب، وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم.

«كسوة الشتاء والصيف»

وكان لهم فى كل من فصلى الشتاء والصيف كسوة تفرق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم، وقد مر ذكر ذلك.

«موسم فتح الخليج»

وكانت لهم فى موسم فتح الخليج وجوه من البر . منها الركوب لتخليق المقياس ، ومبيت القراء بجامع المقياس ، وتشريف ابن أبى الرداد بالخلع وغيرها ، وركوب الخليفة إلى فتح الخليج ، وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة والعين والمآكل والتحف ، وقد تقدم تفصيل ذلك .

ذكر النوروز

وكان النوروز القبطى فى أيامهم من جملة المواسم . فتتعطل فيه الأسواق ، ويقل فيه سعى الناس فى الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم ، والرسوم من المال وحوائج النوروز .

قال ابن زولاق : وفى هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السكك ، ومن صب الماء يوم النوروز ، وقال فى سنة أربع وستين وثلاثمائة ، وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ، ووقود النيران ، وطاف أهل الأسواق وعملوا فيلة ، وخرجوا إلى القاهرة بلعبهم ، ولعبوا ثلاثة أيام ، وأظهروا السماجات والحلى فى الأسواق . ثم أمر المعز بالنداء بالكف ، وألا توقد نار ، ولا يصب ماء ، وأخذ قوم فحبسوا ، وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال . وقال ابن ميسر فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة . . وفيها أراد الآمر بأحكام الله أن يحضر إلى دار الملك فى النوروز الكائن فى جمادى الآخرة فى المراكب على ما كان عليه الأفضل بن أمير الجيوش . فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن . فإن الأفضل لا يجرى مجراه مجرى الخليفة ، وحمل إليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للجهات ما له قيمة جليلة ، وقال ابن المأمون : وحل موسم النوروز فى التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة به من

الطراز وثغر الإسكندرية مع ما يبتاع من المذاب المذهبة والحريرى والسوادج، وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق، وجميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها وأسماء أربابها، وأصناف النوروز البطيخ والرمان وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصى وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز بر مارق. قال: وأحضر كاتب الدفتر الإثباتات بما جرت العادة به من إطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها فى يوم النوروز وغير ذلك من جميع الأصناف. وهو أربع آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة، والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقى مذهبات وحريرات ومعاجر وعصائب مشاومات ملونات وشقق لاذ مذهب وحريرى ومشفع، وفوط ديبقى حريري. فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والأصحاب والحواشى والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارتها. ولم يكن لأحد من الأمراء على اختلاف درجاتهم فى ذلك نصيب، وأما الأصناف من البطيخ والرمان والبسر والتمر والسفرجل والعناب والهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم، ويشركهم فى ذلك جميع الأمراء أرباب الأطواق والأقصاب وسائر الأماثل، وقد تقدم شرح ذلك. فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك. بالإنفاق وقال القاضى الفاضل فى تعليق المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي، وهو مستهل توت. وتوت أول سنتهم. وقد كان بمصر فى الأيام الماضية والدولة الخالية - يعنى دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه، والفواحش صريحة فى يومه، ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير، ويتسلط على الناس فى طلب رسم رتبه على دور الأكابر بالجمل الكبار، ويكتب مناشير، ويندب مترسمين. كل ذلك يخرج مخرج الطير، ويقنع بالميسور من الهبات، ويتجمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة، بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهي، وترتفع الأصوات، وتشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفى الطرقات، ويتراش الناس بالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالأقذار. فإن غلط مستور وخرج من

داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه، ويستخف بحرمته. فإما فدى نفسه وإما فضح، ولم يجر الحال فى هذا النوروز على هذا، ولكن قد رش الماء فى الحارات، وأحيا المنكر فى الدور أرباب الخمارات، وقال فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة: وجرى الأمر فى النوروز على العادة من رش الماء. واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع، وانقطع الناس عن التصرف، ومن ظفر به فى الطريق رش بمياه نجسة وخرق به.

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: إن أول من اتخذ النوروز جمشيد، ويقال فى اسمه أيضا جمشاد أحد ملوك الفرس الأول، ومعناه اليوم الجديد، وللفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم. غير أنه فى غير هذا اليوم، وقد صنف على بن حميرة الاصفهانى كتابا مفيدا فى أعياد الفرس، وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمل بن زياد عن أبى هريرة قال: كان اليوم الذ يرد الله فيه إلى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز. فجاءت إليه الشياطين بالتحف، وكانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء فى مناقيرها فرشته بين يدى سليمان. فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم. وعن مقاتل بن سليمان قال سمى ذلك اليوم نيروزا، وذلك أنه وافق هذا اليوم الذى يسمونه النيروز، فكانت الملوك تتيمن بذلك اليوم واتخذوه عيدا، وكانوا يرشون الماء فى ذلك اليوم، ويهدون كفعل الخطاف ويتيمنون بذلك، ولله در القائل:

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكنى

وكل ما فيه يحكينى وأحكيه

فناره كلهيب النـــار فى كبـــدى

وماؤه كتـــوالى دمعتى فيه

«وقال آخر»:

نـــورز النــــاس ونـــورزت

ولكـــــن بدمـــوعي

وذكـــــرت نارهــــــم

والنــــار ما بيـن ضـــــلوعي

«وقال غيره» :

ولما أتى النـــــوروز يا غاية المني

وأنت على الإعراض والهجر والصد

بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشي

فنورزت صبحا بالدموع على الخد

«الميــــــلاد»

وهو اليـوم الذى ولد فيـه عبـد الله ورسـوله المسيح عـيسى بن مريم صلى الله وسلم، والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيدا، وتعمله قبط مصر فى التاسع والعشرين من كيهك، وما برح لأهل مصر به اعتناء، وكان من رسوم الدولة الفاطمية. فيه تفرقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية، والمتارد التى فيها السمك، وقرابات الجلاب، وطيافير الزلابية والبوري. فيشمل ذلك أرباب الدولة أصحاب السيوف والأقلام بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون فى تاريخه.

«الغطاس»

ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس في اليوم الحادى عشر من طوبة.. قال المسعودى في مروج الذهب: ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها، وهى ليلة إحدى عشرة من طوبة. ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والإخشيد محمد بن طفج فى داره المعروفة بالمختار فى الجزيرة الراكبة على النيل، والنيل مطيف بها. وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل، غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع، وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئات ألوف من الناس من المسلمين والنصاري. منهم فى الزواريق، ومنهم فى الدور الدانية من النيل، ومنهم على الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف، وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا، ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم فى النيل، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء، وقال المسيحى فى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب والأشرعة فى عدة مواضع على شاطيء النيل. فنصبت أسرة للرئيس فهد بن إبراهيم النصرانى كاتب الأستاذ برجوان، وأوقدت له الشموع والمشاعل، وحضر المغنون والملهون، وجلس مع أهله يشرب إلى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف.

وقال فى سنة خمس عشرة وأربعمائة: وفى ليلة الأربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصاري. فجرى الرسم من الناس فى شراء الفواكه والضأن وغيره، ونزل أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم لقصر جده العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس ومعه الحرم، ونودى ألا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم إلى البحر فى الليل، وضرب بدر الدولة الخادم الأسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها، وأمر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بأن توقد المشاعل والنار فى الليل. فكان وقيدا كثيرا، وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هناك طويلا إلى أن غطسوا. وقال ابن

المأمون: إنه كان من رسوم الدولة أنه يفرق على سائر أهل الدولة الترنج والنارنج والليمون المراكبي، وأطنان القصب والسمك والبورى برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف والأقلام.

«خميس العهد»

ويسميه أهل مصر من العامة خميس العدس، ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام، ويتهادون فيه، وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية فى خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهبا، عشرة آلاف خروبة، وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدم.

«أيام الركوبات»

وكان الخليفة يركب فى كل يوم سبت وثلاثاء إلى منتزهاته بالبساتين والتاج وقبة الهواء والخمس وجوه وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة. فيعم الناس فى هذه الأيام من الصدقات أنواع ما بين ذهب ومآكل وأشربة وحلاوات، وغير ذلك كما تقدم بيانه فى موضعه من هذا الكتاب.

«صلاة الجمعة»

وكان الخليفة يركب فى كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس. فى جامع القاهرة الذى يعرف بالجامع الأزهر مرة، وفى جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكمى مرة، وفى

جامع عمرو بن العاص بمصر أخري. فينال الناس منه فى هذه الجمع الثلاث رسوم وهبات وصدقات - كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى عند ذكر الجامع الأزهر - ولله در الفقيه عمارة اليمنى فقد ضمن مرثيته أهل القصر جملا مما ذكر، وهى القصيدة التى قال ابن سعد فيها، ولم يسمع فيما يكتب فى دولة بعد انقراضها أحسن منها:

رميت يا دهر كف المجد بالشلل
وحيده بعد حسن الحلى بالعطل
سعيت فى منهج الرأى العثور فإن
قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الأقنى فأنفك لا
ينفك ما بين قرع السن والخجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل
سعيت مهلا أما تمشى على مهل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة
على فجيعتها فى أكرم الدول
قدمت مصر فاولتنى خلائفها
من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن
كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين كما
رأس الحصان يهاديه على الكفل

ونلت من عظماء الجيش مكرمة

وخلة حرست من عارض الخلل

يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة

لك الملامة إن قصرت فى عذلي

بالله در ساحة القصرين وابك معي

عليهما لا على صفين والجمل

وقل لأهليهما والله ما التحمت

فيكم جراحى ولا قرحى بمندمل

ماذا عسى كانت الإفرنج فاعلة

فى نسل آل أمير المؤمنين علي

هل كان فى الأمر شيء غير قسمة ما

ملكتم بين حكم السبى والنفل

وقد حصلتم عليها واسم جدكم

محمد وأبوكم غير منتقل

مررت بالقصر والأركان خالية

من الوفود وكانت قبلة القبل

فملت عنها بوجهى خوف منتقد

من الأعادى ووجه الود لم يمل

أسلت من أسفى دمعى غداة خلت

رحابكم وغدت مهجورة السبل

أبكى على ما تراءت من مكارمكم

حال الزمان عليها وهى لم تحل

دار الضيافة كانت أنس وافدكم

واليوم أوحش من رسم ومن طلل

وفطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم

تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل

وكسوة الناس فى الفصلين قد درست

ورث منها جديد عندهم وبلي

وموسم كان فى يوم الخليج لكم

يأتى تجملكم فيه على الجمل

وأول العام والعيدان كم لكم

فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والأرض تهتز فى يوم الغدير كما

يهتز ما بين قريكم من الأسل

والخيل تعرض فى وشى وفى شية

مثل العرائس فى حلى وفى حلل

ولا حملتهم قرى الأضياف من سعة ال

أطباق إلا على الأكتاف والعجل

وما حملتهم ببر أهل ملتكم

حتى عممتم به الأقصى من الملل

كانت رواتبكم للذمتين وللضيف

المقيم وللطارى من الرسل

ثم الطراز بتنيس الذى عظمت

منه الصلات لأهل الأرض والدول

وللجوامع من إحسانكم نعم

لمن تصدر فى علم وفى عمل

وربما عادت الدنيا فمعقلها

منكم وأضحت بكم محلولة العقل

والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم

ولا نجا من عذاب الله غير ولي

ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ

من كف خير البرايا خاتم الرسل

ولا رأى جنة الله التى خلقت

من خان عهد الإمام العاضد بن علي

أئمتى وهداتى والذخيرة لي

إذا ارتهنت بما قدمت من عملي

تالله لم أوفهم فى المدح حقهم

لأن فضلهم كالوابل الهطل

ولو تضاعفت الأقوال واتسعت

ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل

باب النجاة هم دنيا وآخرة

وحبهم فهو أصل الدين والعمل

نور الهدى ومصابيح الدجى ومحـ

ـل الغيث إن ربت الانواء فى المحل

أئمـــة خلقـــوا نورا فنورهم

من محض خالص نور الله لم يغل

والله مازلت عن حبى لهم أبدا

ما أخر الله لى فى مدة الأجل

وبسبب هذه القصيدة قتل عمارة رحمه الله، وتمحلت له الذنوب. انتهى ما ذكره رحمه الله تعالى.

ذكر ما كان من أمر القصرين والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية

ولما مات العاضد لدين الله فى يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشى قراقوش على أهل العاضد وأولاده. فكانت عدة الأشراف فى القصور مائة وثلاثين، والأطفال خمسة وسبعين، وجعلهم فى مكان أفرد لهم خارج القصر، وجمع عمومته وعشريته فى إيوان بالقصر واحترز عليهم، وفرق بين الرجال والنساء لئلا يتناسلوا، وليكون ذلك أسرع لانقراضهم، وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها من الأموال والنفائس، وكانت عظيمة الوصف، واستعرض من فيه من الجوارى والعبيد. فأطلق من كان حرا ووهب واستخدم

باقيهم، وأطلق البيع فى كل جديد وعتيق. فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين، وأخلى القصور من سكانها وأغلق أبوابها، ثم ملكها أمراءه، وضرب الألواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع، وأقطع خواصه منها، وباع بعضها، ثم قسم القصور. فأعطى القصر الكبير للأمراء فسكنوا فيه، وأسكن أباه نجم الدين أيوب ابن شادى فى قصر اللؤلؤة على الخليج، وأخذ أصحابه دور من كان ينسب إلى الدولة الفاطمية. فكان الرجل إذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها. قال القاضى الفاضل: وفى ثالث عشريه يعنى ربيعا الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر. فقيل إن الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع، وعقود ثمينة، وذخائر فخمة، وجواهر نفيسة، وغير ذلك من ذخائر جمة الخطر، وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش وبيان، وأخليت أمكنة من القصر الغربى سكن بها الأمير موسك، والأمير أبو الهيجاء السمنى وغيره من الغز، أو مدفن لآبائهم وورخ ذلك الإشهاد بثالث عشر ربيع الأول سنة ستين وستمائة، وأثبت على قاضى القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز الشافى رحمه الله تعالى، وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من أثمان بعض الأماكن المذكورة التى عاقد عليها وكلاؤهم، واتصلوا إليه يحاسبوا به من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال، وقبضت أيدى المذكورين عن التصرف فى الأماكن المذكورة وغيرها، ورسم ببيعها، فباعها وكيل بيت المال كمال الدين ظافر أولا فأولا، ونقضت شيئاً، فشيئا وبنى فى أماكنها ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى، واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة والتربة الصالحية قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن مسرور المقدسى الحنبلى مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وسبعين دينارا فى رابع جمادى الآخرة سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال، ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس فى حادى عشرى جمادى الآخرة المذكور، وقاعة السدرة هذه قد صارت هى وقاعة الخيم أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيبرسية البندقدارية. قال القاضى الفاضل: وفى يوم

الإثنين سادس شهر رجب يعني من سنة أربع وثمانين وخمسمائة ظهر تسحب رجلين من المعتقلين فى القصر. أحدهما من أقارب المستنصر، والآخر من أقارب الحافظ، وأكبرهما سنا كان معتقلا بالإيوان حدث به مرض وأثخن فيه ففك حديده ونقل إلى القصر الغربى فى أوائل سنة ثلاث وثمانين، واستمر لما به، ولم يستقل من المرض وطلب ففقد، واسمه موسى بن عبد الرحمن أبى حمزة بن حيدرة بن أبى الحسن أخى الحافظ واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبى محمد بن أبى اليسر بن محسن بن المستنصر، وكان طفلا فى وقت الكائنة بأهله، وأقام بالقصر الغربى مع من أسر به إلى أن كبر وشب. قال: وذكر أن القصر الغربى قد استولى عليه الخراب، وعلا على جدرانه التشعث والهدم، وأنه يجاور اصطبلات فيها جماعة من المفسدين، وربما تسلق إليه للتطرق للنساء المعتقلات، والمتسلق منه إذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته فى القصر المذكور مانعة من التسحب.

قال: وعدد من بقى من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربى والإيوان مائتان واثنان وخمسون شخصا. ذكور ثمانية وتسعون، وإناث مائة وأربعة وخمسون. تفصيله: المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون ذكور. أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه. إناث عشرون. بنات العاضد خمسة. إخوته أربع. جهات العاضد. أربع بنات الحافظ. ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع. المعتقلون بالإيوان خمسة وخمسون رجلا. منهم الأمير الظاهر بن جبريل بن الحافظ. المقيمون بالقصر الغربى مائة وستة وستون شخصا. ذكور اثنان وثلاثون أكبرهم عمره عشرون سنة. وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة إناث مائة وأربع وثلاثون. بنات أربع وستون. أخوات وعمات وزوجات، وملئت المناظر المصونة على الناظر والمنتزهات التى لم يخطر ابتذالها فى الخاطر. فسبحان مظهر العجائب ومحدثها، ووارث الأرض وموارثها، قال: ومقدار ما يحدس أنه خرج من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح ما لا يفى به ملك الأكاسرة، ولا تتصوره الخواطر الحاضرة، ولا يشتمل على مثله الممالك العامرة، ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق فى الآخرة.

وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليغموري: وجدت بخط المهذب أبى طالب محمد على بن الخيمي: حدثنى الأمير عضد الدين مرهف بن مجد الدين سويد الدولة بن منقذ أن القصر أغلق على ثمانية عشر ألف نسمة. عشرة آلاف شريف وشريفة، وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة ومربية.

وقال ابن عبد الظاهر عن القصر: لما أخذه صلاح الدين، وأخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة. ليس فيهم فحل إلا الخليفة وأهله وأولاده، ولما أخرجوا منه أسكنوا فى دار المظفر، وقبض أيضا صلاح الدين على الأمير داود بن العاضد، وكان ولى العهد، وينعت بالحامد لله واعتقل معه جميع إخوته ـ الأمير أبو الأمانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاطم وسليمان بن داود وعبد الظاهر حيدرة بن العاضد وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد وإسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبى الظاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن أبى الفتوح بن جبريل بن الحافظ، وجماعة من بنى أعمامه. فلم يزالوا فى الاعتقال بدار الأفضل من حارة برجوان إلى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبى بكر بن أيوب من دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل. فنقل معه ولد العاضد وإخوته وأولاد عمه واعتقلهم بالقلعة وبها مات العاضد، واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الأيوبية، وملك الأتراك إلى أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري. فلما كان فى سنة ستين وستمائة أشهد على من بقى منهم، وهم كمال الدين إسماعيل بن العاضد، وعماد الدين أبو القاسم ابن الأمير أبى الفتوح بن العاضد، وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التى قبلى المدارس الصالحية من القصر الكبير، والموضع المعروف بالتربة ظاهرا وباطنا بخط الخوخ السبع، وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعى بالخط المذكور، وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ الشيوخ وغيرهم من القصر الغربي، وجميع الموضع المعروف بدار القطرة بخط المشهد الحسيني، وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان، وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة، وجميع قصر

الزمرد، وجميع البستان الكافورى ملك لبيت المال المولوى السلطانى الملكى الظاهرى من وجه صحيح شرعى لا رجعة لهم فيه، ولا لواحد منهم فى ذلك، ولا فى شيء منه، ولا مثوبة بسبب يد، ولا ملك، ولا وجه من الوجوه كلها. خلا ما فى ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى سبعون.

قال: وفى جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كانت عدة من فى دار المظفر بحارة برجوان والقصر الغربى والإيوان من أولاد العاضد وأقاربه ومن معهم مضافا إليهم ثلاثمائة واثنين وسبعين نفسا دار المظفر. أحرار ومماليك مائة وست وستون نفسا. القصر الغربي. أحرار مائة وأربعون نفسا. الايوان تسعة وسبعون رجلا بالغون، وأما منازل العز فاشتراها الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى فى نصف شعبان سنة ست وستين وخمسمائة، وجعلها مدرسة للفقهاء الشافعية، واشترى الروضة وجعلها وقفا على المدرسة المذكورة، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ذكر حارات القاهرة وظواهرها

قال ابن سيده: والحارة كل محلة دنت منازلها، قال: والمحلة منزل القوم، وبالقاهرة وظواهرها عدة حارات وهى (**حارة بهاء الدين**) هذه الحارة كانت قديماً خارج باب الفتوح الذى وضعه القائد جوهر عند ما اختط أساس القاهرة من الطوب النيء، وقد بقى من هذا الباب عقدة برأس حارة بهاء الدين، وصارت هذه الحارة إليوم من داخل باب الفتوح الذى وضعه أمير الجيوش بدر الجمالى، وهو الموجود الآن، وحد هذه الحارة عرضاً من خط باب الفتوح الآن إلى خط حارة الوراقة بسوق المرحلين، وحدها طولا فيما وراء ذلك إلى خط باب القنطرة وكانت هذه الحارة

تعرف بحارة الريحانية والوزيرية، وهما طائفتان من طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين. فإن بها كانت مساكنهم، وكان فيها لهاتين الطائفتين دور عظيمة وحوانيت عديدة، وقيل لها أيضا بين الحارتين، واتصلت العمارة إلى السور ولم تزل الريحانية والوزيرية بهذه الحارة إلى أن كانت واقعة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالعبيد.

ذكر واقعة العبيد

وسببها أن مؤتمن الخلافة جوهراً أحد الاستاذين المحنكين بالقصر تحدث فى إزالة صلاح الدين يوسف بن أيوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عندما ضايق أهل القصر وشدد عليهم واستبد بأمور الدولة، وأضعف جانب الخلافة، وقبض على أكابر أهل الدولة فصار مع جوهر عدة من الأمراء المصريين والجند واتفق رأيهم أن يبعثوا إلى الفرنج ببلاد الساحل يستدعونهم إلى القاهرة حتى إذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا وهم بالقاهرة واجتمعوا مع الفرنج على إخراجه من مصر فسيروا رجلا إلى الفرنج وجعلوا كتبهم التى معه فى نعل وحفظت بالجلد مخافة أن يفطن بها. فسار الرجل إلى البير البيضاء قريباً من بلبيس. فإذا بعض أصحاب صلاح الدين هناك فأنكر أمر الرجل من أجل أنه جعل النعلين فى يده، ورآهما وليس فيهما أثر للمشي، والرجل رث الهيئة فارتاب وأخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب ببطنهما فحمل الرجل والكتب إلى صلاح الدين فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت، فإذا الذى كتبها من اليهود الكتاب فأمر بقتله فاعتصم بالإسلام وأسلم وحدثه الخبر فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة فاستشعر الشر وخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج منه. فأعرض صلاح الدين عن ذلك جملة، وطال الامد فظن الخصى أنه قد أهمل أمره، وشرع يخرج من القصر وكانت له منظرة بناها بناحية الخرقانية فى بستان فخرج إليها فى جماعة، وبلغ ذلك صلاح الدين فأنهض إليه عدة هجموا عليه وقتلوه فى يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة واحتزوا رأسه وأتوا بها إلى صلاح الدين فاشتهر ذلك بالقاهرة وأشيع. فغضب العسكر المصرى وثاروا بأجمعهم فى سادس عشريه، وقد

انضم إليهم عالم عظيم من الأمراء والعامة حتى صاروا ما ينيف على خمسين ألفاً وساروا إلى دار الوزارة وفيها يومئذ ساكناً بها صلاح الدين، وقد استعدوا بالأسلحة فبادر شمس الدولة فخر الدين توران شاه أخو صلاح الدين وصرخ فى عساكر الغزو، وركب صلاح الدين وقد اجتمع إليه طوائف من أهله وأقاربه وجميع الغزو رتبهم ووقفت الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية والطائفة الفرحية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انضم إليهم بين القصرين فثارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين، واشتد الأمر وعظم الخطب حتى لم يبق الا هزيمة صلاح الدين وأصحابة. فعند ذلك أمر توران شاه بالحملة على السودان فقتل فيها أحد مقدميهم فانكف بأسهم قليلا وعظمت حملة الغز عليهم فانكسروا إلى باب الذهب ثم إلى باب الزهومة وقتل حينئذ عدة من الامراء المصريين وكثير ممن عداهم وكان العاضد فى هذه الوقعة يشرف من المنظرة فلما رأى أهل القصر كسرة السودان وعساكر مصر رموا على الغز من أعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكوا فيهم وكفوهم عن القتال وكادوا ينهزمون. فأمر حينئذ صلاح الدين النفاطين بإحراق المنظرة فأحضر شمس الدولة النفاطين، وأخذوا فى تطبيب قارورة النقط وصوبوا بها على المنظرة التى فيها العاضد فخاف على نفسه وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحد الأستاذين وقال بصوت عال: أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوهم من بلادكم. فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا. فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب القوم أقفيتهم إلى أن وصلوا إلى السيوفيين. فقتل منهم كثير وأسر منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان. فأحرق عليهم وكان فى دار الأرمن التى كانت قريباً من بين القصرين خلق عظيم من الأرمن كلهم رماة، ولهم جار فى الدولة يجرى عليهم فعندما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن أن يسيروا إلى العبيد فأحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلا ومروا إلى العبيد فصاروا كلما داخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه إلى أن وصلوا إلى باب زويلة فإذا هو مغلوق. فحصروا هناك واستمر فيهم القتل مدة يومين، ثم بلغهم أن صلاح الدين أحرق المنصورة التى كانت أعظم حاراتهم وأخذت عليهم أفواه السكك. فأيقنوا أنهم قد أخذوا لا محالة فصاحوا: الأمان. فأمنوا وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من

ذى القعدة وفتح لهم باب زويلة فخرجوا إلى الجيزة فعدا عليهم شمس الدولة فى العسكر وقد قووا بأموال المهزومين وأسلحتهم وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم إلا الشريد، وتلاشى من هذه الواقعة أمر العاضد، وكان من غرائب الاتفاقات أن الدولة الفاطمية كان الذى افتتح لها بلاد مصر وبنى القاهرة جوهر القائد، والذى كان سببا فى إزالة الدولة وخراب القاهرة جوهر المنعوت بمؤتمن الخلافة. هذا ثم لما استبد صلاح الدين يوسف بسطنة الديار المصرية بعد موت الخليفة العاضد لدين الله سكن هذه الحارة الأمير الطواشى الخصى بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدى فعرفت به.

(**حارة برجوان**) منسوبة إلى الاستاذ أبى الفتوح برجوان الخادم وكان خصيا أبيض تام الخلقة ربى فى دار الخليفة العزيز بالله، وولاه أمر القصور. فلما حضرته الوفاة وصاه على ابنه الأمير أبى على منصور فلما مات العزيز بالله أقيم ابنه منصور فى الخلافة من بعده، وقام بتدبير الدولة أبو محمد الحسن بن عمار الكتامى فدبر الامور وبرجوان يناكده فيما يصدر عنه، ويختص بطوائف من العكسر دونه إلى أن أفسد أمر ابن عمار فنظر برجوان فى تدبير الامور يوم الجمعة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وصار الواسطة بين الحاكم وبين الناس فأمر بجمع الغلمان ونهاهم عن التعرض لأحد من الكتامين والمغاربة، ووجه إلى دار ابن عمار فمنع الناس عنها بعد أن كانوا قد أحاطوا بها وانتهبوا منها، وأمر أن يجرى لأصحاب الرسوم والرواتب جميع ماكان ابن عمار قطعه، وأجرى لابن عمار ماكان يجرى له فى أيام العزيز بالله من الجرايات لنفسه ولاهله وحرمه ومبلغ ذلك من اللحم والتوابل خمسمائة دينار فى كل شهر. يزيد عن ذلك أو ينقص عنه على قدر الاسعار مع ماكان له من الفاكهة. وهو فى كل يوم سلة بدينار وعشر أرطال شمع بدينار ونصف حمل بلح، وجعل كاتب أبا العلاء فهد ابن إبراهيم النصرانى يوقع عنه، وينظر فى قصص الراغبين وظلامتهم فجلس لذلك فى القصر وصار يطالعه بجميع مايحتاج إليه ورتب الغلمان فى القصر وأمرهم بملازمة الخدمة وتفقد أحوالهم، وأنزل علل أولياء الدولة وتفقد أمور الناس وأزال ضروراتهم، ومنع الناس كافة من الترجل له. فكان الناس يلقونه فى داره فإذا تكامل لقاؤهم ركبوا بين يديه إلى القصر ماعدا الحسين بن جوهر والقاضى ابن النعمان

فقط. فانهما كانا يتقدمانه من دورهما إلى القصر أو يلحقانه، ويكون سلامهما عليه فى القصر. حتى أنه لقب كاتبه فهد بالرئيس فصار يخاطب بذلك ويكاتب به، وكان برجوان يجلس فى دهاليز القصر، ويجلس الرئيس فهد بالدهليز الأول يوقع، وينظر ويطالع برجوان مايحتاج إليه مما يطالع به الحاكم. فيخرج الامر بما يكون العمل به، وترقت أحوال برجوان إلى أن بلغ النهاية فقصر عن الخدمة وتشاغل بلذاته، وأقبل على سماع الغناء وأكثر من الطرب وكان شديد المحبة فى الغناء فكان المغنون من الرجال والنساء يحضرون داره فيكون معهم كأحدهم. ثم يجلس فى داره حتى يمضى صدر النهار ويتكامل جميع أهل الدولة وأرباب الأشغال على بابه فيخرج راكبا ويمضى إلى القصر فيمشى من الأمور مايختار بغير مشاورة. فلما تزايد الأمر وكثر استبداده تحرد له الحاكم ونقم عليه أشياء من تجربة عليه ومعاملته له بالإذلال وعدم الامتثال منها أنه استدعاه يوما وهو راكب معه فصار إليه وقد ثنى رجله على عنق فرسه وصار باطن قدمه وفيه الخف قبالة وجه الحاكم ونحو ذلك من سوء الأدب. فلما كان يوم الخميس سادس عشرى شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة أنفذ إليه الحاكم عشية للركوب معه إلى المقياس فجاء بعد ماتباطأ وقد ضاق الوقت، فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم باكيا يصيح: قتل مولاي، وكان هذا الخادم عينا لبرجوان فى القصر فاضطرب الناس وأشرف عليهم الحاكم، وقام زيدان صاحب المظلة فصاح بهم من كان فى الطاعة فلينصرف إلى منزله ويبكر إلى القصر المعمور. فانصرف الجميع فكان من خبر قتل برجوان أنه لما دخل إلى القصر كان الحاكم فى بستان يعرف بدورة التين والعناب ومعه زيدان فوافاه برجوان بها وهو قائم. فنسلم ووقف فسار الحاكم إلى ان خرج من باب الدورة فوثب زيدان على برجوان وضربه بسكين كانت معه فى عنقه، وابتدره قوم كانوا قد أعدوا للفتك به فأثخنوه جراحة بالخناجر واحتزوا رأسه ودفنوه هناك. ثم إن الحاكم أحضر إليه الرئيس فهدا بعد العشاء الاخير وقال له: أنت كابني، وأمنه وطمنه فكانت مدة نظر برجوان فى الوساطة سنتين وثمانية أشهر تنقص يوما واحدا، ووجد الحاكم فى تركته مائة منديل يمنى عمامة كلها شروب ملونة مصممة على مائة شاشية وألف سراويل ديبقية بألف تكة حرير أرمنى ومن الثياب المخيطة والصحاح والحلى والمصاغ والطيب والفرش

والصياغات الذهب والفضة مالا يحصى كثرة ومن العين ثلاثة وثلاثين ألف دينار، ومن الخيل الركابية مائة وخمسين فرسا وخمسين بغلة ومن بغال النقل ودواب الغلمان نحو ثلاثمائة رأس ومائة وخمسين سرجا منها عشرون وزن ذهبا، ومن الكتب شيء كثير، وحمل لجاريته من مصر إلى القاهرة رحل على ثمانين حماراً. قال ابن خلكان: وبرجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الالف نون هكذا وجدته مقيدا بخط بعض الفضلاء وقال ابن عبد الظاهر، ويسمى الوزغ سماه به الحاكم.

(**حارة زويلة**) قال ابن عبد الظاهر: لما نزل القائد جوهر بالقاهرة اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها. فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبئر التى تعرف ببئر زويلة فى المكان الذى يعمل فيه الآن الروايا والبابان المعروفان ببابى زويلة، وقال ياقوت: زويلة بفتح الزاى وكسر الواو وياء ساكنة وفتح اللام أربعة مواضع. الأول زويلة السودان، وهى قصبة أعمال فزان فى جنوب أفريقية. مدينة كثيرة النخل والزرع.

الثانى زويلة المهدية. بلد كالربض للمهدية اختطه عبد الله الملقب بالمهدي، وأسكنه الرعية وسكن هو بالمهدية التى استجدها، فكانت دكاكين الرعية وأمتعتهم بالمهدية ومنازلهم وحرمهم بزويلة. فكانوا يظلون بالنهار فى المهدية ويبيتون ليلا بزويلة، وزعم المهدى أنه فعل بهم ذلك ليأمن غائلتهم. قال: أحول بينهم وبين أموالهم ليلا، وبينهم وبين نسائهم نهاراً.

الثالث باب زويلة بالقاهرة من جهة الفسطاط.

الرابع حارة زويلة، محلة كبيرة بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال. سميت بذلك لان جوهرا غلام المعز لما اختط محله بالقاهرة أنزل أهل زويلة بهذا المكان فتسمى لهم.

(**الحارة المحمودية**) الصواب فى هذه الحارة ان يقال حارة المحمودية على الإضافة. فإنها عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية. وقد ذكرها المسيحى فى تاريخه مرارا قال: فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة وفيها اقتتلت الطائفة المحمودية والإيانسية، واشتبه أمر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر، فلم يعرف نسبتها لمن. وقال: لا أعلم فى الدولة المصرية من اسمه محمود الاركن الإسلام محمود ابن أخت

الصالح بن رزيك صاحب التربة بالقرافة . اللهم إلا أن يكون محمود بن مصال الملكى الوزير . فقد ذكر ابن القفطى أنه اسمه محمود ، ومحمود صاحب المسجد بالقرافة ، وكان فى زمن السرى بن الحكم قبل ذلك ، وهذا وهم آخر . فإن ابن مصال الوزير اسمه سليمان وينعت نجم الدين ، ووقعت فى هذه الحارة نكتة ، قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة أربع وتسعين وخمسمائة والسلطان يومئذ بمصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، وكان فى شعبان قد تتابع أهل مصر والقاهرة فى إظهار المنكرات وترك الانكار لها وإباحة أهل الأمر والنهى فعلها ، وتفاحش الامر فيها إلى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره ، وأقيمت طاحون بالمحمودية لطحن حشيشة للبزر وأفردت برسمه ، وحميت بيوت المزر ، وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة . فمنها ما انتهى أمره فى كل يوم إلى ستة عشر دينارا ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من مواضع الحمي ، وحملت أوانى الخمر على رؤوس الاشهاد وفى الاسواق من غير منكر ، وظهر من عاجل عقوبة الله تعالى وقوف زيادة النيل عن معتادها ، وزيادة سعر الغلة وقت ميسورها .

(حارة الجودرية) هذه الحارة عرفت أيضا بالطائفة الجودرية أحد طوائف العسكر فى أيام الحاكم بأمر الله على ماذكره المسيحي ، وقال ابن عبد الظاهر : الجودرية أحد طوائف منسوبة إلى جماعة تعرف بالجودرية اختطوها ، وكانوا أربعمائة منهم أبو على منصور الجودرى الذى كان فى أيام العزيز بالله ، وزادت مكانته فى الأيام الحاكمية فأضيفت إليه مع الأحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك ، ولها حكاية سمعت جماعة يحكونها ، وهى أنها كانت سكن إليهود والمعروفة بهم ، فبلغ الخليفة الحاكم أنهم يجتمعون بها فى أوقات خلواتهم ويغنون

وأمة قد ضلوا ودينهم معتل

قال لهم نبيهم نعم الإدام الخل

ويسخرون من هذا القول ويتعرضون إلى مالاينبغى سماعه . فأتى إلى أبوابها وسدها عليهم ليلا وأحرقها . فإلى هذا الوقت لايبيت بها يهودى ولايسكنها أبدا ، وقد كان فى الايام العزيزية جودر الصقلى أيضًا ضرب عنقه ونهب ماله فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة .

(حارة الوزيرية) هى أيضًا تنسب إلى طائفة يقال لها الوزيرية من جملة طوائف العسكر، وكانت أولا تعرف بحارة بستان المصمودي، وعرفت أيضا بحارة الأكراد. قال ابن عبد الظاهر: الوزيرية إلى الآن منسوبة إليه يعنى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج. كان يهوديا من أهل بغداد فخرج منها إلى بلاد الشام، ونزل بمدينة الرملة وأقام بها فصار فيها وكيلا للتجار بها، واجتمع فى قبله مال عجز عن أدائه. ففر إلى مصر فى أيام كافور الإخشيدى فتعلق بخدمته، ووثب إليه بالمتجر فباع إليه أمتعة أحيل بثمنها على ضياع مصر. فكثر لذلك تردده على الريف وعرف أخبار القري، وكان صاحب حيل ودهاء ومكر ومعرفة مع ذكاء مفرط وفطنة وحسن السياسة. فقال لو كان هذا مسلمًا لصلح أن يكون وزيراً. فلما بلغه هذا عن كافور تاقت نفسه إلى الولاية وأحضر من علمه شرائع الإسلام سراً. فلما كان فى شعبان سنة ست وخمسين وثلاثمائة دخل إلى الجامع بمصر وصلى صلاة الصبح وركب إلى كافور معه محمد بن عبد الله بن الخازن فى خلق كثير فخلع عليه كافور ونزل إلى داره، ومعه جمع كثير وركب إليه أهل الدولة يهنونه، ولم يتأخر عن الحضور إليه أحد فغص بمكانه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات وقلق بسببه، وأخذ فى التدبير عليه ونصب الحبائل له حتى خافه يعقوب. فخرج من مصر فارا منه يريد بلاد المغرب فى شوال سنة سبع وخمسين، وقد مات كافور. فلحق بالمعز لدين الله أبى تميم معد فوقع منه موقعًا حسنًا، وشاهد منه معرفة وتدبيرا فلم يزل فى خدمته حتى قدم من المغرب إلى القاهرة فى شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمائة فقلده فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وستين الخراج وجميع وجوه الاموال والحسبة والسواحل والأعشار والجوالى والأحباس والمواريث والشرطتين وجميع مايضاف إلى ذلك وما يطرأ فى مصر وسائر الأعمال، وأشرك معه فى ذلك كله عسلوج ابن الحسن وكتب لهما سجلا بذلك قرىء فى يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون فقبضت أيدى سائر العمال والمتضمنين، وجلس يعقوب وعسلوج فى دار الإمارة فى جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأموال وحضر الناس للمقبالات وطالبا بالبقايا من الأموال مما على الناس من المالكين والمقبلين والعمال واستقصيا فى الطلب ونظرا فى المظالم فتوفرت الأموال وزيد فى الضياع وتزايد الناس وتكاشفوا وامتنعا أن يأخذا إلا ديناراً معزيًا. فاتضع الدينار الراضى وانحط ونقص من صرفه أكثر من

ربع دينار فخسر الناس كثيراً من أموالهم فى الدينار الأبيض والدينار الراضي ، وكان صرف المعزى خمسة عشر درهمًا ونصفًا ، واشتد الاستخراج فكان يستخرج فى إليوم نيف وخمسون ألف دينار معزية ، واستخرج فى يوم واحد مائة وعشرون ألف دينار معزية وحصل فى يوم واحد من مال تنيس ودمياط والأشمونين أكثر من مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وهذا شيء لم يسمع قط بمثله فى بلد . فاستمر الأمر على ذلك إلى المحرم سنة خمس وستين وثلاثمائة فتشاغل يعقوب عن حضور ديوان الخراج ، وانفرد بالنظر فى امور المعز لدين الله فى قصره وفى الدور الموافق عليها ، وبعد ذلك بقليل مات المعز لدين الله فى شهر ربيع الآخر منها ، وقام من بعده فى الخلافة ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار . ففوض ليعقوب النظر فى سائر أموره ، وجعله وزيراً له فى أول المحرم سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وفى شهر رمضان سنة ثمان وستين لقبه بالوزير الأجل وأمر أن لايخاطبه أحد ولايكاتبه إلا به وخلع عليه وحمل ورسم له فى المحرم سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة أن يبدأ له فى مكاتباته باسمه على عنوانات الكتب النافذة عنه ، وخرج توقيع العزيز بذلك ، وفى هذه السنة اعتقل فى القصر ورد الأمر إلى خير بن القاسم فأقام معتقلا عدة شهور ثم أطلق فى سنة أربع وسبعين وحمل على عدة خيول وقرىء سجل برده إلى تدبير الدولة ، ووهبه خمسمائة غلام من الناشئة والف غلام من المغاربة ملكه العزيز رقابهم . فكان يعقوب أول وزراء الخلفاء الفاطميين بديار مصر . فدبر أمور مصر والشام والحرمين وبلاد المغرب وأعمال هذه الأقإليم كلها من الرجال والأموال والقضاء والتدبير وعمل له إقطاعا فى كل سنة بمصر والشام مبلغها وثلاثمائة ألف دينار واتسعت دائرته وعظمت مكانته حتى كتب اسمه على الطرز وفى الكتب وكان يجلس كل يوم فى داره ويأمر وينهى ولايرفع إليه رقعة إلا وقع فيها ولايسأل فى حاجة إلا قضاها ورتب فى داره الحجاب نوبا وأجلسهم على مراتب وألبسهم الديباج وقلدهم السيوف وجعل لهم المناطق ، ورتب فرسين فى داره للنوبة لاتبرح واقفة بسروجها ولجمها لهم ونصب فى داره الدواوين فجعل ديوانا للعزيزية فيه عدة كتاب وديوانًا للجيش فيه عدة كتاب ، وديوانًا للأموال فيه عدة كتاب ، وعدة جهابذة ، وديوانًا للخراج ، وديوانًا للسجلات والإنشاء ، وديوانًا للمستغلات وأقام على هذه الدواوين زمانا ، وجعل فى داره خزانة ، وكان يجلس عنده فى كل يوم الأطباء لينظروا فى

حال الغلمان ومن يحتاج منهم إلى علاج أو إعطاء دواء، ورتب إلى داره الكتاب والأطباء يقفون بين يديه، وجعل فيها العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأرباب الصنائع لكل طائفة مكان مفرد، وأجرى على كل واحد منهم الارزاق، وألف كتبًا فى الفقه والقراءات ونصب له مجلسا فى داره يحضره فى كل يوم ثلاثاء ويحضر إليه الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل يتناظرون بين يديه. فمن تآليفه كتاب فى القراءات وكتاب فى الأديان، وهو كتاب الفقه واختصره، وكتاب فى آداب رسول الله﴾ وكتاب فى علم الابدان وصلاحها فى ألف ورقة، وكتاب فى الفقه مما سمعها من الإمام المعز لدين الله والامام العزيز بالله، وكان يجلس فى يوم الجمعة أيضًا ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه وفى حضرته القضاة والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث والنحاة والشهود. فإذا فرغ من قراءة مايقرأ من مصنفاته قام الشعراء ينشدون مدائحهم فيه، وكان فى داره عدة كتاب يتسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب الأدب وغيرها من العلوم فإذا فرغوا من نسخها قوبلت وضبطت، وجعل فى داره، قراء وأئمة يصلون فى مسجد داره وأقام بداره عدة مطابخ لنفسه ولجلسائه ولغلمانه وحواشيه، وكان ينصب مائدة لخاصته يأكل هو وخواصه من أهل العلم ووجوه كتابه وخواص غلمانه ومن يستدعيه عليها، وينصب عدة موائد لبقية الحجاب والكتاب والحواشى وكان إذا جلس يقرأ كتابه فى الفقه الذى سمعه من المعز والعزيز لايمنع أحد من مجلسه فيجتمع عنده الخاص والعام، ورتب عند العزيز بالله جماعة لايخاطبون إلا بالقائد، وأنشأ عدة مساجد ومساكن بمصر والقاهرة، وكان يقيم فى شهر رمضان الاطعمة للفقهاء ووجوه الناس وأهل الستر والتعفف، ولجماعة كثيرة من الفقراء، وكان إذا فرغ الفقهاء والوجوه من الأكل معه يطاف عليهم بالطيب ومرض مرة من علة أصابت يده فقال فيه عبد الله بن محمد ابن أبى الجرع

يد الوزير هى الدنيا فإن ألمت

رأيت فى كل شىء ذلك الألما

تأمل الملك وانظر فرط علته

من أجله واسأل القرطاس والقلما

وشاهد البيض فى الأغماد حائمة

إلى العدا وكثيراً ماروين دما

وانفس الناس بالشكوى قد اتصلت

كأنما أشعرت من أجله سقما

هل ينهض المجد إلا أن يؤيده

ساق يقدم فى إنهاضه قدما

لولا العزيز وآراء الوزير معا

تحيفتنا خطوب تشعب الأمما

فقل لهذا وهذا أنتما شرف

لا أوهن الله ركنيه ولا انهدما

كلا كما لم يزل فى الصالحات يدا

مبسوطة ولسانا ناطقا وفما

ولا أصابكما أحداث دهر كما

ولا طوى لكما ما عشتما علما

ولا امحت عنك يامولاى عافية

فقد محوت بما أوليتنى العدما

وكان الناس يفتون بكتابه فى الفقه، ودرس فيه الفقهاء بجامع مصر، وأجرى العزيز بالله لجماعة فقهاء يحضرون مجلس الوزير أرزاقا فى كل شهر تكفيهم. وكان للوزير مجلس فى داره للنظر فى رقاع المرافعين والمتظلمين ويوقع بيده فى الرقاع ويخاطب الخصوم بنفسه، وأراد العزيز بالله أن يسافر إلى الشام فى زمن ابتداء الفاكهة فأمر الوزير أن يأخذ الأهبة لذلك فقال يامولاى لكل سفر أهبة على مقداره فما الغرض من السفر؟ فقال أنى أريد التفرج بدمشق لاكل القراصيا. فقال السمع والطاعة وخرج فاستدعى جميع أرباب الحمام

وسألهم عما بدمشق من طيور مصر وأسماء من هى عنده، وكانت مائة ونيفا وعشرين طائراً ثم التمس من طيور دمشق التى هى فى مصر عدة فأحضرها وكتب إلى نائبه بدمشق يقول إن بدمشق كذا وكذا طائراً وعرفه أسماء من هى عنده وأمر باحضارها إليه جميعها وأن يصيب من القراصيا فى كل كاغدة ويشدها على كل طائر منها ويسرحها فى يوم واحد فلم يمض إلا ثلاثة أيام أو أربعة حتى وصلت الحمائم كلها ولم يتأخر منها إلا نحو عشر وعلى جناحها القراصيا فاستخراجها من الكواغد وعملها فى طبق من ذهب وغطاها وبعث بها إلى العزيز بالله مع خادم وركب إليه وقدم ذلك، وقال يا أمير المؤمنين قد حضرنا قبالك القراصيا هنا فإن أغناك هذا القدر وإلا استدعينا شيأ آخر فعجب العزيز بالوزير وقال: مثلك يخدم الملوك ياوزير وأتفق انه سابق العزيز بين الطيور فسبق طائر الوزير يعقوب طائر العزيز فشق ذلك على العزيز ووجد أعداء الوزير سبيلا إلى الطعن فيه فكتبوا إلى العزيز أنه قد اختار من كل صنف أعلاه، ولم يترك لأمير المؤمنين إلا أدناه حتى الحمام فبلغ ذلك الوزير فكتب إلى العزيز :

قل لامير المؤمنين الذي

له العلى والمثل الثاقب

طائرك السابق لكنه

لم يأت إلاوله حاجب

فأعجب العزيز ذلك وأعرض عما وشى به ولم يزل على حال رفيعة وكلمة نافذة إلى أن ابتدأت به علته يوم الاحد الحادى والعشرين من شوال سنة ثمانين وثلاثمائة ونزل إليه العزيز بالله يعوده، وقال له وددت أنك تباع فأبتاعك بمالى أو تفدى فأفديك بولدي. فهل من حاجة توصى بها يايعقوب! فبكى وقبل يده وقال أما فيما يخصنى فأنت أرعى بحقى من أن استرعيك إياه وأرأف على من أن أوصيك به، ولكنى أنصح لك فيما يتعلق بك وبدولتك سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والشكر ولاتبق على مفرج بن دعقل إن عرضت لك فيه فرصة وانصرف العزيز فأخذته السكنة وكان فى سباق الموت يقول لايغلب الله غالب. ثم قضى نحبه ليلة الأحد لخمس خلون من ذى الحجة فأرسل العزيز بالله إلى

داره الكفن والحنوط وتولى غسله القاضى محمد بن النعمان، وقال كنت والله أغسل لحيته وأنا أرفق به خوفا أن يفتح عينه فى وجهى، وكفن فى خمسين ثوبا ثلاثين مثقلا. يعنى منسوجا بالذهب ووشى مذهبًا وشرب ديبقى مذهبًا وحقه كافورا وقارورتى مسك وخمسين منا ماء ورد وبلغت قيمة الكفن والحنوط عشرة آلاف دينار، وخرج مختار الصقلى وعلى بن عمر العداس والرجال بين أيديهم ينادون لايتكلم أحد ولاينطق، وقد اجتمع الناس فيما بين القصر ودار الوزير التى عرفت بدار الديباج. ثم خرج العزيز من القصر على بغلة والناس يمشون بين يديه وخلفه بغير مظلة والحزن ظاهر عليه حتى وصل، إلى داره فنزل وصلى عليه، وقد طرح على تابوته ثوب مثقل ووقف حتى دفن بالقبة التى كان بناها وهو يبكى ثم انصرف، وسمع العزيز وهو يقول واطول أسفى عليك ياوزير. والله لو قدرت أفديك بجميع ماأملك لفعلت وأمر بإجراء غلمانه على عادتهم وعتق جميع مماليكه وأقام ثلاثًا لا يأكل على مائدته ولايحضرها من عادته الحضور، وعمل على قبره ثوبان مثقلان وأقام الناس عند قبره شهرا وغدا الشعراء إلى قبره فرثاه مائة شاعر أجيزوا كلهم وبلغ العزيز أن عليه ستة عشر ألف دينار فأرسل بها إلى قبره فوضعت عليه وفرقت على أرباب الديون وألزم القراء بالمقام على قبره، وأجرى عليهم الطعام وكانت الموائد تحضر إلى قبره كل يوم مدة شهر يحضر نساء الخاصة كل يوم ومعهن نساء العامة، فتقوم الجوارى بقداح الفضة والبلور وملاعق الفضة فيسقين النساء الأشربة والسويق بالسكر ولم تتأخر نائحة ولا لاعبة عن حضور القبر مدة الشهر، وخلف أملاكا وضياعا قياسير ورباعا وعينا وورقا وأوانى ذهبًا وفضة وجوهرا وعنبرًا وطيبا وثيابا وفرشا ومصاحف وكتبًا وجوارى وعبيدًا وخيلا وبغالا ونوقا وحمرا وإبلا وغلالا وخزائن مابين أشربة وأطعمة قومت بأربعة آلاف ألف دينار، سوى ماجهز به ابنته وهو ماقيمته مائتا ألف دينار وخلف ثمانى مائة حظية سوى جوارى الخدمة، فلم يتعرض العزيز لشىء مما يملكه أهله وجواريه وغلمانه وأمر بحفظ جهاز ابنته إلى أن زوجها وأجرى لمن فى داره كل شهر ستمائة دينار للنفقة سوى الكسوة والجرايات ومايحمل إليهم من الاطعمة من القصر، وأمر بنقل ماخلفه إلى القصر فلما تم له من يوم وفاته شهر قطع الأمير منصور بن العزيز جميع مستعلاته، وأقر العزيز جميع مافعله الوزير وما ولاه من العمال على حاله، وأجرى الرسوم التى كان يجريها، وأقر غلمانه على حالهم،

وقـال: هؤلاء صنائعي، وكـانت عـدة غلمـان الوزير أربعـة آلاف غـلام عـرفـوا بالطائفـة الوزيرية، وزاد العزيز أرزاقهم عما كانت عليه وأدناهم، وإليهم تنسب الوزيرية كأنها كانت مساكنهم، واتفق أن الوزير عمر فبة أنفق عليها خمسة عشر ألف دينار وآخر ماقال لقد طال أمر هذه القبة. ماهذه قبة. هذه تربة. فكانت كذلك ودفن تحتها وموضع قبره إليوم المدرسة الصاحبية واتفق انه وجد فى داره رقعة مكتوب فيها

احذروا من حوادث الأزمان

وتوقوا طـــــوارق الحدثان

قد أمنتم ريب الزمان ونمتم

رب خوف مكمن فى الأمان

فلمـا قـرأها قـال لاحـول ولاقـوة الا بالله العلى العظيم ولـم يلبث بعـدهـا الا اياما يسـيـرة ومرض فمات.

(حارة الباطلية) عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية قال بن عبد الظاهر: وكان المعز لما قسم العطاء فى الناس جاءت طائفة فسألت عطاء فقيل لها فـرغ مـاكـان حـاضراً ولـم يبق شيء. فقالوا: رحنا نحن فى الباطل.

فسموا الباطلية وعرفت هذه الحارة بهم وفى سنة ثلاث وستين وستمائة احترقت حارة الباطلية عند ماكثر الحريق فى القاهرة ومصر واتهم النصارى بفعل ذلك فجمعهم الملك الظاهر بيبرس وحملت لهم الاحطاب الكثيرة والحلفاء وقدموا ليحرقوا بالنار فتشفع لهم الامير فارس الدين أقطاى أتابك العساكر على أن يلتزموا بالأموال التى احترقت وأن يحملوا إلى بيت المال خمسين ألف دينار فتركوا، وجرى فى ذلك ماتستحسن حكايته، وهو أنه قد جمع مع النصارى سائر إليهود وركب السلطان ليحرقهم بظاهر القاهرة وقد اجتمع الناس من كل مكان للتشفى بحريقهم لما نالهم من البلاء فيما دهوابه من حريق الاماكن. لاسيما الباطلية فإنها أتت النار عليها حتى حرقت بأسرها. فلما حضر السلطان وقدم إليهود والنصارى ليحرقوا برزابن الكازرونى إليهودى وكان صيرفيا وقال للسلطان: سألتك بالله لاتحرقنا مع هؤلاء الكلاب الملاعين أعدائنا وأعدائكم احرقنا ناحية وحدنا. فضحك

السلطان والامراء، وحينئذ تقرر الامر على ماذكر فندب لاستخراج المال منهم الامير سيف الدين بلبان المهرانى فاستخلص بعض ذلك فى عدة سنين وتطاول الحال فدخل كتاب الأمراء مع مخاديمهم وتحيلوا فى إبطال مابقى فبطل فى أيام السعيد بن الظاهر، وكان سبب فعل النصارى لهذا الحريق حنقهم لما أخذ الظاهر من الفرنج أرسوف وقيسارية وطرابلس ويافا وأنطاكية، ومازالت الباطلية خرابا والناس تضرب بحريقها المثل لمن يشرب الماء كثيرا فيقولون كأن فى باطنه حريق الباطلية ولما عمر الطواشى بهادر المقدم داره بالباطلية عمرت فيها مواضع بعدسنه خمس وثمانين وسبعمائة.

(**حارة الروم**) قال ابن عبد الظاهر: واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن، وحارة الروم الجوانية، فلما ثقل ذلك عليهم قالوا الجوانية لا غير والوراقون إلى هذا الوقت يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة إليوم بالجوانية، وفى سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدم حارة الروم فهدمت ونهبت.

(**حارة الديلم**) عرفت بذلك لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدم ومعه أولاد مولاه معز الدولة البويهى وجماعة من الديلم والاتراك فى سنة ثمان وستين وثلاثمائة فسكنوا بها فعرفت بهم وهفتكين هذا يقال له الفتكين أبو منصور التركى الشرابى غلام معز الدولة أحمد بن بويه، ترقى فى الخدم حتى غلب فى بغداد عن عز الدولة، مختار بن معز الدولة وكان فيه شجاعة وثبات فى الحرب، فلما سارت الاتراك من بغداد، الحرب الديلم جرى بينهم قتال عظيم اشتهر فيه هفتكين إلا أن أصحابه انهزموا عنه وصار فى طائفة قليلة فولى بمن معه من الأتراك وهم نحو الاربعمائة فسار إلى الرحبة وأخذ منها على البر إلى أن قرب من حواشية احدى قرى الشام، وقد وقع فى قلوب العربان منه مهابة فخرج إليه ظالم بن مرهوب العقيلى من بعلبك وبعث إلى أبى محمود ابراهيم بن جعفر أمير دمشق من قبل الخليفة المعز لدين الله يعلمه بقدوم هفتكين من بغداد لإقامة الخطبة العباسية وخوفه منه فأنفذ إليه عسكرا وسار، إلى ناحية حوشية يريد هفتكين وسار بشارة الخادم من قبل أبى المعالى بن حمدان عوناً لهفتكين فرد ظالم إلى بعلبك من غير حرب، وسار بشارة بهفتكين إلى حمص فحمل إليه أبو المعالى وتلقاه وأكرمه وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل الدعارة

والفساد وحاربوا عمال السلطان، واشتد أمرهم، وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد فلما بلغهم خبر هفتكين بعثوا إليه من دمشق إلى حمس يستدعونه ووعدوه بالقيام معه على عسكار المعز وإخراجهم من دمشق ليلي عليهم فوقع ذلك منه بالموافقة، وصار حتى نزل بثنية العقاب لأيام بقيت من شعبان سنة أربع وستين وثلاثمائة فبلغ عسكر المعز خبر الفرنج وانهم قد قصدوا طرابلس فساروا بأجمعهم إلى لقاء العدو ونزل هفتكين على دمشق من غير حرب فأقام أيامًا ثم سار يريد محاربة ظالم ففر منه، ودخل هفتكين بعلبك فطرقه العد ومن الروم والفرنج وانتهبوا بعلبك وأحرقوا، وذلك فى شهر رمضان وانتشروا فى أعمال بعلبك والبقاع يقتلون ويأسرون ويحرقون وقصدوا دمشق وقد التحق بها هفتكين فخرج إليهم أهل دمشق وسألوهم الكف عن البلد والتزموا بمال فخرج إليهم هفتكين وأهدى إليهم وتكلم معهم فى أنه لايستطيع جباية المال لقوة ابن الماورد وأصحابه، وأمر ملك الروم به فقبض عليه وقيده وعاد وحبى المال من دمشق بالعنف، وحمل إلى ملك الروم ثلاثين ألف دينار ورحل إلى بيروت ثم إلى طرابلس فتمكن هفتكين من دمشق وأقام بها الدعوة لابى بكر عبد الكريم الطائع بن المطيع العباسى وسير إلى العرب السرايا فظفرت وعادت إليه بعده بمن أسرته من رجال العرب فقتلهم صبرا وكان قد تخوف من المعز فكاتب القرامطة يستدعيهم من الأحساء للقدوم عليه لمحاربة عساكر المعز، ومازال بهم حتى وافوا دمشق فى سنة خمس وستين ونزلوا على ظاهرها ومعهم كثير من أصحاب هفتكين الذين كانوا قد تشتتوا فى البلاد فقوى بهم، ولقى القرامطة وحمل إليهم وسربهم فأقاموا على دمشق أياما ثم رحلوا نحو الراملة، وبها أبو محمود فلحق بيافا ونزل القرامطة الرملة ونصبوا القتال على يافا حتى كل الفريقان وسئموا جميعًا من طول الحرب، وسار هفتكين على الساحل ونزل بعيدا، وبها ظالم بن مرهوب العقيلى وابن الشيخ من قبل المعز فقاتلهم قتالا شديداً انهزم منه ظالم إلى صور وقتل بين الفريقين نحو أربعة آلاف رجل فقطع أيدى القتلى من عسكر المعز وسيرها إلى دمشق فطيف بها ثم سار عن صيدا يريد عكا وبها عسكر المعز، وكان قد مات المعز فى شهر ربيع الآخر وقام من بعده ابنه العزيز بالله، وسير جوهر القائد فى عسكر عظيم إلى قتال هفتكين والقرامطة فبلغ ذلك القرامطة وهم على الرملة ووصل الخبر بمسيره إلى هفتكين وهو على عكا فخاف القرامطة وفروا عنها، فنزلها جوهر وسار من القرامطة إلى الأحساء التى هى بلادهم جماعة، وتأخر عدة، وسار هفتكين من عكا إلى طبرية وقد علم بمسير القرامطة، وتأخر بعضهم فاجتمع بهم فى طبرية واستعد للقاء جوهر وجمع الأقوات من

بلاد حوران والثنية وأدخلها إلى دمشق وسار إليها فتحصن بها فنزل جوهر على ظاهر دمشق لثمان بقين من ذى القعدة فبنى على معسكره سوراً وحفر خندقا عظيما، وجعل له أبوابًا وجمع هفتكين الناس للقتال، وكان قد بقى بعد ابن الماورد رجل يعرف بقسام التراب، وصار فى عدة وافرة من الدعار فأعانه هفتكين وقواه وأمده بالسلاح وغيره ووقعت بينهم وبين جوهر حروب عظيمة طويلة إلى يوم الحادى عشر من ربيع الأول سنة ست وستين وثلاثمائة فاختل أمر هفتكين وهم بالفرار، ثم انه استظهر ووردت الاخبار بقدوم الحسن بن أحمد القرمطى إلى دمشق فطلب جوهر الصلح على أن يرحل من دمشق من غير أن يتبعه أحدو وذلك أنه رأى أمواله قد قلت وهلك كثير مما كان فى عسكره حتى صار أكثر عسكره رجاله وأعوزهم العلف وخشى قدوم القرامطة فأجابه هفتكين وقد عظم فرحه واشتد سروره. فرحل فى ثالث جمادى الأولى وجد فى المسير وقد قرب القرامطة فأناخ بطبرية فبلغ ذلك القرمطى فقصده وقد سار عنها إلى الرملة. فبعث إليه بسرية كانت لها مع جوهر وقعة قتل فيها جماعة من العرب وأدركه القرمطى وسار فى أثره هفتكين فمات الحسن بن أحمد القرمطى بالرملة، وقام من بعده بأمر القرامطة ابن عمه جعفر ففسد مابينه وبين هفتكين ورجع عن الرملة إلى الأحساء وناصب هفتكين القتال وألح فيه على جوهر حتى انهزم عنه، وسار إلى عسقلان وقد غنم هفتكين مما كان معه شيئاً يجل عن الوصف ونزل عن البلد محاصراً لها وبلغ ذلك العزيز فاستعد للسير إلى بلاد الشام فلما طال الامر على جوهر راسل هفتكين حتى يقرر الصلح على مال يحمله إليه وأن يخرج من تحت سيف هفتكين فعلق سيفه على باب عسقلان وخرج جوهر ومن معه، من تحته وساروا إلى القاهرة فوجد العزيز قد برز يريد المسير فسار معه وكان مدة قتال هفتكين لجوهر على ظاهر الرملة وفى عسقلان سبعة عشر شهراً وصار العزيز بالله حتى نزل الرملة وكان هفتكين بطبرية فسار إلى لقاء العزيز ومعه أبو إسحاق وأبو طاهر وأخو عز الدولة بن بختيار بن أحمد أبن بويه وأبو اللحاد مرزبان عز الدولة بن بويه فحاربوه فلم يكن غير ساعة حتى هزمت عساكر العزيز عساكر هفتكين وملكوه فى يوم الخميس لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين وثلاثمائة واستأمن أبو اسحاق ومرزبان بن بختيار وقتل أبو طاهر أخو عز الدولة بن بختيار وأخذ أكثر أصحابه أسري، وطلب هفتكين فى القتلى فلم يوجد وكان قد فر وقت الهزيمة على فرس

بمفرده فأخذه بعض العرب أسيراً فقدم به على مفرج بن دعقل بن الجراح الطائى وعمامته فى عنقه فبعث به إلى العزيز فأمر به فشهر فى العسكر وطيف به على جمل فأخذ الناس يلطمونه ويهزون لحيته حتى رأى فى نفسه العبر ثم سار العزيز بهفتكين والأسرى إلى القاهرة فاصطنعه ومن معه وأحس إليه غاية الإحسان وأنزله فى دار وواصله بالعطاء والخلع حتى قال: لقد احتشمت من ركوبى مع مولانا العزيز بالله وتطوفى إليه بما غمرنى من فضله وإحسانه، فلما بلغ ذلك العزيز قال لعمه حيدرة: ياعم والله انى أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار، وان يكون ذلك كله من عندي، وبلغ العزيز أن الناس من العامة يقولون: ماهذا التركى فأمر به فشهر فى أجمل حال، ولما رجع من تطوفه وهب له مالا جزيلا وخلع عليه وأمر سائر الأولياء بأن يدعوه إلى دورهم فما منهم إلا من عمل له دعوة وقدم إليه وقاد بين يديه الخيول. ثم إن العزيز قال له بعد ذلك: كيف رأيت دعوات أصحابنا؟ فقال يامولانا حسنة فى للغاية ومافيهم إلا من أنعم وأكرم فصار يركب للصيد والتفرج وجمع إليه العزيز بالله أصحابه من الاتراك والديلم واستحجبه واختص به، وما زال على ذلك إلى ان توفى فى سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة فاتهم العزيز وزيره يعقوب بن كلس أنه سمه لأن هفتكين كان يترفع عليه فاعتقله مدة ثم أخرجه.

(**حارة الاتراك**) هذه الحارة تجاه الجامع الازهر وتعرف إليوم بدرب الاتراك، وكان نافذا إلى حارة الديلم، والوراقون القدماء تارة يفردونها من حارة الديلم وتارة يضيفونها إليها ويجعلونها من حقوقها. فيقولون تارة حارة الترك والديلم، وتارة يقولون حارتى الديلم والأتراك، وقيل لها حارة الأتراك لأن هفتكين لما غلب ببغداد سار معه من جنسه أربعمائة من الأتراك وتلاحق به عند ورود القرامطة عليه بدمشق عدة من أصحابه. فلما جمع لحرب العزيز بالله كان أصحابه مابين ترك وديلم. فلما قبض عليه العزيز ودخل به إلى القاهرة فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثمان وستين وثلاثمائة كما تقدم ـ نزل الديلم مع أصحابهم فى موضع حارة الديلم ونزل هفتكين بأتراكه فى هذا المكان فصار يعرف بحارة الأتراك وكانت مختلطة بحارة الديلم لأنهما أهل دعوة واحدة. إلا أن كل جنس على عدة لتخالفهما فى الجنسية، ثم قبل بعد ذلك درب الاتراك.

(حارة كتامة) هذه الحارة مجاورة لحارة الباطلية، وقد صارت الآن من جملتها. كانت منازل كتامة بها عند ماقدموا من المغرب مع القائد جوهر ثم مع العزيز، وموضع هذه الحارة إليوم حمام كواى وما جاورها مما وراء مدرسة ابن الغنام. حيث الموضع المعروف بدرب ابن الاعسر إلى رأس الباطلية، وكانت كتامة هى أصل دولة الخلفاء الفاطميين.

ذكر أبى عبد الله الشيعى

هو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى من أهل صنعاء إليمن. ولى الحسبة فى بعض أعمال بغداد، ثم سار إلى ابن حوشب بإليمن، وصار من كبار أصحابه، وكان له علم وفهم، وعنده دهاء ومكر، فورد على ابن حوشب موت الحلوانى داعى المغرب ورفيقه. فقال لابى عبد الله الشيعى إن أرض كتامة من بلاد المغرب قد خربها الحلوانى وأبو سفيان وقد ماتا، وليس لها غيرك. فبادر فإنها موطأة ممهدة لك. فخرج من إليمن إلى مكة، وقد زوده ابن حوشب بمال فسأل عن حجاج كتامة فأرشد إليهم واجتمع بهم، وأخفى عنهم قصده، وذلك أنه جلس قريبًا منهم فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت فحدثهم فى ذلك وأطال، ثم نهض ليقوم فسألوه أن يأذن لهم فى زيارته فأذن لهم فصاروا يترددون إليه لما رأوا من علمه وعقله، ثم انهم سألوه أين يقصد؟ فقال أريد مصر. فسروا بصحبته ورحلوا من مكة وهو لايخبرهم شيأ من خبره وما هو عليه من القصد وشاهدوا منه عبادة وورعا وتحرجا وزهادة. فقويت رغبتهم فيه واشتملوا على محبته واجتمعوا على اعتقاده وساروا بأسرهم خدما له، وهو فى اثناء ذلك يستخبرهم عن بلادهم ويعلم أحوالهم ويفحص عن قبائلهم. وكيف طاعتهم للسلطان بافريقية. فقالوا له ليس له علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة أيام. قال أفتحملون السلاح؟ قالوا هو شغلنا ومابرح حتى عرف جميع ماهم عليه فلما وصلوا إلى مصر أخذ يودعهم فشق عليهم فراقه، وسألوه عن حاجته بمصر. فقال مالى بها من حاجة إلا أنى أطلب التعليم بها قالوا فأما إذا كنت تقصد هذا فإن بلادنا أنفع لك وأطوع لأمرك ونحن أعرف بحفك، ومازالوا به حتى أجابهم إلى السير معهم. فساروا به إلى أن قاربوا بلادهم،

وخرج إلى لقائهم أصحابهم ، وكان عندهم حس كبير من التشيع ، واعتقاد عظيم فى محبة أهل البيت كما قرره الحلواني ، فعرفهم القوم خبر أبى عبد الله فقاموا بحق تعظيمه وإجلاله ورغبوا فى نزوله عندهم ، واقترعوا فيمن يضيفه ، ثم ارتحلوا إلى أرض كتامة فوصلوا إليها منتصف الربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين فما منهم إلا من سأله أن يكون منزله عنده فلم يوافق أحداً منهم . وقال أين يكون فج الاخيار؟ فعجبوا من ذلك ولم يكونوا قط ذكروه له منذ صحبوه . فدلوه عليه فقصده وقال إذا حللنا به صرنا نأتى كل قوم منكم فى ديارهم ونزورهم فى بيوتهم فرضوا جميعًا بذلك ، وسار إلى جبل إيلحان وفيه فج الاخيار . فقال هذا فج الاخيار وماسمى إلا بكم ولقد جاء فى الآثار للمهدى هجرة ينبو بها عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من كل مكان ، وعظم أمره حتى أن كتامة اقتتلت عليه مع قبائل البربر ، وهو لايذكر اسم المهدى ولايعرج عليه ، فبلغ خبره إبراهيم بن الأغلب أمير أفريقية فقال أبو عبد الله لكتامة : أنا صاحب النذر الذى قال لكم أبو سفيان والحلواني . فازدادت محبتهم له وعظم أمره فيهم وأتته القبائل من كل مكان ، وسار إلى مدينة ناصروق وجمع الخيل وصير أمرها للحسن بن هارون كبير كتامة ، وخرج للحرب فظفر وغنم وعمل على ناصروق خندقا فرجعت إليه قبائل من البربر وحاربوه فظفر بهم وصارت إليه أموالهم ووالى الغزو فيهم حتى استقام له أمرهم ، فسار وأخذ مدائن عدة فبعث إليه ابن الأغلب بعساكر كانت له معهم حروب عظيمة وخطوب عديدة وأنباء كثيرة آلت إلى غلب أبى عبد الله ، وانتشار أصحابه من كتامة فى البلاد . فصار يقول المهدى يخرج فى هذه الايام ويملك الأرض فياطوبى من هاجر إليَّ وأطاعنى وأخذ يغرى الناس بابن الأغلب ويذكر كرامات المهدى وما يفتح الله له ، ويعدهم بأنهم يملكون الارض كلها وسير إلى عبيد الله بن محمد رجالا من كتامة ليخبروه بما فتح الله له وأنه ينتظره ، فوافوا عبيد الله بسلمية من أرض حمص وكان قد اشتهر بها وطلبه الخليفة المكتفى ففر منه بابنه أبى القاسم وسار إلى مصر وكان لهما قصص مع النوشزى عامل مصر حتى خلصا منه ، ولحقا ببلاد المغرب وبلغ ابن الأغلب زيادة الله خبر مسير عبيد الله فأزكى له العيون وأقام له الأعوان حتى قبض عليه بسلجماسة وكان عليها إليسع بن مدرار وحبس بها هو وابنه أبو القاسم ،

وبلغ ذلك أبا عبد الله وقد عظم أمره فسار وضايق زيادة الله بن الأغلب وأخذ مدائنه شيئاً بعد شيء وصار فيما ينيف على مائتى ألف، وألح على القيروان حتى فر زيادة الله إلى مصر، وملكها أبو عبد الله ثم سار إلى رفادة، فدخلها أول رجب سنه ست وتسعين ومائتين وفرق الدور على كتامة، وبعث العمال إلى البلاد. وجمع الاموال ولم يخطب باسم أحد فلما دخل شهر رمضان سار من رفادة فاهتز لرحيله المغرب بأسره وخافته زنانة وغيرها وبعثوا إليه بطاعتهم وسار إلى سلجماسة ففر منه إليسع بن ميدرار وإليها ودخل البلد فأخرج عبيد الله وابنه من السجن، وقال هذا المهدى الذى كنت أدعوكم إليه وأركبه هو وأبنه ومشى بسائر رؤساء القبائل بين أيديهما وهو يقول: هذا مولاكم ويبكى من شدة الفرح حتى وصل إلى فسطاط ضرب له فأنزل فيه، وبعث فى طلب اليسع فأدركه وحمل إليه فضربه بالسياط وقتله ثم سار المهدى إلى رفادة فصار بها فى آخر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، ولما تمكن قتل أبا عبد الله وأخاه فى يوم الإثنين للنصف من جمادى الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين. فكان هذا ابتداء أمر الخلفاء الفاطميين ومازالت كتامة هى أهل الدولة مدة خلافة المهدى عبيد الله وخلافة ابنه القاسم القائم بأمر الله وخلافة المنصور بنصر الله إسماعيل بن القاسم وخلافة معد المعز لدين الله ابن المنصور وبهم أخذ ديار مصر لما سيرهم إليها مع القائد جوهر فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وهم أيضا كانوا أكابر من قدم معه من الغرب فى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، فلما كان فى أيام ولده العزيز بالله نزار أصطنع الديلم والأتراك وقدمهم وجعلهم خاصته فتنافسوا وصار بينهم وبين كتامة تحاسد إلى أن مات العزيز بالله، وقام من بعده أبو على المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله فقدم ابن عمار الكتامى وولاه الوساطة، وهى فى معنى رتبة الوزارة فاستبد بأمور الدولة وقدم كتامة وأعطاهم وحط من الغلمان والأتراك والديلم الذين اصطنعهم العزيز فاجتمعوا إلى برجوان وكان صقليا، وقد تاقت نفسه إلى الولاية فأغرى المصطنعة بابن عمار حتى وضعوا منه واعتزل عن الأمر وتقلد برجوان الوساطة فاستخدم الغلمان المصطنعين فى القصر وزاد فى عطاياهم وقواهم، ثم قتل الحاكم ابن عمار وكثيراً من رجال دولة أبيه وجده فضعفت كتامة وقويت الغلمان. فلما مات الحاكم وقام من بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله على أكثر من اللهو ومال إلى الأتراك

والمشارقة فانحط جانب كتامة ومازال ينقص قدرهم ويتلاشى أمرهم حتى ملك المستنصر بعد أبيه الظاهر فاستكثرت أمه من العبيد حتى يقال إنهم بلغوا نحواً من خمسين ألف أسود، واستكثر هو من الأتراك وتنافس كل منهما مع الآخر فكانت الحرب التى آلت إلى خراب مصر وزوال بهجتها إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وقتل رجال الدولة وأقام له جندا وعسكرا من الأرمن، فصار من حينئذ معظم الجيش من الأرمن، وذهبت كتامة وصاروا من جملة الرعية بعد ماكانوا وجوه الدولة وأكابر أهلها.

(حارةالصالحية) عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزيك وهى موضعان. الصالحية الكبرى والصاحية الصغرى وموضعهما فيما بين المشهد الحسينى ورحبة الايدمرى وبين البرقية وكانت من الحارات العظيمة وقد خربت الآن وباقيها متداع إلى الخراب قال ابن عبد الظاهر: الحارة الصالحية منسوبة إلى الصالح طلائع بن رزيك لأن غلمانه كانوا يسكنونها، وهى مكانان وللصالح دار بحارة الديلم كانت سكنه قبل الوزارة، وهى باقية إلى الآن، وبها بعض ذريته، والمكان المعروف بخوخة الصالح نسبة إليه.

(حارة البرقية) هذه الحارة عرفت بطائفة من طوائف العسكر فى الدولة الفاطمية يقال لها الطائفة البرقية ذكرها المسيحى قال ابن عبد الظاهر ولما نزل بالقاهرة يعنى المعز لدين الله اختطت كل طائفة خطة عرفت بها. قال واختطت جماعة من أهل برقة الحارة المعروفة بالبرقية. انتهي، وإلى هذه الحارة تنسب الامراء البرقية.

ذكر الأمراء البرقية ووزارة ضرغام

وذلك أن الصالح طلائع بن رزيك كان قد أنشأ فى وزارته امراء يقال لهم البرقية جعل ضرغاما مقدمهم، فترقى حتى صار صاحب الباب وطمع فى شاور السعدى لما ولى الوزارة بعد رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك، فجمع رفقته وتخوف شاور منه وصار العسكر فرقتين. فرقة مع ضرغام، وفرقة مع شاور. فلما كان بعد تسعة أشهر من وزارة شاور ثار ضرغام فى رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وصاح على شاور فأخرجه من القاهرة

وقتل ولده الأكبر المسمى بعلى وبقى شجاع المنعوت بالكامل، وخرج شاور من القاهرة يريد الشام كما فعل الوزير رضوان بن ولخشى فانه كان رفيقًا له فى تلك الكرة، واستقر ضرغام فى وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد شاور، وتلقب بالملك المنصور فشكر الناس سيرته، فإنه كان فارس عصره، وكان كاتبًا جميل الصورة فكه المحاضرة. عاقلا كريما لايضع كرمه، إلا فى سمعة ترفعه، أو مداراة تنفعه، إلا أنه كان أذنا مستحيلا على أصحابه، وإذا ظن فى أحد شرا جعل الشك يقينا وعجل له العقوبة وغلب عليه مع ذلك فى وزارته أخواه ناصر الدين همام وفخر الدين حسام، وأخذ يتنكر لرفقته البرقية الذين قاموا بنصرته وأعانوه على إخراج شاور وتقليده للوزارة من أجل أنه بلغه عنهم أنهم يحسدونه ويضعون منه، وأن منهم من كاتب شاور وحثه على القدوم إلى القاهرة ووعده بالمعاونة له فأظلم الجو بينه وبينهم وتجرد للإيقاع بهم على عادته فى أسرع العقوبة وأحضرهم إليه فى دار الوزارة ليلا وقتلهم بالسيف صبرا وهم صبح بن شاهنشاه، والطهر مرتفع المعروف بالجلواص، وعين الزمان، وعلى بن الزيد وأسد الفازى وأقاربهم، وهم نحو من سبعين أميراً سوى أتباعهم فذهبت لذلك رجال الدولة واختلفت أحوالها وضعفت بذهاب أكابرها، وفقد أصحاب الرأى والتدبير وقصد الفرنج ديار مصر فخرج إليهم همام أخو ضرغام وانهزم منهم وقتل منهم عدة ونزلوا على حصن بلبيس وملكوا بعض السور ثم ساروا، وعاد همام عودا رديئا فبعث به ضرغام إلى الإسكندرية وبها الامير مرتفع الجلواص فأخذه العرب وقاده همام إلى أخيه فضرب عنقه وصلبه على باب زويلة. فما هو إلا أن قدم رسل الفرنج على ضرغام فى طلب مال الهدنة المقرر فى كل سنة وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار، وإذا بالخبر قد ورد بقدوم شاور من الشام ومعه أسد الدين شيركوه فى كثير من الغز فأزعجه ذلك، وأصبح الناس يوم التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة خائفين على أنفسهم وأموالهم، فجمعوا الأقوات والماء وتحولوا من مساكنهم، وخرج همام بالعسكر أول يوم من جمادى الآخرة فسار إلى بلبيس وكانت له وقعة مع شاور بمن معه إلى التاج ظاهر القاهرة فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، فجمع ضرغام الناس وضم إليه الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية بداخل القاهرة وشاور مقيم بالتاج مدة أيام وطوالعه من العربان فطارد عسكر ضرغام بأرض الطبالة خارج القاهرة ثم سار شاور ونزل بالمقس، فخرج إليه عسكر

ضرغام وحاربوه فانهزم هزيمة قبيحة، وسار إلى بركة الحبش ونزل بالشرف الذى يعرف إليوم بالرصد وملك مدينة مصر وأقام بها أياما فأخذ ضرغام مال الأيتام الذى كان بمودع الحكم فكرهه الناس واستعجزوه، ومالوا مع شاور فتنكر منهم ضرغام وتحدث بإيقاع العقوبة بهم فزاد بعضهم له ونزل شاور فى أرض اللوق خارج باب زويلة، وطارد رجال ضرغام، وقد خلت المنصورة والهلالية وثبت أهل إليانسبة بها وزحف إلى باب سعادة وباب القنطرة وطرح النار فى اللؤلؤة وما حولها من الدور، وعظمت الحروب بينه وبين أصحاب ضرغام وفنى كثير من الطائفة الريحانية فبعثوا إلى شاور ووعدوه بأنهم عون له، فانحل أمر ضرغام فأرسل إلى الرماة يأمرهم بالكف عن الرمى فخرج الرجال إلى شاور وصاروا من جملته وفترت همة أهل القاهرة، وأخذ كل منهم يعمل الحياة فى الخروج إلى شاور فأمر ضرغام بضرب الأبواق لتجتمع الناس فضربت الأبواق والطبول ماشاء الله من فوق الأسوار فلم يخرج إليه أحد وانفك عنه الناس. فسار إلى باب الذهب من أبواب القصر ومعه خمسمائة فارس فوقف وطلب من الخليفة أن يشرف عليه من الطاق، وتضرع إليه، وأقسم عليه بآبائه، فلم يجد أحدا واستمر واقفا إلى العصر والناس تحل عنه حتى بقى فى نحو ثلاثين فارسًا فوردت عليه رقعة فيها: خذ نفسك وانج بها وإذا بالأبواق والطبول قد دخلت من باب القنطرة ومعها عساكر شاور، فمر ضرغام إلى باب زويلة فصاح الناس عليه ولعنوه وتخطوا من معه وأدركه القوم فأردوه عن فرسه قريبًا من الجسر الاعظم فيما بين القاهرة ومصر واحتزوا رأسه فى سلخ جمادى الآخرة وفر منهم أخوه إلى جهة المطرية فأدركه الطلب، وقتل عند مسجد تبر خارج القاهرة وقتل أخوه الآخر عند بركة الفيل فصار حينئذ ضرغام ملقى يومين، ثم حمل إلى القرافة ودفن بها، وكانت وزارته تسعة أشهر، وكان من أجل أعيان الأمراء وأشجع فرسانهم وأجودهم لعبا بالكرة وأشدهم رميًا بالسهام، ويكتب مع ذلك كتابة ابن مقلة، وينظم الموشحات الجيدة، ولما جىء برأسه إلى شاور ورفع على قناة وطيف به فقال الفقيه عمارة :

أرى جنك الوزارة صار سيفًا

يحز بحده جيد الرقاب

كأنك رائد البلوى وإلا

بشير بالمنية والمصاب

فكان كما قال عمارة فإن البلايا والمنايا من حينئذ تتابعت على دولة الخلفاء الفاطميين حتى لم يبق منهم عين تطرف ولله عاقبة الامور.

(**حارة العطوفية**) هذه الحارة تنسب إلى طائفة من طوائف العسكر يقال لها العطوفية. وقال ابن عبد الظاهر العطوفية منسوبة لعطوف أحد خدام القصر، وهو عطوف غلام الطويلة، وكان قد خدم ست الملك أخت الحاكم قال: وسكنت ـ يعنى الطائفة الجيوشية بحارة العطوفية بالقاهرة، ولله در الاديب إبراهيم المعمار إذ يقول مواليا يشتمل على ذكر حارات بالقاهرة وفيها تورية

فى الجودرية رأيت صوره هلالية

للباطلية تميل لا للعطوفية

لها من اللؤلؤه ثغرين منشيه

إن حركوا وجهها بنت الحسينيه

وكانت العطوفية من أجل مساكن القاهرة وفيها من الدور العظيمة والحمامات والأسواق والمساجد مالا يدخل تحت حصر، وقد خربت كلها وبيعت انقاضها وبيوتها ومنازلها وأضحت أوحش من وتد عير فى قاع، وعطوف هذا كان خادما أسود قتله الحاكم بجماعة من الأتراك وقفوا له فى دهايز القصر واحتزوا رأسه فى يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من صفر سنة إحدى واربعمائة قاله المسبحي.

(**حارة الجوانية**) كان يقال لهذه الحارة أولا حارة الروم الجوانية ثم نقل على الالسنة ذلك. فقال الناس الجوانية، وكان أيضًا يقال لها حارة الروم العليا المعروفة بالجوانية وقال المسبحي: وقد ذكر ماكتبه أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الأمانات فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فذكر أنه كتب أمانا للعرافة الجوانية، فدل أنه كان من جملة الطوائف قوم يعرفون بالجوانية، قال ابن عبد الظاهر: قال لى مؤلفه القاضى زين الدين وفقه الله: إن الجوانية

منسوبة للأشراف الجوانيين منهم الشريف النسابة الجواني . قال مؤلفه رحمة الله : فعلى هذا يكون بفتح الجيم فإن الجوانى بفتح الجيم وتشديد الواو وفتحها وبعد الواو ألف ساكنة ثم نون نسبة إلى جوان على وزن حران ، وهى قرية من عمل مدينة طيبة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وعلى القول الأول تكون الجوانية بفتح الجيم أيضا مع فتح الواو وتشديدها . فإن أهل مصر يقولون لما خرج عن المدينة أو الدار برا ، ولما دخل جواً بضم الجيم وهو خطأ ، ولهذا كان الوراقون يكتبون حارة الروم البرانية . لأنها من خارج القصر ، ويكتبون حارة الروم الجوانية لأنها من داخل القاهرة ولا يصار إليها إلا بعد المرور على القصر ، وكان موضعها إذ ذاك من وراء القصر خلف دار الوزارة والحجر . فكأنها فى داخل البلد ، ولذلك أصل . قال ابن سيده فى مادة (ج و) من كتاب المحكم وجوا البيت داخله لفظة شامية فتعين فتح الجيم من الجوانية ، ولاعبرة بما تقوله العامة من ضمها وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى ابن الحسن بن محمد الجوانى ابن عبد الله الجوانى بن حسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وقيل لمحمد بن عبد الله الجوانى بسبب ضيعة من ضياع المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . يقال لها الجوانية وكانت تسمى البصرة الصغرى لخيراتها وغلالها لا يطلب شيء إلا وجد بها ، وهى قريبة من صرار ضيعة الإمام أبى جعفر محمد بن على الرضي ، وكانت الجوانية ضيعة لعبيد الله فتوفى عنها فورثها بعده ولده وأزواجه ، فاشترى محمد الجوانى ولده بما حصل له بالميراث الباقى من الورثة ، فحصلت له كاملة فعرف بها ، فقيل الجوانى قال : ولم تزل أجداد مؤلفه ببغداد إلى حين قدوم ولده أسعد النحوى مع أبيه من بغداد إلى مصر ومولده بالموصل فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

(**حارة البستان**) ويقال لها حارة بستان المصمودى وحارة الأكراد أيضًا ، وهى الآن من جملة الوزيرية التى تقدم ذكرها .

(**حارة المرتاحية**) هذه الحارة عرفت بالطائفة المرتاحية إحدى طوائف العسكر ، قال ابن عبد الظاهر : خط باب القنطرة يعرف فى كتل الأملاك القديمة بالمرتاحية .

(**حارة الفرحية**) بالحاء المهملة كانت سكن الطائفة الفرحية وهى بجوار حارة المرتاحية فإلى يومنا هذا فيما بين سويقة أمير الجيوش وباب القنطرة زقاق يعرف بدرب الفرحية ،

والفرحية كانت طائفة من جملة عبيد الشراء، وكانت عبيد الشراء عدة طوائف وهم الفرحية والحسينية والميمونية ينسبون إلى ميمون هو أحد الخدام.

(**حارم فرج**) بالجيم كانت تعرف قديمًا بدرب النميرى ثم عرفت بالأمير جمال الدين فرج من أمراء بنى أيوب وهى الآن داخلة فى درب الطفل من خط قصر الشوك.

(**حارة قائد القواد**) هذه الحارة تعرف الآن بدرب ملوخيا، وكانت أولا تعرف بحارة قائد القواد لأن حسين بن جوهر الملقب قائد القواد لما مات أبوه جوهر القائد خلع العزيز بالله عليه، وجعله فى رتبة أبيه ولقبه بالقائد ابن القائد ولم يتعرض لشىء مما تركه جوهر، فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الحاكم استدناه، ثم إنه قلده البريد والإنشاء فى شوال سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وخلع عليه وحمله على فرس بموكب، وقاد بين يديه عدة أفراس، وحمل معه ثيابا كثيرة فاستخلف أبا منصور بشر بن عبيد الله بن سورين الكاتب النصرانى على كتابة الإنشاء، واستخلف على أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم أمير الدولة الموصلى ولما تقلد برجوان النظر فى تدبير الأمور وجلس للوساطة بعد ابن عمار كان الكافة يلقونه فى داره ويركبون جميعًا بين يديه من داره إلى القصر ماخلا القائد الحسين، ومحمد بن النعمان القاضى فإنهما كانا يسلمان عليه بالقصر فقط. فلما قتل الحاكم الاستاذ برجوان كما تقدم خلع على القائد حسين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة تسعين وثلاثمائة ثوبًا احمر وعمامة زرقاء مذهبة وقلده سيفًا محلى بذهب، وحمله على فرس بسرج ولجام من ذهب وقاد بين يديه ثلاثة أفراس بمراكبها وحمل معه خمسين ثوبًا صحاحا من كل نوع، ورد إليه التوقيعات والنظر فى أمور الناس وتدبير المملكة كما كان برجوان، ولم يطلق عليه اسم وزير. فكان يبكر إلى القصر ومعه خليفته الرئيس أبو العلاء فهد بن إبراهيم النصرانى كاتب برجوان فينظران فى الأمور ثم يدخلان وينهيان الحال إلى الخليفة فيكون القائد جالسا وفهد من خلفه قائما، ومنع القائد الناس أن يلقوه فى الطريق أو يركبوا إليه فى داره وإن من كان له حاجة فليبلغه إياها بالقصر، ومنع الناس من مخاطبته فى الرقاع بسيدنا، وأمر أن لايخاطب ولايكاتب إلا بالقائد فقط، وتشدد فى ذلك لخوفه من غيرة الحاكم حتى انه رأى جماعة من القواد والأتراك قياما على الطريق ينتظرونه فأمسك عنان فرسه ووقف وقال لهم: كلنا عبيد مولانا صلوات الله عليه ومماليكه، ولست والله أبرح من موضعى أو

تنصرفوا عني، ولايلقانى أحد إلا فى القصر فانصرفوا، وأقام بعد ذلك خدما من الصقالية الطرادين على الطريق بالنوبة لمنع الناس المجيء إلى داره ومن لقائه إلا فى القصر، وأمر أبا الفتوح مسعود الصقلى صاحب الستر أن توصل الناس بأسرهم إلى الحاكم وأن لايمنع أحدا عنه فلما كان فى سابع عشر جمادى الآخر قرئ سجل على سائر المنابر بتلقيب القائد حسين بقائد القواد وخلع عليه، وما زال إلى يوم الجمعة سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فاجتمع سائر أهل الدولة فى القصر بعد ماطلبوا، وخرج الأمر إليهم أن لايقام لأحد، وخرج خادم من عند الخليفة فأسر إلى صاحب الستر كلاما فصاح: صالح بن علي. فقام صالح بن على الرودباذى متقلد ديوان الشام فأخذ صاحب الستر بيده، وهو لايعلم هو ولا أحد مايراد به فأدخل إلى بيت المال وأخرج وعليه دراعة مصمتة وعمامة مذهبة ومعه مسعود فأجله بحضرة قائد القواد، وأخرج سجلا قرأه ابن عبد السميع الخطيب فإذا فيه رد سائر الأمور التى ينظر فيها قائد القواد حسين ابن جوهر إليه فعندما سمع من السجل ذكره قام وقبل الارض. فلما انتهت قراءة السجل قام قائد القواد وقبل خد صالح وهنأه وانصرف، فكان يركب إلى القصر ويحضر الأسمطة إلى إليوم الثالث من شوال. أمره الحاكم أن يلزم داره وهو وصهره قاضى القضاة عبد العزيز ابن النعمان، وأن لايركباهما وسائر أولادهما فلبسا الصوف، ومنع الناس من الاجتماع بهما، وصاروا يجلسون على حصر فلما كان فى تاسع عشر ذى القعدة عفا عنهما الحاكم وأذن لهما فى الركوب فركبا إلى القصر بزيهما من غير حلق شعر ولاتغيير حال الحزن. فلما كان فى حادى عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قبض على عبد العزيز بن النعمان وطلب حسين بن جوهر ففر هو وابنه فى جماعة وكثر الصياح بدار عبد العزيز، وغلقت حوانيت القاهرة وأسواقها فأفرج عنهو ونودى أن لايغلق أحد. فرد حسين بعد ثلاثة أيام بابنيه، وتمثلوا بحضرة الحاكم. فعفا عنهم وأمرهم بالمسير إلى دورهم بعد أن خلع على حسين وعلى صهره عبد العزيز وعلى أولادهما. وكتب لهما أمانان ثم أعيد عبد العزيز فى شهر رمضان إلى ماكان يتقلده من النظر فى المظالم، ثم رد الحاكم فى شهر ربيع الأول سنة أربعمائة على حسين بن جوهر وأولاده وصهره عبد العزيز ماكان لهم من الإقطاعات وقرئ لهم سجل بذلك فلما كان ليلة التاسع من ذى القعدة فر حسين بأولاده وصهره وجميع أموالهم وسلاحهم. فسير الحاكم الخيل فى

طلبهم نحو دجوة فلم يدركهم وأوقع الحوطة على سائر دورهم، وجعلت للديوان المفرد وهو ديوان أحدثه الحاكم يتعلق بما يقبض من أموال من يسخط عليه، وحمل سائر ماوجد لهم بعدما ضبط، وخرجت العساكر فى طلب حسين ومن معه وأشيع أنه قد صار إلى بنى قرة بالبحيرة فأنفذت إليه الكتب بتأمينه واستدعائه إلى الحضور. فأعاد الجواب بأنه لايدخل مادام أبو نصر بن عبدون النصرانى الملقب بالكافى ينظر فى الوساطة، ويوقع عن الخليفة فانى أحسنت إليه أيام نظرى فسعى بى إلى أمير المؤمنين ونال منى كل منال، ولا اعود أبدا وهو وزير، فصرف ابن عبدون فى رابع المحرم سنة إحدى وأربعمائة وقدم حسين بن جوهر ومعه عبد العزيز النعمان وسائر من خرج معهما. فخرج جميع أهل الدولة إلى لقائه وتلقته الخلع فأفيضت عليه وعلى أولاده وصهره، وقيد بين أيديهم الدواب فلما وصلوا إلى باب القاهرة ترجلوا ومشوا ومشى الناس بأسرهم إلى القصر فصاروا بحضرة الحاكم، ثم خرجوا وقد عفا عنهم، وأذن لحسين أن يكاتب بقائد القواد، ويكون اسمه تإليا للقبه وأن يخاطب بذلك، وانصرف إلى داره فكان يومًا عظيما، وحمل إليه جميع ماقبض له من مال وعقار وغيره وأنعم عليه، وواصل الركوب هو وعبد العزيز بن النعمان إلى القصر، ثم قبض عليه وعلى عبد العزيز واعتقلا ثلاثة أيام ثم حلفا أنهما لايغيبان عن الحضرة، وأشهدا على أنفسهما بذلك وأفرج عنهما وحلف لهما الحاكم فى أمان كتب لهما فلما كان فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمائة ركب حسين، وعبد العزيز على رسمهما إلى القصر فلما خرج للسلام على الناس قيل للحسين وعبد العزيز وأبى على أخى الفضل: اجلسوا لأمر تريده الحضرة منكم. فجلس الثلاثة وانصرف الناس، فقبض عليهم وقتلوا فى وقت واحد، وأحيط بأموالهم وضياعهم ودورهم وأخذت الأمانات والسجلات التى كتبت لهم، واستدعى أولاد عبد العزيز ابن النعمان وأولاد حسين بن جوهر ووعدوا بالجميل وخلع عليهم وجملوا والله يفعل مايشاء.

(**حارة الأمراء**) ويقال لها أيضًا حارة الأمراء الأشراف الأقارب، وموضعها يعرف بدرب شمس الدولة، وسيأتى ذكره إن شاء الله تعإلى.

(**حارة الطوارق**) ويقال لها أيضا حارة صبيان الطوارق، وهم من جملة طوائف العسكر كانوا معدين لحمل الطوارق، وموضع هذه الحارة فى طريق من سلك من الرقيق سوق

الخلعيين داخل باب زويلة طالبا الباطلية بالزقاق الطويل والضيق الذى يقال له اليوم حلق الجمل السالك إلى درب ارقطاي.

(**حارة الشرابية**) عرفت بذلك لانها كانت موضع سكن الغلمان الشرابية إحدى طوائف العسكر، وكانت فيما بين الباطلية وحارة الطوارق.

(**حارة الدميري وحارة الشاميين**) هما من جملة العطوفية.

(**حارة المهاجرين**) وموضعها الآن من جملة المكان الذى يعرف بالرقيق المعد لسوق الخلعيين بجوار باب زويلة، وكان بعد ذلك سوق الخشابين، ثم هو الآن سوق الخلعيين، وموضع هذه الحارة بجوار الخوخة التى كانت تعرف بالشيخ السعيد بن فشيرة النصرانى الكاتب، وهى الخوخة التى يسلك إليها من الزقاق المقابل لحمام الفاضل المعد لدخول النساء، ويتوصل منها إلى درب كوز الزير بحارة الروم. وقد صارت هذه الحارة تعرف بدرب ابن المجندار وسيأتى ذكره إن شاء الله.

(**حارة العدوية**) قال ابن عبد الظاهر: العدوية هى من باب الخشيبة إلى أول حارة زويلة عند حمام الحسام الجلدكى الآن منسوبة لجماعة عدويين نزلوا هناك وهذا المكان إليوم هو عبارة عن الموضع الذى تلقاه عند خروجك من زقاق حمام خشيبة الذى يتوصل إليه من سوق باب الزهومة. فإذا انتهيت إلى آخر هذا الزقاق وأخذت على يمينك صرت فى حارة العدوية، وموضعها الآن من فندق بلال المغينى إلى باب سر المارستان، وتدخل فى العدوية رحبة بيرس التى فيها الآن فندق الرخام عن يمينك إذا خرجت فى الرحبة المذكورة التى صارت الآن دربا إلى باب سر المارستان، وما عن يسارك إلى حمام الكريك وحمام الجوينى الذى تقول له العامة الجهيني، وإلى سوق الزجاجيين، وكل هذا المواضع هى من حقوق العدوية وكانت العدوية قديما واقعة فيما بين الميدان الذى يعرف إليوم بالخرشتف وحارة زويلة وبين سقيفه العداس والصاغة القديمة التى صار موضعها الآن سوق الحريريين الشرابشيين برأس الوراقين وسوق الزجاجيين.

(**حارة العيدانية**) كانت تعرف أولا بحارة البديعيين ثم قيل لها بعد ذلك الحبانية من أجل البستان الذى يعرف بالحبانية الجارى فى وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، ويتوصل

إلى هذه الحارة من تجاه قنطرة آق سنقر وبعض دورها الآن يشرف على بستان الحبانية وبعضها يطل على بركة الفيل .

(**حارة الحمزيين**) كانت أولا تعرف بالحبانية ثم قيل لها حارة الحمزيين من أجل أن جماعة من الحمزيين نزلوا بها منهم الحاج يوسف بن فاتن الحمزى والحمزيون أيضًا ينسبون إلى حمزة ابن أدركة السارى خرج بخراسان فى أيام هارون الرشيد فعاث وأفسد وفض جموع عيسى بن على عامل خراسان وقتل منهم خلقا ، وانهزم عيسى إلى بابل ثم غرق حمزة بواد فى كرمان فعرفت طائفته بالحمزية وأخوه ضرغام بن فاتن بن ساعد الحمزى والحاج عونى الطحان ابن يونس بن فاتن الحمزى ورضوان ابن يوسف بن فاتن الحمزى الحمامى وأخوه سالم بن يوسف بن فاتن الحمزي ، وكان هؤلاء بعد سنة ستمائة ، وهذه الحارة خارج باب زويلة ومن بلاد أفريقية قرية يقال لها حمزى ينسب إليها محمد بن حمد بن خلف القيسى الحمزى من أهل القرية وقاضيها . توفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، ولايبعد أن تكون هذه الحارة نسبت إلى أهل قرية حمزة هذه لنزولهم بها كنزول بنو سوس وكتامة وغيرهم فى المواضع التى نسبت إليهم .

(**حارة بني سوس**) عرفت بطائفة من المصامدة يقال لهم بنوسوس كانوا يسكنون بها .

(**حارة اليانسية**) تعرف بطائفة من طوائف العسكرية يقال لها إليانسية منسوبة لخادم خصى من خدام العزيز بالله ، يقال له أبو الحسن يانس الصقلى خلفه على القاهرة فلما مات العزيز أقره ابنه الحاكم بأمر الله على خلافة القصور ، وخلع عليه وحمله على فرسين . فلما كان فى المحرم سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة سار لولاية برقة بعدما خلع عليه ، وأعطى خمسة آلاف دينار وعدة من الخيل والثياب قال ابن عبد الظاهر : اليانسية خارج باب زويلة أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ لدين الله الملقب بأمير الجيوش سيف الإسلام ويعرف بيانس الفاصد ، وكان أرمنى الجنس وسمى الفاصد لانه فصد الأمير حسن بن الحافظ وتركه محلولا فصاده حتى مات ، وله خبر غريب فى وفاته . كان الحافظ قد نقم عليه أشياء طلب قتله بها باطنا . فقال لطبيبه اكفنى أمره بمأكل أو مشرب فأبى الطبيب ذلك خوفا أن يصير عند الحافظ لهذه العين وربما قتله بها ، والحافظ يحثه على ذلك فاتفق ليانس الوزير المذكور أنه مرض بزحير ، وأن الحافظ خاطب الطبيب بذلك . فقال يامولاي : قد أمكنتك الفرصة

وبلغت مقصودك ، ولو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن أحدوثة ، وهذه المرضة ليس دواؤه منها إلا الدعة والسكون ، ولا شيء أضر عليه من الانزعاج والحركة فبمجرد ماسمع بقصد مولانا له تحرك واهتم بلقاء مولانا وانزعج ، وفى ذلك تلاف نفسه ففعل الخليفة ذلك وأطال الجلوس عنده فمات وهذا الخبر فيه أوهام ، منها أنه جمل إليانسية منسوبة ليانس الوزير وقد كانت إليانسية قبل يانس هذا بمدة طويلة . ومنها انه ادعى أن حسن بن الحافظ مات من فصادة وليس كذلك ، وانما مات مسموما ، ومنها أنه زعم أن يانس تولى فصده وليس كذلك بل الذى تولى قتله بالسم أبو سعيد بن فرقة ، ومنها أن الذى نقم عليه الحافظ من الامراء فخانه فى ابنه حسن إنما هو الأمير المعظم جلال الدين محمد المعروف بجلب راغب ، وهذا نص الخبر فنشره بالك والله تعالى أعلم

ذكر وزارة أبى الفتح ناصر الجيوش يانس الأرمنى

وكان من خبر ذلك أن الخليفة الآمر بأحكام الله أبا على منصورا لما قتله النزارية فى ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة أقام هزبر الملوك جوامرد العادل برغش الامير أبا الميمون عبد المجيد فى الخلافة كفيلا للحمل الذى تركه الامير ، ولقب بالحافظ لدين الله ولبس هزبر الملوك خلع الوزارة فثار الجند وأقاموا أبا على أحمد الملقب بكتيفات ولد الافضل بن أمير الجيوش فى الوزارة ، وقتل عزبر الملوك واستولى كتيفات على الأمر ، وقبض على الحافظ وسجنه بالقصر مقيدا إلى أن قتل كتيفات فى المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة وبادر صبيان الخاص الذين تولوا قتله إلى القصر ، ودخلوا ومعهم الامير يانس متولى الباب إلى الخزانة التى فيها الحافظ وأخرجوه إلى الشباك ، وأجلسوه فى منصب الخلافة ، وقالوا له : والله ماحركنا على هذا إلا الأمير يانس فجازاه الحافظ بأن فوض إليه الوزارة فى الحال وخلع عليه فباشرها مباشرة جيدة ، وكان عاقلا مهابًا متمسكا متحفظًا لقوانين الدولة . فلم يحدث شيئًا ولاخرج عما يعينه الخليفة له . إلا أنه بلغه عن أستاذ من خواص الخليفة شيء يكرهه ، فقبض عليه من القصر من غير مشاورة الخليفة ، وضرب عنقه بخزانة البنود ، فاستوحش منه الخليفة ، وخشى من زيادة معناه ، وكانت هذه الفعلة

غلطة منه ثم إنه خاف من صبيان الخاص أن يفتكوا به كما فتكوا بكتيفات فتنكر لهم، وتخوفوه أيضًا فركب في خاصته وأركب العسكر، وركب صبيان الخاص فكانت بينهما وقعة قبالة باب التبانين بين القصرين قوى فيها يانس وقتل من صبيان الخاص مايزيد على ثلاثمائة رجل من أعيانهم فيهم قتلة أبى على كتيفات، وكانوا نحو الخمسمائة فارس فانكسرت شوكتهم وضعف جانبهم، واشتد بأس يانس وعظم شأنه فنقل على الخليفة وتخيل منه فأحس بذلك فأخذ كل منهما فى التدبير على الآخر. فأعجل يانس وقبض على حاشية الخليفة، ومنهم قاضى القضاة وداعى الدعاة أبو الفخر وأبو الفتح بن قادوس وقتلهما. فاشتد ذلك على الحافظ ودعا طبيبه وقال اكفنى أمر يانس فيقال إنه سمه فى ماء المستراح، فانفتح دبره واتسع حتى مابقى يقدر على الجلوس. فقال الطبيب: يا أمير المؤمنين قد أمكنتك الفرصة وبلغت مقصودك، فلو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن الأحدوثه. فإن هذا المرض ليس له دواء إلا الدعة والسكون ولاشيء عليه أضر من الحركة والانزعاج، وهو إذا سمع بقصد مولانا له تحرك واهتم للقاء وانزعج، وفى ذلك إتلاف نفسه فنهض لعيادته، وعندما بلغ ذلك يانس قام ليلقاه ونزل عن الفراش وجلس بين يدى الخليفة فأطال الخليفة جلوسه عنده وهو يحادثه فلم يقم حتى سقطت أمعاء يانس ومات من ليلته فى سادس عشرى ذى الحجة سنة ست وعشرين وخمسمائة، وكانت وزارته تسعة أشعر وأيامًا، وترك ولدين كفلهما الحافظ وأحسن إليهما وكان يانس هذا مولى أرمنيا لباديس جد عباس الوزير فأهداه إلى الأفضل بن أمير الجيوش، وترقى فى خدمته إلى أن تأمر، ثم ولى الباب، وهى أعظم رتب الامراء، وكنى بأبى الفتح ولقب بالامير السعيد، ثم لما ولى الوزارة نعت بناصر الجيوش سيف الإسلام وكان عظيم الهمة بعيد الغور كثير الشر شديد الهيبة.

ذكر الأمير حسن ابن الخليفة الحافظ

ولما مات الوزير يانس تولى الخليفة الحافظ الأمور بنفسه ولم يستوزر أحدا، وأحسن السيرة. فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عهد إلى ولده سليمان، وكان أسن

أولاده وأحبهم إليه وأقامه مقام الوزير. فمات بعد شهرين من ولاية العهد. فجعل مكانه أخاه حيدرة فى ولاية العهد، ونصبه للنظر فى المظالم. فشق ذلك على أخيه الامير حسن، وكان كثير المال متسع الحال له عدة بلاد ومواش وحاشية وديوان مفرد. فسعى فى نقض ذلك بأن أوقع الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية، وكانت الريحانية قوية الشوكة مهابة مخوفة الجانب فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين، وصاح الجند ياحسن يا منصور. يا للحسينية والتقى الفريقان فقتل بينهما مايزيد على خمسة آلاف نفس فكانت هذه الوقعة أول مصائب الدولة الفاطمية من فقد رجالها ونقص عساكرها فلم يبق من الطائفة الريحانية إلا من نجا بنفسه من ناحية المقس، وألقى نفسه فى بحر النيل واستظهر الأمير حسن وقام بالأمر وانضم إليه أوباش الناس ودعارهم. ففرق فيهم الزرد وسماهم صبيان الزرد وجعلهم خاصته فاحتفوا به وصاروا لايفارقونه فإن ركب أحاطوا به وإن نزل لازموا داره فقامت قيامة الناس منهم، وشرع فى تتبع الاكابر فقبض على ابن العساف وقتله وقصد أباه الخليفة الحافظ وأخاه حيدرة بالضرر حتى حافظا منه وتغيبا. فجد فى طلب أخيه حيدرة وهتك بأوباشه الذين اختارهم حرمة القصر وخرق ناموسه وسلطهم يفتشون القصر فى طلب الخليفة الحافظ وابنه حيدرة، واشتد بأسهم وحسنوا له كل رذيلة وجروه على الأذي. فلم يجد الحافظ بدا من مداراة حسن وتلافى أمره عساه ينصلح، وكتب سجلا بولايته العهد وأرسله إليه فقرىء على الناس فما زاده ذلك الاجراءة عليه وإفسادا له وشدد فى التضييق على أبيه وأخذ بأنفاسه فبعث حينئذ الخليفة بالأستاذ ابن إسعاف إلى بلاد الصعيد ليجمع من يقدر عليه من الريحانية. فمضى واستصرخ الناس لنصرة الخليفة على ولده حسن، وجمع أمما لايحصيها إلا الله وسار بهم. فبلغ ذلك حسنا فزج عسكرا للقاء إسعاف فالتقيا وكانت بينهم وقعة هبت فيها ريح سوداء على عسكر إسعاف حتى هزمتهم وركبهم عسكر حسن فلم ينج منهم إلا القليل وغرق أكثرهم فى البحر وأخذ إسعاف أسيرا فحمل إلى القاهرة على جمل وفى رأسه طرطور لبد أحمر، فلما وصل بين القصرين رشق بالنشاب حتى هلك ورمى من القصر الغربى بأستاذ آخر فقتل وقتل الأمير شرف الدين. فاشتد ذلك على الحافظ وخاف على نفسه فكتب ورقة وكاد ابنه، بأن ألقى إليه تلك الورقة وفيها: ياولدى انت على كل حال ولدي، ولو عمل كل منا لصاحبه مايكره الآخر ماأراد أن يصيبه

مكروه ولايحملني قلبي، وقد انتهى الأمر إلى أمراء الدولة، وهم فلان وفلان وقد شددت وطأتك عليهم وخافوك، وهم معولون على قتلك فخذ حذرك ياولدي. فعندما وقف حسن على الورقة غضب ولم يتأن وبعث إلى أولئك فلما صاروا إليه أمر صبيان الزرد بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وكانوا عدة من أعيان الأمراء وأحاط بدورهم وأخذ سائر مافيها فاشتدت المصيبة وعظمت الرزية وتخوف من بقي من الجند ونفروا منه فإنه كان جريًا مفسدا شديد الفحص عن أحوال الناس والاستقصاء لأخبارهم يريد إقلاب الدولة وتغييرها ليقدم أوباشه، وأكثر من مصادرة الناس وقتل قاضي القضاه أبا الثريا نجم لأنه كان من خواص أبيه، وقتل جماعة من الأعيان ورد القضاء لابن ميسر وتفاقم أمره وعظم خطبه واشتدت الوحشة بينه وبين الأمراء والأجناد، وهموا بخلع الحافظ ومحاربة ابنه حسن، وصاروا يداً واحدة واجتمعوا بين القصرين وهم عشرة آلاف مابين فارس وراجل وسيروا إلى الحافظ يشكون ماهم فيه من البلاء مع ابنه حسن ويطلبون منه ان يزيله من ولاية العهد. فعجز حسن عن مقاومتهم فإنه لم يبق معه سوى الراجل من الطائفة الجيوشية ومن يقول بقولهم من الغز الغرباء. فتحير وخاف على نفسه فالتجأ إلى القصر وصار إلى أبيه الحافظ فما هو إلا أن تمكن منه أبوه فقبض عليه وقيده وبعث إلى الأمراء يخبرهم بذلك فأجمعوا على قتله فرد عليهم أنه قد صرفه عنهم ولايمكنه أبداً من التصرف ووعدهم بالزيادة في الارزاق والإقطاعات، وأن يكفوا عن طلب قتله فألحوا في قتله وقالوا إما نحن وإما هو، واشتد طلبهم إياه حتى أحضروا الأحطاب والنيران ليحرقوا القصر وبالغوا في التجري على الخليفة فلم يجد بدا من إجابتهم إلى قتله وسألهم أن يمهلوه ثلاثًا، فأناخوا بين القصرين وأقاموا على حالهم حتى تنقضي الثلاث فما وسع الحافظ إلا أن استدعى طبيبيه وهما أبو منصور اليهودي وابن قرفة النصراني وبدأ بأبي منصور وفاوضه في عمل سقية قاتلة فامتنع من ذلك وحلف بالتوراة أنه لايعرف عمل شيء من ذلك، فتركه وأحضر ابن قرفة وكلمه في هذا فقال الساعة يتقطع منها جسده بل تفيض النفس لاغير. فأحضر السقية من يومه فبعثها إلى حسن مع عدة من الصقالبة ومازالوا يكرهونه على شربها حتى فعل ومات في العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة. فبعث الحافظ إلى القوم سراً يقول قد كان ما أردتم فامضوا إلى دوركم فقالوا لابد أن يشاهده منا من نثق به، وندبوا منهم أميرا معروفا بالجراءة والشر يقال

له المعظم جلال الدين محمد، ويعرف بجلب راغب الآمري. فدخل إلى القصر وصار جنب حسن فإذا به قد سجى بثوب فكشف عن وجهه، وأخرج من وسطه آلة من حديد وغرزه بها فى عدة مواضع من بدنه إلى أن تيقن أنه قد مات. وعاد إلى القوم وأخبرهم فتفرقوا، وعندما سكنت الدهماء حقد الحافظ لابن قرفة وقتله بخزانة البنود وأنعم بجميع ماكان له على أبى منصور إليهودى وجعله رئيس الأطباء. فهذا ما كان من خير يانس وكيفية موته، وخبر حسن والخبر عن قتله.

(**حارة المنتجبية**) قال ابن عبد الظاهر: بلغنى أن رجلا كان يتحجب لشمس الدين قاضى زاده. كان يقول إن هذه الخطة منسوبة لجده منتجب الدولة.

(**الحارة المنصورية**) هذه الحارة كانت كبيرة متسعة جداً فيها عدة مساكن السودان، فلما كانت واقعتهم فى ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة كما تقدم فى ذكر حارة بهاء الدين. أمر صلاح الدين يوسف بن أيوب بتخريب المنصورة هذه وتعفية أثرها فخربها خطبا بن موسى الملقب صارم الدين، وعملها بستانا وكان للسودان بديار مصر شوكة وقوة فتبعهم صلاح الدين ببلاد الصعيد حتى أفناهم، بعد كان لهم بديار مصر فى كل قرية ومحلة وضيعة مكان مفرد لايدخله وال ولا غيره احتراما لهم. وقد كانوا يزيدون على خمسين ألفًا وإذا ثاروا على وزير قتلوه، وكان الضرر بهم عظيما لامتداد أيديهم إلى أموال الناس وأهاليهم. فلما كثر بغيهم، وزاد تعديهم أهلكهم الله بذنوبهم. وفى واقعة السودان وتخريب المنصورة وقتل مؤتمن الخلافة الذى تقدم ذكره. يقول العماد الإصفهانى الكاتب يخاطب بهاء الدين يوسف بن أيوب:

بالملك الناصر استنارت
فى عصرنا أوجه الفضائل
يوسف مصر الذى إليـــه
تشـــــد آمالنا الرواحل
رأيك فى الدهر عن رزايا
جيـل مهماته الجـــلائل

أجريت نيلين فى ثـــراها

نيـــــل لجيع ونيل نائل

كم كرم من نداك جـــار

وكم دم من عداك سائل

وكم معـــاد بلا معـــــاد

ومستطيل بغـــير طائل

وحاسد كاسد المســـاعي

وســـائد نافق الوسائل

أقررت عين الإسلام حتي

لم يبـــق فيها قذى لباطل

وكيف يزهى بملك مصر

من يســـــتقل ذنبًا لنائل

وما نفيت السودان حتى

حكمت البيض فى المقاتل

صيرت رحب الفضا مضيقا

عليهم كفـــــه لجـــائل

وكل رأى منهـــم كرا

وأرض مصر كلام واصل

وقد خلت منهم المغاني

وأقفـــــرت منهم المنازل

وما أصيبوا إلا بطـــل

فكيف لو أمطـــروا بوابل

وقد تجلى بالحــق ما بال

باطل فى مصر كان عاجل

والسود بالبيض قد تنحوا

فهى بواديهـــــم نوازل

مؤتمن القوم خان حتى

غالتـــه من شره الغوائل

عاملكم بالخنا فأضحى

ورأسه فوق رأس عامل

وحالف الذل بعـــد عز

والدهر أحواله حوائل

يا فخجل البحر بالأيادي

قد آن أن تفتح السواحل

تقدس القدس من خباث

أرجاس كفر غتم أراذل

وكـان مـوضـع المنصـورة على يمنة من سلك فى الشـارع خـارج باب زويلة. قـال ابن عبـد الظاهر: كانت للسودان حارة تعرف بهم تسمى المنصورة خربها صلاح الدين وأخذها خطلبا فعمرها بستانا وحوضًا، وهى إلى جانب الباب الحديد يعنى الذى يعرف إليوم بالقوس عند رأس المنتجبية فيما بينها وبين الهلالية، وقد حكر هذا البستان فى الأيام الظاهرية وبعضها يعنى المنصورة من جهة بركة الفيل إلى جانب بستان سيف الإسلام، ويسمى الآن بحكر الغتمي. لان الغتمى هذا كان شرع بستان سيف الإسلام فحكر فى هذه الجهة، وهى الآن أحكار الديوان السلطاني، وحكر الغتمى الذى كان بستان سيف الإسلام يعرف إليوم بدرب ابن البابا تجاه السندقدارية بجوار حمام الفارقانى قريب من صليبة جامع ابن طولون.

(حارة المصامدة) هذه الحارة عرفت بطائفة المصامدة أحد طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين، واختطت فى وزارة المأمون البطايحى وخلافة الآمر بأحكام الله بعد سنة خمس عشرة وخمسمائة. قال ابن عبد الظاهر: حارة المصامدة مقدمهم عبد الله المصمودي، وكان المأمون البطايحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله قدمه ونوه بذكره وسلم له أبوابه للمبيت عليها، وأضاف إليه جماعة من أصحابه فلما استخلص المصامدة وقربهم سير أبا بكر المصمودى ليختار لهم حارة فتوجه بالجماعة إلى اليانسية بالشارع فلم يجد بها مكانا ووجدها تضيق عنهم فسير المهندسين لاختيار حارة لهم، فاتفقوا على بناء حارة ظاهر باب الحديد على يمنة الخارج على شاطىء بركة الفيل. فقال: بل تكون على يسرة الخارج، والفسح قدامها إلى بركة الفيل. فبنيت الحارة على يسرة الخارج من الباب المذكور وبنى بجانبها مسجد على زلاقة الباب المذكور، وبنى أبو بكر المصمودى مسجداً أيضًا، وهذه فيما اعتقد هى الهلالية، وحذر من بناء شىء قبالتها فى القضاء الذى بينها وبين بركة الفيل لانتفاع الناس بها، وصار ساحل بركة الفيل من المسجد قبالة هذه الحارة إلى آخر حصن دورة مسعود إلى الباب الحديد، ولم يزل ذلك إلى بعض أيام الخليفة الحافظ لدين الله. قال وبنى فى صف هذه الحارة من قبليها عدة دور بحوانيت تحتها إلى أن اتصل البناء بالمساجد الثلاثة الحاكمية المعلقة القنطرة المعروفة بدار ابن طولون وبعدها بستان ذكر أنه كان فى جملة قاعات الدار المذكورة. قال: وأظن المساجد هى التى قبالة حوض الجاولي. قال وبنى المأمون ظاهره حوضًا وأجرى الماء له، وذلك قبالة مشهد محمد الأصغر ومشهد السيدة سكينة. قال: وأظن هذا البستان هو الذى بنته شجرة الدر بستانا ودارا وحمامات قريب من مشهدة السيدة نفيسة. قال: وأمر المأمون بالنداء فى القاهرة مع مصر ثلاثة أيام بأن من كانت له دار فى الخراب أو مكان يعمره، ومن عجز عن أن يعمره فليؤجره من غير نقل شىء من أنقاضه، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له فى شىء منه ولا حكر يلزمه، وأباح تعمير ذلك جميعه بغير طلب بحق فيه. فطلب الناس كافة ماهو جار فى الديوان السلطانى وغيره وعمروه حتى صار البلدان لايتخللهما داثر ولا دارس، وبنى فى الشارع - يعنى خارج باب زويلة من الباب الحديد إلى الجبل عرضًا وهو القلعة الآن. قال وكان الخراب استولى على تلك الأماكن فى زمن المستنصر فى أيام وزارة الباز. ورى حتى أنه كان بنى حائطًا يستر الخراب عن نظر الخليفة

إذا توجه من القاهرة إلى مصر، وبنى حائطًا آخر عند جامع ابن طولون. قال: وعمر ذلك حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الأخيرة بالقاهرة ويتوجهون إلى مساكنهم فى مصر لايزالون فى ضوء وسرة وسوق موقود إلى باب الصفا، وهو المعاصر الآن. وذلك أنه يخرج من الباب الحديد الحاكمى على يمنة بركة الفيل إلى بستان سيف الإسلام وعدة بساتين، وقبالة جميع ذلك حوانيت مسكونة عامرة بالمتعيشين إلى مصر، والمعاش مستمر الليل والنهار.

(**حارة الهلالية**) ذكر ابن عبد الظاهر أنها على يسرة الخارج من الباب الحديد الحاكمي.

(**حارة البيازورة**) هذه الحارة خارج باب القنطرة على شاطىء الخليج من شرقيه فيما للبياذرة بين زقاق الكحل وباب القنطرة حيث المواضع التى تعرف اليوم ببركة جناقق والكداشين، وإلى قريب من حارة بهاء الدين واختطت هذه الحارة فى الايام الآمرية، وذلك أن زمام البيازرة شكا ضيق دار الطيور بمصر وسأل أن يفسح للبيازرة فى عمارة على شاطىء الخليج بظاهر القاهرة لحاجة الطيور والوحوش إلى الماء. فأذن له فى ذلك فاختطوا هذه الحارة، وجعلوا منازلهم مناظر على الخليج، وفى كل دار باب سر ينزل منه إلى الخليج واتصل بناء هذه الحارة بزقاق الكحل فعرفت بهم، وسميت بحارة البيازورة وأحدهم بازيار، ثم إن المختار الصقلى زمام القصر أنشأ بجوارها بستانا، وبنى فيه منظرة عظيمة. وهذا البستان يعرف إليوم موضعه ببستان ابن صيرم خارج باب الفتوح. فلما كثرت العماير فى حارة البيازرة أمر الوزير المأمون بعمل الأقمنة لشى الطوب على شاطىء الخليج الكبير إلى حيث كان البستان الكبير الجيوشي، الذى تقدم ذكره فى ذكر مناظر الخلفاء ومنتزهاتهم.

(**حارة الحسينية**) عرفت بطائفة من عبيد الشراء يقال لهم الحسينية. قال المسبحى فى حوادث سنة خمس وتسعين وثلاثمائة: وأمر بعمل شونة مما يلى الجبل ملئت بالسنط والبوص والحلفا فابتدى بعملها فى ذى الحجة سنة أربع وتسعين وثلاثمائة إلى شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين. فخامر قلوب الناس من ذلك جزع شديد، وظن كل من يتعلق بخدمة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن هذه الشونة عملت لهم ثم قويت الإشاعات، وتحدث العوام فى الطرقات أنها للكتاب وأصحاب الدواوين وأسبابهم فاجتمع سائر

الكتاب، وخرجوا بأجمعهم فى خامس ربيع الأول ومعهم سائر المتصرفين فى الدواوين من المسلمين والنصارى إلى الرماحين بالقاهرة، ولم يزالوا يقبلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ويضجون، ويسألون أن يعفى عنهم ولا يسمع فيهم قول ساع يسعى بهم وسلموا رقعتهم إلى قائد القواد الحسين بن جوهر. فأوصلها إلى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله فأجيبوا إلى ما سألوا، وخرج إليهم قائد القواد فأمرهم بالانصراف والبكور لقراءة سجل بالعفو عنهم، فانصرفوا بعد العصر وقرىء من الغد سجل كتب من نسخة للمسلمين ونسخة للنصارى ونسخة لليهود بأمان لهم والعفو عنهم. وقال فى ربيع الآخر واشتد خوف الناس من أمير المؤمنين من الحمدانية والكجورية والغلمان العرفاء والمماليك وصبيان الدار وأصحاب الإقطاعات والمرتزقة والغلمان الحاكمية القدم على اختلاف أصنافهم، وكتب أمان الجماعة من خدم القصر الموسومين بخدمة الحضرة بعدما تجمعوا وصاروا إلى تربة العزيز بالله وضجوا بالبكاء، وكشفوا رؤسهم، وكتبت سجلات عدة بأمانات للديلم والجبل والغلمان الشرابية والغلمان الريحانية والغلمان البشارية والغلمان المفرقة العجم وغيرهم، والنقباء والروم المرتزقة، وكتبت عدة أمانات للزويلين والبنادين والطبالين والبرقيين والعطوفيين وللعرافة الجوانية والجودرية وللمظفرية وللصنهاجيين ولعبيد الشراء الحسينية وللميمونية وللفرجية وأمان لمؤذنى أبواب القصر وأمانات لسائر البيازرة والفهادين والحجالين وأمانات أخر لعدة أقوام. كل ذلك بعد سؤالهم وتضرعهم. وقال فى جمادى الآخرة: وخرج أهل الأسواق على طبقاتهم كل يلتمس كتب أمان يكون لهم. فكتب فوق المائة سجل بأمان لأهل الأسواق على طباقتهم نسخة واحدة، وكان يقرأ جميعها فى القصر أبو على أحمد بن عبد السميع العباسي، وتسلم أهل كل سوق ماكتب لهم، وهذه نسخة إحداها بعد البسملة (هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور أبى على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لاهل مسجد عبد الله: انكم من الآمنين بأمان الله الملك الحق المبين، وأمان جدنا محمد خاتم النبيين، وأبناء على خير الوصيين وآبائنا الذرية النبوية المهديين صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين وأمان أمير المؤمنين على النفس والحال والدم والمال لاخوف عليكم ولاتمد يد بسوء إليكم إلا فى حد يقام بواجبه

وحق يؤخذ بمستوجبه . فيوثق بذلك وليعول عليه إن شاء الله تعالى . وكتب فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة والحمد لله وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى خير الوصيين وعلى الأئمة المهديين ذرية النبوة وسلم تسليما كثيراً وقال ابن عبد الظاهر : فأما الحارات التى من باب الفتوح ميمنة وميسرة للخارج منه . فإليمنة إلى الهليجة والميسرة إلى بركة الأرمن برسم الريحانية ، وهى الحسينية الآن ، وكان برسم الريحانية الغزاوية والمولدة والعجمان ، وعبيد الشراء ، وكانت ثمانى حارات ، وهى حارة حامد بين الحارتين المنشية الكبيرة . الحارة الكبيرة ، الحارة الوسطي ، سوق الكبير الوزيرية ، وللأجناد بظاهر القاهرة حارات وهى حارة البيازرة والحسينية . جميع ذلك سكن الريحانية وسكن الجيوشية والعطوفية بالقاهرة وبظاهرها الهلالية والشوبك وحلب والحبانية والمأمونية وحارة الروم وحارة المصامدة والحارة الكبيرة والمنصورة الصغيرة وإليانسية وحارة أبى بكر والمقس ورأس التبان والشارع ، ولم يكن للأجناد فى هذا الوجه غير حارة عتر للمؤمنين المترجلة ، وكانت كل حارة من هذه بلدة كبيرة بالبزارين والعطارين والجزارين وغيرهم ، والولاة يحكمون عليها ، ولايحكم فيها إلا الأزمة ونوابهم وأعظم الجميع الحارة الحسينية التى هى آخر صف الميمنة إلى الهليجية وهى الحسينية الآن . لأنها كانت سكن الأرمن فارسهم وراجلهم ، وكان يجتمع بها قريب من سبعة آلاف نفس وأكثر من ذلك ، وبها أسواق عدة

وقال فى موضع آخر : الحسينية منسوبة لجماعة من الأشراف الحسينية كانوا فى الأي الكاملية قدموا من الحجاز . فنزلوا خارج باب النصر بهذه الأمكنة واستوطنوها وبنوا بها مدابغ صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفى فسميت بالحسينية ، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وابتنوا بها هذه الابنية العظيمة ، وهذا وهم فإنه تقدم أن من جملة الطوائف فى الأيام الحاكمية الطائفة الحسينية ، وتقدم فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضًا أن الحسينية كانت عدة حارات والأيام الكاملية إنما كانت بعد الستمائة ، وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينيف عن مائتى سنة فتدبره ، واعلم أن الحسينية شقتان إحداهما ماخرج عن باب الفتوح ، وطولها من خارج باب الفتوح إلى الخندم ، وهذه الشقة هى التى كانت مساكن الجند فى أيام الخلفاء الفاطميين ، وبها كانت الحارات المذكورة ، والشقة الأخرى وما خرج عن باب النصر ، وامتد فى الطول إلى الريدانية ، وهذه الشقة لم يكن بها فى أيام الخلفاء الفاطميين سوى مصلى

العيد تجاه باب النصر ومابين المصلى إلى الريدانية فضاء لابناء فيه وكانت القوافل إذا برزت تريد الحج تنزل هناك. فلما كان بعد الخمسين وأربعمائة وقدم بدر الجمالى أمير الجيوش، وقام بتدبير أمر الدولة الخليفة المنتصر بالله أنشأ بحرى مصلى العيد خارج باب النصر تربة عظيمة وفيها قبره هو وولده الأفضل بن أمير الجيوش، وأبو على كتيفات بن الأفضل وغيره، وهى باقية إلى يومنا هذا ثم تتابع الناس فى إنشاء التربة هناك حتى كثرت، ولم تزل هذه الشقة مواضع للترب ومقابر أهل الحسينية والقاهرة إلى بعد السبعمائة، ولقد حدثت عن المشيخة ممن أدرك بأن مابين مصلى الاموات التى خارج باب النصر وبين دار كهرداش التى تعرف إليوم بدار الحاجب مكانا يعرف بالمراغة معد لتمريغ الدواب به، وأن مافى صف المصلى من بحريها الترب فقط ولم تعمر هذه الشقة إلا فى الدولة التركية. لاسيما لما تغلب التتر على ممالك الشرق والعراق، وجفل الناس إلى مصر فنزلوا بهذه الشقة وبالشقة الأخرى وعمروا بها المساكن، ونزل بها أيضاً أمراء الدولة فصارت من أعظم عمائر مصر القاهرة واتخذ الأمراء بها من بحريها فيما بين الريدانية إلى الخندق مناخات الجمال سطبلات الخيل، ومن ورائها الأسواق والمساكن العظيمة فى الكثرة، وصار أهلها يوصفون بالحسن خصوصاً لما قدمت الاويراتية

ذكر قدوم الأويراتية

وكان من خبر هذه الطائفة أن بيدو بن طرغاى بن هولاكو لما قتل فى ذى الحجة سنة أربع وتسعين وسبعمائة وقام فى الملك من بعده على المغل الملك غازان محمود بن خربنده ابن إيفانى تخوف منه عدة من المغل يعرفون بالاويرانية، وفروا عن بلاده إلى نواحى بغداد فنزلوا هناك مع كبيرهم طرغاي، وجرت لهم خطوب آلت بهم إلى اللحاق بالفرات فاقاموا بها هناك، وبعثوا إلى نائب حلب يستأذنوه فى قطع الفرات ليعبروا إلى ممإليك الشام فاذن لهم وعدوا الفرات إلى مدينة بهنسا. فاكرمهم نائبها وقام لهم بما ينبغى من العلوفات والضيافات وطولع الملك العادل زين الدين كتبغا، وهو يومئذ سلطان مصر والشام بأمرهم

فاستشار الأمراء فيما يعمل بهم فاتفق الرأى على استدعاء أكابرهم إلى الديار المصرية وتفريق باقيهم فى البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام، وخرج إليهم الأمير علم الدين سنجر الدواداري والامير شمس الدين سنقر الأعسر إلى دمشق فجهزا من أكابر الاويرانية نحو الثلاثمائة للقدوم على السلطان وفرقا من بقى منهم بالبقاع العزيزة وبلاد الساحل، ولما قرب الجماعة من القاهرة خرج الأمراء بالعكسر إلى لقائهم واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلأ الفضا للنظر إليهم. فكان لدخولهم يوم عظيم وصاروا إلى قلعة الجبل. فأنعم السلطان على طرغاى مقدمهم بأمره طبلخانه وعلى اللوص بأمرة عشرة وأعطى البقية تقاد مافى الحلقة وإقطاعات، وأجرى عليهم الرواتب وأنزلوا بالحسينية، وكانوا على غير الملة الإسلامية. فشق ذلك على الناس وبلوا مع ذلك منهم بأنواع من البلاء لسوء أخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم، وكان إذ ذاك بالقاهرة ومصر غلاء كبير وفناء عظيم فتضاعفت المضرة واشتد الأمر على الناس. وقال فى ذلك الاديب شمس الدين محمد بن دينار:

ربنا اكشف عنا العذاب فإنا

قد تلفنا فى الدولة المغلية

جاءنا المغل والغلا فانصلقنا

وانطبخنا فى الدولة المغلية

ولما دخل شهر رمضان من سنة خمس وتسعين وستمائة لم يصم أحد من الأويرانية وقيل للسلطان ذلك فابى أن يكرههم على الإسلام، ومنع من معارضتهم ونهى أن ينوش عليهم أحد وأظهر العناية بهم، وكان مراده أن يجعلهم عونا له يتقوى بهم. فبالغ فى إكرامهم حتى أثر فى قلوب أمراء الدولة منه إحناوخشوا إيقاعه بهم فإن الاويرانية كانوا أهل جنس كتبغا، وكانوا مع ذلك صوراً جميلة فافتتن بهم الأمراء وتنافسوا فى أولادهم من الذكور والاناث واتخذوا منهم عدة صيروهم من جملة جندهم وتعشقوهم، فكان بعضهم يستنشد من صاحبه من اختص به وجعله محل شهوته، ثم ماقنع الأمراء ماكان منهم بمصر حتى أرسلوا إلى البلاد الشامية، واستدعوا منهم طائفة كبيرة فتكاثر نسلهم فى القاهرة، واشتدت الرغبة

من الكافة فى أولادهم على اختلاف الآراء فى الإناث والذكور. فوقع التحاسد والتشاجر بين أهل الدولة إلى أن آل الأمر بسببهم وباسباب أخر إلى خلع السلطان الملك العادل كتبغا من الملك فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة. فلما قام فى السلطنة من بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين قبض على طرغاى مقدم الأويراتية وعلى جماعة من أكابرهم وبعث بهم إلى الإسكندرية فسجنهم بها، وقتلهم وفرق جميع الأويرانية على الأمراء فاستخدموهم وجعلوهم من جندهم فصار أهل الحسينية لذلك يوصفون بالحسن والجمال البارع، وأدركنا من ذلك طرفا جيداً وكان للناس فى نكاح نسائهم رغبة، ولآخرى شغف بأولادهم، ولله در الشيخ تقى الدين السروجى إذ يقول من أبيات

ياساعى الشوق الذى مذ جري

جرت دموعى فهى أعوانه

خذ لى جوابًا عن كتابى الذي

إلى الحسينية عنوانه

فهى كما قد قيل وادى الحمي

وأهلها فى الحسن غزلانه

امشى قليلا وانعطف يسرة

يلقاك درب طال بنيانه

واقصد بصدر الدرب ذاك الذي

بحسنه تحسن جيرانه

سلم وقال يخشى من أى من

أشت حديثًا طال كتمانه

وسل لى الوصل فإن قال بق

فقل أوت قد طال هجرانه

وما برحوا يوصفون بالزعارة والشجاعة، وكان يقال لهم البدورة فيقال البدر فلان والبدر فلان ويعانون لباس الفتوة وحمل السلاح، ويؤثر عنهم حكايات كثيرة وأخبار جمة، وكانت الحسينية قد أربت فى عمارتها على سائر أخطاط مصر والقاهرة حتى لقد قال لى ثقة ممن أدركت من المشيخة أنه يعرف الحسينية عامرة بالأسواق والدور وسائر شوارعها حافلة بازدحام الناس من الباعة والمارة وأرباب المعايش وأصحاب اللهو والملعوب فيما بين الريدانية محطة المحمل يوم خروج الحاج من القاهرة، وإلى باب الفتوح لايستطيع الإنسان أن يمر فى هذا الشارع الطويل العريض طول هذه المسافة الكبيرة الا بمشقة من الزحام. كما كنا نعرف شارع بين القصرين فيما أدركنا. ومازال أمر الحسينية متماسكا إلى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ثمانمائة ومابعدها فخربت حاراتها ونقضت مبانيها وبيع مافيها من الاخشاب وغيرها، وباد أهلها ثم حدث بها بعد سنة عشرين وثمانمائة آية من آيات الله تعالى، وذلك أن فى أعوام بضع وستين وسبعمائة بدا بناحية، برج الزيات فيما بين المطرية وسر ياقوص فساد الأرض التى من شأنها العبث فى الكتب والثياب فأكلت لشخص نحو ألف وخمسمائة قتة دريس. فكنا لاتزال نتعجب من ذلك. ثم فشت هناك وشنع عبثها فى سقوف الدور وسرت حتى عانت فى أخشاب سقوف الحسينية وغلات أهلها وسائر أمتعتهم حتى أتلف- شيئًا كثيراً وقويت حتى صارت تأكل الجدران فبادر أهل تلك الجهة إلى هدم ما قد بقى الدور خوفا عليها من الأرضة شيئًا بعد شيء حتى قاربوا باب الفتوح وباب النصر، وقد بقى منها اليوم قليل من كثير يخاف إن استمرت أحوال الإقليم على ماهى عليه من الفساد أن تدثر وتمحى آثارها كما دثر سواها ولله در القائل

والله إن لم يداركها وقد رحلت
بلمحة أو بلطف من لديه خفي
ولم يجد بتلافيها على عجـــل
ما أمرها صـــائر إلا إلى تلف

(**حارة حلب**) هذه الحارة خارج باب زويلة. وتعرف إليوم بزقاق حلب، وكانت قديمًا من جملة مساكن الأجناد. قال ياقوت فى باب حلب، الأول حلب المدينة المشهورة بالشام وهى

قصبة نواحى فنسرين والعواصم إليوم، الثانى حلب الساجود من نواحى حلب أيضًا، الثالث كفر حلب من قراها أيضًا، الرابع محلة بظاهر القاهرة بالشارع من جهة الفسطاط والله تعإلى أعلم

ذكر أخطاط القاهرة وظواهرها

لقد تقدم ذكر مايطلق عليه حارة من الأخطاط، ونريد أن نذكر من الخطط مالا يطلق عليه اسم حارة ولادرب وهى كثيرة، وكل قليل تتغير أسماؤها ولابد من ايراد ماتيسر منها.

(**خط خان الوراقة**) هذا الخط فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش وفى شرقى سوق المرجلين، وهو يشتمل على عدة مساكن وبه طاحون، وكان موضعه قديمًا اصطبل الصبيان الحجرية لموقف خيولهم كما تقدم. فلما زالت الدولة الفاطمية احتط مواضع للسكنى وقد شمله الخراب.

(**خط باب القنطرة**) هذا الخط كان يعرف قديمًا بحارة المرتاحية وحارة الفرحية والرماحين، وكان مابين الرماحين الذى يعرف إليوم بباب القوس داخل باب القنطرة وبين الخليج فضاء لاعمارة فيه بطول مابين باب الرماحين إلى باب الخوخة، وإلى باب سعادة وإلى باب الفرج، ولم يكن إذ ذاك على حافة الخليج عمارة ألبتة، وإنما العمائر من جانب الكافوري، وهى مناظر اللؤلؤة وما جاورها من قبليها إلى باب الفرج، وتخرج العامة عصريات كل يوم إلى شاطىء الخليج الشرقى تحت المناظر للتفرج. فإن بر الخليج العربى كان فضاء مابين بساتين وبرك. كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى، قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وثمانين وخمسمائة: فى شوال قطع النيل الجور واقتلع الشجر وغرق النواحى وهدم المساكن، وأتلف كثيراً من النساء والأطفال، وكثر الرخاء بمصر فالقمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا، والخبز البايت ستة أرطال بربع درهم والرطب الأمهات ستة أرطال بدرهم والموز ستة أرصال بدرهم والرمان الجيد مائة حبة بدرهم والحمل الخيار بدرهمين،

والتين ثمانية أرطال بدرهم، والعنب ستة أرطال بدرهم فى شهر بابه بعد انقضاء موسمه المعهود بشهرين، والياسمين خمسة أرطال بدرهم، وآل أمر أصحاب البساتين إلى أن لايجمعوا الزهر لنقص ثمنه عن أجرة جمعه، وثمر الحناء عشرة أرطال بدرهم والبسرة عشرة أرطال بدرهم من جيده، والمتوسط خمسة عشر رطلا بدرهم، ومافى مصر الا متسخط بهذه النعمة. قال: ولقد كنت فى خليج القاهرة من جهة المقس لانقطاع الطرق بالمياه فرأيت الماء مملوءا سمكا والزيادة قد طبقت الدنيا والنخل مملوءا تمرا، والمكشوف من الأرض مملوأ ريحانا ويقولا، ثم نزلت فوصلت إلى المقس فوجدت من القلعة التى بالمقس إلى منية السيرج غلالا قد ملأت صبرها الأرض. فلا يدرى الماشى أين يضع رجله متصلا عرض ذلك إلى باب القنطرة وعلى الخليج عند باب القنطرة. من مراكب الغلة ماقد ستر سواحله وأرضه. قال: ودخلت البلد فرأيت فى السوق من الأخباز واللحوم والألبان والفواكه ماقد ملأها، وهجمت منه العين على منظر مارأيت قبله مثله. قال: وفى البلد من البغى ومن المعاصى ومن الجهر بها، ومن الفسق بالزنا واللواط ومن شهادة الزور ومن مظالم الأمراء والفقهاء، ومن أستحلال الفطر فى نهار رمضان، وشرب الخمر فى ليله ممن يقع عليه اسم الإسلام ومن عدم التكبر على ذلك جميعه ومالم يسمع ولم يعهد مثله. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وظفر بجماعة مجتمعين فى حارة الروم يتغدون فى قاعة فى نهار رمضان فما كلموا، وبقوم مسلمين ونصارى اجتمعوا على شرب خمر فى ليل رمضان فما أقيم فيهم حده، وخط باب القنطرة فيما بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش وينتهى من قبليه إلى خط بين السورين.

(**خط بين السورين**) هذا الخط من باب الكافورى فى الغرب إلى باب سعادة، وبه الآن صفان من الاملاك. أحدهما مشرف على الخليج، والآخر مشرف على الشارع المسلوك فيه من باب القنطرة إلى باب سعادة، ويقال لهذا الشارع بين السورين تسميه العامة بها. فاشتهر بذلك، وكان فى القديم بهذا الخط البستان الكافورى يشرف عليه بحده الغربى ثمة مناظر اللؤلؤة، وقد بقيت منها عقود مبنية بالآجر يمر السالك فى هذا الشارع من تحتها، ثم مناظر دار الذهب، وموضعها الآن دار تعرف بدار بها در الأعسر، وعلى بابها بئر يستقى منها الماء

فى حوض يشرب منه الدواب ، ويجاورها قبو معقود يعرف بقبو الذهب هو من بقية مناظر دار الذهب ، وبحد دار الذهب منظرة الغزالة وهى بجوار قنطرة الموسكي . وقد بنى فى مكانها ربع يعرف إلى اليوم بربع غزالة ، ودار ابن قرفة ، وقد صار موضعها جامع ابن المغربى ، وحمام ابن قرفة ، وبقى منها البئر التى يستقى منها إلى اليوم بحمام السلطان وعدة دور كلها فيما يلى القاهرة من صف باب الخوخة ، وكان مابين المناظر والخلية براحا ولم يكن شيء من هذه العمائر التى بحافة الخليج إليوم ألبتة ، وكان الحاكم بأمر الله فى سنة إحدى وأربعمائة منع من الركوب فى المراكب بالخليج وسد أبواب القاهرة التى تلى الخليج وأبواب الدور التى هناك والطاقات المطلة عليه على ماحكاه المسيحي ، وقال ابن المأمون فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة : ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام بها مدة النيل على الحكم الاول - يعنى قبل أيام أمير الجيوش بدر وابنه الأفضل وإزالة ، لم تكن العادة جارية عليه من مضايقة اللؤلؤة بالبناء ، وأنها صارت حارات تعرف بالفرحية والسودان وغيرهما أمر حسام الملك متولى بابه باحضار عرفاء الفرحية والإنكار عليهم فى تجاسرهم على ما استجدوه وأقدموا عليه فاعتذروا بكثرة الرجال وضيق الأمكنة عليهم . فبنوا لهم قبابا يسيرة فتقدم - يعنى أمر الوزير المأمون إلى متولى الباب بالإنعام عليهم وعلى جميع من بنى فى هذه الحارة بثلاثة آلاف درهم ، وأن يقسم بينهم بالسوية ويأمرهم بنقل قسمهم ، وأن يبنوا لهم حارة قبالة بستان الوزير يعنى ابن المغربى خارج الباب الجديد من الشارع . خارج باب زويلة . قال : وتحول الخليفة إلى اللؤلؤة بحاشيته وأطلقت التوسعة فى كل يوم لما يخص الخاص والجهات والأستاذين من جميع الأصناف ، وانضاف إليها مايطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للبائتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر فى طول الليل من باب قنطرة بهادر إلى مسجد الليمونة من البرين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها ، والغرض من متولى الباب واقع بالعدة فى طرفى كل ليلة ، ولايمكن بعضهم بعضًا من المنام ، والرمحية تخدم على الدوام .

(خط الكافوري) هذا الخط كان بستانا من قبل بناء القاهرة ، وتملك الدولة الفاطمية لديار مصر . أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الملقب بالإخشيد ، وكان بجانبه ميدان

فيه الخيول وله أبواب من حديد. فلما قدم جوهر القائد إلى مصر جعل هذا البستان من داخل القاهرة، وعرف ببستان كافور، وقيل له فى الدولة الفاطمية البستان الكافري، ثم اختط مساكن بعد ذلك. قال ابن زولاق فى كتاب سيرة الإخشيد: ولست خلون من شوال سنة ثلاثين وثلاثمائة سار الإخشيد إلى الشام فى عساكره واستخلف أخاه أبا المظفر بن طغج قال: وكان يكره سفك الدماء وقد شرع فى الخروج إلى الشام فى آخر سفراته، وسار العسكر، وكان نازلا فى بستانه في موضع القاهرة اليوم. فركب للسير. فساعة خرج من باب البستان اعترضه شيخ يعرف بمسعود الصابونى يتظلم إليه فنظر له فتطير به، وقال خذوه ابطحوه. فبطح وضرب خمس عشرة مقرعة وهو ساكت. فقال الإخشيد هو ذا يتشاطر. فقال له كافور: قد مات. فأزعج واستقال سفرته وعاد ليستانه، وأحضر أهل الرجل واستحلهم وأطلق لهم ثلاثمائة دينار، وحمل الرجل إلى منزله ميتا، وكانت جنازته عظيمة وسافر الإخشيد فلم يرجع إلى مصر ومات بدمشق.

وقال فى كتاب تتمة كتاب أمراء مصر للكندي: وكان كافور الإخشيدى أمير مصر يواصل الركوب إلى الميدان وإلى بستانه في يوم الجمعة ويوم الاحد ويوم الثلاثاء. قال: وفى غد هذا اليوم يعنى يوم الثلاثاء مات الأستاذ كافور الاخشيدى لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ويوم مات الاستاذ كافور الإخشيدى خرج الغلمان والجند إلى المنظرة وخربوا بستان كافور، ونهبوا دوابه، وطلبوا مال البيعة. وقال ابن عبد الظاهر: البستان الكافورى هو الذى كان بستانا لكافور الإخشيدي. وكان كثيراً ما يتنزه به، وبنيت القاهرة عنده، ولم يزل إلى سنة إحدى وخمسين وستمائة. فاختطت البحرية والعزيزية به اصطبلات، وأزيلت أشجاره. قال: ولعمرى أن خرابه كان بحق فإنه كان عرف بالحشيشة التى يتناولها الفقراء والتى تطلع به يضرب بها المثل فى الحسن. قال شاعرهم نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن على الينبعى لنفسه

رب ليـــــل قطعتـــــه ونديمي

شاهدى وهو مسمعى ومسيري

مجلسى مسجد وشربى من خضـ

ـــراء تزهو بحسن لون نضير

قال لى صاحب وقد فاح منها

نشرها مزريًا بنشر العبير

أمن المسك قلت ليست من المسـ

ـك ولكنها من الكافوري

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الاسدى الدمشقى المعروف باليغموري : أنشدنى الإمام العالم المعروف بجموع الفضائل زين الدين أبو عبد الله بن أبى بكر بن عبد القادر الحنفى لنفسه ، وهو أول من عمل فيها

وخضراء كافورية بات فعلها

بألبابنا فعل الرحيق المعتق

إذا نفحتنا من شذاها بنفحة

تدب لنا فى كل عضو ومنطق

غنيت بها عن شرب خمر معتق

وبالدلق عن لبس الجديد المزوق

وأنشدنى الحافظ جلال الدين أبو المعز بن أحمد بن الصائغ المغربى لنفسه

عاطنى خضراء كافورية

يكتب الخمر لها من جندها

أسكرتنا فوق ماتسكرنا

وربحنا أنفسا من حدها

وأنشدنى لنفسه :

قم عاطنى خضراء كافورية

قامت مقام سلافة الصهباء

يغدو الفقير إذا تنـــاول درهما

منهـــا له تيه على الأمراء

وترامعن أقوى الورى فإذا خلا

منها عددناه من الضعفاء

وأنشدنى من لفظه لنفسه أيضًا :

عاطيت من أهوى وقد زارني

كالبـــدر وافى ليلة البدر

والبحر قد مد على متنــــه

شــــعاعه جسراً من التبر

خضراء كافورية رنحــــت

أعطـــافه من شدة السكر

يفعل منها درهم فـــوق ما

تفعـــل أرطال من الخمر

فراح نشوانًا بها غــــــافلا

لايعـــرف الحلو من المر

قال وقد نال بهـــــا أمره

فبـــات مردودا إلى أمري

قتلتنى قلت نعم ســـيدي

قتلين بالســـــكر وبالبحر

قال : وأمر السلطان الملك الصالح يعنى نجم الدين أيوب الأمير جمال الدين أبا الفتح موسى بن يغمور أن يمنع من يزرع فى الكافورى من الحشيشة شيئاً فدخل ذات يوم فرأى فيه منها شيئاً كثيرًا فأمر بأن يجمع ، فجمع وأحرق . فأنشدنى فى الواقعة الشيخ الأديب الفاضل

شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف لنفسه، وذلك فى ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وستمائة :

صرف الزمان وحادث المقدور
تركا نكير الخطـب غير نكير
ماســالما حيــا ولا ميتًا ولا
طودا سما بل دكدكا بالطور
لهفى وهل يجدى التلهف فى ردي
طـرب الغنى وأنس كل فقير
أخت المذلة لارتكاب محــرم
قطــب السرور بأيسر الميسور
جمعت محاسن مااجتمعن لغيرها
من كل شيء كان فى المعمور
منها طعام والشراب كلاهمــا
والبقل والريحان وقت حضور
على روضة إن شئتها ورياضة
يغنى بهــا عن روضة وخمور
مافى المدامة كلها منها ســوى
أثم المــدام وصحبه المخمور
كلا ونكهة خمرة هى شــاهد
عــدل على حد وجلد ظهور
أســفا لدهر غالهــا ولربما
ظــل الكريم بذلة المأســور
جمعت له الأشهاد كرما أخضرا
كعروســة تجلى بخضر حرير

زفوا لهـــا نارا فخلنا جنـــة
برزت لنـا قد زوجت بالنور
ثم اكتســت منها غــلالة صفرة
فى حضـــرة مقـــرونة بزفير
فكأنها طب اللظى فى خضـــرة
منهـــا وطرف رمادها المنثور
جارى النضار على مذاب زمرد
تركا فتيت المسك فى الكافوري
لله درك حيـــــة أو ميتـــة
من منظـــر بهيج بغـــير نظير
أوذيت غير ذميمة فسقى الحيـا
تربا تضـــمن منك ذوب عبير
عندى لذكرى مابقيت مخــلدا
ســح الدموع ونفثه المصدور

ذكر كافور الإخشيدى

كان عبدا أسودا خصيا مثقوب الشفة السفلى بطينا قبيح القدمين ثقيل البدن جلب إلى مصر وعمره عشر سنين فما فوقها فى سنة عشر وثلاثمائة فلما دخل إلى مصر تمنى أن يكون أميرها، فباعه الذى جلبه لمحمد بن هاشم أحد المتقبلين للضياع فباعه لابن عباس الكاتب فمر يوما بمصر على منجم. فنظر له فى نجومه وقال له: أنت تصير إلى رجل جليل القدر تبلغ معه مبلغا عظيما فدفع إليه درهمين لم يكن معه سواهما. فرمى بهما إليه وقال: أبشرك بهذه

البشارة وتعطيني درهمين ثم قال له وأزيدك : انت تملك هذه البلد وأكثر منه فاذكرني واتفق أن ابن عباس الكاتب أرسله بهدية يوما إلى الامير أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد وهو يومئذ أحد قواد تكين أمير مصر . فأخذ كافوراً ورد الهدية فترقى عنده في الخدم حتى صار من أخص خدمه ، ولما مات الإخشيد بدمشق ضبط كافور الأمور وداري الناس ووعدهم إلى أن سكنت الدهماء بعد أن اضطرب الناس ، وجهز أستاذه وحمله إلى بيت المقدس وسار إلى مصر فدخلها وقد انعقد الأمر بعد الإخشيد لابنه أبي القاسم أونوجور فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من دمشق بأن سيف الدولة علي بن حمدان أخذها وسار إلى الرملة فخرج كافور بالعساكر ، وضرب الدباديب وهي الطبول على باب مضربه في وقت كل صلاة ، وسار فظفر وغنم ثم قدم إلى مصر وقد عظم أمره فقام بخلافة أونوجور . فخاطبه القواد بالأستاذ ، وصار القواد يجتمعون في داره فيخلع عليهم ويعطيهم حتى أنه وقع لجانك أحد القواد الإخشيدية في يوم بأربعة عشر ألف دينار فما زال عبداً له حتى مات ، وانبسطت يده في الدولة فعزل وولي وأعطي وحرم ، ودعي له على المنابر كلها إلا منبر مصر والرملة وطبرية ثم دعي له بها في سنة أربعين وثلاثمائة وصار يجلس للمظالم في كل سبت ، ويحضر مجلسه القضاة والوزراء والشهود ووجوه البلد فوقع بينه وبين الامير أونوجور وتحرز كل منهما من الآخر ، وقويت الوحشة بينهما ، وافترق الجند فصار مع كل واحد طائفة ، واتفق موت أونوجور في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ويقال إنه سمه . فأقام أخاه أبا الحسن علي بن الإخشيدي من بعده ، واستبد بالأمر دونه وأطلق له في كل سنة أربعمائة ألف دينار ، واستقل بسائر أحوال مصر وللشام فقد زاد ما بينه وبين الأمير أبي الحسن علي . فضيق عليه كافور ومنع أن يدخل عليه أحد . فاعتل بعلة أخيه ومات . وقد طالت به في محرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فبقيت مصر بغير أمير أياما لا يدعى فيها سوى للخليفة المطيع فقط ، وكافور يدبر أمر مصر والشام في الخراج والرجال ، فلما كان لاربع بقين من المحرم المذكور أخرج كافور كتابا من الخليفة المطيع بتقليده بعد علي بن الإخشيد فلم يغير لقبه بالاستاذ ودعي له على المنبر بعد الخليفة ، وكانت له في أيامه قصص عظام ، وقدم عسكر من المعز لدين الله ابي

تميم معد من المغرب إلى الواحات فجهز إليه حبيشا أخرجوا العسكر وقتلوا منهم، وصارت الطبول تضرب على بابه خمس مرات فى إليوم والليلة وعدتها مائة طبلة من نحاس، وقدمت عليه دعاة المعز لدين الله من بلاد المغرب يدعونه إلى طاعته فلاطفهم وكان أكثر الإخشيدية والكافورية وسائر الأولياء والكتاب قد اخذت عليهم البيعة للمعز، وقصر مد النيل فى أيامه فلم يبلغ تلك السنة سوى اثنى عشر ذراعا وأصابع فاشتد الغلاء وفحش الموت فى الناس حق عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم وارجف بمسير القرامطة إلى الشام وبدت غلمأنه تتنكر له، وكانوا ألفا وسبعين غلاما تركيا سوى الروم والمولدين فمات لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة عن ستين سنة، وترك من العين سبعمائة ألف دينار ومن الورق والحلى والجوهر والعنبر والطيب والثياب والآلات والفرش والخيام والعبيد والجوارى والدواب ماقوم بستمائة ألف ألف دينار، وكانت مدة تدبيره أمر مصر والشام والحرمين إحدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوما منها منفردا بالولاية بعد أولاد استاذة سنتان وأربعة أشهر وتسعة ايام، ومات عن غير وصية ولا صدقة ولا مأثرة يذكر بها، ودعى له على المنابر بالكنية التى كناه بها الخليفة وهى أبو الملك أربع عشرة جمعة، وبعده اختلت مصر وكادت تدمر حتى قدمت جيوش المعز على يد القائد جوهر. فصارت مصر دار خلافة ووجد على قبره مكتوب.

ما بال قبرك يا كافور منفردا.

بصائح الموت بعد العسكر اللجب.

يداس قبرك من ادنى الرجال وقد.

كانت أسود الشرى تخشاك فى الكتب.

ووجد ايضا مكتوب :

انظر إلى غبر الأيام ماصنعت
أفنت أناســـا بها كانوا وما فنيت

دنياهم أضحكت ايام دولتهم
حتى إذا فنيت ناحت لهم وبكت

(**خط الخرشتف**) هذا الخط فيما بين حارة برجوان والكافورى، ويتوصل إليه من بين القصرين فيدخل له من قبو يعرف بقبو الخرشتف، وهو الذى كان يعرف قديما بباب التبانين، ويسلك من الخرشتف إلى خط باب سر المارستان وإلى حارة زويلة، وكان موضع الخرشتف فى أيام الخلفاء ألفاطميين ميدانا بجوار القصر الغربى والبستان الكافورى. فلما زالت الدولة اختط وصار فيه عدة مساكن، وبه أيضا سوق، وإنما سمى بالخرشتف لأن المعز أول من بنى فيه الاصطبلات بالخرشتف وهو متحجر مما يوقد به على مياه الحمامات من الأزبال وغيره قال ابن عبد الظاهر: الحارة المعروفة بالخرشتف كانت قديما ميدانا للخلفاء. فلما ورد المعز بنوا به اصطبلات. وكذلك القصر الغربى، وقد كان النساء اللاتى أخرجن من القصر يسكن بالقصر النافعى فامتدت الأيدى إلى طوبه واخشابه وبيعت وتلاشى حالة وبنى به وبالميدان اصطبلات ودويرات بالخرشتف فسمى بذلك ثم بنى به الآدر والطواحين وغيرها، وذلك بعد الستمائة وأكثر أراضى الميدان حكر الآدر.

(**خط اصطبل القطبية**) هذا الخط ايضا من جملة أراضى الميدان، ولما استقلت القاعة التى كانت سكن أخت الحاكم بأمر الله بعد زوال الدولة ألفاطمية صارت إلى الملك المفضل قطب الدين احمد بن المالك العادل ابى بكر بن أيوب فاستقر بها هو وذريته فصار يقال لها الدار القطبية، واتخذ هذا المكان اصطبلا لهذه القاعة فعرف باصطبل القطبية، ثم لما اخذ الملك المنصورى قلاوون القاعة القطبية من مونسج خاتون المعروفة بدار إقبال ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب أخت المفضل قطب الدين احمد المعروفة بخاتون القطبية وأمام المارستان المنصورى بنى فى هذا الاصطبل المساكن، وصارت من جملة الخطط المشهورة، ويتوصل إليه من وسط سوق الخرشتف ويسلك فيه من آخره إلى المدرسة الناصرية والمدرسة الظاهرية المستجدة وعمل على أوله دربا يغلق وهو خط عامر.

(**خط باب سر المارستان**) هذا الخط يسلك إليه من الخرشتف، ويصير السالك فيه إلى البندقانيين، وبعض هذا الخط، وهو جله ومعظمه من جملة اصطبل الجميزة الذى كان فيه خيول الدولة ألفاطمية، وقد تقدم ذكره، وموضع باب سر المارستان المنصورى هو باب الساباط. فلما زالت الدولة، واختط الكافورى والخرشتف واصطبل القطبية صار هذا الخط

واقعا بين هذه الأخطاط ونسب إلى باب سر المارستان. لأنه من هنالك، وأدركت بعض هذه الخطة وهى خراب ثم أنشأ فيه القاضى جمال الدين محمود القيصرى محتسب القاهرة فى أيام ولايته نظر المارستان فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة العظيمة ذات الاحجار والفرن والربع علوه فى المكان الخراب وجعل ذلك جاريا فى جملة أوقاف المارستان المنصورى.

(**خط بين القصرين**) هذا الخط أعمر أخطاط القاهرة وأنزهها، وقد كان فى الدولة ألفاطمية فضاء كبيرا وبراحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف من العسكر ما بين فارس وراجل، ويكون به طرادهم ووقوفهم للخدمة كما هو الحال إليوم فى الرميلة تحت قلعة الجبل. فلما انقضت أيام الدولة ألفاطمية وخلت القصور من أهإليها ونزل بها أمراء الدولة الأيوبية، وغيروا معالمها. صار هذا الموضع سوقا مبتذلا بعد ما كان ملاذا مبجلا، وقعد فيه الباعة بأصناف المأكولات من اللحمان المتنوعة والحلاوات المصنعة وألفاكهة وغيرها. فصار منتزها تمر فيه أعيان الناس وإمائهم فى الليل مشاة لرؤية ما هناك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد فى الكثرة، ولروية ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين مما فيه لذة للحواس الخمس وكانت تعقد فيه عدة حلق لقراءة السير والأخبار وإنشاد الأشعار والتفنن فى أنواع اللعب واللهو. فيصير مجمعا لا يقدر قدره ولا يمكن حكاية وصفه. وسأتلو عليك من أنباء ذلك مالا تجده مجموعا فى كتاب قال المسبحى: فى حوادث جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وستمائة وفيه منع كل أحد ممن يركب مع المكاريين أن يدخل من باب القاهرة راكبا ولا المكارين أيضا بحميرهم. ولا يجلس أحد على باب الزهومة من التجار وغيرهم، ولا يمشى أحد ملاصق القصر من باب الزهومة إلى اقصى باب الزمرد، ثم عفى عن المكاريين بعد ذلك وكتب لهم أمان قرىء وقال ابن الطوير: ويبيت خارج باب القصر كل ليلة خمسون فارسا فإذا اذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الإمام الراتب بها بالمقيمين فيها من الأستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة ابن الكركندى فإذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق وتوابعهما من عدة وافرة بطريق مستحسنة ساعة زمانية، ثم يخرج بعد ذلك أستاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على بستان الدولة السلام. فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده. فإذا رفعها أغلق الباب ودار حول

القصر سبع دورات فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين وألفراشين المقدم ذكرهم، وأفضى المؤذنون إلى خزانتهم هناك ورميت السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان إلى أن تضرب النوبة سحرا قريب ألفجر. فتنصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة. انتهى، وأخبرنى المشيخة أنه مازال الرسم إلى قريب أنه لا يمر بشارع بين القصرين حمل تبن ولا حمل حطب، ولا يستطيع أحد أن يسوق فرسا فيه فإن ساق أحد أنكر عليه وخرق به. وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب: والمكان الذى كان يعرف فى القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هناك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين، ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية. وقال ياقوت: وبين القصرين كان ببغداد بباب الطاق يراد به قصر اسماء بنت المنصور وقصر عبد الله بن المهدى، وكان يقال لهما أيضا بين القصرين، وبين القصرين بمصر والقاهرة، وهما قصران متقابلان بينهما طريق العامة والسوق عمرهما ملوك مصر المغاربة المتعلونة الذين ادعوا أنهم علوية. وحدثنى ألفاضل الرئيس تقى الدين عبد الوهاب ناظر الخواص الشريفة ابن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله ابن أبى شاكر أنه كان يشترى فى كل ليلة من بين القصرين بعد العشاء الآخرة برسم الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن خصيب من الدجاج المطجن والقطا وفراخ الحمام والعصافير المقلاه بمبلغ مائتى درهم وخمسين درهما فضة يكون عنها يومئذ نحو من اثنى عشر مثقالا من الذهب، وأن هذا كان دأبه فى كل ليلة ولا يكاد مثل هذا مع كثرته لرخاء الأسعار يؤثر نقصه فيما كان هنالك من هذا الصنف لعظم ما كان يوضع فى بين القصرين من هذا النوع وغيره. ولقد أدركنا فى كل ليلة من بعد العصر يجلس الباعة بصنف لحمان الطيور التى تقلى صفا من باب المدرسة الكاملية إلى باب المدرسة الناصرية وذلك قبل بناء المدرسة الظاهرية المستجدة. فيباع لحم الدجاج المطجن ولحم الأوز المطجن كل رطل بدرهم، وتارة بدرهم وربع، وتباع العصافير المقلوة كل عصفور بفلس حسابا عن كل أربعة وعشرين بدرهم. والمشيخة تقول أنا حينئذ فى غلاء لكثرة ما تصف من سعة الأرزاق ورخاء الأسعار فى الزمن الذى أدركوه قبل ألفناء الكبير. ومع ذلك فلقد وقع فى سنة ست وثمانين شىء لا يكاد يصدقه إليوم من لم يدرك

ذلك الزمان. وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعانى الجندية ويركب الخيل. فبلغنى عن غلامه أنه خرج فى ليلة وأنهما سرقا من شارع بين القصرين وما قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء وبضعا وثلاثين شقفة جبن والشقفة أبدا من نصف رطل إلى رطل فما منا إلا من تعجب من ذلك، وكيف تهيأ لاثنين فعل هذا وحمل هذا القدر يحتاج إلى دابتين إلى أن قدر الله تعالى لى بعد ذلك أن اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين وسألته عن ذلك فاعترف لى به. قلت صف لى كيف عملتما؟ فذكر أنهما كان يقفان على حانوت الجبان او مقعد البطيخى، وكان إذا ذاك يعمل من البطيخ فى بين القصرين مرصات كثيرة جدا فى كل مرص ما شاء الله من البطيخ. قال: فإذا وقفنا قلب أحدنا بطيخة وقلب الآخر أخرى. فلشدة ازدحام الناس يتناول أحدنا بطيخة بخفة يد وصناعة، ويقوم فلا يفطن به. أو يقلب أحدنا ورفيقه قائم من ورائه والبياع مشغول البال لكثرة ما عليه من المشترين، وما فى ذلك الشارع من غزير الناس فيحذفها من تحته وهو جالس القرفصاء فإذا أحس بها رفيقه تناولها ومر، وكذلك كان فعلهما مع الجبانين، وكانوا كثيرا. فانظر أعزك الله إلى بضاعة يسرق منها مثل هذا القدر ولا يفطن به من كثرة ما هنالك من البضائع ولعظم الخلق. ولقد حدثنى غير واحد ممن قدم مع قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى أنه لما قدموا من الكرك فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين. وقال لى ابنه محب الدين محمد: أول ما شاهدت بين القصرين حسبت أن زفة او جنازة كبيرة تمر من هنالك. فلما لم ينقطع المارة سألت ما بال الناس مجتمعين للمرور من هنا؟ فقيل لى: هذا دأب البلد دائما، ولقد كنا نسمع أن من الناس من يقوم خلف الشاب أو المرأة عند التمشى بعد العشاء بين القصرين ويجامع حتى يقضى وطره، وهما ماشيان من غير أن يدركهما أحد لشدة الزحام، واشتغال كل أحد بلهوه، وما برحت أجد من الازدحام مشقة حتى أفادنى بعض من أدركت أن من الرأى فى المشى ان يأخذ الإنسان فى مشيه نحو شماله. فإنه لا يجد من المشقة كما يجد غيره من الزحام. فاعتبرت ذلك آلاف المرات فى عدة سنين. فما أخطأ معى. ولقد كنت أكثر من تأمل المارة بين القصرين فإذا هم صفان كل صف يمر عن صوب شماله كالسيل إذا اندفع، وعلل هذا الذى أفادنى أن القلب من يسار كل أحد والناس تميل إلى جهة قلوبهم. فلذلك صار مشيهم من صوب شمائلهم. وكذا صح لى مع طول

الاعتياد، ولما حدثت هذه المحن بعد سنة ست وثمانين تلاشى أمر بين القصرين، وذهب ما هناك وما أخوفنى أن يكون أمر القاهرة كما قيل.

هـــذه بلدة قضى الله ياصـــا

ح عليها كمــا ترى بالخراب

فقف العيس وقفة وابك من كا

ن بها من شيوخها والشباب

واعتبر ان دخلت يوما إلـــيهـــا

فهى كانت منـازل الأحباب

(خط الخشيبة) هذا الخط يتوصل إليه من وسط سوق باب الزهومة ويسلك فيه إلى الحارة العدوية. حيث فندق الرخام برحبة بيبرس، وإلى درب شمس الدولة. وقيل له خط الخشيبة من أجل أن الخليلفة الظافر لما قتله نصر بن عباس، وبنى على مكانة الذى دفنه فيه المسجد الذى يعرف إليوم بمسجد الخلعيين، ويعرف ايضا بمسجد الخلفاء نصبت هناك خشبة حتى لا يمر أحد من هذا الموضع راكبا فعرف بخشيبة تصغير خشبة، ومازالت هناك حتى زالت الدولة ألفاطمية وقام السلطان صلاح الدين بسلطنة مصر فازال الخشيبة، وعرف هذا الخط بها إلى إليوم ويقال له خط حمام خشيبة من أجل الحمام التى هناك ولمعتقل الظافر خبر يحسن ذكره هنا.

«ذكر مقتل الخليفة الظافر»

وكان من خبر الظافر أنه لما مات الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر فى ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بويع ابنه ابو المنصور إسماعيل ولقب بالطافر بأمر الله بوصية من

أبيه له بالخلافة، وقام بتدبير الوزارة الأمير نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال فلم يرض الأمير المظفر على بن السلار وإلى الإسكندرية والبحيرة يومئذ بوزارة ابن مصال، وحشد وسار إلى القاهرة فقر ابن مصال واستقر ابن السلار فى الوزارة، وتلقب بالعادل فجهز العساكر لمحاربة ابن مصال فحاربته وقتل، فقوى واستوحش منه الظافر وخاف منه ابن السلار، واحترز منه على نفسه وجعل له رجالا يمشون فى ركابه بالزرد والخود وعددهم ستمائة رجل بالنوبة، ونقل جلوس الظافر من القاعة إلى الايوان فى البراح والسعة حتى إذا دخل للخدمة يكون أصحاب الزرد معه ثم تأكدت النفرة بينهما. فقبض على صبيان الخاص وقتل أكثرهم وفرق باقيهم، وكانوا خمسمائة رجل، ومازال الأمر على ذلك إلى أن قتله ربيبه عباس بن تميم بيد ولده نصر، واستقر بعده فى وزارة الظافر، وكان بين ناصر الدين نصر بن عباس الوزير وبين الظافر مودة أكيدة ومخالطة. بحيث كان الظافر يشتغل به عن كل أحد، ويخرج من قصره إلى دار نصر بن عباس التى هى إليوم المدرسة السيوفية. فخاف عباس من جراءة ابنه، وخشى أن يحمله الظافر على قتله، كما قتل الوزير على بن السلار زوج جدته أم عباس فنهاه عن ذلك وألحف فى تانيبه، وأفرط فى لومه لأن الأمراء كانوا مستوحشين من عباس وكارهين منه تقريبه أسامة بن منقذ لما علموه من أنه هو الذى حسن لعباس قتل ابن اللار كما هو مذكور فى خبره، وهموا بقتله وتحدثوا مع الخليفة الظافر فى ذلك فلغ أسامة ما هم عليه، وكان غريبا من الدولة فأخذ يغرى الوزير عباس بن تميم بابنه نصر ويبالغ فى تقبيح مخالطته للظافر إلى أن قال له مرة: كيف تصبر على ما يقول الناس فى حق ولدك من أن الخليفة يفعل به ما يفعل بالنساء. فأثر ذلك فى قلب عباس، واتفق أن الظافر أنعم بمدينة قليوب على نصر بن عباس فلما حضر، إلى ابيه وأعلمه بذلك وأسامة حاضر. فقال له يا ناصر الدين ما هى بمهرك غالية - يعرض له بالفحش - فاخذ عباس من ذلك ما أخذه وتحدث مع أسامه لثقته به فى كيفية الخلاص من هذا فأشار عليه بقتل الظافر إذا جاء إلى دار نصر على عادته فى الليل. فأمره بمفاوضة ابنه نصر فى ذلك. فاغتنمها أسامة، ومازال بنصر يشنع عليه ويحرضه على قتل الظافر حتى وعده بذلك. فلما كان ليلة الخميس آخر المحرم من سنة تسع وأربعين وخمسمائة خرج الظافر من قصره متنكرا ومعه خادمان كما

هى عادته، ومشى إلى دار نصر بن عباس فإذا به قد أعد وله قوما. فعندما صار فى داخل داره وثبوا عليه وقتلوه هو وأحد الخادمين، وتوارى عنهم الخادم الآخر، ولحق بعد ذلك بالقصر، ثم دفنوا الظافر والخادم تحت الأرض فى الموضع الذى فيه الآن المسجد، وكان سنه يوم قتل إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ونصف منها فى الخلافة بعد ابيه اربع سنين وثمانية أشهر تنقص خمسة أيام، وكان محكوما عليه فى خلافته، وفى أيامه ملك ألفرنج مدينة عقلان وظهر الوهن فى الدولة، وكان كثير اللهو واللعب وهو الذى انشأ الجامع المعروف بجامع ألفاكهيين، وبلغ أهل القصر ما عمله نصر أبن عباس من قتل الظافر فكاتبوا طلائع بن رزيك، وكان على الاسمونين وبعثوا إليه بشعور النساء يستصرخون به على عباس وابنه. فقدم بالجموع وفر عباس وأسامة ونصر، ودخل طلائع وعليه ثياب سود وأعلامه وبنوده كلها سود وشعور النساء التى أرسلت إليه من القصر على الرماح فألأعجيبا فأنه بعد خمس عشرة سنة دخلت أعلام بنى العباس السود من بغداد إلى القاهرة لما مات العاضد، واستبد صالح الدين. يملك ديار مصر، وكان أول مابدأ به طلائع أن مضى ماشيا إلى دار نصر وأخرج الظافر والخادم وغسلهما وكفنهما، وحمل الظافر فى تابوت مغشى، ومشى طلائع حافيا والناس كلهم حتى وصلوا إلى القصر فصلى عليه ابنه الخليفة الفائز، ودفن فى تربة القصر.

(**خط سقيفة العداس**) هذا الخط فيما بين درب شمس الدولة والبندقانيين كان يقال له أولا سقيفة العداس، ثم عرف بالصاغة القديمة ثم عرف بالأساكفة، ثم هو الآن يعرف بالحريريين الشراربيين، وبسوق الزجاجين، وفيه يباع الزجاج. وهو خط عامر وهذا العداس هو على بن عمر بن العداس ابو الحسن ضمن فى أيام المعز لدين الله كورة بوصير. فخلع عليه وجمله، وسار خلفه بالبنود والطبول فى جمادى الأولى سنة أربع وستين وثلاثمائة. فلما كان فى أول خلافة العزيز بالله بن المعز لدين الله ولاه الوساطة، وهى رتبة الوزارة بعد موت الوزير يعقوب بن كلس، ولم يلقبه بالوزير فجلس فى القصر لتسع عشرة خلت من ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وأمر ونهى ونظر فى الأموال ورتب العمال وأمر أن لا يطلق شىء إلا بتوقيعه، ولا ينفذ إلا ما أمر به وقرره، وأمره العزيز بالله أن لا يرتفق-اى يرتشى، ولا يرتزق. يعنى أنه لا يقبل هدية، ولا يضيع دينارا ولا درهما. فأقام سنةوصرف

فى أول المحرم من سنة ثلاث وثمانين فقرر فى ديوان الاستيفاء إلى أن كان جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة حسن لابى طاهر محمود النحوى الكاتب، وكان منقطعا إليه أن يلقى الحاكم بأمر الله ويبلغه ماتشكوه الناس من تظافر النصارى وغلبتهم على المملكة، وتوازرهم، وأن فهد بن إبراهيم هو الذى يقوى نفوسهم ويفوض أمر الأموال والدواوين إليهم وأنه آفة على المسلمين وعدة للنصارى. فوقف ابو طاهر للحاكم ليلا فى وقت طوافه فى الليل ويلغه ذلك، ثم قال يا مولانا. إن كنت تؤثر جمع الاموال وإعزاز الاسلام فأرنى رأس فهد بن إبراهيم فى طشت وإلا لم يتم من هذا شىء. فقال له الحاكم: ويحك، ومن يقوم بهذا الأمر الذى تذكره ويضمنه. فقال عبدك على بن عمر بن العداس، فقال: ويحك أو يفعل هذا. قال نعم يا أمير المؤمنين. قال: قل له يلقانى ههنا فى غد، ومضى الحاكم فجاء أبو طاهر إلى ابن العداس وأعلمه بما جرى، فقال: ويحك قتلتنى وقتلت نفسك. فقال معاذ الله. افنصبر لهذا الكلب الكافر على ما يفعل بالإسلام والمسلمين ويتحكم فيهم من اللعب بالأموال والله إن لم تسع فى قتله ليسعين فى قتلك. فلما كان فى الليلة القابلة وقف على بن عمر العداس للحاكم ووافقه على ما يحتاج إليه فوعده بإنجاز ما اتفقا عليه وأمره بالكتمان، وانصرف الحاكم، فلما أصبح ركب العداس إلى دار قائد القواد حسين بن جوهر القائد، فلقى فهد بن إبراهيم فقال له فهد: يا هذا كم تؤذينى وتقدح فى عند سلطانى. فقال العداس والله ما يقدح ولا يؤذينى عند سلطانى ويسعى على غيرك. فقال الفهد: سلط الله على من يؤذى صاحبه فينا، ويسعى به سيف هذا الإمام الحاكم بأمر الله. فقال العداس آمين وعجل ذلك ولا تمهله. فقتل فهد فى ثامن جمادى الآخرة، وضربت عنقه، وكان له منذ نظر فى الرياسة خمس سنين وتسعة اشهر واثنى عشر يوما، وقتل العداس بعدة بتسعة وعشرين يوما واستجيب دعاء كل منهما فى الاخر وذهبا جميعا ولا يظلم ربك أحدا، وذلك أن الحاكم خلع على العداس فى رابع عشرة وجعله مكان فهد، وخلع على ابنه محمد بن على فهناه الناس واستمر إلى خامس عشرى رجب منها فضربت رقبة ابى طاهر محمود بن النحوى وكان ينظر فى أعمال الشام لكثرة ما رفع عليه من التجبر والعسف، ثم قتل العداس فى سادس شعبان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وأحرق بالنار.

(خط البندقانيين) هذا الخط كان قديما اصطبل الجميزة أحد اصطبلاب الخلفاء ألفاطميين فلما زالت الدولة اختط وصارت فيه مساكن وسوق من جملته عدة دكاكين لعمل قسى

البندق فعرف الخط بالبندقانيين لذلك، ثم إنه احترق يوم الجمعة للنصف من صفر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة والناس فى صلاة الجمعة. فما قضى الناس الصلاة إلا وقد عظم أمره فركب إليه والى القاهرة والنيران قد ارتفع لهبها واجتمع الناس فلم يعرف من أين كان ابتداء الحريق، واتفق هبوب رياح عاصفة فحملت شرر النار إلى أمد بعيد، ووصلت أشعتها إلى أن رؤيت من القلعة. فركب الوزير منجك بمماليك الأمراء وجمعت السقاؤون لطفى النار فعجزوا عن إطفائها واشتد الأمر فركب الأمير شيخو والأمير طاز والأمير مغلطاى أمير أخور وترجلوا عن خيولهم ومنعوا النهابة من التعرض إلى نهب البيوت التى احترقت، وعم الحريق دكاكين البندقانيين ودكاكين الرسامين وحوانيت ألفقاعين والفندق المجاور لها والربع علوه، وعملت إلى الجانب الذى يلى بيت بيبرس ركن الدين الملقب بالملك المظفر والربع المجاور لعالى زقاق الكنيسة. فمازال الأمير شيخو واقفا بنفسه ومماليكه ومعه الأمراء إلى أن هدم ما هنالك والنار تأكل ما تمر به إلى أن وصلت إلى بئر الدلاء التى كانت تعرف قديما ببئر زويلة، ومنها كان يستقى لاصطبل الجميزة فأحرقت ماجاور البئر من الأماكن إلى حوانيت الفكاه والطباخ وما يجاورهما من الحوانيت والربع المجاور لدار الجوكندار، وكادت ان تصل إلى دار القاضى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر المجاورة لحمام الشيخ نجم الدين بن عبود، ولم يبق أحد فى ذلك الخط حتى حول متاعه خوفا من الحريق فكان أهل البيت بينما هم فى نقل ثيابهم وإذا بالنار قد أحاطت بهم. فيتركون ما فى الدار وينجون بأنفسهم، والأمر يعظم والهدم واقع فى الدور المجاورة لاماكن الحريق خشية من تعلق النار بها. فسرى إلى جميع البلد إلى أن أتى الهدم على سائر ما كان هنالك فأقام الأمر كذلك يومين وليلتين والأمراء وقوف. فلما خف انصرف الأمراء ووقف والى القاهرة، ومعه عدة من الأمراء لطفى ما بقى فاستمروا فى طفئة ثلاثة أيام أخر وكان المصاب بهذا الحريق عظيما. تلف فيه للناس من المال والثياب والمصاغ وغيره بالحريق والنهب مالا يعلم قدره إلا الله. هذا مع ما كان فيه الأمراء من منع النهابه وكفهم عن أموال الناس. إلا أن الأمر كان قد تجاوز الحد وعطب بالنار جماعة كثيرة، ووصل حريق النار إلى قيسارية طشتمر وربع بكتمر الساقى. فلما كفى الله أمر هذا الحريق وأعان على طفئه بعد أن هدمت عدة أماكن جليلة ما بين رباع وحوانيت وقع الحريق فى أماكن من داخل القاهرة وخارج باب زويلة، ووجد فى بعض المواضع التى بها الحريق كعكات بزيت وقطران فعلم

أن هذا من فعل النصارى كما وقع فى الحريق الذى كان فى أيام الملك الناصر، وقد ذكر فى خبر السيرة الناصرية. فنودى فى الناس أن يحترسوا على مساكنهم فلم يبق أحد من الناس أعلاهم وأدناهم حتى أعد فى داره أوعية ملآنة بالماء ما بين أحواض وزيار وصاروا يتناوبون السهر فى الليل، ومع ذلك فلا يدرى أهل البيت إلا والنار قد وقعت فى بيتهم فيتداركون طفئها لئلا تشتعل ويصعب أمرها، وترك جماعة من الناس الطبخ فى الدور، وتمادى ذلك فى الناس من نصف صفر إلى عاشر ربيع الأول فأحضر الأمير سيف الدين تشتمر شاد الدواوين نشابة فى وسطها نقط قد وجدها فى سطح داره فأراها للأمراء وهى محروقة النصل. فصدر أمر الوزير منجك للأمير علاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة بالقبض على الحرافيش وتقييدهم وسجنهم خوفا من غائلتهم ونهبهم الناس عند وقوع الحريق. فتتبعهم وقبض عليهم فى الليل من بيوتهم ومن الحوانيت حتى خلت السكك منهم. ثم إن الأمراء كلموا الوزير فى أمرهم فأمر بإطلاقهم ونودى فى البلد أن لا يقيم فيها غريب، وطلبوا الخفراء وولاة المراكز وأمروا بالاحتفاظ، وتتبع الناس وأخذ من تتوهم فيه ريبة أو يذكر بشىء من أمر هذا، والحريق أمره فى تزايد، وصار والى القاهرة من ذلك فى تعب كبير لاينام هو ولا أعوانه فى الليل ألبته لكثرة الضجات فى الليل، ووقع حريق فى شونة حلفاء بمصر مجاورة لمطابخ السكر السلطانية. فركب القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص فى جماعة، وخرج عامة أهل مصر وتكاثروا على الشونة حتى طفئت، ووقع الحريق فى عدة أماكن بمصر، واستمر الحريق بمصر والقاهرة مدة شهر من ابتدائه بالبندقانيين، ولم يعلم له سبب واستمر أكثر خط البندقانيين خرابا إلى أن عمر الأمير يونس النوروزى دوادار الملك الظاهر برقوق الربع فوق بئر الدلاء التى كانت تعرف ببئر زويلة، وأنشأ بجوار درب الأنجب الحوانيت والرباع والقيسارية فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة، ثم أنشأ الأمير شهاب الدين أحمد الحاجب ابن أخت الأمير جمال الدين يوسف الأستادار داره بجوار حمام ابن عبود. فاتصل ظهرها بدكاكين البندقانيين. فصار فيها ما كان من خراب الحريق هناك حيث الحوض الذى أنشأه تجاه دار بيبرس، ولقد أدركنا فى خط البندقانيين عدة كثيرة من الحوانيت التى يباع فيها الفقاع تبلغ نحو العشرين حانوتا، وكانت من أنزه ما يرى. فإنها كانت كلها مرخمة بأنواع الرخام الملون، وبها مصانع من ماء تجرى إلى فوارات تقذف بالماء على ذلك الرخام. حيث كيزان الفقاع مرصوصة فيستحسن منظرها إلى الغاية لأنها من الجانبين والناس يمرون

بينهما، وكان بهذا الخط عدة حوانيت لعمل قسي البندق وعدة حوانيت لرسم أشكال ما يطرز بالذهب والحرير، وقد بقيت من هذه الحوانيت بقايا يسيرة، وهو من أخطاط القاهرة الجسيمة.

(خط دار الديباج) هذا الخط هو فيما بين خط البندقانيين والوزيرية وكان أولا يعرف بخط دار الديباج، لأن دار الوزير يعقوب بن كلس التى من جملتها اليوم المدرسة الصاحبية ودرب الحريرى والمدرسة السيفية عملت دارا ينسج فيها الديباج والحرير برسم الخلفاء الفاطميين وصارت تعرف بدار الدبباج. فنسب إليها الخط إلى أن سكن هناك الوزير صفى الدين عبد الله بن على ابن شكر فى أيام العادل أبى بكر بن أيوب فصار يعرف بخط سويقة الصاحب، وهو خط جسيم به مساكن جليلة وسوق ومدرسة.

(خط الملحيين) هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين من وراء دار الديباج، وتسميه العامة خط طواحين الملوحيين بواو بعد اللام وقبل الحاء المهملة وهو تحريف وإنما هو خط الملحيين عرف بطائفة من طوائف العسكر فى أيام الخليفة المستنصر بالله يقال لها الملحية وهم الذين قاموا بالفتنة فى أيام المستنصر إلى أن كان من الغلاء ما أوجب خراب البلاد ونهب خزائن الخليفة المستنصر. فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى إلى القاهرة، وتقلد وزارة المستنصر وتجرد لإصلاح إقليم مصر وتتبع المفسدين وقتلهم، وسار فى سنة سبع وستين وأربعمائة إلى الوجه البحرى وقتل لواته، وقتل مقدمهم سليمان اللواتى وولده واستصفى أموالهم ثم توجه إلى دمياط وقتل فيها عدة من المفسدين. فلما أصلح جميع البر الشرقى عدى إلى البر الغربى، وقتل جماعة من الملحية وأتباعهم بثغر الإسكندرية، بعدما أقام أياما محاصراً البلد، وهم يمتنعون عليه ويقاتلونه، إلى أن أخذها عنوة، فقتل منهم عدة كثيرة، وكان بهذا الخط عدة من الطواحين تسمى بخط طواحين الملحيين، وبه إلى الآن يسير من الطواحين.

(خط المسطاح) هذا الخط فيما بين خط الملحيين وخط سويقة الصاحب، وفيه إليوم سوق الرقيق رالذى يعرف بسوق الجوار والمدرسة الحسامية، وما دار به، ويعرف بالمسطاح وبخارج باب القنطرة قريب من باب الشعرية أيضا خط يعرف بالمسطاح.

(خط أمير سلاح) هذا الخط تجاه حمام البيسرى بين القصرين يسلك فيه إلى مدرسة

الطواشى سابق الدين المعروفة بالسابقية، وكان يخرج منه إلى رحبة باب العيد من باب القصر. إلى أن هدمه الأمير جمال الدين يوسف الاستادار، وبنى فى مكانه القيسارية المستجدة بجوار مدرسته من رحبة باب العيد. فصار هذا الخط غير نافذ، وكان شارعا مسلوكا يمر فيه الناس والدواب بالأحمال فركب عليه جمال الدين المذكور دروبا لحفظ أمواله، وكان هذا الخط من أخص أماكن القصر الكبير الشرقى، فلمازالت الدولة ألفاطمية وتفرق أمراء صلاح الدين يوسف القصر عرف هذا المكان بقصر شيخ الشيوخ ابن حمويه لسكنه فيه، ثم عرف بعد ذلك بقصر أمير سلاح وبقصر سابق، وهو إلى الآن يعرف بذلك، وسبب شهرته بأمير سلاح أنه اتخذ به عمائر جليلة هى بيد ورثته إلى الآن. وأمير سلاح هذا هو (بكتاش ألفخرى) الأمير بدر الدين أمير سلاح الصالحى النجمى. كان اولا مملوكا لفخر الدين ابن الشيخ. فصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتقدم عنده من جملة من قدمه من المماليك البحرية الذين ملكوا الديار المصرية من بعد انقضاء الدولة الأيوبية وتأمر فى أيام الملك الصالح، وتقدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى، واستمر أميرا ماينيف على الستين سنة لم ينكب فيها قط، وعظم فى أيام الملك المنصور قلاوون الألفى. بحيث إن الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطة بديار مصر فى أيام قلاوون تجارى مرة مع السطان فى حديث الأمراء فقال له السلطان المنصور: أما اليوم فما بقى فى الأمراء غير أمير سلاح. إذا قلت فارس خيل شجاع ما يرد وجهه من عدوه، وإذا حلف مايخون وإذا قال صدق فقال طرنطاى: والله يا خوند له إقطاع عظيم ما كان يصلح إلا لى. فاحمر وجه السلطان وغضب، وقال له: ويلك. إياك أن تتكلم بهذا، والله ما كان يصل فيه سيف أمير سلاح مايصل نشابك ولا نشاب غيرك، وكان كريما شجاعا يسافر كل سنة مجردا بالعسكر فيصل إلى حلب للغارة ومحاصرة قلاع العدو، فاشتهر بذلك فى بلاد العدو، وعظم صيته واشتدت مهابته، وكانت له رغبة فى شراء المماليك والخيول بأغلى القيم، وكان يبعث للأمراء المجردين معه النفقة، ويقوم لهم بالشعير والأغنام، وبلغت مماليكه الغاية فى الحشمة، وكان إقطاع كل منهم فى السنة عشرين ألف درهم فضة عنها يومئذ ألف مثقال من الذهب، ولكل من جنده خبز مبلغه فى السنة عشرة آلاف درهم سوى كلفهم من الشعير واللحم، ومع ذلك فكان خيرا دينا له صدقات ومعروف وإحسان كثير.

ومات بعد ما ترك إمرته فى مرضه الذى مات فيه للنصف من ربيع الآخر سنة ست وسبعمائة رحمه الله. وبهذا الخط عدة دور جليلةيأتى ذكرها عند ذكر الدور من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(اولاد شيخ الشيوخ) جماعة أصلهم الذين يتسبون إليه حموية بن على. يقال إنه ولد رزم بن يونان أحد قواد كسرى أنو شروان، وولى قيادة جيش نصر بن نوح بن سامان ودبر دولته، وهو جد شيخ الإسلام محمد وأخيه أبى سعد ابنى بنى حمويه بن محمد بن حمويه وكان محمد وأبو سعد من ملوك خراسان فتركا الدنيا وأقبلا على طريق الآخرة، ومات ركن الإسلام أبو سعد بنجران من قرى جوين فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة، ومات أخوه شيخ الإسلام محمد بها فى سنة ثلاثين وخمسمائة وترك أبو سعد زين الدين أحمد وبنات، وترك شيخ الإسلام محمد ولدا واحدا وهو أبو الحسن على فتزوج على بن محمد بابنة عمه أبى سعد ورزق منها سعد الدين ومعين الدين حسنا وعماد الدين عمر، وترك زين الدين أحمد بن أبى سعد ركن الدين أبا سعد وعزيز الدين وزين الدين القاسم، فقدم عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه إلى دمشق وصار شيخ الشيوخ بها، وقدم عليه ابنه شيخ الشيوخ صدر الدين على. فلما مات عمر فى رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق أقر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده صدر الدين محمدا موضعه، وصار شيخ الشيوخ بدمشق فتزوج بابنة القاضى شهاب الدين بن أبى عصرون ورزق منها عشرة بنين منهم عماد الدين عمر وفخر الدين يوسف وكمال الدين أحمد ومعين الدين حسن. فأوضعت امهم بنت أبى عصرون السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فصار أخا لأولاد صدر الدين شيخ الشيوخ من الرضاعة، وقدم صدر الدين إلى القاهرة وولى تدريس الشافعى بالقرافة ومشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ثم سافر فمات بالموصل فى رابع عشرة جمادى الاولى سنة سبع عشر وستمائة، واستبد الملك الكامل بمملكة مصر بعد أبيه فرقى أولاد صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن حمويه الأربعة، وبعث عماد الدين عمر فى الرسالة إلى الخليفة ببغداد، وجمع له بين رياسة العلم والقلم فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، ولم يجتمع ذلك لأحد فى زمانه، ومازال على ذلك إلى أن مات الملك الكامل وقام من بعده فى سلطنة مصر ابنه الملك العادل أبو بكر

الكامل. فخرج إلى دمشق ليحضر إليه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مردود بن العادل أبى بكر بن أيوب نائب السلطنة بدشق. فدس عليه من قتله على باب الجامع فى سادس عشرى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة.

واما فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين فإن الملك الكامل جعله أحد الأمراء وألبسه الشربوش والقباء ونادمه وبعثه فى الرسالة عنه إلى ملك ألفرنج ثم إلى أخيه المعظم بدمشق ثم إلى الخليفة ببغداد وأقامه يتحدث بمصر فى تدبير المملكة وتحصيل الأموال، ثم بعثه حتى تسلم حران والرها وجهزه إلى مكة على عسكر فقاتل الأمير راجح الدين بن قتادة وأخذها بالسيف وقتل عسكر اليمن، ومازال مكرما محترما حتى مات الملك الكامل، فقبض عليه العادل ابن الكامل واعتقله، فلما خلع العادل بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب أطلقه وأمره وبالغ فى الإحسان إليه وبعثه على العساكر إلى الكرك. فأوقع بالخوارزمية وبدد شملهم، وكانوا قد قدموا من المشرق إلى غزة، وأقام الدعوة للصالح فى بلاد الشام وعاد، ثم قدمه على العساكر فأخذ طبرية من ألفرنج وهدمها، وأخذ عسقلان من الفرنج وهدم حصونها، ونازل حمص حتى أشرف على أخذها، ثم تقدم على العساكر لقتال الفرنج بدمياط فمات السلطان عند المنصورة، وقام بتدبير الدولة بعده خمسة وسبعين يوما إلى ان استشهد فى رابع ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة، فحمل من المنصورة إلى القرافة فدفن بها.

واما كمال الدين أحمد فإن الملك الكامل استنابه بحران والجزيرة، وولى تدريس المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر، وتدريس الشافعى بالقرافة ومشيخة الشيوخ بديار مصر، وقدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب على العساكر غير مرة، ومات بغزة فى صفر سنة تسع وثلاثين وستمائة.

وأما معين الدين حسن فإنه ولى مشيخة الشيوخ بديار مصر، وبعثه الملك الكامل فى الرسالة عنه إلى بغداد ثم أقامه نائب الوزارة إلى أن مات فاستوزره الملك الصالح نجم الدين أيوب فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وجهزه على العساكر فى هيئة الملوك إلى دمشق فقاتل الصالح إسماعيل بن العادل حتى ملكها، ومات بها فى ثانى عشرى رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وقد ذكرت أولاد شيخ الشيوخ فى كتاب تاريخ مصر الكبير، واستقصيت فيه أخبارهم والله تعالى أعلم.

(خط قصر بشتاك) هذا الخط من جملة القصر الكبير، ويتوصل إليه من تجاه المدرسة الكاملية. حيث كان باب القصر المعروف بباب البحر وهدمه الملك الظاهر بيبرس كما تقدم فى ذكر أبواب القصر، وصار اليوم فى داخل هذا الباب حارة كبيرة فيها عدة دور جليلة. منها قصر الأمير بشتاك وبه عرف هذا الخط.

وبشتاك هذا هو الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى قربة الملك الناصر محمد بن قلاوون وأعلى محله يسميه بعد موت الأمير بكتمر الساقى بالأمير فى غيبته، وكان زائد التيه لا يكلم استادراره وكاتبه إلابترجمان، ويعرف بالعربى ولا يتكلم به، وكان إقطاعه ست عشرة طبلخانة أكبر من إقطاع قوصون، ولما مات بكتمر الساقى ورثه فى جميع أحواله واصطبله الذى على بركة ألفيل وفى امرأته أم أحمد واشترى جاريته خوبى بستة آلاف دينار ودخل معها ما قيمته عشرة آلاف دينار، وأخذ ابن بكتمر عنده وزاد أمره وعظم محله فثقل على السلطان وأراد ألفتك به فما تمكن، وتوجه إلى الحجاز وانفق فى الأمراء واهل الرتب وألفقراء والمجاورين بمكة والمدينة شيئا كثيرا إلى الغاية وأعطى من الألف دينار إلى المائة دينار إلى الدينار بحسب مراتب الناس وطبقاتهم. فلما عاد من الحجاز لم يشعر به السلطان إلا وقد حضر فى نفر قليل من مماليكه وقال: إن أردت إمساكى فها أنا قد جئت إليك برقبتى فغالطه السلطان وطيب خاطره، وكان يرمى بأوابد ودواهى من أمر الزنا، وجرده السلطان لإمساك تنكز نائب الشام فحضر إلى دمشق بعد إمساكه هو وعشرة من الأمراء فنزلوا القصر الأبلق، وحلف الأمراء كلهم للسلطان ولذريته، واستخرج ودائع تنكز وعرض حواصله ومماليكه وجواريه وخيله وسائر ما يتعلق به، ووسط طغاى وجفاى مملوكى تنكز فى سوق الخيل ووسط دران أيضا بحضوره يوم الموكب، واقام بدمشق خمسة عشر يوما وعاد إلى القلعة، وبقى فى نفسه من دمشق وماتجاسر يفاتح السلطان فى ذلك، ولما مرض السلطان وأشرف على الموت ألبس الأمير قوصون مماليكه. فدخل بشتاك فعرف السلطان ذلك. فجمع بينهما وتصالحا قدامه ونص السلطان على أن الملك بعده لولده أبى بكر فلم يوافق بشتاك، وقال لا أريد إلا سيدى أحمد. فلما مات السلطان قام قوصون إلى الشباك وطلب بشتاك، وقال له يا أمير المؤمنين أنا ما يجيىء منى سلطان لأنى كنت أبيع الطمسا والبرغالى والكشاتوين وانت اشتريت منى، واهل البلاد يعرفون ذلك، وأنت ما يجىء منك سلطان لأنك كنت تبيع البوزا، وانا اشتريت منك وأهل البلاد يعرفون ذلك، وهذا استاذنا هو الذى

وصى لمن هو أخبر به من أولاده، وما يسعنا إلا امتثال أمره حيا وميتا، وأنا ما أخالفك إن اردت أحمد أو غيره ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطانا ما خالفتك. فقال بشتاك: هذا كله صحيح والأمر أمرك، وأحضر المصحف وحلفا عليه وتعانقا ثم قاما إلى رجلى السلطان فقبلاهما ووضعا أبا بكر بن السلطان على الكرسى، وقبلا له الأرض وحلفا له وتلقب بالملك المنصور ثم إن بشتاكا طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق فأمر له بذلك، وكتب تقليده وبرز إلى ظاهر القاهرة وأقام يومين، ثم طلع فى اليوم الثالث إلى السلطان ليودعه فوثب عليه الأمير قطلوبغا ألفخرى وأمسك سيفه وتكاثروا عليه فأمسكوه وجهزوه إلى الإسكندرية. فاعتقل بها ثم قتل فى الخامس من ربيع الأول سنة اثنين وأربعين وسبعمائة لأول سلطنة الملك الاشرف كجك وكان شابا أبيض اللون ظريفا. مديد القامة نحيفا. خفيف اللحية كانها عذار على حركاته رشاقة. حسن العمة يتعمم الناس على مثالها، وكان يشبه بأبى سعيد ملك العراق. إلا أنه كان غير عفيف ألفرج. زائد الهرج والمرج، لم يعف عن مليحة ولا قبيحة ولم يدع أحدا يفوته حتى يمسك نساء ألفلاحين وزوجات الملاحين، واشتهر بذلك ورمى فيه بأوابد. وكان زائد البذخ منهمكا على مايقتضيه عنفوان الشبيبة. كثير الصلف والتيه لا يظهر الرأفة ولا الرحمة فى تأنيه ولما توجه بأولاد السلطان ليفرجهم فى دمياط كان يذبح لسماطه فى كل يوم خمسين رأسا من الغنم وفرسا لابد منه. خارجا عن الأوز والدجاج، وكان راتبه دائما كل يوم من الفحم برسم المشوى مبلغ عشرين درهما عنها مثقال ذهب، وذلك سوى الطوارىء وأطلق له السلطان كل يوم بقجة قماش من اللفافة إلى الخلف إلى القميص واللباس والملوطة والبغلطاق والقباء الفوقانى بوجه إسكندرانى على سنجاب طرى مطرز مزركش رقيق وكلوتة وشاش، ولم يزل يأخذ ذلك كل يوم إلى أن مات السلطان، وأطلق له فى كل يوم واحد عن ثمن قرية تبنى بساحل الرملة مبلغ ألف ألف درهم فضة عنها يومئذ خمسون ألف مثقال من الذهب، وهو أول من أمسك بعد موت الملك الناصر. وقال الأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ومن كتابه نقلت ترجمة بشتاك.

قال الزمان وما سمعنا قوله

والناس فيه رهائن الأشراك

من ينصر المنصور من كيدى وقد

صاد الردى بشتاك لى بشراك

(**خط باب الزهومة**) هذا الخط عرف بباب الزهومة أحد أبواب القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره، فانه كان هناك، وقد صار الآن فى هذا الخط سوق وفندق وعدة آدر ياتى ذكر ذلك كله فى موضعه إن شاء الله تعالى.

(**خط الزراكشة العتيق**) هذا الخط فما بين خط باب الزهومة وخط السبع خوخ وبعضه من دار العلم الجديد وبعضه من جمله القصر النافعى، وبعضه من تربة الزعفران، وفيه اليوم فندق المهمندار الذى يدق فيه الذهب وخان الخليلى وخان منجك ودار خواجا ودرب الحبش وغير ذلك كما ستقف عليه إن شاء الله.

(**خط السبع خوخ العتيق**) هذا الخط فيما بين خط اصطبل الطارمة وخط الزراكشة العتيق كان فيه قديما أيام الخلفاء الفاطميين سبع خوخ يتوصل منها إلى الجامع الأزهر فلما انقضت أيامهم اختط مساكن وسوقا يباع فيه الإبر التى يخاط بها وغير ذلك فعرف بالأبارين.

(**خط اصطبل الطارمة**) هذا الخط كان اصطبلا لخاص الخليفة يشرف عليه قصر الشوك ووالقصر النافعى، وقد تقدم الكلام عليه، وكانت فيه طارمة يجلس الخليفة تحتها فعرف بذلك. ثم هو الآن حارة كبيرة فيها عدة من المساكن وبه سوق وحمام ومساجد، وهذا الخط فيما ربين رحبة قصر الشوك ورحبة الجامع الأزهر كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى فى ذكر الرحاب (**خط الأكفانيين**) هذا الخط كان يعرف بخط الخرقيين جمع خرقة.

(**خط المناخ**) هذا الخط فيما بين البرقية والمطوفية، كان مواضع طواحين القصر، وقد تقدم ذكره ثم اختط بعد ذلك وصار حارة كبيرة. وهو الآن متداع للخراب.

(**خط سويقة أمير الجيوش**) كان حارة ألفرحية، وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى فى الأسواق، وهذا الخط فيما بين حارة برجوان وخط خان الوراقة.

(**خط دكة الحسبة**) هذا الخط يعرف اليوم بمكسر الحطب وفيه سوق الأبازرة وهو فيما بين البندقانيين والمحمودية وفيه عدة أسواق ودور.

(**خط الفهادين**) هذا الخط فيما بين الجوانية والمناخ .

(**خط خزانة البنود**) هذا الخط فيما بين رحبة باب العيد ورحبة المشهد الحسينى، وكان موضعه خزانة تعرف بخزانة البنود، وكان اولا يعمل فيها السلاح، ثم صارت سجنا لأمراء الدولة واعيانها، ثم اسكن فيها ألفرنج إلى أن هدمها الأمير الحاج ال ملك وحكر مكانها فبنى فيه الطاحون والمساكن كما تقدم.

(**خط السفينة**) هذا الخط فيما بين درب السلامى من رحبة باب العيد وبين خزانة البنود مكان يقف فيه المتظلمون للخليفة كما تقدم ذكره، ثم اختط فصار فيه مساكن وهو خط صغير .

(**خط خان السبيل**) هذا الخط خارج باب ألفتوح، وهو من جملة أخطاط الحسينية . قال ابن عبد الظاهر : خان السبيل بناه الأمير بهاء الدين قراقوش وأرصده لأبناء السبيل والمسافرين بغير أجرةٍ وبه بئر ساقية وحوض . انتهى، وأدركنا هذا الخط فى غاية العمارة يعمل فيه عرصة تباع بها الغلال، وكان فيه سوق يباع فيه الخشب ويجتمع الناس هناك بكرة كل يوم جمعة، فيباع فيه من الأرز والدجاج مالا يقدر، وكانت فيه أيضا عدة مساكن ما بين دور وحوانيت وغيرها، وقد اختل هذا الخط .

(**خط بستان ابن صيرم**) هذا الخط أيضا خارج باب ألفتوح مما يلى الخليج وزقاق الكحل . كان من جملة حارة البيازرة فأنشأه زمام القصر المختار الصقلى بستانا وبنى فيه منظرة وعظيمة فلمازالت الدولة ألفاطمية استولى عليه الأمير جمال الدين سويح بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل فعرف به، ثم اختط وصار من أجل الأخطاط عمارة تسكنه الأمراء والأعيان من الجند. ثم هو الآن آيل إلى الدثور .

(**خط قصر ابن عمار**) هذا الخط من جملة حارة كتامة، وهو اليرم درب يعرف بالقماحين، وفيه حمام كرائى ودار خوند شقرا يسلك إليه من خط مدرسة الوزير كريم الدين غنام، ويسلك منه الي درب المنصورى، **وابن عمار** هذا هو أبو محمد الحسن بن عمار بن على بن أبى الحسن الكلبى من بنى ابى الحسين أحد أمراء صقلية وأحد شيوخ كتامة . وصاه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله لما احتضر هو والقاضى محمد بن النعمان على ولده أبى

على منصـور، فلمـا مـات العـزيز بالله واسـتخلف من بعـده ابنه الحـاكم بأمـر الله اشـتـرط الكتـاميـون، وهم يومئذ أهل الدولة أن لا ينظر فى أمورهـم غيـر أبى مـحـمـد بن عـمـار بعـد ماتجمعوا وخرج منهم طائفة نحو المصلى، وسألوا صرف عيسى بن مشطورس، وأن تكون الوساطة لابن عـمار. فتدب لذلك وخلع عليه فى ثالث شوال سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وقلد بسيف من سيوف العـزيز بالله، وحـمل عل فرس بسرج ذهب، ولقب بأمين الدولة، وهو أول من لقب فى الدولة ألفـاطمية من رجال الدولة، وقيد بين يديه عدة دواب، وحـمل معه خمسون ثوبـا من سائر البر. الرفيع وانصرف إلى داره فى موكب عظيم، وقرىء سجله فتولى قراءته القاضى مـحمد بن النعمـان بجلوسـه للوسـاطة وتلقيبه بأمين الدولة، وألزم سائر النـاس بالترجل إليه. فتـرجل الناس بأسـرهم له من أهل الدولة، وصـار يدخل القـصـر راكبا ويشق الدواوين، ويدخل من البـاب الذى يجلس فيه خدم الخليفـة الخاصـة. ثم يعـدل إلى باب الحـجـرة التى فيـهـا أمير المؤمنين الحـاكم. فـينزل على بابهـا ويركب من هناك، وكـان النـاس من الشيـوخ والرؤسـاء علي طبقـاتهم يبكرون إلى داره فـيـجلسـون فى الدهاليز بغـيـر ترتيب والباب مغلق، ثم يفتح فيدخل إليه جماعة من الوجـوه ويجلسون فى قاعة الدار علي حصير وهو جالس فى مجلسه ولا يدخل له أحد ساعة. ثم يأذن لوجوه من حضر كـالقاضى ووجوه شيوخ كتامة والقواد فتدخل أعيانهم، ثم يأذن لسـائر الناس فيزدحمون عليه بحيث لا يقـدر أحـد أن يصل إليـه فمنهـم من يومى بتـقـبيل الارض، ولا يرد السـلام على أحـد ثم يخرج فلا يقدر أحد علي تقبيل يده سوى أناس بأعيانهم إلا أنهم يؤمئون إلى تقبل الأرض وشرف أكـابر الناس بتقبيل ركـابه وأجل الناس من يقـبل ركبتـه، وقرب كتـاكه وأنفق فـيـهم الأموال وأعطاهم الخيول، وباع مـا كـان بالاصطبلات من الخيل والبـغال والنجب وغيرهـا، وكـانت شيـئـا كثيـرا وقطع أكثر الرسوم التي كانت تطلق لأولياء الدولة من الأتراك، وقطع أكثر مـا كـان فى المطابخ وقطع أرزاق جـمـاعـة وفرق كـثيـرا من جوارى القـصـر، وكـان به من الجـوارى والخدم عـشرة آلاف جـارية وخـادم. فـبـاع من اختـار البيع واعتنق من سأل العـتق طلبـا للتـوفـيـر، واصطنع أحـداث المغـاربة فكثر عـتـيـهـم، وامـتـدت أيديهـم إلى الحـرام فى الطرقـات وشلحوا الناس ثيابهم، فـضج الناس منهـم واسـتـغـاثوا إليه بشكايتهم فلم يبـد منه

كبير نكير. فأفرط الأمر حتى تعرض جماعة منهم للغلمان الأتراك وارادوا اخذ ثيابهم فثار بسبب ذلك شر، قتل فيه غلام من الترك، وحدث من المغاربة، فتجمع شيوخ ألفريقين واقتتلوا يومين آخرهما يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فلما كان يوم الخميس ركب ابن عمار لابسا آله الحرب وحوله المغاربة فاجتمع الأتراك واشتدت الحرب وقتل جماعة وجرح كثير فعاد إلى داره، وقام برجوان بنصرة الأتراك فامتدت الأيدى إلى دار ابن عمار واصطبلاته ودار رشا غلامه فنهبوا منها مالا يحصى كثرة فصار إلى داره بمصر فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من شعبان، واعتزل عن الأمر، فكانت مدة نظره أحد عشر شهرا إلا خمسة ايام. فاقام بداره في مصر سبعة وعشرين يوما ثم خرج إليه الأمر بعوده إلى القاهرة فعاد إلى قصره هذا ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فأقام به لا يركب ولا يدخل إليه أحد إلا اتباعه وخدمه وأطلقت له رسومه وجراياته التى كانت فى أيام العزيز بالله ومبلغها عن اللحم والتوابل وألفواكه خمسمائة دينار في كل شهر، وفى اليوم سلة فاكهة بدينار وعشرة أرطال شمع ونصف حمل ثلج فلم يزل بداره إلى يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين وثلاثمائة فأذن له الحاكم فى الركوب إلى القصر وأن ينزل موضع نزول الناس. فواصل الركوب إلى يوم الإثنين رابع عشرة فحضر عشية إلى القصر وجلس مع من حضر فخرج إليه الامر بالانصراف. فلما انصرف ابتدره جماعة من الأتراك وقفوا له فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه مكانه، وحمل الرأس إلى الحاكم ثم نقل إلى تربته بالقرافة فدفن فيها، وكانت مدة حياته بعد عزله إلى أن قتل ثلاث سنين وشهرا وأحدا وثمانية وعشرين يوما، وهو من جملة وزراء الدولة المصرية، وولى بعده برجوان وقدمر ذكره.

ذكر الدروب والأزقة

قد اشتملت القاهرة وظواهرها من الدروب والأزقة على شيء كثير، والغرض ذكر ما يتيسر لى من ذلك.

(درب الأتراك) هذا الدرب أصله من خط حارة الديلم، وهو من الدروب القديمة وقد تقدم ذكره فى الحارات، ويتوصل إليه من خطة الجامع الأزهر، وقد كان فيما أدركناه من أعمر الأماكن. أخبرنى خادمنا محمد بن السعودى قال: كنت أسكن فى أعوام بضع وستين وسبعمائة بدرب الأتراك وكنت أعانى صناعة الخياطة. فجاءنى فى موسم عيد ألفطر من الجيران أطباق الكعك والخشكنانج عل عادة أهل مصر فى ذلك فملات زيرا كبيرا كان عندى مما جاءنى من الخشكنانج خاصة لكثرة ما جاءنى من ذلك. إذ كان هذا الخط خاصا بكثرة الأكابر والأعيان وقد خرب اليوم منه عدة مواضع.

(درب الأسواني) ينسب إلى القاضى أبى محمد الحسن بن هبة الله الأسوانى المعروف بابن عتابك.

(درب شمس الدولة) هذا الدرب كان قديما يعرف بحارة الأمراء كما تقدم. فلما كان مجيء الغز إلى مصر، واستيلاء صلاح الدين يوسف على مملكة مصر سكن فى هذا المكان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن أيوب فعرف به، وسمى من حينئذ درب شمس الدولة، وبه يعرف إلى اليوم.

(توران شاه) الملقب بالملك المعظم شمس الدولة بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان قدم إلى القاهرة مع أهله من بلاد الشام فى سنة أربع وستين وخمسمائة عندما تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد موت عمه أسد الدين شيركوه، وكانت له أعمال فى واقعة السودان تولاها بنفسه، واقتحم الهول فكان أعظم الأسباب فى نصره أخيه صلاح الدين وهزيمة السودان، ثم خرج إليهم بعد انهزامهم إلى الجيزة فأفناهم بالسيف حتى أبادهم وأعطاه صلاح الدين قوص وأسوان وعيداب، وجعلها له إقطاعا فكانت عبرتها فى تلك السنة ماتى ألف وستة وستين ألف دينار، ثم خرج إلى غزو بلاد النوبة فى سنة ثمان وستين وفتح قلعة إبريم وسبي وغنم ثم عاد بعد ما أقطع إبرايم بعض أصحابه وخرج إلى بلاد اليمن فى سنة تسع وستين، وكان بها عبد النبى أبو الحسن على ابن مهدى قد ملك زبيد وخطب لنفسه، وكان ألفقية عمارة قد انقطع إلى شمس الدولة وصار يصف له بلاد اليمن ويرغبه فى كثرة أموالها ويغربه بأهلها وقال فيه قصيدته المشهورة التى أولها.

العلم مذ كان محتاج إلى القلم * وشفرة تستغنى عن القلم .

فبعثه ذلك على المسير إلى بلاد اليمن فسار إليها فى مستهل رجب ، ودخل مكة معتمرا وسار منها فنزل على زبيد فى سابع شوال ، وفى نهار الإثنين ثامن شوال فتحها بالسيف ، وقبض على عليّ بن مهدى وإخوته وأقاربه واستولى علي ما كان فى خزائنه من مال ، وتسلم الحصون التى كانت بيده .

وفي مستهل ذى القعدة توجه قاصدا عدن وبذل لياسر بن بلال فى كل سنة ثلاثين ألف دينار وسلمها إليه فما رغب فى ذلك ، وكان قصده أن يقيم بها نائبا عن المجلس ألفخرى . فلما أبى ذلك نزل عليها في يوم الجمعة تاسع عشرى ذى القعدة وملكها فى ساعة بالسيف ، وقبض علي ياسر وإخوته وولدى الداعى فاحتوى على ما فيها ، وقبض على عبد النبى واستولى أيضا علي تعز وتفكر وضعا وظفار وغيرها من مدن اليمن وحصونها ، وتلقب بالمالك المعظم ، وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسى ومازال بها إلى سنة إحدى وسبعين . فسار منها إلى لقاء أخيه صلاح الدين ووصل رإليه وملكه دمشق فى شهر ربيع الأول سنة اثنين وسبعين فاقام بها إلى أن خرج السلطان صلاح الدين مرة من القاهرة إلى بلاد الشام فجهزه في ذى القعدة سنة اربع وسبعين إلى مصر ، وكان قد عمله نائبا ببعلبك فاستناب عنه فيها ، ودخل إلى القاهرة ، وأنعم عليه صلاح الدين بالإسكندرية فسار إليها وأقام بها إلى أن توفى فى مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة بالإسكندرية فدفن بها ، وكان كريما واسع العطاء كثير الإنفاق مات وعليه مائتا ألف دينار مصرية فقضاها عنه أخوه صلاح الدين ، وكان سبب خروجه من اليمن انه التاث بدنه بزبيد فارتجل له سيف الدولة مبارك بن منقذ .

وإذا اراد الله سوءا بامرىء
وأراد أن يحييه غير سعيد
أغراه بالترحال من مصر بلا
سبب وأسكنه بصقع زبيد

فخرج من اليمن كما تقدم . وحكى ألفاضل مهذب الدين أبو طالب محمد بن على الحلى المعروف بابن الخيمى قال : رأيت فى النوم المعظم شمس الدولة وقد مدحته وهو فى القبر ميت فلف كفنه ورماه إلى وأنشدنى .

لا تستقلن معروفا سمحت به

ميتا وأمسيت عنه عاريا بدنى

ولا تظنن جودى شابه بخل

من بعد بذلى بملك الشام واليمن

إنى خرجت عن الدنيا وليس معى

من كل ما ملكت كفى سوى كفنى

وهذا الدرب من أعمر أخطاط القاهرة به دار عباس الوزير وجماعة كما تراه إن شاء الله تعالى.

(**درب ملوخيا**) هذا الدرب كان يعرف بحارة قائد القواد كما تقدم، وعرف الآن بدرب ملوخيا وملوخيا كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله، ويعرف بملوخيا ألفراش، وقتله، الحاكم وباشر قتله وفى هذا الدرب مدرسة القاضى ألفاضل وقد اتصل له الآن الخراب.

(**درب السلسلة**) هذا الدرب تجاه باب الزهومة يعرف بالسلسلة التى كانت تمد كل ليلة بعد العشاء الآخرة كما تقدم وكان يعرف بدرب افتخار الدولة الأسعد، وعرف بسنان الدولة بن الكركندى، وهو الآن درب عامر.

(**درب الشمسي**) هذا الدرب بسوق المهامزين تجاه قيساوية العصفر عرف بالأمير علاء الدين كشتفدى الشمسى أحد الأمراء فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدراى، وقتل على عكافى سنة تسعين وستمائة بيد ألفرنج شهيدا، وكان هذا الدرب فى القديم موضعه دار الضرب، ثم صار من حقوق درب ابن طلائع بسوق ألفرايين، وقد هدم بعض هذا الدرب الأمير جمال الدين يوسف الأستادار لما اغتصب الحوانيت التى كانت على يمنه السالك من الخراطين إلى سوق الخيميين، وكانت فى وقف المعظم تمرتاش الحافظى كما سيأتى ذكره عند ذكر مدرسته إن شاء الله تعالى.

(**درب ابن طلائع**) هذا الدرب على يسرة من سلك من سوق ألفرايين الآن الذى كان

يعرف قديما بالخرقيين طالبا إلى الجامع الأزهر ، ويسلك فى هذا الدرب إلى قيسارية السروج وباب سر حمام الخراطين ، ودار الأمير ألدمر ، وعرف هذا الدرب أولا بالأمير نور الدولة أبى الحسن على بن نجا بن راجح بن طلائع ثم عرف بدرب الجاولى الكبير ، وهو الأمير عز الدين جاولى الأسدى مملوك أسد الدين شيركوه بن شادى ، ثم عرف بدرب العماد سنيات ، ثم عرف بدرب ألدمر ، وبه يعرف إلى الآن .

(**الدمر أمير جان دار سيف الدين**) أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون خرج إلى الحج فى سنة ثلاثين وسبعمائة ، وكان أمير حاج الركب العراقى تلك السنة . يقال له محمد الحويج من اهل توريز . بعثة أبو سعيد ملك العراق إلى مصر وخف على قلب الملك الناصر ثم بلغه عنه ما يكرهه فأخرجه من مصر ، ولما بلغه أن حويج فى هذه السنة أمير الركب العراقى كتب إلى الشريف عطيفة أمير مكة ان يعمل الحيلة فى قتلة بكل ما يمكن ، فاطلع علي ذلك ابنه مبارك وخواص قواده فاستعدوا لذلك . فلما وقف الناس بعرفة وعادوا يوم النحر إلى مكة قصد العبيد إثارة فتنة ، وشرعوا فى النهب لينالوا غرضهم من قتل أمير الركب العراقى . فوقع الصارخ ، وليس عند المصريين خبر مما كتبه السلطان . فنهض أمير الركب الأمير سيف الدين خاص ترك والأمير أحمد قريب السلطان ، والأمير ألدمر أمير جان دار فى مماليكهم ، وأخذ ألدمر يسب الشريف رميته ، وأمسك بعض قواده وأحدق به فقام إليه الشريف عطيفة ولاطفه فلم يرجع ، وكان حديد النفس شجاعا ، فاقدم إليهم وقد اجتمع قواد مكة وأشرافها وهم ملبسون يريدون الركب العراقى ، وضرب مبارك بن عطيفة بدبوس فأخطأه وضربه مبارك بحربة نفذت من صدره فسقط عن فرسه إلى الأرض فارتج الناس ، ووقع القتال فخرج أمير الركب العراقى واحترس على نفسه فسلم وسقط فى يد أمير مكة إذ فات مقصوده ، وحصل مالم يكن بإرادته ثم سكنت الفتنة ودفن ألدمر ، وكان قلته يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة فكأنما نادى مناد فى القاهرة والقلعة والناس فى صلاة العيد بقتل الدمر ووقوع ألفتنة بمكة ، ولم يبق أحد حتى تحدث بذلك ، وبلغ اللطان فلم يكترث بالخبر وقال : اين مكة من مصر ومن اتى بهذا الخبر واستفيض هذا الخبر بقتل الدمر حتى انتشر فى إقليم مصر كله . فما هو إلا أن حضر مبشر الحاج في يوم الثلاثاء ثانى المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة فأخبروا بالخبر مثل ما أشيع . فكان هذا من أغرب ما سمع به ، ولما

بلغ السلطان خبر قتل الدمر غضب غضبا شديدا وصار يقوم ويقعد، وابطل السماط وأمر فجرد من العسكر ألف فارس كل منهم بخودة وجوشن ومائة فردة نشاب وفاس برأسين أحدهما للقطع والآخر للهدم، ومع كل منهم جملان وفرسان وهجين ورسم لأمير هذا العسكر أنه إذا وصل إلي ينبع وعداه لا يرفع رأسه إلى السماء، بل ينظر إلى الأرض ويقتل كل من يلقاه من العربان إلا من علم أنه أمير عرب فإنه يقيده ويسجنه معه. وجرد من دمشق ستمائه فارس على هذا الحكم وطلب الأمير أيتمش أمير هذا الجيش ومن معه من الأمراء والمقدمين، وقال له: بادر العدل يوم الخدمة، وإذا وصلت إلى مكة لاندع أحدا من الأشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم يسكن مكة وناد فيها من أقام بمكة حل دمه ولا تدع شيئا من النخل حتى تحرقه جميعه، ولا تترك بالحجاز دمنة عامرة وأخرب المساكن كلها وأقم فى مكة بمن معك حتى أبعث إليك بعسكر ثان، وكان القضاة حاضرين. فقال قاضى القضاة جلال الدين القزوينى: يامولانا السلطان هذا حرم قد أخبر الله عنه أن من دخله كان آمنا وشرفه فرد عليه جوابا فى غضب فقال الأمير أيتمش ياخوندفان حضر رميته للطاعة وسأل الأمان فقال أمنه ثم لما سكن عنه الغضب كتب باستقرار أهل مكة وتأمينهم وكتب أمانا (نسخته) هذا أمان الله سبحانه وتعالى وأمان رسوله ﷺ وأمان للمجلس العالى الأسدى دمنة بن الشريف نجم الدين محمد أبى تمر بأن يحضر إلى خدمة الصنجق الشريف صحبة الجناب العالى السيفى أيتمش الناصرى آمنا على نفسه وأهله وماله وولده وما يتعلق به لا يخشى حلول سطوة قاصمة. ولا يخاف مؤاخذة حاسمة. ولا يتوقع خديعة ولا مكرا، ولا يحذر سوءاً ولا ضرارا. ولا يستشعر مخافة ولا ضرارا ولا يتوقع وجلا. ولا يرهب بأسا وكيف يرهب من أحسن عملا. بل يحضر إلى خدمة الصنجق آمنا على نفسه وماله وآله. مطمئنا واثقا بالله ورسوله. وبهذا الأمان الشريف المؤكد الأسباب المبيض الوجه الكريم الأحساب. وكل ما يخطر بباله أنا نؤاخذ به فهو مغفور. ولله عاقبة الأمور. وله منا الإقبال والتقديم. وقد صفحنا الصفح الجميل وإن ربك هو الخلاق العليم فليثق بهذا الأمان الشريف ولا يسيء به الظنون. ولا يصغى إلى قول الذين لا يعملون. ولا يستشير فى هذا الأمر إلا نفسه فيومه عندنا ناسخ لأمسه، وقد قال ﷺ يقول الله تعالى أنا عندى ظن عبدى بى فليظن بى خيرا. فتمسك بعروة هذا الأمان فإنها وثقى. واعمل عمل من لا يضل ولا

يشقى . ونحن قد أمناك فلا تخف ، ورعينا لك الطاعة والشرف . وعفا الله عما سلف . ومن أمناه فقد فاز فطب نفسا وقر عينا فانت أمير الحجاز والحمد لله وحده ، وكان ألدمر فيه شهامة وشجاعة وله سعادة طائلة ضخمة ومتاجر وزراعات اقتنى بها أموالا جزيلة وزوج ابنه بابنة قاضى القضاة جلال الدين القزوينى .

(**درب قيطون**) هذا الدرب بين قيساوية جهاركس وقيسارية أمير على وهو ونافذ إلى خلف مستوقد حمام القاضى ، وكان من حقوق درب الأسوانى .

(**درب السراج**) هذا الدرب على يسره من سلك من الجامع الأزهر طالبا درب الأسوانى وخط الأكفانيين وكان من جملة درب الأسوانى ، ثم أفرد فصار من خط الجامع الأزهر ، وكان يعرف أولا بدرب السراج ، ثم عرف بدرب الشامى ، وهو الآن يعرف بدرب ابن الصدر عمر .

(**درب القاضي**) هذا الدرب يقابل مستوقد حمام القاضى على يمنة من سلك من درب الأسوانى إلى الجامع الأزهر ، وهو من حقوق درب الأسوانى كان يعرف أولا بزقاق عزاز غلام أمير الجيوش شاور السعدى وزير العاضد ثم عرف بالقاضى السعيد أبى المعالى هبة الله بن فارس ، ثم عرف بزقاق ابن الإمام وعرف أخيرا بدرب ابن لؤلؤ ، وهو شمس الدين محمد بن لؤلو التاجر بقيسارية جهاركس .

(**درب البيضاء**) هو من جملة خط الاكفانيين الآن المسلوك إليه من الجامع الأزهر وسوق ألفرايين . عرف بذلك لأنه كان به دار تعرف بالدار البيضاء .

(**درب المنقدي**) هذا الدرب بين سوق الخيميين وسوق الخراطين على يمنة من سلك من الخراطين إلى الجامع . كان يعرف قديما بزقاق غزال ، وهو صنيعة الدولة أبو الظاهر إسماعيل بن مفضل بن غزال ثم عرف بدرب المنقدى ، وهو الآن يعرف بدرب الأمير بكتمر استادار العلاى .

(**درب خرابة صالح**) هذا الدرب على يسرة من سلك من أول الخراطين إلى الجامع الأزهر . كان موضعه فى القديم مارستانا ثم صار مساكن ، وعرف بخرابة صالح ، وفيه الآن

دار الأمير طينال التى صارت بيد ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر وفيه أيضا باب سوق الصنادقيين .

(درب الحسام) هذا الدرب على يمنة من سلك من آخر سويقة الباطلية إلى الجامع الأزهر . عرف بحسام الدين لاجين الصفدى استادار الأمير منجك .

(درب المنصوري) هذا الدرب بأول الحارة الصالحية تجاه درب أمير حسين . عرف أولا بدرب الجوهرى وهو شهاب الدين أحمد بن منصور الجوهرى . كان حيا فى سنة ثمانين وستمائة ، وعرف أخيرا بدرب المنصورى وهو الأمير قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين .

(درب أمير حسين) هذا الدرب فى طريق من سلك من خط خان الدميرى طالبا إلى حارة الصالحية وحارة البرقية استجده الأمير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومات فى ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبعمائة ، وكان آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو والد الملك الأشرف شعبان بن حسين .

(درب القماحين) هذا الدرب كان يعرف بخط قصر ابن عمار من جملة حارة كتامة قريبا من الحارة الصالحية ، وفيه اليوم دار خوند شقرا وحمام كراى وراء مدرسة ابن الغنام .

(درب العسل) هذا الدرب على يمنة من خرج من خط السبع خوخ يريد المشهد الحسينى . كان يعرف أولا بخوخة الأمير عقيل ابن الخليفة المعز لدين الله أبى تميم معد أول خلفاء ألفاطميين بالقاهرة ، ومات فى سنة أربع وسبعين وثلاثمائة هو وأخوه الأمير تميم بن المعز بالقاهرة ودفنا بتربة القصر .

(درب الجباسة) هذا الدرب تجاه من يخرج من سوق الأبارين إلى المشهد الحسينى وهو من جملة القصر الكبير ، وبه دار خوخى التى تعرف اليوم بدار بهادر .

(درب ابن عبد الظاهر) هذا الدرب بجوار فندق الذهب بخط الزراكشة العتيق وفى صفة ، وهو من حقوق دار العلم التى استجدت في خلافة الآمر ، ووزارة المأمون البطايحى . فلما زالت الدولة اختط مساكن وسكن هناك القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فعرف به .

(**درب الخازن**) هذا الدرب ملاصق لسور المدرسة الصالحية التى للحنابلة، ومجاور لباب سر قاعة مدرسة الحنابلة والسبيل الذى على باب فندق مسرور الصغير. استجده الأمير علم الدين سنجر الخازن الأشرفى والى القاهرة المنسوب إليه حكر الخازن بخط الصليبة، وسنجر هذا كانت فيه حشمة، وله ثروة زائدة ويحب أهل العلم. تنقل فى المباشرات إلى أن صار والى القاهرة فاشتهر بدقة ألفهم وصدق الحدس الذى لا يكاد يخطىء، مع عقل وسياسة وإحسان إلى الناس، وعزل بالأمير قديدار ومات عن تسعين سنة فى ثامن جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة.

(**درب الحبيشي**) هذا الدرب على يمنة من سلك من خط الزراكشة العتيق طالبا سوق الأبارين، وهو بجوار دار خواجا لخان منجك. أصله من جملة القصر النافعى، وكان يعرف بخط القصر النافعى، ثم عرف بخط سوق الوراقين. وهو الآن يعرف بدرب الحبيشى، وهو الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى أحد الأمراء الظاهرية بيبرس.

(**درب بقولا**) الصفار بحارة الروم. كان يعرف بدرب الرومى الجزار.

(**درب دغمش**) هذا الدرب ينفذ إلى الخوخة التى تخرج قبالة حمام ألفاضل المرسوم لدخول النساء. كان يعرف بدرب دغمش، ويقال طغمش، ثم عرف بدرب كوز الزير، ويقال: كوز الزير، ويعرف بدرب القضاة بنى غنم من حقوق حارة الروم.

(**درب أرقطاي**) هذا الدرب بحارة الروم كان يعرف بدرب الشماع، ثم عرف بدرب شمخ، وهو تاج العرب شمخ الحلى، ثم عرف بدرب المعظم، وهو الأمير عز الملك المعظم ابن قوام الدولة جبر بجيم وباء موحدة، ثم عرف بدرب أرسل وهو والأمير عز الدين أرسل بن قرا رسلان المكاملى والد الأمير جاولى المعظمى المعروف بجاولى الصغير، ثم عرف بدرب الباسعردى، وهو الأمير علم الدين سنجر الباسعردى أحد أكابر المماليك البحرية الصالحية البخمية، وولى نيابة حلب ثم عرف إلى الآن بدرب ابن أرقطاى، والعامة تقول رقطاى بغير همز، وهو أرقطاى الأمير سيف الدين الحاج أرقطاى أحد مماليك الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وصار إلى أخيه الملك الناصر محمد، فجعله جمدارا، وكان هو والأمير أيتمش نائب الكرك بينهما أخوة ولهما معرفة بلسان الترك القبجاقى، ويرجع إليهما فى الياسة التى هى شريعة جنكرخان التى تقول العامة وأهل الجهل فى زماننا: هذا حكم

السياسة يريدون حكم الياسة، ثم إن الملك الناصر أخرجه مع الأمير تنكز إلي دمشق ثم استقر في نيابة حمص لسبع مضين من رجب سنة عشر وسبعمائة فباشرها مدة ثم نقله إلى نيابة صفد في سنة ثمان عشرة فأقام بها وعمر فيها أملاكا وتربة. فلما كان في سنة ست وثلاثين طلب إلى مصر وجهز الأمير أيتمش أخوه مكانه وعمل أمير مائة بمصر. فأقام توجه العسكر إلى إياس خرج معهم وعاد فكان يعمل نيابة الغيبة إذا خرج السلطان للصعيد، ثم أخرج إلى نيابة طرابلس عوضا عن طينال فأقام بها إلى أن توجه الطنبغا إلى طشطمر نائب حلب، وكان معه بعسكر طرابلس. فلما جرى من هروب الطنبغا ما جرى كان أرقطاي معه فأمسك واعتقل بإسكندرية ثم أفرج عن أرقطاي في أول سلطته الملك الصالح إسماعيل بوساطة الأمير ملكتمر الحجازي، وجعل أميرا إلى أن مات الصالح وقام من بعده الملك الكامل شعبان ورسم له بنيابتة حلب عوضا عن الأمير يلبغا اليحياوي. فحضر إليها فلم يكن غير قليل حتى خلع الكامل وتسلطن المظفر حاجي وولاه نيابة السلطنة بمصر فباشرها إلى أن خلع المظفر وأقيم في السلطنة الملك الناصر استعفى من النيابة وسأل نيابة حلب. فأجيب وولي نيابة حلب وخرج إليها، ومازال فيها إلى أن نقل منها إلى نيابة دمشق ففرح أهلها به وساروا إلي حلب فرحل عنها فنزل به مرض وسار وهو مريض فمات بعين مباركة ظاهر حلب يوم الاربعاء خامس جمادى الأولى سنة خمسين وسبعمائة، وقد أناف عن السبعين فعاد أهل دمشق خائبين، وكان ذكيا فطنا محجاجا لسنا مع عجمة في لسانه وله تشبيب مطبوع وميل إلى الصور الجميلة ما يكاد يملك نفسه إذا شاهدها مع كرم في المأكول.

(درب البنادين) بحارة الروم يعرف بالبنادين من جملة طوائف العساكر في الدولة ألفاطمية ثم عرف بدرب أمير جاندار وهو ينفذ الى حمام الفاضل المرسوم بدخول الرجال، وأمير جاندار هذا هو الأمير علم الدين سنجر الصالحي المعروف بأمير جندار.

(درب المكرم) بحارة الروم يعرف بالقاضي المكرم جلال الدين حسين بن ياقوت البزار نسيب ابن سناء الملك.

(درب الضيف) بحارة الديلم عرف بالقاضي ثقة الملك أبي منصور نصر ابن القاضي الموفق أمير الملك أبي الظاهر إسماعيل بن القاضي أمين الدولة أبي محمد الحسن بن علي بن

نصر بن الضيف. كان موجودا فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وبه أيضا رحبة تعرف برحبة الضيف منسوبة إليه.

(**درب الرصاصي**) بحارة الديلم. هذا الدرب كان يعرف بحكر الأمير سيف الدين حسين ابن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك من وزراء الدّولة ألفاطمية، ثم عرف بحكر تاج الملك بدران بن الأمير سيف الدين المذكور، ثم عرف بالأمير عز الدين أيبك الرصاصي.

(**درب ابن المجاور**) هذا الدرب على يسرة من دخل من أول حارة الديلم. كان فيه دار الوزير نجم الدين بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان عرف به، وهو يوسف بن الحسين بن محمد بن الحسين أبو ألفتح نجم الدين ألفارسى الشيرازى المعروف بابن المجاور. كان والده صوفيا من أهل فارس، ثم من شيراز. قدم دمشق وأقام فى دور الصوفية بها. وكان من الزهد والدين بمكان، وأقام بمكة وبها مات فى رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة، وكان أخوه أبو عبد الله قد سمع الحديث، وقدم إلى القاهرة، ومات بدمشق أول رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة.

(**درب الكهارية**) هذا الدرب فيه المدرسة الكهارية بجوار حارة الجودرية المسلوك إليه من القماحين، ويتوصل منه إلى المدرسة الشريفية.

(**درب الصفيرة**) بتشديد ألفاء هذا الدرب بجوار باب زويلة، وهو من حقوق حارة المحمودية، وكان نافذا إلى المحمودية، وهو الآن غير نافذ. وأصله درب الصفيراء تصغير صفراء. هكذا يوجد فى الكتب القديمة، وقد دخل بجميع ما كان فيه من الدور الجليلة بالجامع المؤيدى.

(**درب الأنجب**) هذا الدرب تجاه بئر زويلة التى من فوق فوهتها اليوم ربع يونس من خط البندقانيين يعرف بالقاضى الأنجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن نصر بن على أحد الشهود فى أيام قاضى القضاة سناء الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر، وكان حيا فى سنة بضع وعشرين وخمسمائة، وينسب إلى الحسين بن الأنجب المقدسى أحد الشهود المعدلين، وكان موجودا فى سنة ستمائة، ثم عرف هذا الدرب بأولاد السيد الدمشقى فإنه كان مسكنهم ثم عرف بالبساطى، وهو قاضى القضاة جمال الدين يوسف.

(درب كنيسة جدة) بضم الجيم هذا الدرب بالبندقانيين . كان يعرف بدرب جدة ، ثم عرف بدرب الشيخ السديد الموفق .

(درب ابن قطز) هذا الدرب بجوار مستوقد حمام الصاحب ورباط الصاحب من خط سويقة الصاحب عرف بناصر الدين بن بلغاق بن الأمير سيف الدين قطز المنصورى ، ومات بعد سنة ثمان وتسعين وستمائة .

(درب الحريري) هذا الدرب من جملة دار الديباج هو ودرب ابن قطز المذكور قبله ، ويتوصل إليه اليوم من أول سويقة الصاحب ، وفيه المدرسة القطبية . عرف بالقاضى نجم الدين محمد بن محمد القاضى فتح الدين عمر المعروف بابن الحريري . فإنه كان ساكنا فيه .

(درب ابن عرب) هذا الدرب بخط سويقة الصاحب . كان يعرف بدرب بنى أسامة الكتاب أهل الإنشاء فى الدولة ألفاطمية ، ثم عرف بدرب بنى الزبير الأكابر الروساء فى الدولة ألفاطمية ، ثم سكنه القاضى علاء الدين على بن عرب محتسب القاهرة فى أيام الأمير بلغاق وكيل بيت المال فعرف به إلى اليوم ، وابن عرب هذا هو علاء الدين أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن عثمان بن على بن محمد عرف بابن عرب . ولى الحسبة بالقاهرة فى آخر صفر سنة خمس وستين وسبعمائة وولي وكالة بيت المال أيضا وتوفى .

(درب ابن مغش) هذا الدرب تجاه المدرسة الصاحبية عرف أخيرا بتاج الدين موسى كاتب السعدى وناظر الخاص فى الأيام الظاهرية برقوق ، وله به دار مليحة ، وكان ماجنا متهتكاً يرمى بالسوء ، وأما الديانة فإنه قبطى ، وعنه اخذ سعد الدين إبراهيم بن غراب وظيفة ناظر الخاص وعاقبه بين يديه ، ثم صار يتردد بعد ذلك إلى مجلسه ، هلك فى واقعة تيمورلنلك فى شعبان سنة ثلاث وثمانمائة بعد ما احترق بالنار لما احترقت دمشق وأكل الكلاب بعضه .

(دربمشترك) هذا الدرب يقرب من درب العداس تجاه الخط الذى كان يعرف بالمسطاح . وفيه الآن سوق الجوارى ، وعرف أولا بدرب الأخناى قاضى القضاة برهان الدين المالكى فإنه كان يسكن فيه . ثم هو الآن يقال له درب مشترك ، وهذه كلمة تركية أصلها بلسانهم أج ترك بضم الهمزة وإشمامها ثم جيم بين الجيم والشين ، ومعنى ذلك ثلاث وترك بتاءمثناة من فوق ثم راء مهملة وكاف ومعناها النخل ، ومعنى هذا الاسم ثلاث

نخيل، وعربته العامة فقالت مشترك، وهو مشترك السلاح دار الظاهر برقوق. فإنه سكن بها ومات بها.

(**درب العداس**) هذا الدرب فيما بين دار الديباج والوزيرية عرف بعلى بن عمر العداس صاحب سقيفة العداس.

(**درب كاتب سيدي**) هذا الدرب من جملة خط الملحيين كان يعرف بدرب تقى الدين الأطريانى أحد موقعى الحكم عند قاضى القضاة تقى الدين الإخناوى، ثم عرف بالوزير الصاحب علم الدين عبد الوهاب القبطى الشهير بكاتب سيدى.

(**الوزير كاتب سيدي**) تسمى لما أسلم بعبد الوهاب بن القسيس وتلقب علم الدين، وعرف بين الكتاب الأقباط بكاتب سيدى، وترقى فى الخدم الديوانية حتى ولى ديوان المرتجع، وتخصص بالوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب ارلان. فلما أشرف من مرضه على الموت عين للوزارة من بعده علم الدين هذا. فولاه الملك الظاهر وظيفة الوزراة بعد موت الوزير شمس الدين فى سادس عشرى شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فباشر الوزارة إلى يوم السبت رابع عشرى رمضان سنة تسعين وسبعمائة، ثم قبض عليه وأقيم فى منصب الوزارة بدله الوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام وسلمه إليه وكان قد أراد مصادرة كريم الدين فأنفق استقراره فى الوزارة، وتمكنه منه فألزمه بحمل مال قرره عليه. فيقال أنه حمل فى هذا اليوم ثلاثمائة ألف درهم عنها إذ ذك نحو العشرة آلاف مثقال ذهبا، ومات بعد ذلك من هذه السنة، وكان كاتبا بليغا كتب بيده بضعا وأربعين رزمة من الورق، وكانت أيامه ساكنة، والأحوال متمشية، وفيه لين.

(**درب مخلص**) هذا الدرب بحارة زويلة عرف بمخلص الدولة أبي الحيا مطرف المستنصرى ثم عرف بدرب الرايض، وهو الأمير طراز الدولة الرايض باصطبل الخلافة.

(**درب كوكب**) هذا الدرب هو الآن زقاق شارع يسلك فيه من حارة زويلة إلى درب الصقالبة عرف أولا بالقائد الأعز مسعود المستنصر ثم عرف بكوكب الدولة ابن الخاكى.

(**درب الوشاقي**) بحارة زويلة عرف بالأمير حسام الدين سنقر الوشاقى المعروف بالأعسر السلاح دار أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(**درب الصقالية**) بحارة زويلة عرف بطائفة الصقالية أحد طوائف العساكر فى أيام الخلفاء ألفاطميين وهم جماعة.

(**درب الكنجي**) بحارة زويلة كان يعرف بدرب حليلة ثم عرف بالأمير شمس الدين سنقر شاه الكنجى الحاجب الظاهرى قتله قلاون أول سلطنته.

(**درب دومية**) هذا الدرب كان فى القديم فيما بين زقاق القابلة ودرب الزراق فزقاق القابلة فيه اليوم كنيسة إليهود بحارة زويلة، ويتوصل منه إلى السبع سقايات ودار بيبرس التى عرفت بدار كاتب السر ابن فضل الله تجاه حمام ابن عبود، ودرب الزراق هو اليوم من جملة خط سويقة الصاحب وبينهما الآن دور لا يوصل إليه إلا بعد قطع مسافة، ودرب رومية كان يعرف أولا بزقاق حسين بن إدريس العزيزى أحد اتباع الخليفة العزيز بالله نزاز بن المعز لدين الله، ثم عرف بدرب رومية، وهو بجوار زقاق القابلة الذى عرف بزقاق العسل، ثم عرف بزقاق المعصرة وعرف اليوم بزقاق الكنيسة.

(**درب الخضيري**) هذا الدرب يقابل باب الجامع الأقمر البحرى، وهو من جملة حقوق القصر الصغير الغربى عرف بالأمير عز الدين أيدمر الخضيرى أحد أمراء الملك المنصور قلاوون.

(**دربشعلة**) هو الشارع المسلوك فيه من باب درب ملوخيا إلى خط ألفهادين والعطوفية، وقد خرب.

(**درب نادر**) هذا الدرب بجوار المدرسة الجمالية فيما بين درب راشد ودرب ملوخيا عرف بسيف الدولة نادر الصقلى، وتوفى لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة فبعث إليه الخليفة العزيز بالله لكفنه خمسين قطعة من ديباج مثقل وخلف ثلاثمائة ألف دينار عينا وآنيه من فضة وذهب وعبيدا وخيلا وغير ذلك مما بلغت قيمته نحو ثمانين ألف دينار، وكان أحد الخدام ذكره المسبحى فى تاريخه، وقد ذكر ابن عبد الظاهر أن

بالسويقة التي دون باب القنطرة دربا يعرف بدرب نادر فلعله نسب إليه درب كان فى القديم أيضا .

(**درب راشد**) هذا الدرب تجاه خزانة البنود . عرف بيمين الدولة راشد العزيزى .

(**درب النميري**) عرف بالأمير سيف المجاهدين محمد بن النميرى أحد أمراء الخليفة الحافظ لدين الله ، وولى عسقلان فى سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وكانت ولايتها أكبر من ولاية دمشق . وهذا الدرب كان ينفذ إلى درب راشد ، وهو الآن غير نافذ ، وفى داخله درب يعرف بأولاد الداية طاهر وقاسم الأفضلين أحد أتباع الأفضل ابن أمير الجيوش ، وعرف الآن بدرب الطفل ، وهو من جملة خطة قصر الشوك . فإنه قبالة باب قصر الشوك وبينهما سويقة رحبة الأيدمرى .

(**درب قراصيا**) هذا الدرب من جملة الدروب القديمة ، وكان تجاه باب قصر الزمرد . الذى فى مكانه اليوم المدرسة الحجازية ، وهذا الدرب اليوم من جملة خطة رحبة باب العيد بجوار سجن الرحبة ، وقد هدمه الأمير جمال الدين يوسف الاستادار ، وهدم كثيرا من دوره وعملها وكالة فمات ولم تكمل ، وهى إلى الآن بغير تكملة ، ثم كمله الملك المؤيد شيخ وجعله وقفا على جامعه ، وهو إلى الآن خان عامر .

(**درب السلامي**) هذا الدرب من جملة خط رحبة باب العيد ، وفيه إلى اليوم أحد أبواب القصر المسمى بباب العيد ، والعامة تسمية القاهرة ، وهذا الدرب يسلك منه إلى خط الشوك وإلى المارستان العتيق الصلاحى وإلى دار الضرب وغير ذلك .

(**ذكر خواجا مجد الدين السلامي**) إسماعيل بن محمد بن ياقوت الخواجا مجد الدين السلامى تاجر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان يدخل إلى بلاد الططر ويتجر ، ويعود بالرقيق وغيره ، واجتهد مع جوبان إلى أن اتفق الصلح بين الملك الناصر وبين القان ابى سعيد ، فانتظم ذلك بسفارته وحسن سعيه فازدادت وجاهته عند الملكين . وكان الملك الناصر يسفره ، ويقرر معه أمورا فيتوجه ويقضيها على وفق مراده بزيادات فأحبه وقربه ورتب له الرواتب الوافرة فى كل يوم من الدراهم واللحم والعليق والسكر والحلواء والسكاج والرقاق مما يبلغ فى اليوم مائة وخمسين درهما . عنها يومئذ ثمانية مثاقيل من

الذهب. وأعطاه قرية أراك ببعلبك وأعطى مماليكه إقطاعات فى الحلقة، وكان يتوجه إلى الأردن ويقيم فيه الثلاث سنين والأربع والبريد لا ينقطع عنه، وتجهز إليه التحف والأقمشة ليفرقها على من يراه من خواص أبى سعيد وأعيان الأردن ثقة بمعرفته ودرايته، وكان النشو ناظر الخاص لا يفارقه ولا يصبر عنه، ومن أملاكه ببلاد المشرق السلامية والبادورة والمراوزة والمناصف، ولما مات الملك الناصر تغير عليه الأمير قوصون وأخذ منه مبلغا يسيرا، وكان ذا عقل وافر وفكر مصيب وخبرة بأخلاق الملوك وما يليق بخواطرها ودارية بما يتحفها به من الرقيق والجواهر ونطق سعيد وخلق رضى وشكالة حسنة وطلعة بهية، ومات فى داره من درب السلامى هذا يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، ودفن بتربته خارج باب النصر، ومولده فى سنة إحدى وسبعين وستمائة بالسلامية بلدة من أعمال الموصل على يوم منها بالجانب الشرقى، وهى بفتح السين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء متناه من تحت مشددة ثم تاء التأنيث.

(**درب خاص ترك**) هذا الدرب برحبة باب العيد. عرف بالأمير الكبير ركن الدين بيبرس المعروف بخاص الترك الكبير أحد الأمراء الصالحية النجمية أو بالأمير عز الدين أيبك المعروف بخاص الترك الصغير. سلاح دار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البنداقدارى.

(**درب شاطي**) هذا الدرب يتوصل منه إلى قصر الشوك. عرف بالأمير شرف الدين شاطى السلاح دار فى أيام الملك المنصور قلاوون، وكان أميرا كبيرا مقدما بالديار المصرية، وأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الشام. فأقام بدمشق، وكلانت له حرمة وافرة وديانة، وفيه خير ومات بها فى الحادى والعشرين من شعبان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة.

(**درب الرشيدي**) هذا الدرب مقابل باب الجوانية. عرف بالأمير عز الدين أيدمر الرشيدى مملوك الأمير بلبان الرشيدى خوش داش الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى، وولى الأمير أيدمر هذا استادارا لأستاذة بلبان ثم ولى استادارا للأمير سلار، ومات فى تاسع عشر شوال سنة ثمان وسبعمائة، وكان سكنه فى هذا الدرب وكان عاقلا ذا ثروة وجاه، وكان فى القديم موضع هذا الدرب براحا قدام الحجر.

(**درب الفريحية**) هذا الدرب على يمنه من خرج من الجملون الصغير طالبا درب الرشيدى المذكور، وهو من الدروب التى كانت فى أيام الخلفاء.

(**درب الاصفر**) هذا الدرب تجاه خانقاه الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وموضع هذا الدرب هو المنحر الذى تقدم ذكره.

(**درب الطاووس**) هذا الدرب فى الحدرة التى عند باب سر المارستان المنصورى على يمنة من ابتدأ الخروج منه، وكان موضعه بجوار باب الساباط أحد أبواب القصر الصغير، وقد تقدم ذكره ودرب الطاووس أيضا بالقرب من درب العداس. فيما بين باب الخوخة والوزيرية.

(**دربماينجار**) هذا الدرب بجوار جامع أمير حسين من حكر جوهر النوبى خارج القاهرة عرف بالأمير ماينجار الرومى الواقدى فى أيام الملك الظاهر بيبرس، وقد خربت تلك الديار فى سلطنة الملك المؤيد شيخ.

(**درب كوسا**) هو الآن يسلك فيه على شاطىء الخليج الكبير من قنطرة الأمير حسين إلى قنطرة الموسكى عرف بحسام الدين كوسا مقدم الحلقة فى أيام الملك المنصور قلاوون مات بعد سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وهذا الموضع تجاه دار الذهب التى تعرف اليوم بدار الأمير الطظرى السلاح دار الناصرى، وقد خربت أيضا.

(**درب الجاكي**) هذا الدرب بالحكر عرف بالأمير شرف الدين إبراهيم بن على بن الجبيد الجاكى المهمندار المنصورى قد دثر فى أيام المؤيد على يد الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الاستادرار لما خرب ما هناك.

(**درب الحرامي**) بالحكر عرف بسعد الدين حسين بن عمر ابن محمد الحرامى وابنه محيى الدين يوسف، وكانا من أجناد الحلقة.

(**درب الزراق**) بالحكر عرف بالأمير عز الدين أيدمر الزراق أحد الأمراء. ولاه الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون نيابة غزة فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة. فاقام بها مدة ثم استعفى بعد موت الملك الصالح، وعاد إلى القاهرة، ثم توجه إلى دمشق للحوطة على موجود الخاصكية يلبغا اليحياوى فى الأيام المظفرية وعاد. فلما ركب العسكر على الملك المظفر لم يكن

معه سوى الزراق وآق سنقر وأيدمر الشمسى . فنقم الخاصكية عليهم ذلك وأخرجوهم إلى الشام فوصلوا إليها فى أول شوال سنة ثمان وأربعين فأقام الزراق بدمشق ثم ورد مرسوم السلطان حسن بتوجيهم إلى حلب فتوجه إليها على إقطاع ، وبها مات ، وكان دينا لينا فيه خير ، وكان هذا الدرب عامرا ، وفيه دار الزراق الدار العظيمة ، وقد خرب هذا الدرب وما حوله منذ كانت الحوادث فى سنة ست وثمانمائة ، ثم نقضت الدار فى أيام المؤيد شيخ على يد ابن أبى الفرج .

(**زقاق طريف**) بالطاء المهملة . هذا الزقاق من أزقة البرقية عرف بالأمير فخر الدين طريف بن بكتوت ، وكان يعرف بزقاق منار بن ميمون بن منار . توفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

(**زقاق منعم**) بحارة الديلم . كان يعرف بمساطب الديلم والأتراك ثم عرف بالأمير منعم الدولة باتكين البوسحاقى ، ثم عرف بزقاق جمال الدولة ، ثم بزقاق الجلاطى ، ثم بزقاق الصهرجتى ، وهو القاضى المنتخب ثقة الدولة أبو الفضل محمد بن الحسين بن هبة الله بن وهيب الصهرجتى ، وكان حيا فى سنة ستين وخمسمائة .

(**زقاق الحمام**) بحارة الديلم عرف قديما بخوخة المنقدى ، ثم عرف بخوجة سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك ، ثم عرف بزقاق حمام الرصاصى ثم عرف بزقاق المزار .

(**زقاق الحرون**) بحارة الديلم عرف بالأمير الأوحد سلطان الجيوش زرى الحرون رفيق العادل بن السلار وزير مصر فى أيام الخليفة الظافر بأمر الله . ثم عرف بابن مسافر عين القضاة ثم عرف بزقاق بالقبة .

(**زقاق الغراب**) بالجودرية . كان يعرف بزقاق أبى العز ، ثم عرف بزقاق ابن أبى الحسن العقيلى ، ثم قيل له زقاق الغراب ، نسبة إلى أبى عبد الله محمد بن رضوان الملقب بغراب .

(**زقاق عامر**) بالوزيرية عرف بعامر القماح الأقانصة .

(**زقاق فرج**) بالجيم من جملة أزقة درب ملوخيا . عرف بفرج مهتار الطشتخاناه للملك المنصور قلاوون . كان حيا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

(**زقاق حدرة**) الزاهدى بحارة برجوان عرفت بالأمير ركن الدين بيبرس الزاهدى الرماح الأحدب أحد الأمراء وممن له عدة غزوات فى الفرنج ولما تمالأ الأمراء على الملك السعيد ابن الظاهر وسبقهم إلى القلعة كان قدامه بيبرس الزاهدى هذا. فسقط عن فرسه وخرجت له حدبة فى ظهره، ومات فى سنة ثلاث وتسعين، وكان مكان هذه الحدره أخصاصا، وهى الآن مساكن بينها زقاق يسلك فيه من رأس الحارة إلى رحبة الافيال.

ذكر الخوخ

والقصد إيراد ما هو مشهور من الخوخ او لذكره فائدة، والا فالخوخ والدروب والأزقة كثيرة جدا.

(**الخوخ السبع**) كانت سبع خوخ فيما يقال متصلة باصطبل الطارمة. يتوصل منها الخلفاء إذا أرادوا الجامع الأزهر فيخرجون من باب الديلم الذى هو اليوم باب المشهد الحسينى إلى الخوخ ويعبرون منها إلى الجامع الأزهر فإنه كان حينئذ فيما بين الخوخ والجامع رحبة كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى، وكان هذا الخط يعرف أولا بخوخة الأمير عقيل، ولم يكن فيه مساكن، ثم عرف بعد انقضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع، وليس لهذا، الخوخ اليوم أثر ألبته. ويعرف اليوم بالأبارين.

(**باب الخوخة**) هو أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج فى حد القاهرة البحرى. يسلك إليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودى وكان هذا الباب يعرف أولا بخوخة ميمون دبه، ويخرج منه إلى الخليج الكبير، وميمون دبه يكنى بأبى سعيد أحد خدام العزيز بالله كان خصيا.

(**خوخة أيدغمش**) هذه الخوخة فى حكم أبواب القاهرة. يخرج منها إلى ظاهر القاهرة عند غلق الأبواب فى الليل وأوقات الفتن إذا غلقت الأبواب فينتهى الخارج منها إلى الدرب الأحمر واليانسية، ويسلك من هناك إلى باب زويلة، ويصار إليها من داخل القاهرة إما من

سوق الرقيق أو من حارة الروم من درب أرقطاى وهذه الخوخة بجوار حمام أيد غمش وهو ايد غمش الناصرى الأمير علاء الدين. أصله من مماليك الأمير سيف الدولة بلبان الصالحى، ثم صار إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون، فلما قدم من الكرك جعله أميرا خور عوضا عن الأمير بيبرس الحاجب ولم يزل حتى مات الملك الناصر. فقام مع قوصون ووافقه على خلع الملك المنصور أبى بكر ابن الملك الناصر، ثم لما هرب الطنبغا الفخرى أنفق الأمراء مع أيدغمش على الأمير قوصون فوافقهم على محاربته، وقبض على قوصون وجماعته، وجهزهم إلى الإسكندرية وجهز من أمسك الطنبغا ومن معه وأرسلهم أيضا إلى الإسكندرية، وصار ايدغمش فى هذه النوبة هو المشار إليه فى الحل والعقد. فأرسل ابنه فى جماعة من الأمراء والمشايخ إلى الكرك بسبب إحضار أحمد ابن الملك الناصر محمد. فلما حضر أحمد من الكرك، وتلقب بالملك الناصر واستقر أمره بمصر أخرج ايد غمش نائبا بحلب. فسار إلى عين جالوت وإذا بالفخرى قد صار إليه مستجيرا به، فأمنه، وأنزلة فى خيمة، فلما ألقى عنه سلاحه وأطمان قبض عليه، وجهزه إلى الملك الناصر احمد وتوجه إلى حلب فأقام بها إلى أن استقر الملك الصالح إسماعيل بن محمد فى السلطنة نقله عن نيابة حلب إلى نيابة دمشق فدخلها فى يوم العشرين من صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، ومازال بها إلى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها. فعاد من مطعم طيوره، وجلس بدار السعادة حتى انقضت الخدمة واكل الطارى، وتحدث ثم دخل إلى داره فإذا جواريه يختصمن فضرب وأحدة منهن ضربتين، وشرع فى الضربة الثالثة فسقط ميتا، ودفن من الغد فى تربته خارج ميدان الحصى ظاهر دمشق، وكان جوادا كريما، وله مكانة عند الملك الناصر الكبير. بحيث إنه أمر أولاده الثلاثة وكان قد بعث الملك الصالح بالقبض عليه فبلغ القاصد موته فى قطيا فعاد.

(**خوخة الأرقى**) بحارة الباطلية يخرج منها إلى سوق الغنم وغيره، وهى بجوار داره.

(**خوخة عسيلة**) هذه الخوخة من الخوخ القديمة الفاطمية، وهى بحارة الباطلية مما يلى حارة الديلم فى ظهر الزقاق المعروف بخرابة العجيل بجوار دار الست حدق.

(**خوخة الصالحية**) هذه الخوخة حبس الديلم قريبة من دار الصالح طلائع بن رزيك التى هدمها ابن قايمار وعمرها، وكانت تعرف هذه الخوخة أولا بخوخة بحتكين وهو الأمير جمال الدولة بحتكين الظاهرى، ثم عرفت بخوخة الصالح طلائع بن رزيك لأن داره كانت هناك، وبها كان سكنه قبل أن يلى وزارة الظافر.

(**خوخة المطوع**) هذه الخوخة بحارة كتامة فى أولها مما يلى الجامع الأزهر عند اصطبل الحسام الصفدى، عرفت بالمطوع الشيرازيك.

(**خوخة حسين**) هذه الخوخة فى الزقاق الضيق المقابل لمن يخرج من درب الأسوانى، ويسلك فيه إلى حكر الرصاصى بحارة الديلم، ويعرف هذا الزقاق بزقاق المزار، وفيه قبر تزعم العامة ومن لاعلم عنده أنه قبر يحيى بن عقبة، وأنه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب، وهو كذب مختلق مفترى كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان إنه قبر جعفر الصادق، وفى القبر الآخر إنه قبر أبى تراب النخشبى، وفى القبر الذى على يسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة أنه قبر زارع النوى وأنه صحانى، غير ذلك من أكاذيبهم التى اتخذها لهم شياطينهم أنصابا ليكونوا لهم عزا، وسيأتى الكلام على هذه المزارات فى مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.

(**وحسين هذا**) هو الأمير سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وزوج ابنة الصالح بن رزيك، وكان كرديا قدمه الصالح بن رزيك بن الصالح لما ولى الوزارة ونوه به. فلما مات وقام من بعده ابنه رزيك بن الصالح فى الوزارة كان حسين هذا هو مدبر أمره بوصية الصالح واستشار حسينا فى صرف شاور عن ولاية قوص فأشار علية بإبقائه فأبى وولى الأمير ابن الرفعة مكانه، وبلغ ذلك شاور فخرج من قوص إلى طريق الواحات فلما سمع رزيك بمسيرة رأى فى النوم مناما عجيبا فأخبر حسينا بأنه رأى مناما. فقال ان بمصر رجلا يقال له أبو الحسن على بن نصر الأرتاجى وهو حاذق فى التعبر فأحضره وقال: رأيت كان القمر قد أحاط به حنش وكأننى رواس فى حانوت فغالطه الأرتاجى فى تعبير الرؤيا. وظهر ذلك لحسين فأمسك حتى خرج وقال له: ما اعجبنى كلامك والله لابد ان تصدقنى ولا بأس عليك. فقال يا مولاى القمر عندنا هو الوزير كما ان الشمس الخليفة، والحنش

المستدير عليه حبس مصحف، وكونه رواس أقلبها تجده شاور مصحفا وما وقع لى غير هذا فقال حسين: اكتم هذا عن الناس، واخذ حسين فى الاهتمام بأمره، ووطأ أنه يريد التوجه إلى مدينة الرسول ﷺ وكان قد أحسن إلى أهلها وحمل إليها مالا وقماشا وأودعه عند من يثق به هذا، وأمر شاور يقوى ويتزايد ويصل الإرجاف به إلى قرب من القاهرة فصاح الصائح فى بنى رزيك وكانوا اكثر من ثلاثة آلاف فارس فأول من نجا بنفسه حسين وسار فسأل عنه رزيك. فقالوا خرج فانقطع قلبه لأن حسينا كان مذكورا بالشجاعة مشهورا بها، وله تقدم فى الدولة ومكانة وممارسة للحروب وخبرة بها، ولم يثبت بعد خروج حسين بل انهزم إلى ظاهر اطفيسح فقبض عليه ابن النيض مقدم العرب وأحضره إلى شاور فحبسه وصدقت رؤياه ومات حسين.

(**خوخة الحلبي**) هذه الخوخة فى آخر اصطبل الطارمة بجوار حمام الأمير علم الدين سنجر الحلبى وفى ظهر داره.

(**سنجر الحلبي**) أحد المماليك الصالحية ترقى فى الخدم إلى أن ولاه الملك المظفر سيف الدين قطز نيابة دمشق. فلما قتل قطز على عين جالوت وقام من بعده فى السلطنة بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس ثار سنجر بدمشق فى سنة ثمان وخمسين وستمائة، ودعا إلى نفسه وتلقب بالملك المجاهد، وبقى أشهرا والملك الظاهر يكاتب أمراء دمشق إلى أن خامروا على سنجر وحاصروه بقلعة دمشق أياما. فلما خشى أن يقبض عليه فر من القلعة إلى بعلبك فجهز إليه الظاهر الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى، ومازال يحاصره حتى أخذه أسيرا وبعث به إلى الديار المصرية فاعتقله الظاهر، ومازال فى الاعتقال من سنة تسع وخمسين إلى سنة تسع وثمانين وستمائة مدة تنيف على ثلاثين سنة مدة أيام الملك الظاهر وولديه وأيام الملك المنصور قلاوون. فلما وإلى الملك الأشرف خليل بن قلاوون أخرجه من السجن وخلع عليه، وجعله أحد الأمراء الأكابر على عادته فلم يزل أميرا بمصر إلى أن مات على فراشه فى سنة اثنين وتسعين وستمائة، وقد جاوز تسعين سنة وانحنى ظهره وتقوس.

(**خوخة الجوهرة**) هذه الخوخة بآخر حارة زويلة عرفت اليوم بخوخة الوالى لقربها من دار الأمير علاء الدين الكورانى والى القاهرة، وكان من خير الولاة يحفظ كتاب الحاوى فى

الفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وأقام فى ولاية القاهرة من محرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة بعد أستدمر القلنجى وإلى القاهرة.

(**خوخة مصطفى**) هذه الخوخة بآخر زقاق الكنيسة من حارة زويلة. يخرج منها إلى القبو الذى عند حمام طاب الزمان المسلوك منه إلى قبو منظرة اللؤلؤة على الخليج. عرفت بالأمير فارس المسلمين مصطفى أحد أمراء بنى أيوب الملوك، وهو أيضا صاحب هذا الحمام.

(**خوخة ابن المأمون**) هذه الخوخة فى حارة زويلة بالدرب الذى بقرب حمام الكويك، ويقال لهذه الخوخة اليوم باب حارة زويلة وأصلها خوخة فى درب ابن المأمون البطايحى.

(**خوخة كوتية آق سنقر**) هذه الخوخة فى الزقاق الذى بظهر المدرسة الفخرية بآخر سويقة الصاحب. كان يسلك منها إلى الخليج من جوار باب الذهب، وموضعها بحذاء بيت القاضى أمين الدين ناظر الدولة، ولم تزل إلى أن بنى المهتار عبد الرحمن البابادارە بجوارها فى سنى بضع وتسعين وسبعمائة فسدها، وعرفت هذه الخوخة أخيرا بخوخة المسيرى، وهو قمر الدين بن السعيد المسيرى.

(**خوخة أمير حسين**) هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها إلى تجاه قنطرة أمير حسين فتحها الأمير شرف الدين حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن حيدرة بيك الرومى حين بنى القنطرة على الخليج الكبير وأنشأ الجامع بحكر جوهر النوبى، وجرى فى فتح هذه الخوخة أمر لا بأس بإيراده، وهو أن الأمير حسين قصد أن يفتح فى السور خوخة لتمر الناس من أهل القاهرة فيها إلى شارع بين السورين ليعمر جامعه فمنعه الأمير علم الدين سنجر الخازن وإلى القاهرة من ذلك إلا بمشاورة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان للأمير حسين إقدام على السلطان وله به مؤانسة فعرفه أنه أنشأ جامعا ورسأله أن يفسح له فى فتح مكان من السور ليصير طريقا نافذا يمر فيه الناس من القاهرة، ويخرجون إليه فأذن له فى ذلك، وسمح به فنزل إلى السور وخرق منه قدر باب كبير ودهن عليه رنكه بعد ماركب هناك بابا ومر الناس منه، واتفق أنه اجتمع بالخازن وإلى القاهرة وقال له على سبيل المداعبة: كم كنت تقول ما أخليك تفتح فى السور بابا حتى تشاور السلطان ها أنا قد شاورته وفتحت بابا على رغم أنفك فحنق الخازن من هذا القول، وصعد إلى القلعة ودخل على السلطان وقال

ياخوند: أنت رسمت للأمير شرف الدين أن يفتح فى السور بابا وهو سور حصين على البلد؟ فقال السلطان إنما شاورنى أن يفتح خوخة لأجل حضور الناس للصلاة فى جامعه. فقال الخازن ياخوند ما فتح إلا بابا يعادل باب زويلة، وعمل عليه رنكه وقصد يعمل سلطانا على البارد، وما جرت عادة أحد بفتح سور البلد. فأثر هذا الكلام من الخازن فى نفس السلطان أثرا قبيحا وغضب غضبا شديدا، وبعث إلى النائب وقد اشتد حنقه بان يسفر حسين بن حيدر إلى دمشق بحيث لا يبيت فى المدينة. فخرج من يومه من البلد بسبب ما تقدم ذكره.

ذكر الرحاب

الرحبة بإسكان الحاء وفتحها: الموضع الواسع، وجمعها رحاب. اعلم أن الرحاب كثيرة لا تتغير إلا بأن يبنى فيها فتذهب ويبقى اسمها. أو يبنى فيها ويذهب اسمها ويجهل، وربما انهدم بنيان وصار موضعه رحبة أو دارا أو مسجدا، والغرض ذكر ما فيه فائدة.

(**رحبة باب العيد**) هذه الرحبة كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر الذى أدركنا هدمه على يد الأمير جمال الدين الاستادار فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة وإلى خزانة البنود، وكانت رحبة عظيمة فى الطول والعرض غاية فى الاتساع، يقف فيها العساكر فارسها وراجلها فى أيام مواكب الأعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد، ويذهبون فى خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر ثم يعودون إلى أن يدخل من الباب المذكور إلى القصر، وقد تقدم ذكر ذلك، ولم تزل هذه الرحبة خالية من البناء إلى ما بعد الستمائة من الهجرة، فاختط فيها الناس وعمروا فيها الدور والمساجد وغيرها، فصارت خطة كبيرة من أجل أخطاط القاهرة، وبقى اسم رحبة باب العيد باقيا عليها لا تعرف إلا به.

(**رحبة قصر الشوك**) هذا الرحبة كانت قبلى القصر الكبير الشرقى فى غاية الاتساع كبيرة المقدار، وموضعها من حيث دار الأمير الحاج ال ملك بجوار المشهد الحسينى والمدرسة المالكية إلى باب قصر الشوك عند خزانة البنود، وبينها وبين رحبة باب العيد خزانة البنود والسفينة، وكان السالك من باب الديلم الذى هو اليوم المشهد الحسينى إلى خزانة البنود يمر

فى هذه الرحبة ويصير سور القصر على يساره، والمناخ ودار افتكين على يمينه، ولا يتصل بالقصر بنيان ألبته، ومازالت هذه الرحبة باقية إلى أن خرب القصر بفناء أهله. فاختط الناس فيها شيئاً بعد شيء حتى لم يبق منها سوى قطعة صغيرة تعرف برحبة الأيدمرى.

(**رحبة الجامع الأزهر**) هذه الرحبة كانت أمام الجامع الأزهر، وكانت كبيرة جدا تبتدىء من خط اصطبل الطارمة إلى الموضع الذى فيه مقعد الأكفانيين اليوم، ومن باب الجامع البحرى إلى حيث الخراطين. ليس بين هذه الرحبة ورحبة قصر الشرك سوى اصطبل الطارمة. فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الأزهر تترجل العساكر كلها، وتقف فى هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة إلى الجامع، وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر الجوامع، ولم تزل هذه الرحبة باقية إلى أثناء الدولة الأيوبية فشرع الناس فى العمارة بها إلى ان بقى منها قدام باب الجامع البحرى هذا القدر اليسير.

(**رحبة الحلي**) هذه الرحبة الآن من خط الجامع الأزهر، ومن بقية رحبة الجامع التى تقدم ذكرها. عرفت بالقاضى نجم الدين أبى العباس أحمد بن شمس الدين على بن نصر الله بن مظفر الحلى التاجر العادل لأنها تجاه داره.

(**رحبة البانياسي**) هذه الرحبة بدرب الأتراك تجاه دار الأمير طيدر الجمدار الناصرى، وعرفت بالأمير نجم الدين محمود موسى البانياسى لأن داره كانت فيها ومسجده المعلق هناك، ومات بعد سنة خمسمائة.

(**رحبة الأيدمري**) هذه الرحبة من جملة رحبة باب قصر الشرك وعرفت بالايدمرى لأن داره هناك.

(**والأيدمري**) هذا مملوك عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر بيبرس. ترقى فى الخدم حتى تأمر فى أيام الملك الظاهر بيبرس، وعلت منزلته فى أيام الملك المنصور قلاوون، ومات سنة سبع وثمانين وستمائة، ودفن بترتبه فى القرافة بجوار الشافعى رضى الله عنه.

(**رحبة البدري**) هذه الرحبة يدخل إليها من رحبة الأيدمرى من باب قصر الشوك، ومن جهة المارستان العتيق، وهى من جملة القصر الكبير عرفت بالأمير بيدمر البدرى صاحب

المدرسة البدرية . فإن داره هناك .

(رحبة ضروط) هذه الرحبة بجوار دار ال ملك وهى جملة رحبة قصر الشوك . عرفت بالأمير ضروط الحاجب فإنه كان يسكن هناك .

(رحبة أقبغا) هذه الرحبة هى الآن سوق الخيميين ، وهى من جملة رحبة الجامع الأزهر التى مر ذكرها . عرفت بالأمير أقبغا عبد الواحد استادارا الملك الناصر وصاحب المدرسة الاقبغاوية .

(رحبة مقبل) هذه الرحبة كانت تعرف بخط بين المسجدين . لان هناك مسجدين . أحدهما يقابل الآخر ، ويسلك من هذه الرحبة إلى سويقة الباطلية ، وإلى زقاق تريده ، وعرفت أخيرا بالأمير زين الذين مقبل الرومى أمير جاندار الملك الظاهر برقوق .

(رحبة ألدمر) هذه الرحبة فى الدرب أول سوق رالفرايين مما يلى الأكفانيين . عرفت بالأمير سيف الدين الدمر الناصرى المقتول بمكة .

(رحبة قردية) هذه الرحبة بخط الأكفانيين تجاه دار الأمير قردية الجمدار الناصرى ، وكانت هذه الدار تعرف قديما بالأمير سنجر الشكارى ، وله أيضا مسجد معلق يدخل من تحته إلى الرحبة المذكورة ، وهناك اليوم قاعة الذهب التى فيها الذهب الشريط لعمل المزركش .

(رحبة المنصوري) قبالة دار المنصورى . عرفت بالأمير قطلوبغا المنصورى القمدم ذكره .

(رحبة المشهد) هذه الرحبة تجاه المشهد الحسينى . كانت رحبة فيما بين باب الديلم أحد أبواب القصر . الذى هو الآن المشهد الحسينى ، وبين اصطبل الطارمة .

(رحبة أبي البقاء) هذه الرحبة من جملة رحبة باب العيد تجاه باب كتيلة بخط السفينة . عرفت بقاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على بن تمام السبكى الشافعى ومولده فى سنة سبع وسبعمائة ، أحد العلماء الأكابر . تقلد قضاء القضاة ديار مصر والشام .

(رحبة الحجازية) هذه الرحبة تجاه المدرسة الحجازية تجاه قصر بشتاك ، وهى من جملة القضاء الذى بين القصرين .

(رحبة سلار) تجاه حمام البيسرى ودار الأمير سلار نائب السلطنة هى أيضا من جملة الفضاء الذى كان بين القصرين .

(رحبة الفخري) هذه الرحبة بخط السافورى تجاه دار الأمير سيف الدين قطلوبغا الطويل الفخرى السلاح دار الأشرفى أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون .

(رحبة الاكز) بخط الكافورى . هذه الرحبة تجاه دار الأمير سيف الدين الاكز الناصرى الوزير ، وتعرف أيضا برحبة الأبو بكرى النها تجاه دار الأمير سيف الدين الأبو بكرى السلاح دار الناصرى ، وهى شارعة فى الطريق . يسلك إليها من دار الأمير تنكز ، ويتوصل منها إلى دار الأمير مسعود وبقية الكافورى .

(رحبة جعفر) هذه الرحبة تجاه حارة برجوان يشرف عليها شباك مسجد تزعم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق وهو كذب مختلق وافك مفترى . ما اختلف أحد من أهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ والسير أن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مات قبل بناء القاهرة بدهر ، وذلك أنه مات سنة ثمان وأربعين ومائة ، والقاهرة بلا خلاف اختطت فى ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد موت جعفر الصادق بنحو مائتى سنة رعشر سنين ، والذى أظنه أن هذا موضع قبر جعفر بن أمير الجيوش بدر الجمالى المكنى بأبى محمد . الملقب بالمظفر ، ولما ولى أخوه الأفضل ابن أمير الجيوش الوزراة من بعد أبيه جعل أخاه المظفر جعفرا يلى العلاقة عنه ، ونعت بالأجل المظفر سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين أبى محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وتوفى ليلة الخميس لسبع خلون من جمادى الأولى سنة أربع عشرة وخمسمائة مقتولا . يقال قلته خادمه جوهر بمباطنة من القائد أبى عبد الله محمد بن فاتك البطايحى ، ويقال بل كان يخرج فى الليل يشرب . فجاء ليلة وهو سكران فمازجه دراب حارة برجوان وتراميا بالحجارة . فوقعت ضربة فى جنبه آلت به إلى الموت ، والذى نقل أنه دفن بتربة أبيه أمير الجيوش . فإما أن يكون دفن هنا أولا ، ثم نقل أو لم لم يدفن هنا ، ولكنه من جملة ما ينسب إليه فإنه بجوار دار المظفر التى من جملتها دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى وما قاربها . كما ستقف عليه إن تشاء الله تعالى عند ذكر دار المظفر .

(**رحبة الأفيال**) هذه الرحبة من جملة حارة برجوان. يتوصل إليها من رأس الحارة، ويسلك فى حدرة الزاهدى إليها وأدركتها ساحة كبيرة، والمشيخة تسميها رحبة الأفيال، وكذا يوجد فى مكاتب الدور القديمة. ويقال إن الفيلة فى أيام الخلفاء كانت تربط بهذه الرحبة أمام دار الضيافة، ولم تزل خربة إلى ما بعد سنة سبعين وسبعمائة. فعمر بها دويرات، ووجد فيها بئر متسعة ذات وجهين تشبه أن تكون البئر التى كانت سواس الفيلة يستقون منها، ثم طمت هذه البئر بالتراب.

(**رحبة مازن**) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه باب دار مازن التى خربت، وفيها المسجد المعروف بمسجد بنى الكويك.

(**رحبة أقوش**) هذه الرحبة بحارة برجوان تجاه قاعة الأمير جمال الدين أقوش الرومى السلاح دار الناصرى التى حل وقفها بهاء الدين محمد بن البرجى، ثم بيعت من بعده ومات أقوش سنة خمس وسبعمائة.

(**رحبة برلغي**) هذه الرحبة عند باب سر المدرسة القراسنقرية تجاه دار الأمير سيف الدين برلغى الصغير صهر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وهذه الرحبة من جملة خط دار الوزارة.

(**رحبة لؤلؤ**) هذه الرحبة بحارة الديلم فى الدرب الذى بخط ابن الزلابى وهى تجاه دار الأمير بدر الدين لؤلؤ الزردكاش الناصرى، وهو من جملة من فر مع الأمير قراسنقر، وأقوش الأفرم إلى ملك التتربوسعيد.

(**رحبة كوكاي**) هذه الرحبة بحارة زويلة عرفتِ بالأمير سيف الدين كوكاى السلاح دار الناصرى، وفيها البئر القطبية الجديدة.

(**رحبة ابن أبي ذكري**) هذه الرحبة بحارة زويلة، وهى التى فيها البئر السائلة بالقرب من المدرسة العاشورية عرفت بالأمير ابن أبى ذكرى، وهى من الرحاب القديمة التى كانت أيام الخلفاء، وبها الآن سوق حارة اليهود القرايين.

(**رحبة بيبرس**) هذه الرحبة يتوصل إليها من سويقة المسعودى، ومن حمام ابن عبود. عرفت بالملك المظفر ركن الدين بيبرش الجاشنكير فان بصدرها داره التى كانت سكنه قبل أن يتقلد سلطنة ديار مصر، وقد حل وقفها وبيعت.

(**رحبة بيبرس الحاجب**) هذه الرحبة بخط حارة العدوية عند باب سر الصاغة عرفت بالأمير بيبرس الحاجب لان داره بها وبيبرس هو الذى ينسب إليه غيط الحاجب بجوار قنطرة الحاجب، وبهذه الرحبة الآن فندق الأمير الطواشى أمام الدور السلطانية زين الدين مقبل، وبه صار الآن هذا الخط يعرف بخط فندق الزمام بعد ما كنا نعرفه يعرف بخط رحبة بيبرس الحاجب.

(**رحبة الموفق**) تعرف هذه الرحبة بحارة زويلة تجاه دار الصاحب الوزير موفق الدين أبى البقاء هبة الله ابن إبراهيم المعروف بالموفق الكبير، وهى بالقرب من خوخة الموفق المتوصل منها إلى الكافورى من حارة زويلة.

(**رحبة أبي تراب**) هذه الرحبة فيما بين الخرشتف وحارة برجوان تشبة أن تكون من جملة الميدان أدركتها بها كيمان تراب، وسبب نسبتها إلى أبى تراب أن هناك مسجدا من مساجد الخلفاء الفاطميين تزعم العامة ومن لاخلاق له أن به قبر أبى تراب النخشبى، وهذا القول من أبطل الباطل وأقبح شيء فى الكذب، فإن أبا تراب النخشبى هوو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى صحب حاتما الأصم وغيره، وهو من مشايخ الرسالة ومات بالبادية نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين قبل بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين، وقد أخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومى خال أبى رحمه الله قبل أن يختلط قال: أخبرنى مؤدبى الذى قرأت عليه القرآن أن هذا المكان كان كوما وأن شخصا حفر فيه ليبنى عليه دارا فظهرت له شرافات فمازال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد. فقال الناس هذا أبو تراب من حينئذ، ويؤيد ما قال أنى أدركت هذا والمسجد محفوفا بالكيمان من جهاته وهو نازل فى الأرض ينزل إليه بنحو عشر درج وما برح كذلك إلى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة. فنقلت الكيمان التراب التى كانت حوله وعمر مكانها ما هنالك من دور، وعمل عليها درب من بعد سنة تسعين وسبعمائة وزالت الرحبة والمسجد على حاله، وأنا قرأت على بابه فى رخامة قد تفش عليها بالقلم الكوفى عدة أسطر تتضمن أن هذا قبر أبى تراب حيدرة بن المستنصر بالله أحد الخلفاء الفاطميين، وتاريخ ذلك فيما أظن بعد الأربعمائة، ثم لما كان فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة سولت نفس بعض

السفهاء من العامة له أن يتقرب بزعمه إلى الله تعالى بهدم هذا المسجد ويعيد بناءه فجبى الناس مالا شحذه منهم وهدم المسجد، وكان بناء حسنا وردمه بالتراب نحو سبعة أذرع حتى ساوى الأرض التى تسلك المارة منها، وبناه هذا البناء الموجود الآن. وبلغنى أن الرخامة التى كانت على الباب نصبوها على شكل قبر أحدثوه فى هذا المسجد، وبالله إن الفتنة بهذا المكان وبالمكان الآخر من حارة برجوان الذى يعرف بجعفر الصادق لعظيمة، فإنهما صارا كالأنصاب التى كانت تتخذها مشركوا العرب. يلجأ إليهما سفهاء العامة والنساء فى أوقات الشدائد، وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التى لا ينزلها العبد إلا بالله ربه ويسألون فى هذين الموضعين مالا يقدر عليه إلا الله تعالى وحده من وفاء الدين من غير جهة معينة وطلب الولد ونحو ذلك، ويحملون النذور من الزيت وغيره إليهما ظنا أن ذلك ينجيهم من النكارة ويجلب إليهم المنافع، ولعمرى إن هى إلا كرة خاسرة ولله الحمد على السلامة.

(**رحبة أرقطاي**) هذه الرحبة بحارة الروم قدام دار الأمير الحاج أرقطاى نائب السلطنة بالديار المصرية.

(**رحبة ابن الضيف**) هذه الرحبة بحارة الديلم وهى من الرحاب القديمة عرفت بالقاضى أمين الملك إسماعيل بن أمين الدولة الحسن بن على بن نصر بن الضيف، وفى هذه الرحبة الدار المعروفة بأولاد الأمير طنبغا الطويل بجوار حكر الرصاصى، وتعرف هذه الرحبة أيضا بحمدان البزاز وبابن المخزومى.

(**رحبة وزير بغداد**) هذه الرحبة بدرب ملوخيا. عرفت بالأمير الوزير نجم الدين محمود بن على بن شردين المعروف بوزير بغداد. قدم إلى مصر يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، هو وحسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغورى الحنفى فارين من العراق بعد قتل موسى ملك التتر. فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بإقطاع إمرة تقدمة ألف مكان الأمير طازبغا عند وفاته فى ليلة السبت عشرى جمادى الأولى من السنة المذكورة. فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون وقام فى الملك من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن محمد قلد الوزارة بالديار المصرية للأمير نجم الدين محمود وزير بغداد

فى يوم الإثنين ثالث عشر المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، وبنى له دار الوزارة بقلعة الجبل وأدركناها دار النيابة، وعمل له فيها شباك يجلس فيه، وكان هذا قد أبطله الملك الناصر محمد، وخربت قاعة الصاحب فلم يزل إلى أن صرف فى أيام الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون عن الوزارة بالأمير ملكتمر السرجوانى فى مستهل رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، ثم أعيد فى آخر ذى الحجة بعد تمنع منه، واشترط أن يكون جمال الكفاة ناظر الخاص معه بصفة مشير فأجيب إلى ذلك. فلما قبض على جمال الكفاة صرف وزير بغداد وولى بعده الوزارة الأمير سيف الدين أيتمش الناصرى فى يوم الأربعاء عشرى ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بحكم استعفائه منها. فباشرها أيتمش قليلا وسأل أن يعفى من المباشرة فأعفي، وذلك لقلة المتحصل وكثرة المصروف فى الإنعام على الجوارى والخدام وحواشيهم، وكانت الكلف فى كل سنة ثلاثين ألف ألف دينار والمتحصل خمسة عشر ألف ألف نحو النصف ومرتب السكر فى شهر رمضان كان ألف قنطار فبلغ ثلاثة الأف قنطار.

(**رحبة الجامع الحاكمي**) هذه الرحبة من غير قاهرة المعز التى وضعها القائد جوهر، وكانت من جملة الفضاء الذى كان بين باب النصر والمصلي، فلما زاد أمير الجيوش بدر الجمالى فيه صارت من داخل باب النصر الآن، وكانت كبيرة فيما بين الحجر والجامع الحاكمى، وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن ثم بنى فيها المدرسة القاصدية التى هى تجاه الجامع وما فى صفها إلى حمام الجاولى، وبنى فيها الشيخ قطب الدين الهرماس دارا ملاصقة لجدار الجامع، ثم هدمت كما سيأتى فى خبرها إن شاء الله تعالي، عند ذكر الدور، وفى موضعها الآن الربع والحوانيت سفله والقاعة الجارى ذلك فى أملاك ابن الحاجب وأدركت إنشاءها فيما بعد سنة ثلاثين، وهذه الرحبة تؤخذ أجرتها الجهة وقف الجامع.

(**رحبة كتبغا**) هذه الرحبة من جملة اصطبل الجميزة، وهى الآن من خط الصيارف يسلك إليها من الجملون الكبير بسوق الشرابشيين ومن خط طواحين الملحيين وغيره. عرفت بالملك العادل زين الدين كتبغا فإنها تجاه داره التى كان يسكنها وهو أمير قبل ان يستقر فى السلطنة وسكنها بنوه من بعده فعرفت به ثم حل وقفها فى زمننا وبيعت.

(**رحبة خوند**) هذه الرحبة بآخر حارة زويلة فيما بينها وبين سويقة المسعودى. يتوصل إليها من درب الصقالبة ومن سويقة المسعودى، وهى من الرحاب القديمة. كانت تعرف فى أيام الخلفاء برحبة ياقوت. وهو الأمير ناصر الدولة ياقوت والى قوص أحد أجلاء الأمراء. ولما قام طلائع بن رزيك بالوزارة فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة هم ناصر الدولة ياقوت بالقيام عليه. فبلغ طلائع الملقب بالصالح ابن رزيك ذلك فقبض عليه وعلى أولاده واعتقلهم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى ذى الحجة سنة اثنين وخمسن وخمسمائة. فلم يزل فى الاعتقال إلى أن مات فيه يوم السبت سابع عشر رجب سنة ثلاث وخمسين فأخرج الصالح أولاده من الاعتقال وأمرهم وأحسن إليهم، ثم عرفت هذه الرحبة من بعده بولده الأمير ربيع الإسلام محمد بن ياقوت، ثم عرفت فى الدولة الأيوبية برحبة ابن منقذ وهو الأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ، ثم عرفت برحبة الفلك المسيرى، وهو الوزير فلك الدين عبد الرحمن المسيرى وزير الملك العادل أبى بكر بن المالك العادل بن أيوب، ثم عرفت الآن برحبة خوند وهى الست الجليلة اردوتكين ابنة نوغيه السلاح دار زوج الملك الأشرف خليل بن قلاون وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد، وهى صاحبة تربة الست خارج باب القرافة، وكانت خيرة وماتت أيما فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة.

(**رحبة قرا سنقر**) هذه الرحبة برأس حارة بهاء الدين تجاه دار الأمير قراسنقر، وبها الآن حوض تشرب منه الدواب.

(**رحبة بيغرا**) بدرب ملوخيا عرفت بالأمير سيف الدين بيغرا لانها تجاه داره.

(**رحبة الفخري**) بدرب ملوخيا عرفت بالأمير منكلى بغا الفخرى صاحب التربة بظاهر باب النصر. لأنها تجاه داره.

(**رحبة سنجر**) هذه الرحبة بحارة الصالحية فى آخر درب المنصورى عرفت بالأمير سنجر الجمقدار علم الدين الناصرى لأنها تجاه داره، ثم عرفت برحبة ابن طرغاى، وهو الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير سيف الدين طرغاى الجاشنكير نائب طرابلس.

(**رحبة ابن علكان**) هذه الرحبة بالجودرية فى الدرب المجاور للمدرسة الشريفية. عرفت بالأمير شجاع الدين عثمان بن علكان الكردى زوج ابنه الأمير يازكوج الأسدى وبابنه منها الأمير ابو عبد الله سيف الدين محمد ابن عثمان، وكان خيرا استشهد على غزة بيد الفرنج

فى غرة شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة، وكانت داره ودار أبيه بهذه الرحبة ثم عرفت بعد ذلك برحبة الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى.

(**رحبة أزدمر**) بالجودرية هذه الرحبة بالدرب المذكور أعلاه عرفت بالأمير عز الدين أزدمر الأعمى الكاشف لأنها كانت أمام داره.

(**رحبة الأخناي**) هذه الرحبة فيما بين دار الديباج والوزيرية بالقرب من خوخة أمير حسين. عرفت بقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخناى المالكى. لأنها تجاه داره، وقد عمر عليها درب فى أعوام بضع وتسعين وسبعمائة.

(**رحبة باب اللوق**) رحاب باب اللوق خمس رحاب ينطلق عليها كلها الآن رحبة باب اللوق، وبها تجتمع أصحاب الحلق وأرباب الملاعب والحرف كالمشعبذين والمخايلين والحواة والمتأففين وغير ذلك فيحشر هنا لك من الخلائق للفرجة ولعمل الفساد مالا ينحصر كثرة، وكان قبل ذلك فى حدود ما قبل الثمانين وسبعمائة من سنى الهجرة إنما تجتمع الناس لذلك فى الطريق الشارع المسلوك من جامع الطباخ بالخط المذكور إلى قنطرة قدادار.

(**رحبة التبن**) هذه الرحبة قريبة من رحبة باب اللوق فى بحرى منشأة الجوانية شارعة فى الطريق العظمى المسلوك فيها من رحبة باب اللوق إلى قنطرة الدكة، ويتوصل إليها السالك من عدة جهات، وكانت هذه الرحبة قديما تقف بها الجمال بأحمال التبن لتباع هناك، ثم اختطت وعمرت بها سويقة كبيرة عامرة بأصناف المأكولات، والخط إنما يعرف برحبة التبن، وقد خرب بعد سنة ست وثمانمائة.

(**رحبة الناصرية**) هذه الرحبة كانت فيما بين الميدان السلطانى والبركة الناصرية أيام كانت تلك الخطة عامرة، وكان يتفق فى ليالى أيام ركوب السلطان إلى الميدان فى كل سنة من الاجتماع والأنس ماستقف على بعض وصفه عند ذكر المتنزهات إن شاء الله تعالى، وقد خربت الأماكن التى كانت هناك، وجهلت هذه الرحبة إلا عند القليل من الناس.

(**رحبة أرغون أزكه**) والعامة تقول رحبة أزكى بياء، وهى رحبة كبيرة بالقرب من البركة الناصرية وهذه الرحبة وما حولها من جملة بستان الزهرى الآتى ذكره إن شاء الله فى الأحكار، وعرفت بالأمير أرغون أزكى.

ذكر الدور

قال ابن سيدة : الدار المحل يجمع البناء والعرصة التى هى من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها ، والجمع أدور وأدؤر وديار وديارات وديران ودور ودورات ، والدارة لغة فى الدار والدار البلد والمبيت من الشعر مازاد على طريقة واحدة ، وهو مذكر يقع على الصغير والكبير وقد يقال للمبنى من غير الأبنية التى هى الأخبية بيت ، وجمع البيت أبيات وأنابيب وبيوت وبيوتات والبيت أخص من الدار . فكل دار بيت ولا ينعكس ، ولم تكن العرب تعرف البيت إلا الخباء ، ثم لما سكنوا القرى والأمصار وبنوا بالمدور اللبن سموا منازلهم التى سكونها دورا وبيوتا ، وكانت الفرس لا تبيح شريف البنيان كما لا تبيح شريف الأسماء إلا لأهل البيوتات كصنيعهم فى النواويس والحمامات والقباب الخضر والشرف علىَ حيطان الدار وكالعقد على الدهليز .

(**دارالأحمدي**) هذه الدار من جملة حارة بهاء الدين ، وبها مشترف عال فوق بدنه من بدنات سور القاهرة ينظر منه أرض الطبالة وخارج باب الفتوح ، وهى إحدى الدور الشهيرة عرفت بالأمير بيبرس الأحمدى .

(**بيبرس الأحمدي**) ركن الدين أمير جاندار تنقل فى الخدم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن صار أمير جاندار أحد المقدمين . فلما مات الملك الناصر قوى عزم قوصون على إقامة الملك المنصور أبى بكر بعد أبيه ، وخالف بشتاك . فلما نسب المنصور إلى اللعب حضر إلى باب القصر بقلعة الجبل وقال : أى شىء هذا اللعب؟ فلما ولى الناصر أحمد أخرجه لنيابة صفد فأقام بها مدة ثم أحس من الناضر أحمد بسوء فخرج من صفد بعسكره إلى دمشق وليس بها نائب فهم الأمراء بإمساكه ثم أخروا ذلك وأرسلوا إليه الإقامة فقدم البريد من الغد بإمساكه فكتب الأمراء من دمشق إلى السلطان يشفعون فيه فعاد الجواب بأنه لابد من القبض عليه ونهب ماله وقطع رأسه وإرساله فابوا من ذلك وخلعوا

الطاعة وشقوا العصا جميعا. فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من مصر بخلع الناصر احمد وإقامه الصالح إسماعيل في الملك بدله والأحمدى مقيم بقصر تنكز من دمشق فورد عليه مرسوم بنيابة طرابلس فتوجه إليها وأقام بها نحو الشهرين، ثم طلب إلى مصر فسار إليها وأخرج لمحاصرة احمد بالكرك فحصره مدة ولم ينل منه شيئا، ثم عاد إلى القاهرة فأقام بها حتى مات في يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ست وأربعين وسبعمائة وله من العمر نحو الثمانين سنة، وكان أحد الابطال الموصوفين بقوة النفس وشدة العزم ومحبة الفقراء وإيثار الصالحين، وله مماليك قد عرفوا بالشجاعة والنجدة، وكان ممن يقتدى برأيه وتتبع آثاره لمعرفته بالأيام والوقائع وما برحت ذريته بهذه الدار إلى الآن وأظنها موقوفة.

(**دار قراسنقر**) هذه الدار برأس حارة بهاء الدين أنشأها الأمير شمس الدين قراسنقر، وبها كان سكنه، وهى إحدى الدور الجليلة، ووجد بها في سنة اثنتى عشرة وسبعمائة لما أحيط بها اثنان وثلاثون الف الف دينار ومائة الف وخمسون الف ذرهم فضة وسروج مذهبة وغير ذلك، فحمل الجميع إلى بيت المال، ولم تزل جارية في أوقاف المدرسة القراسنقرية إلى أن اغتصبها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار فيما اغتصب من الأوقاف، وجعلها وقفا على مدرسته التى انشأها برحبة باب العيد. فلما قتله الملك الناصر فرج بن برقوق وارتجع ما خلفه وصار في جملة السلطانية، ثم أفرد من الأوقاف التى جعلها جمال الدين على مدرسته شيئاً وجعل باقيها لأولاده وعلى تربته التى أنشأها على قبر أبيه الظاهر برقوق بالصحراء تحت الجبل خارج باب النصر. فلما قتل الملك الناصر فرج صارت هذه الدار بيد الأمير طوغان الدوادار وكانوا كسارق من سارق وما من قتيل يقتل إلا وعلى ابن آدم الاول كفل منه. لانه أول من سن القتل.

(**دار البلقيني**) هذه الدار تجاه مدرسة شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى من حارة بهاء الدين أنشأها قاضى قضاة العساكر بدر الدين محمد بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى الشافعى، ومات في يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة

إحدى وتسعين وسبعمائة، ولم تكمل فاشتراها أخوه قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام وكملها، وبها الآن سكنة، وهي من أجل دور القاهرة صورة ومعني، وقد ذكرت الأخوين وأباهما في كتابي المنعوت بدرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة فانظر هناك اخبارهم.

(دارمنكوتمر) هذه الدار بحارة بهاء الدين بجوار المدرسة المنكوتمرية أنشأها الأمير منكوتمر نائب السلطنة بجوار مدرسته الآتي ذكرها عند ذكر المدارس إن شاء الله تعالى وهي من الدور الجليلة، وبها إلى اليوم بعض ذريته وهي وقف.

(دارالمظفر) هذه الدار كانت بحارة برجوان أنشأها أمير الجيوش بدر الجمالي إلى أن مات. فلما ولي الوزارة من بعده ابنه الأفضل ابن أمير الجيوش وسكن دار القباب التي عرفت بدار الوزارة وقد تقدم ذكرها صار أخوه المظفر أبو محمد جعفر بن أمير الجيوش بهذه الدار فعرفت به، وقيل لها دار المظفر وصارت من بعده دار الضيافة كما مر في هذا الكتاب، وآخر ما أعرفه أنها كانت ربعا وحماما وخرائب. فسقط الربع بعد سنة سبعين وسبعمائة، وكانت الحمام قد خرجت قبل ذلك، فلم تزل خرابا إلى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فشرع قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي الحنفي في عمارتها. فلما حفر اساس جداره القبلي ظهر تحت الردم عتبة عظيمة من حجر صوان مانع يشبه أن يكون عتبة دار المظفر، وكان الأمير جهاركس الخليلي إذ ذاك يتولى عمارة المدرسة التي أنشأها الملك الظاهر برقوق بخط بين القصرين. فبعث بالرجال لهذه العتبة وتكاثروا على جرها إلى العنارة فجعلها في المزملة التي تشرب منها الناس الماء بدهليز المدرسة الظاهرية، وكمل قاضي القضاة شمس الدين بناء داره. حيث كانت دار المظفر فجاءت من أحسن دور القاهرة، وتحول إليها بأهله وما زال فيها حتى مات بها وهو متقلد وظيفة قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية في ليلة السبت الثامن عشر من ذي الحجة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وله من العمر سبعون سنة وأشهر، ومولده بطرابلس الشام، وأخذ الفقة على مذهب أبي حنيفة رحمه الله عن جماعة من أهل طرابلس ثم خرج منها

إلى دمشق فقرأ على صدر الدين محمد بن منصور الحنفى، ووصل إلى القاهرة وقاضى الحنفية بها قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى فلازمه، وولاه العقود وأجلسه ببعض حوانيت الشهود فتكسب ممن تحمل الشهادة مدة، وقرأ على قاضى القضاة سراج الهدى ولازمه فولاه نيابة القضاء بالشارع. فباشرها مباشرة مشكورة وأجازه العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفى بالإفتاء والتدريس. فلما مات صدر الدين بن منصور قلده الملك الظافر برقوق قضاء القضاة مكانه فى يوم الإثنين ثانى عشرى شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وسبعمائة. فباشر القضاء بعفة وصيانة وقوة فى الأحكام لها النهاية ومهابة وحرمة وصوله تذعن لها الخاصة والعامة إلى أن صرف فى سابع عشر رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة بشيخنا قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم التركمانى. فلم يزل إلى ان عزل مجد الدين وولى من بعده قاضى القضاة وناظر الجيوش جمال الدين محمود القيصرى، وهو ملازم داره وما بيده من التدريس، وهو على حال حسنة وتجلد من الكافة إلى أن استدعاه السلطان فى يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وسبعمائة فقلده وظيفة القضاء عوضا عن محمود القيصرى فلم يزل حتى مات من عامة رحمة الله تعالى، وهذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة برجوان طالبا المسجد المسمى بجعفر، وأما الحمام فإنها فى مكانها اليوم ساحة بجوار دار قاضى القضاة شمس الدين، ومن جملة حقوق دار المظفر رحبة الأفيال وحدرة الزاهدى إلى الدار المعروفة بسكنى قريبا من حمام الرومى.

(دار ابن **عبد العزيز**) هذه الدار بحارة برجوان على يمنه من سلك من باب الحارة طالبا حمام الرومى هى أيضا من جملة دار المظفر كانت طاحونا ثم خربت. فابتدأ عمارتها فخر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف ابن الكويك ناظر الأحباس، ومات ولم تكمل فصارت لامرأته وابنة عمه خديجة. فماتت فى رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وقد تزوجت من بعده بالقاضى الرئيس بدر الدين حسن ابن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبى طالب بن على بن عبد الله بن سيدهم النجمى السيراونى فانتقلت إليه ومات فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة فى العشرين من جمادى الأولى وورثه من بعد موته كريم الدين ابن أخيه وهو عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبى طالب بن على بن عبد الله بن

سيدهم ومات آخر ربيع الاول سنة سبع وثمانمائة عن سبعين سنة، وولى نظر الجيوش بديار مصر للظاهر بوقوق فباعها لقريبه . شمس الدين محمد بن عبدالله بن عبد العزيز وكملها وسكنها مدة طويلة إلى أن باعها فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة بألفى دينار ذهبا لخوند فاطمة ابنة الأمير منجك فوقفتها على عتقائها، وهى إلى اليوم بيدهم، وتعرف ببيت ابن عبدالعزيز المذكور لطول سكنه بها، وكان خيرا عارفا يلى كتابة ديوان الجيش وعدة مباشرات ومات ليلة الثانى عشر من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة .

(**دار الجمقدار**) هذه الدار على يسره . من سلك من باب حارة برجوان تحت القبو طالبا حمام الرومى . عرفت بالأمير علن الدين سنجر الجمقدار من الأمراء البرجية، وقدمه الملك الناصر محمد تقدمه ألف بعد مجيئه من الكرك . فحضر معهم واستقر من الأمراء بالديار المصرية إلى أن مات يوم الجمعة تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وقد كبر وارتعش وكان روميا ألثغ، ثم صار لخالد بن الزواد المقدم، فلما قبض عليه ومات فى ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة تحت المقارع ارتجعت عنه لديوان السلطان حسن . فصارت فى يد ورثته إلى أن باع بعض أولاده اسهما منها فاشتراها الأمير سودون الشيخونى نائب السلطنة ثم تنقلت وبعضها وقف بيد أولاد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون إلى أن ملك ما تملك منها بالشراء قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركى، وسكنها إلى أن سافر . فصارت من بعده لورثته فباعوها للشيخ زين الدين أبى بكر القمنى، وهى بيده الآن .

(**دار أقوش**) الرومى بحارة برجوان . هذه الدار من أجل دور القاهرة، وبابها من نحاس بديع الصنعة بشبه باب المارستان المنصورى، وكان تجاهها اصطبل كبير يعلوه ربع فيه عدة مساكن عرفت بالأمير جمال الدين أقوش الرومى السلاح دار الناصرى، وتوفى سنةسبع وسبعمائة، وهى مما وقفه على تربته بالقرافة، وقد خرب اصطبلها وعلوه وبيع نقض ذلك، وتداعت الدار أيضا للسقوط فبيعت أنقاضا، وصارت من جملة الأملاك .

(**دار بنت السعيدي**) هذه الدار بحارة برجوان عرفت بقاعة حنيفةبنت السعيدى إلى أن اشتراها شهاب الدين أحمد بن طوغان دوادار الأمير سودون الشيخونى نائب السلطان فى

سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، فأخذ عدة مساكن مما حولها وهدمها وصيرها ساحة بها فصارت من أعظم الدور اتساعا وزخرفة ، وفيها آبار سبعة معينة وفسقية ينقل إليها الماء بساقية على فوهة بئر ، ومازال صاحبها شهاب الدين فيها ، إلى أن سافر إلى الإسكندرية فى محرم سنة ثمان وثمانمائة فمات رحمه الله ، وانتقلت من بعده لغير واحد بالبيع .

(**دار الحاجب**) هذه الدار فيما بين الخرشتف وحارة برجوان . كان مكانها من جملة الميدان ، وكان يسلك من حارة برجوان فى طريق شارعه إلى باب الكافورى فلما عمر الأمير بكتمر هذه الدار جعل اصطبلها حيث كانت الطريق ، وركب باب بخوخة مما يلى حارة برجوان ، واشترط عليه الناس أن لا يمنع المارة من سلوك هذا المكان فوفى بما اشترط ، وما برح الناس يمرون من هذا الطريق فى وسط الاصطبل على باب داره سالكين من حارة برجوان إلى الكافورى والخرشتف ، ومنها إلى حارة برجوان ، وأنا سلكت من هذه الطريق غير مرة ، وكان يقال لها خوخة الحاجب ، ثم لما طال الأمد وذهبت المشيخة نسيت هذه الطريق ، وقفل الباب وانقطع سلوك الناس منه ، وصارت تلك الطريق من جملة حقوق الدار وما برحت هذه الدار ينصب على بابها الطوارق دائما ـ كما كانت عادة دور الأمراء فى الزمن القديم . فلما تغيرت الرسوم وبطل ذلك قلعت الطوارق من جانبى الباب وأعلى أسكفته ، وباب هذه الدار تجاه الكافورى ، وعرفت بالأمير سيف الدين بكتمر الحاجب صاحب الدار خارج باب النصر والمدرسة بجواره ، ثم حل وقفها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ، وبيعت كما بيع غيرها من الأوقاف وهناك ترى ترجمته .

(**دار تنكز**) هذه الدار بخط الكافورى . كانت للأمير أيبك البغدادى ، وهى من أجل دور القاهرة وأعظمها . أنشأها الأمير تنكز نائب الشام ، وأظنه اوقفها فى جملة ما أوقف ، وكان بها ولده وسكنها قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة فأنفق فى زخرفتها على ما أشيع سبعة عشر ألف درهم . عنها يومئذ ما ينيف عن سبعمائة دينار مصرية ، ولم تزل هذه الدار وقفا الى أن يبعت على أنها ملك فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة بدون ألف دينار لزين الدين عبد الباسط بن خليل فجدد بناءها ، وبنى تجاهها جامعة .

(**تنكز الأشرفى**) سيف الدين أبو سعيد خليل جلبه إلى مصر وهو صغير الخواجا علاء الدين السوسى فنشأ بها عند الملك الأشرف خليل بن قلاوون فلما ملك السلطان الناصر

محمد بن قلاوون أمره عشرة قبل توجهه إلى الكرك، وسافر معه إلى الكرك وترسل عنه منها إلى الأفرم. فاتهمه أن معه كتبا إلى الأمراء بالشام، وعرض عليه العقوبة فأرجف منه وعاد إلى الناصر. فقال له: ان عدت إلى الملك فأنت نائب دمشق. فلما عاد إلي الملك جهزه إلى دمشق فوصلها في العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة فباشر النيابة وتمكن فيها، وسار بالعساكر إلى ملطية، وافتتحها فى محرم سنة خمس عشرة، وعظم شأنه وأمن الرعايا حتى لم يكن أحد من الأمراء يظلم ذميا. فضلا عن ملسم خوفا من بطشة وشدة عقوبته، وكان السلطان لا يفعل شيئا بمصر إلا ويشاوره فيه وهو بالشام، وقدم غير مرة على السلطان فأكرمه وأجله. بحيث أنه أنعم عليه فى قدومه إلى مصر سنة ثلاث وثلاثين بما مبلغه ألف ألف درهم وخمسون ألف درهم. عنها خمسون ألف دينار وتيف سوى الخيل، وزادات أملاكه وسعادته وأنشأ جامعا بدمشق بديع الوصف بهيج الزى، وعدة مواضع وكان الناس فى أيامه قد أمنوا كل سوء. إلا أنه كان يتخيل خيالا فيحتد خلقه ويشتد غضبه فهلك بذلك كثير من الناس، ولا يقدر أحد أن يوضح له الصواب لشدة هيبته، وكان إذا غضب لا يرضى ألبته بوجه، وإذا بطش كان بطشه بطش الجبارين، ويكون الذنب صغيرا فلا يزال يكبره حتى يخرج فى عقوبة فاعلة عن الحد، ولم يزل إلى أن أشيع بدمشق أنه يريد العبور إلى بلاد الططر. فبلغ ذلك السلطان فتنكر له وجهز إليه من قبض عليه من ثالث عشرى بذى الحجة سنة اربعين، وأحيط بماله وقدم الأمير بشتاك إلى دمشق لقبضه، وخرج إلى مصر ومعه من مال تنكز، وهو من الذهب العين ثلاثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار، ومن الدراهم ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، ومن الجوهر واللؤلؤ والزركش والقماش ثمانمائة حمل، ثم استخرج بعد ذلك من بقايا أمواله اربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم، فلما وصل تنكز إلى قلعة الجبل جهز إلى الإسكندرية، واعتقل فيها نحو الشهر، وقتل فى محبسه ودفن بها فى يوم الثلاثاء حادى عشرى المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ومن الغريب أنه امسك يوم الثلاثاء ودخل مصر يوم الثلاثاء ودخل الإسكندرية يوم الثلاثاء وقتل يوم الثلاثاء، ثم نقل إلى دمشق فدفن بتربته جوار جامعه ليلة الخامس من رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة بعد ثلاث سنين ونصف بشفاعة ابنته.

(**دار أمير مسعود**) هذه الدار باخر خط الكافورى عرفت بالأمير بدر الدين مسعود بن خطير الرومى أحد الأمراء بمصر أخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى ذى الحجة سنة

أربعين وسبعمائة إلى نيابة غزة، ثم نقل منها إلى إمرة دمشق وولى نيابة طرابلس، ثم أعيد إلى دمشق، وأصله من أتباع الأمير تنكز، فشكره عند الملك الناصر وقدمه حتى صار أميرا حاجبا. فلما قتل تنكز أخرجه لنيابة غزة وتنقل فى نيابة طرابلس ثلاث مرات الى أن استعفى من النيابة فأنعم عليه بإمره فى دمشق وعلي ولديه بامرة طبلخاناه، ومازال مقيما بها حتى مات فى سابع شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة بدمشق، ومولده بها ليلة السبت سابع جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

(**دار نائب الكرك**) هذه الدار فيما بين خط الخرشتف وخط باب سر المارستان المنصورى، وهى من جملة أرض الميدان عرفت بالأمير أقوش الأشرفى المعروف بنائب الكرك صاحب الجامع.

(**أقوش الأشرفي**) جمال الدين ولاه الملك الناصر محمد بن قلاون نيابة دمشق بعد مجيئه من الكرك، وعزله تنكز بعد قليل واعتقله إلى شهر رجب سنة خمس عشرة وسبعمائة، ثم أفرج عنه وجعله رأس الميمنة وصار يقوم له إذا قدم مميزا عن غيره من الأمراء. وكان لا يلبس مصقولا، ويمشى من داره هذه إلى الحمام، وهو حامل المئزر والطاسة وحده. فيدخل الحمام ويخرج عريانا فاتفق مرة أن رجلا رآه فعرفه وأخذ الحجر وحك رجله وغسله وهو لا يكلمه كلمة واحدة. فلما خرج وصار إلى داره طلب الرجل وضربه وقال له: أنا مالى مملوك. ما عندى غلام. مالى طاسة حتى تتجرأ على أنت، وكان يتوجه إلى معبد له فى الجبل الأحمر وينفرد فيه وحده إليومين والثلاثة، ويدخل منه إلى القاهرة وهو ماش وذيله على كتفه حتى يصل إلى داره، وباشر نظر المارستان المنصورى مباشرة جيدة، ثم أخرجه السلطان إلى نيابة طرابلس فى أول سنة أربع وثلاثين وسبعمائة فأقام بها، ثم طلب الإقالة فأعفى وقبض عليه واعتقل بقلعة دمشق، ثم نقل منها إلى صفد فحبس بها فى برج ثم اخرج منها إلى الإسكندرية فمات بها معتقلا فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة، وكان عسوفا جبارا فى بطشة مات عدة من الناس تحت الضرب قدامه، وكان كريما سمحا إلى الغاية، وعرف بنائب الكرك لأنه أقام فى نيابتها من سنة تسعين وستمائة إلى تسع وسبعمائة.

(دار ابن صغير) هذه الدار من جملة الميدان وهى إليوم من خط باب سر المارستان المنصورى أنشأها علاء الدين على بن نجم الدين عبد الواحد بن شرف الدين محمد بن صغير رئيس الأطباء ومات بحلب عندما توجه إليها فى خدمة الملك الظاهر برقوق فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بها ثم نقلته ابنته إلى القاهرة ودفنته بظاهرها .

(دار بيبرس الحاجب) هذه الدار بخط حارة العدوية وهى الآن من خط باب سر المارستان عرفت بالأمير بيبرس الحاجب صاحب غيط الحاجب فيما بين جسر بركة الرطلى والجرف .

(بيبرس الحاجب) الأمير ركن الدين ترقى فى الخدم إلى أن صار أميرا خور فلما حضر الملك الناصر من الكرك عزله بالأمير أيدغمش وعمله حاجبا وناب فى الغيبة عن الأمير تنكز بدمشق لما حج ، ثم تجرد إلى إليمن وعاد فتنكر عليه السلطان وحبسه فى ذى القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمائة وأفرج عنه فى رجب سنة خمس وثلاثين ، وجهزه من الإسكندرية إلى حلب ، فصار بها أميرا من أمرائها ثم تنقل منها إلى امرة دمشق بعد عزل تنكز فلم يزل بها إلى أن توجه ألفخرى وطشتمر إلى مصر فأقره على نيابة الغيبة بدمشق وكان قد اسن ومات فى شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وأدركنا له حفيدا يعرف بعلاء الدين أمير على بن شهاب الدين أحمد بن بيبرس الحاجب قرأ القراءات السبع على والده ، وكان حسن الأداء للقراءة ، مشهور بالعلاج بمائة وعشرة أرطال . مات وهو ساح فى سابع ربيع الآخر سنة إحدى وثمانمائة .

(دار عباس) هذه الدار كانت فى درب شمس الدولة . عرفت بالوزير عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس اصله من المغرب ، وترقى فى الخدم حتى ولى الغربية ، ولقب بالأمير ركن الإسلام وكانت أمه تحت الأمير المظفر على بن السلار وإلى البحيراء والإسكندرية فلما رحل على بن السلار إلى القاهرة وإزال الوزير نجم الدين سليمان بن مصال من الوزارة ، واستقر مكانه فى وزارة الخليفة الظافر بأمر الله وتلقب بالعادل قدمه لمحاربة بن مصال ، فلم ينل غرضا فخرج إليه عباس حتى ظفر به ، وولى ناصر الدين نصير بن عباس ولاية مصر بشفاعة جدته أم عباس . فاختص به الخليفة الظافر واشتغل بع عمن سواه ، وكان جريا

مقداما فخرج إليه أبو عباس بالعسكر لحفظ عسقلان من الفرنج ومعه من الأمراء ملهم والضرغام وأسامة بن منقذ، وكان أسامة خصيصا بعباس، فلما نزلوا بلبيس تذاكر عباس وأسامة مصر وطيبها وما هم خارجون إليه من مقاساة الغربة ولقاء العدو فتأوه عباس أسفا على مفارقة لذاته بمصر وأخذ يثرب على العادل بن السلار. فقال له أسامة لو أردت كنت أنت سلطان مصر. فقال كيف لى بذلك؟ قال هذا ولدك ناصر الدين بينه وبين الخليفة مودة عظيمة فخاطبه على لسانه أن تكون سلطان مصر موضع زوج أمك. فانه يحبك ويكرهه فإذا أجابك فاقتله وصر فى منزلته فأعجب ذلك وجهز ابنه لتقرير ما أشار به أسامة فسار إلى القاهرة ودخلها على حين غفلة من العادل، واجتمع بالخليفة وفاوضه فيما تقرر فأجابه إليه ونزل إلى دار جدته، وكان من قتله للعادل على بن سلار ما كان فماج الناس وسرح الطائر من القصر إلى عباس وهو علي بلبيس فى الانتظار فقام من فوره ودخل القاهرة سحر يوم الأحد ثانى عشر المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فوجد عدة من الأتراك قد نفروا وخرجوا يدا واحدة إلى الشام فصار إلى القصر وخلع عليه خلع الوزارة. فباشر الأمور وضبط الأحوال وأكرم الأمراء وأحسن إلى الأجناد، وازدادت مخالطة ولده للخليفة فخاف أن يقتله كما قتل ابن السلار فمازال به حتى قتل الخليفة الظافر كما تقدم ذكره وصار إلى القصر على العادة فلما جلس فى مقطع الوزارة سأل الاجتماع على الخليفة فدخل الزمام إلى دور الحرم فلم يجد الخليفة فلما عاد إليه أحضر أخوى الظافر واتهمها بقتله وقتلهما قدامه، واستدعى بولد الظافر عيسى، ولقبه بالفائز بنصر الله، وكثرت النياحة على الظافر وبحث أهل القصر على كيفية قتله، فكتبوا إلى طلائع بن رزيك وهو وإلى الأشمونين يستدعونه. فحشد وسار فاضطرب عباس وكثرت مناكدة أهل القاهرة له حتى أنه مر يوما فرمى من طاقة تشرف على شارع بقدر مملوء طعاما حارا فعول على ألفرار، وخرج ومعه ابنه واسامه ابن منقذ وجميع مالهم من أتباع ومال وسلاح ودخل طلائع إلى القاهرة واستقر فى وزارة الخليفة ألفائز فسير أهل القصر إلى ألفرنج البريد بطلب عباس فخرجوا إليه، وكانت بينهم وبينه وقعة فر فيها أسامة فى جماعة إلى الشام فظفر به الفرنج وقتلوه وأخذوا ابنه فى قفص من حديد وجهزوه إلى القاهرة، وذلك فى شهر ربيع الاول سنة تسع

واربعين وخمسمائة. فلما وصل ابنه إلى القصر قتل وصلب على باب زويلة وأحرق بعد ذلك، ثم عرفت هذه الدار بعد ذلك بدار تقى الدين صاحب حماه، ثم خربت وحكر مكانها، فصار يعرف بحكر صاحب حماه، وبنى فيه عدة دور وموضعها الآن بداخل درب شمس الدولة بالقرب من حمام عباس التى تعرف إليوم بحمام الكويك.

(دار ابن فضل الله) هذه الدار فيما بين حارة زويلة والبندقانيين. كان موضعها من جملة اصطبل الجميزة. عرفت بابن فضل الله. وبنو فضل الله جماعة أولهم بمصر.

(**شرف الدين**) عبد الوهاب بن الصاحب جمال الدين أبى المائر فضل الله ابن الأمير عز الدين الحلى بن دعجان العمرى، ولى كتابة السر للملك الناصر محمد بن قلاوون ثم صرف عنها، وولاه كتابة السر بدمشق، فلم يزل بها حتى مات فى ثالث شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة، وقد عمر وبلغ أربعا وتسعين سنة، وخلف أمولا جمة ورثاه الشهاب محمود وقد ولى بعده وارثاه علاء الدين علي بن غانم والجمال بن نباتة، وكان فاضلا بارعا أديبا عاقلا وقورا ناهضا ثقة أمينا مشكورا مليح الخط جيد الإنشاء حدث عن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وغيره.

ومنهم (**يحيي الدين**) يحيى بن الصاحب جمال الدين أبى المائر فضل الله بن مجلى بن دعجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله بن على بن محمد بن أبى بكر عبد الله عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى العمرى، ولى كتابة السر بالديار المصرية عن الملك الناصر. نقل إليها من كتابة سر دمشق لما مرض علاء الدين باستدعائه إلى مصر وأقيم بدله فى كتابة سر دمشق شرف الدين أبو بكر ابن الشهاب محمود، وكان استقراره فى محرم سنة ثلاثين وسبعمائة. فباشرها إلى ثانى عشر شعبان سنة اثنتين وثلاثين، ونقل منها إلى كتابة السر بدمشق، وطلب شرف الدين ابن الشهاب محمود فاستقر فى كتابه السر بمصر إلى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث، وطلب محيى الدين من دمشق هو وابنه شهاب الدين أحمد فوصلا، إلى القاهرة غزة جمادى الأولى وخلع عليهما، ورسم لهما بكتابة السر، ونقل ابن الشهاب محمود إلى كتابة السر بدمشق. فلم يزل محيى الدين يباشر كتابه السر هو وابنه الى

أن كان من تنكر السلطان لولده شهاب الدين ما كان ، وذلك أنه كان استعفى من الوظيفة لثقل سمعه وكبر سنه فأذن له أن يقيم ابنه القاضى شهاب الدين يباشر عنه فصار الاسم لمحيى الدين والمباشر شهاب الدين إلى أن حضر الأمير تنكز نائب الشام إلى القلعة وسأل السلطان فى علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد ابن مفضل المعروف بابن القطب أن يوليه كتابه السر بدمشق ، وكان السلطان لا يمنع تنكز شيئاً يسأله فخلع عليه وأقره فى ذلك عوضا عن جمال الدين عبد الله ابن الأثير فأخذ شهاب الدين ينقصه عند السلطان بأنه نصرانى الأصل ، وليس من أهل صناعة الإنشاء ونحو ذلك والسلطان مغض عنه غير ملتفت إلى ما يرمى به رعاية لتنكز ، فلما كتب توقيع ابن القطب أراد تكثير الألقاب والزيادة له فى المعلوم ، فامتنع شهاب الدين من كتابه ذلك ، وكان حاد المزاج قوى النفس شرس الأخلاق . ففاجأ السلطان بغلظه ومخاشنة فى القول ، وكان من كلامه : كيف تعمل قبطيا أسلميا كاتب السر وتزيد فى معلومه ، وبالغ فى الجراءة حتى قال ما يفلح من يخدمك وخدمتك على حرام ، ونهض قائما لشدة حنقه ، وكان هذا منه بحضرة الأمراء فغضبوا لذلك ، وهموا بضرب عنقه فأغضى السلطان عنه ، وبلغ محيى الدين ما كان من ابنه . فبادر إلى السلطان وقبل الأرض واعترف بخطأ ابنه عن تأخره بثقل سمعه . فرسم له أن يكون ابنه علاء الدين على يدخل ويقرأ البريد . فاعتذر بانه صغير لا يقوم بالوظيفة فقال السلطان أنا أربيه مثل ما أعرف فصار يخلف أباه كما كان شهاب الدين ، وانقطع شهاب الدين فى منزله مدة سنتين إلى أن مات أبوه محيى الدين فى يوم الأربعاء تاسع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة عن ثلاث وتسعين وهو متمتع بحواسه . فدفن ظاهر القاهرة ثم نقل إلى تربتهم من سفح قاسيون بدمشق وكان صدرامعظما رزينا كامل السؤدد ، حركا كاتبا بارعا دبر لأقاليم بكفايته وحسن سياسته ، ووفور عقله وأمانته وشدة تحرزه ، وله النظم والنثر البديع الرايق فمن شعره .

تضاحكنى ليلي فأحسب ثغرها

سنا البرق لكن أين منه البرق

وأخفت نجوم الصبح حين تبسمت

فقمت بفرعها أشد على الشرق

وقلت سواء جنح ليل وشعرها

ولم أدر أن الصبح من جهة الفرق

(**علاء الدين**) على بن يحيى بن فضل الله العمرى استقل بوظيفة كتابه السر قبل موت ابيه محيي الدين، وخلع عليه يوم الإثنين رابع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، وله من العمر أربع وعشرون سنة. فخرج وفى خدمته الحاجب والدوادار، وتقدم أمر السلطان للموقعين بامتثال ما يأمرهم به عن السلطان. فشق ذلك على أخيه شهاب الدين وحسده، وربما قيل إنه سمه فكان يعتريه دم منه إلى أن مات ثم انه كتب قصة يسأل فيها السفر إلى الشام وشكا كثرة الكلفة، وكان قبل ذلك جرى ذكره في مجلس السلطان فذمه وتهدده، فعندما قرئت عليه قصته تحرك ما كان ساكنا من غضبه ورسم بإيقاع الحوطة عليه فحمل من داره إلى قاعة الصاحب من قلعة الجبل في رابع عشرى شعبان سنة تسع وثلاثين، وخرج إليه الأمير طاجار الدوادار وأمر به فعرى من ثيابه ليضرب بالمقارع فرفق به ولم يضربه واستكتبه خطه بحمل عشرة آلاف فأحيط بداره وأخرج سائر ما وجد له وبيع عليه، وأرسل مملوكه إلى بلاد الشام فباع كل ما له فيها واقترض خمسين ألف درهم حتي حمل من ذلك كله مائة وأربعين ألف درهم عنها سبعة آلاف دينار فسكن أمره وخف الطلب عنه، وأقام إلى ثالث عشر ربيع الآخر سنة أربعين مدة سبعة أشهر وثمانية عشر يوما ففرج الله عنه بأمر عجيب. وهو انه لما كان يباشر عن أبيه وقع شخص من الكتاب بشيء زور. فرسم السلطان بقطع يده، فلم يزل شهاب الدين يتلطف فى أمره حتى عفا السلطان عنه من قطع يده وأمر به فسجن طول هذه السنين إلى أن قدر الله سبحانه أنه رفع قصة يسأل فيها العفو، فلما قرئت على السلطان لم يعرفه. فسأل عن خبره وشأنه فقيل له: لا يعرف خبر هذا إلا شهاب الدين بن فضل الله. فبعث إليه بقاعة الصاحب يستخبره عنه فطالعه بقصته وما كان منه فألان الله له قلب السلطان ورسم بالإفراج عن الرجل وعن شهاب الدين وعن مملوكه، ففرج الله عن الثلاثة ونزل شيهاب الدين إلى داره وأقام إلى أن قبض السلطان على الأمير

تنكز نائب الشام . فاستدعي شيهاب الدين إلى حضرته وحلفه وولاه كتابة السر بدمشق عوضا عن شرف الدين خالد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد بن نصر المخزومي المعروف بابن القيسراني . فباشرها حتى مات بدمشق ، وانفرد أخوه علاء الدين بكتابة السر إلى أن مات ليلة الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بمنزله من القاهرة عن سبع وخمسين سنة وترك ستة بنين وأربع بنات .

(**بدر الدين**) محمد بن على بن يحيى بن فضل الله ولاه الملك الأشرف شعبان بن حسين كتابه السر وأبوه فى مرض موته يوم الخميس ثامن عشرى شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة وله من العمر تسع عشرة سنة ، وجعل أخاه عز الدين حمزة نائبا فباشر إلى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، فصرف بأوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن يس ، ولزم داره فلم يره أحد ألبتة إلى أن مات أوحد الدين فنزل إليه الأمير يونس الدوادار واستدعاه . فركب ثياب جلوسه من غير خف ولا فرجية ولاشاش ، وصعد إلى القلعة . فخلع عليه فى إليوم الرابع من ذى الحجة سنة ست وثمانين . فلما ثار الأمير يلبغا الناصرى على الملك الظاهر وخلعه من الملك وأقام الملك الصالح حاجى بن الأشرف شعبان بن حسين ، ولقبه بالملك المنصور ، ثم خرج الملك الظاهر برقوق من محبسه بالكرك وسار إلى محاربة الأمير تمربغا منطاش ومعه المنصور حاجى . فخرج ابن فضل الله فلما انهزم منطاش على شقجب واستولى برقوق على المنصور والخليفة والقضاة والخزائن ، وكان ابن فضل الله واخوه عز الدين فى من فر مع منطاش إلى دمشق فأقام بها ، واستولى برقوق على تخت الملك بقلعة الجبل ، فولى علاء الدين على بن عيسى الكركى كتابة السر ، وأخذ ابن فضل الله يتحيل فى الخروج من دمشق ، وسير إلى السلطان مطالعة فيها من شعره .

يقبل الارض عبد بعد خدمتكم

قد مسه ضرر ما مثله ضرر

حصر وحبس وترسيم أقام به

وفرقة الأهل والأولاد والفكر

لكنــــه والورى مستبشرون بكم

يرجو بكم فرجا يأتى وينتظر

والشغل يقضى لأن الناس قد ندموا

إذ عاينوا الجور من منطاش ينتشر

جوزوا كمافرطوا فى حقكم ورأوا

ظلما عظيما به الأكباد تنقطر

والله ينصركم طول المــــدى أبدا

يا من زمانهم من دهرنا غرر

قدم إلى القاهرة ومعه أخوه عز الدين حمزة وجمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش وتاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر وشمس الدين محمد بن الصاحب، فمازال فى داره إلى أن سافر الملك الظاهر إلى بلاد الشام فى سنة ثلاث وتسعين. فتقدم أمره إليه بالمسير مع العسكر فسار بطالا، وقدر الله تعالى ضعف علاء الدين الكركى. فولاه كتابة السر وصرف الكركى فى شوال، وكانت هذه ولاية ثالثة فباشر وتمكن هذه المرة من سلطانه تمكنا زائدا الى أن سافر السلطان إلى البلاد الشامية فى سنة ست وتسعين. فمات بدمشق يوم الثلاثاء لعشرين من شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة ودفن بتربتهم بسفح قاسيون ومات أخوه حمزة بدمشق أيضا في أوائل المحرم سنة تسع وتسعين وسبعمائة ودفن بها، وانقطع بموتهما هذا البيت. فلم يبق من بعدهما إلا كما قال الله سبحانه: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فوق يلقون غيا**﴾(*).

ومن شعر البدر محمد بن فضل الله ما كتبه عنوانا لكتاب الملك الظاهر برقوق جوابا عن كتاب تمرلنك الوارد إلى مصر فى سنة ست وتسعين وسبعمائة وعنوانه.

(*) سورة مريم - آية ٥٩ - ك ١٩.

سلام وإهداء السلام من البعد

دليل على حفظ المودة والعهد

فافتتح البدر العنوان بقوله :

طويل حياة المرء كاليوم فى العد

فخبرته أن لا يزيد على العد

فلابد من نقص لكل زيادة

لأن شديد البطش يقتص للعبد

وكتب فيه من شعره أيضا جوابا عن كثرة تهديد تمرلنك وافتخاره

السيف والرمح والنشاب قد علمت

منا الحروب فسل منها تلبيكا

إذا التقينا تجد هذا مشاهدة

فى الحرب فأثبت فأمر الله آتيكا

بخدمة الحرمين الله شرفنا

فضلا وملكنا الامصار تمليكا

وبالجميل وحلو النصر عودنا

خذ التواريخ واقرأها فتنبيكا

والأنبياء لنا الركن الشديد وكم

بجاههم من عدو راح مفكوكا

ومن يكن ربه الفتاح ناصره

ممن يخاف وهذا القول يكفيكا

(وقـــــال) :

إذا المرء لم يعرف قبيح خطيئة
ولا الذنـب منه مع عظيم بليته
فذلك عين الجهل منه مع الخطا
وســـوف يرى عقباه عند منيته
وليس يجازى المرء إلا بفعـله
وما يرجـــع الصـياد إلا بنيته

وهذه الدار كانت موجودة قبل بنى فضل الله، وتعرف بدار بيبرس فعمر فيها محيى الدين وابنه علاء الدين وكانت من أبهج دور القاهرة وأعظمها ومازالت بيد أولاد بدر الدين وأخيه عز الدين حمزة إلى أن تغلب الأمير جمال الدين على أموال الخلق : فأخذ ابن أخيه الأمير شهاب الدين أحمد الحاجب المعروف بسيدى أحمد ابن أخت جمال الدين دار بنى فضل الله منهم . كما أخذ خاله دور الناس وأوقافهم، وعوض أولاد ابن فضل الله عنها، وغير كثيرا من معالمها، وشرع فى الازدياد من العمارة اقتداء بخاله . فأخذ دورا كانت بجوار مستوقد حمام ابن عبود المقابلة لدار ابن فضل الله، واغتصب لها الرخام والأحجار والأخشاب، وهدم عدة دور وكثيرا من الترب بالقرافة منها تربة الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكانت عجيبة البناء، وادخل ذلك فى عمارة المذكورة، ووسع فيها من جهة البندقانيين ما كان خرابا منذ الحريق الذى تقدم ذكره، وأنشأ من هناك حوض ماء يشرب منه الدواب، فلما قارب إكمالها قبض الملك الناصر فرج على خاله جمال الدين يوسف استادار وقتله، وكان أحمد هذا ممن قبض عليه معه، فوضع تغرى بردى، وهو يومئذ أجل أمراء الناصر يده على هذه الدار وما رضي بأخذها حتى كتابها . فإذا به قد تضمن أن أحمد قد وقف هذه الدار، فلم يزل بقضاة العصر حتى حكموا له بهذه الدار وجعلوها له بطريق من طرقهم . فأقام فيها حتى أخرجه الناصر لنيابة دمشق فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة . فنزل بها الأمير دمرداش . فلما قتل الناصر وقام من بعده الملك المويد شيخ، وقبض على الأمير دمرداش ثارت ابنة جمال الدين، وهى امرأة أحمد المذكور، ولها منه أولاد وأرادت استرجاع الدار كما فعلت فى مدرسة أبيها، وكان لها ولورثة تغرى بردى مخاصمات

واستقرت لبنى تغرى بردى .

(**داربيبرس**) هذه الدار فيما بين دار ابن فضل الله والسبع قاعات فى ظهر حارة زويلة، وقريبة من سويقة المسعودى . تشبه أن تكون من جملة اصطبل الجميزة . كانت دار الشريف بن تغلب صاحب المدرسة الشريفية برأس حارة الجودرية، ثم عرفت بالأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير . فإنه كان يسكنها وهو أمير قبل أن يلى السلطنة، وجدد رخامها من الرخام الذى دل عليه الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين بكتاش ألفخرى أمير سلاح بالقصر الذى عرف بقصر أمير سلام من جملة قصر الخلفاء كما سيأتى خبر ذلك عند ذكر الخانقاة الركنية بيبرس . فإن بيبرس هذا هو الذى أنشأها، ولم تزل إلى أن هدمها ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى كاتب السربعد ما اشتراها نقضا كما اشترى غيرها من الأوقاف . وذلك فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .

(**السبع قاعات**) هذه الدار عرفت بالسبع قاعات، وهى يتوصل إليها من جوار دار بيبرس المذكورة ومن سويقة الصاحب . وقد صارت عدة مساكن جليلة ومكانها من جملة اصطبل الجميزة . أنشأها الوزير الصاحب علم الدين بن زنبور ووقفها من جملة ما وقف فلما قبض عليه الأمير صرغتمش حل أوقافه، ووعد بالسبع قاعات خوند قطلوبنك ابنة الأمير تنكز الحسامى نائب الشام أم السلطان الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون ولقنه الشريفان شرف الدين على بن حسين بن محمد نقيب الأشراف وأبو العباس الصفراو ان الناصر لما قبض على كريم الدين الكبير بعث إلى كريم الدين من شهد عليه أن جميع ما صار بيده من الأملاك وقفها وطلقها إنما هو من مال السلطان دون ماله، وشهد بذلك عند قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فأثبت بهذه الشهادة أن أملاك كريم الدين جارية فى أملاك السلطان فأقر السلطان ما وقفه كريم الدين منها على حالة وسماه الوقف الناصرى . فلما جلس السلطان الملك الصالح بدار العدل، وحضر قاضى القضاة والأمراء وغيرهم من أهل الدولة على العادة تكلم الأمير صرغتمش مع قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن جماعة فى حل أوقاف ابن زنبور . فإنها ملك السلطان ومن ماله اشتراها، وذكر قضية كريم الدين فأجابه بان تلك القضية كانت صحتها مشهورة، وذلك أن خزائن

السلطان وحواصله وأمواله كلها كانت بيد كريم الدين وفى داره يتصرف فيها على ما يختاره جعل له السلطان بتوكيله والإذن له فى التصرف. بخلاف ابن زنبور فإنه كان يتصرف فى ماله الذي اكتسبه من المتجر وغيره فمما وقفه وثبت وقفه، وحكم قضاة الإسلام بصحته لا سبيل إلى حله، وساعده فى ذلك القاضى موفق الدين عبد الله الحنبلي، وتردد الكلام بينهما فى ذلك. فاحتج عليهما الأمير صرغتمش بالقناه الشريفان من مشاطرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عماله وأخذه من كل عامل نصف ماله، وأن مال الوزير جميعه من مال السلطان. فقال له ابن جماعة: يا أمير إن كنت تبحث معنا فى هذه المسألة بحثنا معك، وإن كان أحد قد ذكرها لك فليحضر حتى نبحث معه فيها، فإن الذى ذكر لك هذه المسألة إنما قصد أن تصادر الناس وتأخذ أموالهم فوافقه رفقته الثلاثة قضاة على قوله، وأراد ابن جماعة بقوله هذا التعريض بالشريفين وكان اختصاصهما بالأمير صرغتمش وقيامهما على ابن زنبور مشهورا فشق هذا الأمير صرغتمش، وانفض المجلس، وقد اشتد حنقه لما رد عليه من كلامه، وعورض فيه من مراده، فبعثت خوند أم السلطان إلى ابن جماعة تعرفه ما وعدت به من مصير السبع قاعات إليها، وأكدت عليه فى أن لا يعارضها فى حل أوقاف ابن زنبور فأجابها بتقبيح هذا، وخوفها سوء عاقبته فكفت عنه، ولقوة غيظ الأمير صرغتمش مرض مرضا شديدا من انفتاح صدره ونفثه الدم، حتى خيف عليه الموت، ثم عوفى بعد ذلك بأيام، وذلك كله فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة، واستمرت السبع قاعات وقفا بيد ذريةابن زنبور إلى يومنا هذا. إلا أن الأمير صرغتمش المذكور أخذ رخامها، ووجد فيها شيئا كثيرا من صينى ونحاس وقماش وغير ذلك قد أخفى فى زواياها.

(**علم الدين**) عبد الله بن تاج الدين أحمد ابن إبراهيم المعروف بابن زنبور أول ما باشره استيفاء الوجه القبلى شريك الوهب بن سنجر، وطلع صحبته الأمير علم الدين عبد الرازق كاشف الوجه القبلى ونهض فيه، فلما كانت مصادرة ابن الجيعان كاتب الاصطبل طلب السلطان الملك الناصر محمود وحكم الأمير إيدغمش فباشر استيفاء الصحبة. فلما قبض على حمال الكفاة ناظر الخاص وناظر الجيش وعلى الموفق ناظر الدولة وعلى الصفى ناظر البيوت المعروف بكاتب قوصون فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ومات حمال الكفاة فى العقوبة يوم الاحد سادس شهر ربيع الأول عين ابن زنبور لوظيفة نظر الخاص، ثم قرر فيها

القاضى موفق الدين هبة الله إبراهيم ناظر الدولة، وكان ابن زنبور وهو مستوفى الصحبة قد سيره حمال الكفاة قبل القبض عليه لكشف القلاع الشامية ومعه جارا كتمر الحاجب إبعادا له، وكان الأمير أرغون العلائى يعنى به. فلما قبض على حمال الكفاة تحدث له العلائى مع السلطان الملك الصالح إسماعيل بن نجم الدين محمود بن على المعروف بوزير بغداد مع السلطان فى ولاية الموفق نظر الخاص. فخلع عليه، وحضر ابن زنبور من الشام فباشر نظر الدولة علم والدين بن سهلوك وابن زنبور على ما هى عادته فى استيفاء الصحبة، ونهض فى المباشرة وحصل الأموال، ودخل هو والوزير نجم الدين وشكيا توقف الدولة من كثرة الإنعامات والإطلاقات للخدم والجوارى ومن يلوذبهم. فتقرر الحال مع الأمراء على كتابة أوراق بكلفة الدولة. فلما قرئت بمحضر من الأمراء بلغت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم والمتحصل خمسة عشر ألف درهم. فأبطل ما استجد بعد موت الملك الناصر بأسرة. فلم يستمر غير شهر واحد حتى عاد الأمر على ما كان عليه بحيث بلغ مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم بعد ما كانت فى أيام الناصر محمد ثلاثة عشر ألف درهم.

فلما مات الملك الصالح إسماعيل وأقيم فى الملك من بعده أخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد صرف الموفق عن نظر الخاص، ونقل ابن زنبور من استيفاء الصحبة إليها، واستقر فخر الدين السعيد فى استيفاء الصحبة، وذلك فى ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة فباشر ذلك، إلى أخريات رجب نيفا وثمانين يوما. فولى الملك الكامل نظر الخاص لفخر الدين ابن السعيد مستوفى الدولة، وأعاد ابن زنبور من نظر الخاص إلى استيفاء الدولة. فلما كان فى المحرم سنة سبع وأربعين أعيد نجم الدين وزير بغداد إلى الوزارة وقرر ابن زنبور فى نظر الدولة فاستمر الى ان قتل الكامل شعبان وأقيم فى الملك من بعده أخوه الملك المظفر حاجى فى مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين. فطلب ابن زنبور وأعيد إلى نظر الخاص وقبض على فخر الدين بن السعيد وطولب بالحمل، وأضيف إليه نظر الجيش فباشر ذلك إلى سنة إحدى وخمسين. فاضيف إليه الوزارة فى يوم الخميس سابع عشرى ذى القعدةوخلع عليه، وكان له يوم عظيم جد. فلما كان يوم السبت جلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة في دست الوزارة واستدعى جميع المباشرين وطلب المقدم ابن يوسف وشد وسطه على ما كان عليه، وطلب المعاملين وسفلهم على اللحم وغيره، واستكتب المباشرين أنه لم يكن فى بيت المال ولا الأهراء من الدراهم والغلال شىء البتة،

ودخل بها وقرأها على السلطان والأمراء، وشرع فى عرض أرباب الوظائف كلهم وطلب حساب الأقاليم بأسرها، وولى صهره فخر الدين ماجد فرويتة نظر البيوت وأنفق جامكية شهر وحمل الرواتب إلى الدور السلطانية، والأسمطة من السكر والزيت والقلوبات وغير ذلك وأقام بكتمر المومنى فى وظيفة شد الدواوين، وألزم نفسه فى المجلس السلطانى بحضرة الأمراء أنه يباشر الوزارة بغير معلوم، وقرر ابنه فى ديوان المماليك، والتزم أنه إلا يتناول معلوما. بل يوفر المعلومين للسلطان، وأبطل رمى الشعير والبرسيم من بلاد مصر، وكان يحصل برميها ضرر كبير فإن ذلك كان يحصل من سائر البلاد. فيعزم على كل إردب أكثر من ثمنه، والتزم بتكفية بيت المال من الشعير والبرسيم بغير ذلك فبطل على يديه وكتب به مرسوم، وكتب نقشا على حجر فى جانب باب القلة من قلعة الجبل وأمر بقياس أراضى الجيزة فجاء زيادتها عن الارتفاع الذى مضى ثلثمائة ألف درهم، وعنها خمسة عشر ألف دينار. فلم يزل إلى سابع عشرى شوال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فأحيط به وقبض عليه حسدا له على ما صار إليه ولم يجتمع لغيره فى الدولة التركية، وتولى القيام عليه الأمير طاز، ومازال يدأب فى ذلك إلى أن عاد السلطان الملك الصالح من دمشق. فى يوم الاثنين خامس عشرى شوال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة إلى قلعة الجبل، وعمل يوم الخميس سماطا مهما فى القلعة، ولما انفض السماط خلع على سائر أرباب الوظائف من الأمراء وعلى الوزير وسائر المباشرين. فاتفق لما قدره الله تعالى أنه حضر إلى الأمير صرغتمش وهو يومئذ رأس نوبة عشر تشريف غير تشريفه ودون رتبته. فأخذه ودخل إلى الأمير شيخو والقى البقجة قدامة وقال: انظر فعل الوزير معى وكشف الخلعة. فقال شيخو هذا غلط فقام وقد أخذه من الغضب شبه الجنون، وقال: هذا شغل الوزير وأنا أصبر على أن أهان لهذا الحد، ولابد لى من القبض عليه، ومهما شئت أنت افعل بى، وخرج فإذا الوزير داخل لشيخو وعليه خلعة فصاح فى مماليكه خذوه فكشفوا الخلعة عنه وسحبوه إلى بيت صرغتمش، وسرح مماليكه فى القبض على جميع حاشية الوزير. فقبض على سائر من يلوذ به لأنهم كانوا قد اجتمعوا بالقلعة وخالطت العامة المماليك فى القبض على الكتاب، واخذوا منهم فى ذلك اليوم شيئا كثيرا حتى أن بعض الغلمان صار إليه فى ذلك اليوم ستة عشر دواة من دوى الكتاب، فلم يكن منها

أربابها إلا بمال يأخذه على كل دواة ما بين عشرين إلى خمسين درهما، وأماما سلبوه من العمائم والثياب والمهاميز ألفضة فشيء كثير، وخرج الأمير قشتمر الحاجب وغيره فى جماعة إلى دوره التى بالصوصه من مصر فأوقعوا الحوطة على حريمه وأولاده، وختموا سائر بيوته وبيوت حواشيه، وكانوا قد اجتمعوا وتزينوا لقدوم رجالهم من السفر، وأنزل الوزير فى مكان مظلم من بيت صرغتمش. فلما أصبح طلب ولد الوزير وصار به صرغتمش إلى بيت أبيه وأحضر أمه ليعاقبه وهى تنظره حتى يدلوه على المال. ففتحوا له خزانة وجد فيها خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم فضة، وأخرج من بئر صندوق فيه ستة آلاف دينار وشىء من المصالح، وحضرت أحماله من السفر فوجد فيها ستة آلاف دينار ومائة وخمسون ألف درهم فضة، وغير ذلك من تحف وثياب وأصناف. وألزم وإلى مصر بإحضار بناته فنودى عليهم فى مصر والقاهرة، وهجمت عدة دور بسببهن ونال الناس من نكاية أعدائهم فى هذه الكائنة كل غرض. فإنه كان الرجل يتوجه إلى أحد من جهة صرغتمش ويرمى عدوه بأن عنده بعض حواشى ابن زنبور فيؤخذ بمجرد التهمة، ولقى الناس من ذلك بلاء عظيما، ثم حمل إلى داره وعرى ليضرب فدل على مكان استخرج منه نحو من خمسة وستين ألف دينار فضرب بعد ذلك وعريت زوجته وضرب ولده، فوجد له شىء كثير إلى الغاية. قال الصفدى خليل بن أيبك الملقب صلاح الدين فى كتاب أعيان العصر: واما ما أخذ منه فى المصادرة فى حال حياته فنقلت من خط الشيخ بدر الدين الحمصى فى ورقة بخطه على ما أملاه القاضى شمس الدين محمد البهنسى: أوانى ذهب وفضة ستون قنطارا. جوهر ستون رطلا. لؤلؤ إردبان ذهب مصكوك مائتا ألف وأربعة آلاف دينار ضمن صندوق ستة آلاف حياصة. ضمن صناديق زركش ستة آلاف كلوته. ذخائر عدة قماش بدنه ألفان وستمائة فرجية. بسط ثلاثة الاف صنجة. دراهم خمسون ألف درهم. شاشات ثلاثمائة شاش. دواب عاملة سبعة آلاف. حلابة ستة آلاف. خيل وبغال ألف دراهم ثلاثة أرادب معاصر سكر خمسة وعشرون معصرة. اقطاعات سبعمائة. كل إقطاع خمسة وعشرون ألف درهم. عبيد مائة. خدام ستون. جوارى سبعمائة. أملاك القيمة عنها ثلاثمائة ألف دينار. مراكب سبعمائة. رخام القيمة عنه مائتا ألف درهم. نخاس قيمته أربعة آلاف دينار. سروج وبدلات خمسمائة. مخازن ومتاجر أربعمائة ألف دينار.

نطوع سبعة آلاف. دواب خمسمائة. بساتين مائتان. سواقى ألف وأربعمائة. وكان فى وقت القبض عليه أشد الناس قياما فى إفساد صورته الشريف شرف الدين على بن الحسين نقيب الأشراف، والشريف أبو العباس الصفراوى، وبدر الدين ناظر الخاص، وأمين الدين والطواف واستادار الأمير صرغتمش. فأول مافتحوه من أبواب المكايد أن حسنوا لصرغتمش أن يأمره بالإشهاد عليه أن جميع ماله من الأملاك والبساتين والأراضى الوقف والطلق جميعها من مال السلطان دون ماله. فصير إليه ابن الصدر عمر وشهود الخزانة، فأشهد عليه بذلك، ثم كتبوا فتوى فى رجل يدعى الإسلام ويوجد فى بيته كنيسة وصلبان وشخوص من تصاوير النصارى ولحم الخنزير، وزوجته نصرانية وقد أرضى لها بالكفر، وكذلك بناته وجواريه، وأنه لا يصلى ولا يصوم ونحو ذلك، وبالغوا فى تحسين قتله حتى قالوا لصرغتمش: والله لو فتحت جزيرة قبرص ما كتب لك أجر من الله بقدر ما يؤجرك الله على ما فعلته مع هذا فأخرج فى باشا وزنجير وضرب فى رحبة قاعة الصاحب من القلعة بالمقارع، وتوالت عقوبته، وأسلم لشاد الدواوين ليعاقبه حتى يموت. فقام الأمير شيخو فى أمره فرده صرغتمش إلى داره وأكرمه، وأقام عنده إلى سابع عشرى المحرم سنة أربع وخمسين فأخرجه من داره إلى القلعة وابن زنبور يعاقب فغضب من ذلك، ووقف ومنع من ضربه وبلغ الخبر صرغتمش. فصعد إلى القلعة وجرى له مع شيخو عدة مفاوضات كادت تفضى إلى فتنة وآل الأمر فيها إلى تسفير ابن زنبور إلى قوص. فأخرج من ليتله، وكانت مدة شدته ثلاثة أشهر، وأقام بمدينة قوص إلى أن عرض له مرض أقام به أحد عشر يوما، ومات يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وله بالقاهرة السبيل الذى على يسره من دخل من باب زويلة بجوار خزانة شمائل، وقد دخل فى الجامع المؤيدى.

(**دار الدوادار**) هذه الدار فيما بين حارة زويلة واصطبل الجميزة. وهى اليوم من جملة خط السبع قاعات.

(**دار فتح الله**) هذه الدار اليوم بخط سويقة المسعودى. كان موضعها زقاقا يعرف بزقاق البنادة، وفيه باب قاعة أنشأها سعد الدين إبراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبى الفضائل الميمونى. أحد مباشرى ديوان الجيش، وهى قاعة فى غاية الملاحة من جودة وكثرة دهان وحسن ترتيب، ومات الميمونى فى ثانى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وسبعمائة. فسكنها

فتح الله بن معتصم، وهو يومئذ رئيس الأطباء. فلما ولى كتابة السر شره الى العمارة فأخذ ما فى الزقاق المذكور من الدور شيئا بعد شىء، وأخرج منها سكانها وهدمها، وابتنى قاعة تجاه قاعة الميمونى، وجعل فيها بئرا وفسقية ماء وبنى بها حماما، ثم أنشأ اصطبلا كبيرا لخيوله، ولم يقنع بذلك حتى حمل القضاة على الحكم له باستبدال دار الميمونى وكانت وقفا على اولاد الميمونى ومن بعدهم على الحرمين. فعمل له طرق فى جواز الاستبدال بها على ما صار القضاة يعتمدونه منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة، فلما تم حكم القضاة له بتملكها غير بابها وزاد فى سعتها وأضاف إليها عدة مواضع مما كان بجوارها، وغرس فى جانبها عدة أشجار، وزرع كثيرا من الأزهار التى حملت إليه من بلاد الشام، وبالغ فى تحسين رخام هذه الدار، وانشأ دهيشة كيسه إلى الغاية بوسطها فسقية ماء ينخرط إليها الماء من شاذروان عجيب الصنعة بهج الزى وتشرف هذه الدهيشة على هذه الجنينة التى أبدع فيها كل الإبداع، وركب علو هذه القاعة الأروقة العظيمة، وبنى بجوارها عدة مساكن لمماليكه ومسجدا معلقا كان يصلى فيه وراء إمام راتب قرره له بمعلوم جار. فجاءت هذه الدار من أجل دور القاهرة وأبهجها ووقف ذلك كله مع أشياء غيرها على تربته التى أنشأها خارج باب البرقية، وعلى عدة جهات من البر. فلما نكب أكره حتى رجع عن وقف هذه الدار على ما عينه فى كتاب وقفه وجعلها وقفا على أولاد السلطان الملك المؤيد شيخ. فلما مات عاد ذلك إلى وقف فتح الله.

(**فتح الله**) ابن معتصم بن نفيس الإسرائيلى الداودى العنانى التبريزى رئيس الأطباء وكاتب السر. ولد بتبرير فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان قد قدم جده نفيس إلى القاهرة فى سنة أربع وخمسين فأسلم وعظم بين الناس، ثم قدم فتح الله مع أبيه فنشأ بالقاهرة فى كفالة عمه، ونظر فى الطب، وعاشر ألفقهاء، واتصل ببعض الأمراء فعرف منه أحد مماليكه، وكان يسمى بشيخ. فلما تأمر شيخ قربه وأنحكه أمه وفوض اليه أمر ديوانه، ثم مات عمه بديع بن نفيس فأقره الملك الظاهر برقوق مكانه فى رياسة الأطباء. فباشرها مباشرة مشكورة، واختص بالملك الظاهر برقوق اختصاصا كبيرا. فلما مات بدر الدين محمود الكلسانى قلده وظيفة كتابه السر، وخلع عليه فى يوم الإثنين حادى عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة، ومات الظاهر وقد جعله أحد اوصيائه. فمازال إلى أوائل ربيع

الأول سنة ثمان وثمانمائة فقبض عليه، واستقر بدله فى كتابه السر سعد الدين إبراهيم بن غراب، وضرب حتى حمل مالا ثم أفرج عنه فلزم داره إلى شهر رمضان فحمل إلى دار الوزير فخر الدين ماجد بن غراب، وألزم بمال آخر فحمله وأطلق فقام الأمير جمال الدين يوسف الاستادار فى أمره، ومازال بالملك الناصر فرج إلى أن أعاده إلى كتابه السر فى أوائل ذى الحجة، فاستقر فيها وتمكن من أعدائه وأراه الله مصارعهم واتسعت أحواله وانفرد بسلطانه، وانيط به جل الأمور فأصبح عظيم المصير نافذ الأمر. قائما بتدبير الدولة. لا يجد أحد من عظماء الدولة وأبدى من حسن سفارته وأبدى للناس دينا وخيرا وتواضعا وحسن وساطة بين الناس وبين السلطان. فلما كان من أمر الناصر وهزيمته على اللجون ما كان وقع فتح الله مع الخليفة المستعين بالله العباسى ابن محمد المتوكل على الله وعدة من كتاب الدولة فى قبضة الأمير بن شيخ ونوروز ومازال عندهما حتى قتل الناصر وأقيم من بعده امير المؤمنين المستعين بالله. وهو على حاله من نفوذ الكلمة وتدبير الامور. فلما استبد الأمير شيخ بمملكة الديار المصرية، واعتقل الخليفة، وتلقب بالملك المؤيد شيخ فى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة أقر فتح الله على رتبته، ثم قبض عليه يوم الخميس تاسع شوال وعوقب غير مرة وأحيط بجميع أمواله وأسبابه وحواشيه وبيع عليه بعض ما وجد له وحمل ما تحصل منه فبلغ ما ينيف عن أربعين ألف دينار سوى ما اخذ مما لم يبع سنة ست عشرة وثمانمائة، وحمل من الغد إلى تربته فدفن بها، وكان رحمه الله من خير أهل زمانه رياضة وديانة وطيب مقال وتأله وتنسك ومحبة لسنة رسول الله ﷺ، وحسن قيام مع السلطان فى أمر الناس وبه كفى الله عن الناس من شر الناصر فرج شيئا كثيرا، وقد ذكرته بأبسط من هذا فى كتأبى درر العقود ألفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، وفى كتأبى خلاصة التبر فى أخبار كتاب السر.

(**دار ابن قرقة**) هذه الدار من الدور القديمة وهى بخط سويقة المسعودى إلى خط بين السورين، وقد تغيرت معالمها. قال ابن عبد الظاهر: دار ابن قرقة هى الآن سكن الأمير صارم الدين المسعودى وإلى القاهرة بأول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك إلى داخل الحارة، وهى معروفة اليوم وإلى جانبها الحمام المعروفة بابن قرقة أيضا، وهذه الدار والحمام انشأهما أبو سعيد بن قرقة الحكيم وباعهما فى حال مصادرته مما خرج

عليه، فابتاعهما منه علم السعداء، ثم سكنها الكامل بن شاووهما من جهة الخليج. انتهى، وهذه الدار والحمام قد هدمتا، وصار موضع الدار الجامع المعروف بجامع ابن المغربى برأس سويقة الصاحب وما يجاوره من دور ابن أبى شاكر، وآخر ما بقى منها شىء هدمه الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله تاج الدين موسى بن أبى شاكر فى رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

(وابن قرقة) هذا كان يتولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح، وكان ماهرا فى علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم الأوائل وقتله الخليفة الحافظ لدين الله من أجل أنه دبر السم لابنه حسن بن الحافظ عندما ثار الجند وطلبوا من الخليفة قتل ابنه حسن كما تقدم ذكره. فلما سكنت الدهماء قبض عليه الخليفة واعتقله بخزانة البنود وقتله فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

(دار خوند) هذه الدار من حقوق حارة زويلة عرفت بالست الجليلة خونداردوتكين ابنة نوغية السلاح دار الططرى. تزوج بها الملك الأشرف خليل بن قلاوون ومات عنها فتزوجها من بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون، وولدت منه ولدين ماتا، ثم طلقها ونزلت من القلعة فسكنت هذه الدار، وانشأت لها تربة بالقرافة تعرف الآن بتربة الست، وجعلت لها عدة أوقاف، وكانت من الخير على جانب عظيم. لها معروف وصدقات وإحسان عميم، وماتت ولها ما ينيف على الألف ما بين جارية وخادم اعتقتهم كلهم، وخلفت أموالا تخرج عن الحد فى الكثرة، وكانت وفاتها فى ليلة السبت ثالث عشرى المحرم سنة أربع وعشرين وسبعمائة، ودفنت بتربتها فتقدم أمر السلطان للأمراء والقضاة لشهود جنازتها، وحمل ما تركته من الأموال والجواهر وطلب أخوها جمال الدين خضر بن نوغية وصوح على إرثه منها بمائة وعشرين ألف درهم. عنها يومئذ سبعة آلاف دينار، ولم تزل هذه الدار إلى أن هدمت فأخذها الأمير صلاح الدين محمد أستادار السلطان ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وأدخلها فى داره التى أنشأها، فجاءت من أجل دور القاهرة.

(دار الذهب) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة. بناها الافضل أبو القاسم شاهنشاه ابن امير الجيوش بدر الجمالى، وكان فيما بين باب القنطرة وباب

الخوخة منظرة اللؤلؤ التى تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء ويجاورها من حيز باب الخوخة دار ألفلك. وبناها فلك الملك أحد الأستاذين الحاكمية، ويلاصقها دار الذهب هذه، ويجاور دار الذهب دار الشابورة، ودار الذهب عرفت اخيرا بدار الأمير بهادر الأعسر شاد الدواوين، ثم الآن عرفت بدار الأمير الوزير المشير الأستادار فخر الدين عبد ألفنى ابن الأمير الوزير المشير الاستادار فخر الدين عبد ألفنى ابن الأمير الوزير الاستادار تاج الدين عبد الرازق بن أبى ألفرج الأرمنى الأصل، وعنى بها، وهدم كثيرا من الدور التى كانت تجاهها على بر الخليج الشرقى، وأنشأ هناك دارا يتطرق إليها من هذه الدار بساباط، وأنشأ بجوارها جامعه الآتى ذكره وحمامه ثم هدم كثيرا من الدور التى كانت على الخليج وما وراءها بتلك الأحكار التى فى الجانب الغربى من الخليج، وغرس فى أراضى تلك الدور الأشجار وجعلها بستانا تجاه داره. فمات قبل أن تكمل وصار أكثر مواضع الدور التى خربها هناك كيمانا.

(**دارالحاجب**) خارج باب النصر تجاه مصلى الأموت. هذه الدار أنشأها الأمير سيف الدين كهرداش المنصورى أحد المماليك الرزاقين، وهو الذى فتح جزيرة أرواد فى المراكب المتوجهة إلى بلاد الفرنج، وتولى عمارة مئذنة المدرسة المنصورية لما تهدمت فى الزلزلة وتقدم، وكثرت أمواله، ومات بدمشق فى سنة أربع عشرة وسبعمائة. فاشترى هذه الدار الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب، ولم تزل بها ذريته من بعد الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر والأمير ناصر الدين محمد بن عبد الله، وبها الآن ولدا الأمير ناصر الدين وهما الأمير على وعبد الرحمن، وما برح هذا البيت فيه الإمرة والسعادة.

(**بكتمر الحاجب**) الأمير سيف الدين كان أميرا خور ثم ولى شد الدواوين بدمشق فى نيابة الأفرم، ولم يكن لأحد معه كلام فى عزل ولا ولاية، ثم ولى الحجوبية وتوجه إلى صفد كاشفا على الأمير ناهض الدين عمر بن أبى الخير والى الولاة وشاد الدواوين بها ومعه معين الدين بن حشيش. فحرر الكشف ورفعه حتى قال فيه زين الدين عمر بن حلاوات موقع صفد :

يا قاصدا صفدا فعد عن بلدة
من جور بكتمر الأمير خراب

لا شافع تغنى شـــفاعته ولا

جـان ممـــا جنـــاه متـاب

حشر وميزان ونشر صحائف

وجـرائد معروضة وحساب

وبها زبانية تحث على الورى

وسلاسل ومقامع وعقاب

ما فاتهم من كل ما وعدوا به

فى الحشر إلا راحم وهاب

ولما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك إلى دمشق ولاه الحجوبية، ودخل فى خدمته إلى مصر وهو حاجب، ثم أخرجه ثانيا نائبا إلى غزة فى سنة عشر وسبعمائة. فأقام بها قليلا رطلبه وولاه الوزارة بالديار المصرية عوضا عن الصاحب فخر الدين بن الخليلى فى رمضان سنة عشر. فباشر الوزارة إلى أن قبض عليه مستهل ربيع الأول سنة خمس عشرة واعتقل مدة سنة ونصف، وأخذ كثير من ماله ثم أفرج عنه وأخرج إلى صفقد نائبا فى سنة ست عشرة وأنعم عليه بمائة ألف درهم. عنها يومئذ خمسة آلاف دينار فأقام بها عشرة أشهر وطلب إلى مصر فصار من الأمراء المشهورة. فإذا تكلم السلطان فى المشورة لا يرد عليه غيره لما عنده من المعرفة والخبرة وتزوج بابنة الأمير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك وأولاده الذين ذكرنا منها، وسرق له مال كثير من خزانته بهذه الدار. ادعى أنه مبلغ مائة ألف درهم، وكان فى الباطن على ما قيل سبعمائة ألف درهم فما جسر يتفوه خوفا من السلطان، وكان إذ ذاك وإلى القاهرة الأمير سيف الدين قدادار المنسوب اليه القنطرة على الخليج. فتقدم أمر السلطان إليه بتتبع من سرق المال فدس إليه الأمير بكتمر الساقى والوزير مغلطاى الجمالى والقاضى فخر الدين ناظر الجيش فى السر أن يتهاون فى أمر السرقة نكاية لبكتمر، وأخذوا يحتجون لكل من اتهم ويقولون للسلطان: لعن الله ساعة هذه العملة. كل يوم يموت من الناس تحت المقارع عدة وإلى متى يقتل المتهم الذى لا ذنب له. فلما طال الأمر شكا بكتمر إلى السلطان فى دار العدل فأحضر الوالى وسبه السلطان.

فقال يا خوند : للصوص الذين أمسكتهم وعاقبتهم أقروا أن سيف الدين بخشى خزنداره اتفق معهم على أخذ المال وجماعة من إلزامه الذين فى بابه . فقال السلطان للجمالى الوزير أحضر هؤلاء المذكورين أعاقبهم فأخذ بخشى وعشره وكان عزيزا عند بكتمر . قد زوجه بابنته وهو يثق بعقله ودينه وأمانته فشق ذلك عليه واغتم غما شديدا مات منه فجأة فيما بين الظهر إلى العصر من يومه سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وكان خبيرا بالأمور بصيرا بالحوادث طويل الروح فى الكلام . لا يمل من تطويله ، ولو قعد فى الحكم الواحد بين الأمير واليهودى ثلاثة أيام ولا يلحقه من ذلك سآمة ألبتة مع معرفة تامة وخبرة بالسياسة لم ير مثله فى حق أصحابه لكثرة تذكرهم فى غيبهم والفكر فى مصالحهم ، وتفقد أحوالهم ومن جفاه منهم عتب عليه ، وكان سمحا بجاهه بخيلا بماله إلى الغاية ساقط الهمة فى ذلك ، وله متاجر وأملاك وسعادة لا تكاد تنحصر ، ومع ذلك فله قدور يكريها لصلاقى الفول والحمص وغير ذلك من العدد والآلات ، ويماحك على أجرها مماحكة يستحى من ذكرها ، وأنشأ عدة دور واقتنى كثيرا من البساتين وولى من بعده ابنه الأمير جمال الدين عبد الله الإمرة وكان حاجبا ، ولابيه فى سيره البخل والحرص الشديد تابعا ومقلدا ، وتولى إمره الحاج غير مرة ، وخرج فى سنة ست وثمانين وسبعمائة من القاهرة لولاية كشف الجسور بالغربية فورد عليه كتاب السلطان الظاهر برقوق بالإنكار ، وفيه تهديد مهول . فداخله الخوف ومرض فحمل فى محفه إلى القاهرة فدخلها يوم الأربعاء النصف من جمادى الأولى من تلك السنة فمات من يومه ، وأخذ إقطاعه الأمير يودى ، وصار ابنه ناصر الدين أحد الأمراء العشراوات سالكا طريق أبيه وجده فى الإمساك إلى أن مات خامس عشرى شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانمائة ، ودفن بتربتهم خارج باب النصر .

(**دار الجاولى**) هذه الدار من جملة الحجر التى تقدم ذكرها ، وهى تجاه الخان المجاور لوكالة قوصون . أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، وجعلها وقفا على المدرسة المعروفة بالجاولية بخط الكبش جوار الجامع الطولونى ، وعرفت فى زماننا بقاعة البغادة لكسنى عبد الصمد الجوهرى البغدادى بها هو وأولاده فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة إلى بعد سنة ست عشرة وثمانمائة ، وهى من الدور الجليلة . إلا أنها قد تشعثت لطول الزمن .

(**دار أمير أحمد**) هذه الدار بجوار دار الجاولى من غربها . عرفت بأمير أحمد قريب الملك

الناصر محمد بن قلاوون، وعرفت فى زماننا بسكن أبو ذقن ناظر المواريث، وهى من جملة ما اغتصبه جمال الدين يوسف الاستادار من الدور الوقف، وجعلها لأخيه شمس الدين محمد البيرى قاضى حلب، وشيخ الخانقاه البيبرسية فغير بابها وشرع فى عمارتها. فقبض عليه عند القبض على أخيه وهو بها.

(دار اليوسفي) هذه الدار بجوار باب بالجوانية فيما بينها وبين الحوض المعد لشرب الدواب. أنشأها هى والحوض الأمير سيف الدين بهادر اليوسفى السلاح دار الناصرى.

(دار ابن البقري) هذه الدار أنشأها الوزير الصاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى ابن اخت القاضى شمس الدين شاكر بن غزيل البقرى صاحب المدرسة البقرية. أظهر الإسلام، وباشر فى الخدم الديوانية إلى أن ولاه الملك الظاهر برقوق وظيفة الديوان المفرد ونظر الخاص عوضا عن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس فى ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة. فباشر ذلك إلى تاسع شهر رمضان سنة خمس وثمانين. فقبض عليه ونزل الأمير يونس الدوادار والأمير قرقماس الخازندار إلى داره هذه. وأحاط بها، وأخذ جميع ما فيها من المال والثياب والأوانى والحلى والجوارى وغير ذلك. وحمل إلى القلعة فبلغ قيمة ما وجد بداره فى هذه النوبة مائتى ألف دينار وسلم ابن البقرى لشاد الدواوين بقاعة الصاحب من القلعة. فضرب بالمقارع نيفا وثلاثين شيبا، وولى موفق الدين أبو ألفرج نظر الخاص ثم إن الملك الظاهر لما عاد إلى المملكة بعد ثورة الأمير يلبغا الناصرى والأمير تمربغا منطاش عليه وخلعه من الملك وسجنه بالكرك، ثم قيامه بأهل الكرك ودخوله إلى القاهرة وعوده إلى المملكة ولى ابن البقرى الوزارة فى يوم الإثنين سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وسبعمائة عوضا عن موفق الدين أبى ألفرج، ثم صرف فى يوم الخميس لعشرين من شهر رمضان وأعيد الوزير أبو ألفرج، وأحيط بدور ابن البقرى وأسلم هو وابنه تاج الدين عبد الله إلى الأمير ناصر الدين محمد بن اقبغا آض، فلما استقر الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى فى الوزارة يوم الثلاثاء سابع عشرى ذى الحجة منها عوضا عن الوزير أبى الفرج اشترط على السلطان أموراً منها استخدام الوزراء المعزولين، فجلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة وبعث إلى من بالقاهرة من الوزراء المعزولين وهم شمس الدين عبدالله المقسى وعلم الدين عبدالوهاب بن الطنساوى المعروف بسن ابرة

وسعد الدين سعدالله بن البقرى وموفق الدين أبو الفرج وفخر الدين عبدالرحمن بن عبدالرزاق بن إبراهيم بن مكانس فأقر المقسى وسن إبرة معاً فى نظر الدولة وأقر ابن البقرى ناظر البيوت ومستوفى الدولة، وقرر أبا الفرج فى استيفاء الصحبة وابن مكانس فى استيفاء الدولة شريكاً لابن البقرى فكانوا يركبون فى خدمته دائماً ويجلسون بين يديه وربما وقف ابن البقرى على قدميه بحضرته بعد أن كان ابن الحسام دواداره ولايزال قائماً بين يده فعد الناس هذا من أعظم المحن التى لم يشاهد فى الدولة التركية مثلها، وهو أن يصير الرجل خادماً لمن كان فى خدمته فنعوذ بالله من المحن ثم إن الوزير ابن الحسام قبض على ابن البقرى وألزمه بحمل سبعين ألف درهم ثم أعيد إلى الوزارة بعد القبض على الصاحب تاج الدين عبدالرحيم بن عبدالله الله بن موسى بن أبى بكر بن أبى شاكر فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين، وقبض عليه وعلى ولده فى حادى عشرى شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وسلما مع عدة من الكتاب لشاد الدواوين، ثم أفرج عنهما على حمل مال. فلما ولى الأمير ناصر الدين محمد بن رجب ابن كلفت الوزارة بعد الوزير أبى الفرج قرر ابن البقرى فى نظر الدولة عوضاً عن بدر الدين الاقفهسى واستخدم بقية الوزراء كما فعل الوزير ابن الحسام. فلما خلع السلطان على الامير ناصر الدين محمد بن تنكز وجعله استادار الأملاك فى رجب سنة سبع وتسعين قرر ابن البقرى ناظر الأملاك وخلع عليه فصار يتحدث فى نظر الدولة ونظر الأملاك. فلما كان يوم الخميس رابع رجب سنة ثمان وتسعين أعيد إلى الوزارة وصرف عنها الأمير مبارك شاه ناظر الظاهرى واستقر بدر الدين محمد بن محمد الطوخى فى نظر الدولة ثم قبض عليه فى يوم الخميس رابع ربيع الأول سنة تسع وتسعين وأحيط بسائر ما قدر عليه من موجوده، وولى الوزارة بعده ابن الطوخى وغوقب عقاباً شديداً فى دار الأمير علاء الدين على بن الطبلاوي، ثم أخرج نهاراً وهو عار مكشوف الرأس وبيده حبل يجر به وثيابه مضمومة بيده الأخرى والناس تراه من درب قراصياً برحبه باب العيد فى السوق إلى دار ابن الطبلاوي، وقد انتهك بدنه من شدة الضرب فسجن بدار هناك ثم خنق فى ليلة الإثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وكان أحد كتاب الدنيا الذين انتهت إليهم السيادة فى كتابة الرسوم الديوانية مع عفة الفرج وجودة الرأى وحسن التدبير إلا أنه لم يؤت سعداً فى وزارته، ومابرح ينكب كل قليل، وكان يظهر

الإسلام ويكتب بخطه كتب الحديث وغيرها ويهم فى باطن الأمر بالتشدد فى النصرانية، وولى ابنه تاج الدين عبدالله الوزارة ونظر الخاص ومات قتيلاً تحت العقوبة عند الأمير جمال الدين يوسف الاستدار فى سنة ثمان وثمانمائة ودار أبن البقرى هذه من أعظم دور القاهرة وهى من جملة خط حارة الجوانية فى أولها .

(**دار طولباى**) هذه الدار بجوار حمام الأعسر برأس حارة الجوانية تجاه درب الرشيد أنشأها الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الوزير ثم عرفت بخوند طولباى الناصرية جهة الملك الناصر .

(**طلنباى**) ويقال دلبية ويقال طلوبية ابنة طغاجى بن هندر بن بكر ابن دوشى خان ابن جنكز خان ذات الستر الرفيع الخاتونى كان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد جهز الامير أيدغدى الخوارزمى فى سنة ست عشرة وسبعمائة يخطب إلى أزبك ملك التتار بنتا من الذرية الجنكزية فجمع أزبك أمراء التومانات وهم سبعون أميراً وكلمهم الرسول فى ذلك فنفروا منه ثم اجتمعوا ثانياً بعدما وصلت إليهم هداياهم وأجابوا ثم قالوا إلا أن يكون هذا لايكون إلا بعد أربع سنين سنة سلام وسنة خطبة وسنة مهاداة وسنة زواج واشتطوا فى طلب المهر فرجع السلطان عن الخطبة ثم توجه سيف الدين طوخى بهدية وخلعة لأزبك فلبسها وقال لطوخى قد جهزت لأخى الملك الناصر ما كان طلب وعينت له بنتاً من بيت جنكزخان من نسل الملك ياطر خان . فقال طوخى لم يرسلنى السلطان فى هذا . فقال أزبك أنا أرسلها إليه من جهتى وأمر طوخى بحمل مهرها فاعتذر بعدم المال فقال نحن نقترض من التجار فاقترض عشرين ألف دينار وحملها ثم قال لابد من عمل فرح تجتمع فيه الخواتين فاقترض مالاً آخر نحو سبعة آلاف دينار، وعمل الفرح وجهزت الخاتون طلنباى ومعها جماعة من الرسل وهم بالمجاز من كبار المغل وطقبغا ومنعوش وطرحى وعثمان وبكتمر وقرطبا والشيخ برهان الدين إمام الملك أزبك وقاضى حراى فساروا فى زمن الخريف وأقاموا فلم يجدوا ريحاً تسير بهم فأقاموا فى بر الروم على مينا ابن مشتا خمسة أشهر وقام بخدمتهم هو والأشكرى ملك قسطنطينية وأنفق عليهم الأشكرى ستين ألف دينار فوصلوا إلى الإسكندرية فى شهر ربيع الأول سنة عشرين وسبعمائة فلما طلعت الخاتون من المراكب حملت فى خركاة من الذهب على العجل وجرها المماليك إلى دار السلطنة بالإسكندرية

وبعث السلطان إلى خدمتها عدة من الحجاب وثمانى عشرة من الحرم، ونزلت فى الحراقة فوصلت إلى القلعة يوم الإثنين خامس عشرى ربيع الأول المذكور وفرش لها بالمناظر فى الميدان دهليز أطلس معدني، ومد لهم سماط وفى يوم الخميس ثانى عشريه أحضر السلطان رسل أزبك ووصل رسل ملك الكرج ورسل الأشكرى بتقادمهم ثم بعث إلى الميدان الأمير سيف الدين أرغون النائب والأمير بكتمر الساقى والقاضى كريم الدين ناصر الخاص. فمشوا فى خدمة الخاتون إلى القلعة وهى فى عز ثم عقد عليها يوم الإثنين سادس ربيع الآخر على ثلاثين ألف دينار حالة المعجل منها عشرون ألفاً، وعقد العقد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وقبل عن السلطان النائب أرغون، وبنى عليها وأعاد الرسل بعد أن شملهم من الإنعام ما أربى على أملهم ومعهم هدية جليلة. فساروا فى شعبان وتأخر قاضى حراى حتى حج وعاد فى سنة إحدى وعشرين وماتت فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائة، ودفنت بتربتها خارج باب البرقية بجوار تربة خوند طغاى أم أنوك.

(**دار حارس الطير**) هذه الدار بداخل درب قراصيا بخط رحبة باب العيد. عرفت بالأمير سيف الدين سنبغا حارس الطير، ترقى فى الخدم إلى أن صار نائب السلطنة بديار مصر فى أيام السلطان حسن بن محمد بن قلاون بعد يلبغاروس ثم عزل بالأمير قبلاى، وجهز إلى نيابة غزة فأقام بها شهرا، وقبض عليه وحضر مقيدا إلى الإسكندرية فى شعبان سنة اثنين وخمسين فسجن بها مدة ثم أخرج إلى القدس فأقام بطالا مدة، ثم نقل إلى نيابة غزة فى شعبان سنة ست وخمسين وسبعمائة.

(**الدار القردمية**) هذه الدار خارج باب زويلة بخط الموازيين من الشارع المسلوك فيه إلى رأس المنجبية. بناها الأمير الجاى الناصرى مملوك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان من أمره أنه ترقى فى الخدم السلطانية حتى صار دوادار السلطان بغير إمرة رفيقا للامير بهاء الدين أرسلان الدوادار. فلما مات بهاء الدين استقر مكانه بإمره عشرة مدة ثلاث سنين ثم أعطى إمرة طبلخاناه وكان فقيها حنفيا. يكتب الخط المليح، ونسخ بخطه القرآن الكريم فى ربعة، وكان عفيفا عن ألفواحش. حليما لا يكاد يغضب. مكبا على الاشتغال بالعلم. محبا لاقتناء الكتب مواظبا على مجالسه أهل العلم وبالغ فى إتقان عمارة هذه الدار بحيث إنه أنفق على بوابتها خاصة مائة ألف درهم فضة. عنها يومئذ نحو الخمسة آلاف مثقال من

الذهب . فلما تم بناؤها لم يتمتع بها غير قليل ومرض فمات فى أوائل شهر رجب ، وقيل فى رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة وهو كهل . فدفن بقرافة مصر . فسكنها من بعده خوند عائشة خاتون المعروفة بالقردمية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون زمانا . فعرفت بها ، وكانت هذه المرأة ممن يضرب بغناها وسعادتها المثل . إلا أنها عمرت طويلا وتصرفت فى مالها تصرفا غير مرضٍ فتلف فى اللهو حتى صارت تعد من جملة المساكين ، وماتت فى الخامس من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ومخدتها من ليف . ثم سكن هذه الدار الأمير جمال الدين محمود بن على الأستادار مدة . وأنشأ تجاهها مدرسة .

(**دار الصالح**) هذه الدار بحارة الديلم قريبا من السجن وكانت دار الصالح طلائع بن رزيك . يسكنها وهو أمير قبل أن يلى الوزارة . بناها فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة ومازالت باقية إلى أن خربها الأمير الوزير ركن الدين عمر بن محمد بن قايماز فى سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، وبناها على ما هى عليه الآن .

(**دار بهادر**) هذه الدار بالقاهرة جوار المشهد الحسينى فى درب جرجى المقابل للأبارين المسلوك منه إلى دار الضرب وغيره . أنشأها الأمير بهادر رأس نوبة أحد مماليك الملك المنصور قلاوون ، واتفق أنه كان ممن مالأ الأمير بدر الدين بيدر على قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون . فلما قدر الله بانتقاض أمر بيدر أو قتله وإقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد أخيه الأشرف خليل قبض على جماعة ممن وافق على قتل الملك الأشرف خليل وقد تجمعت المماليك الأشرفية مع الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وهو يومئذ وزير الديار المصرية فى دار النيابة من قلعة الجبل عند الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة وإذا بالأمير بهادر المذكور قد حضر هو والأمير جمال الدين أقوش الموصلى الحاجب المعروف بنميلة ، وكانا قد اختفيا فرقا من سطوة الأشرفية حتى أمر دير أمرها النائب ، وأذن لهما فى طلوع القلعة ، فما هو إلا أن أبصرهما الأشرفيه سلوا سيوفهم وضربوا رقبيتهما فى أسرع وقت فدهش الحاضرون وما استطاعوا أن يتكلموا خوفا من الأشرفية ، واتفق فى بناء هذه الدار ما فيه عبرة لمن اعتبر ، وذلك أن بهادر هذا لما حفر أساسها وجد هناك قبورا كثيرة . فأخرج تلك العظام ورماها . فبلغ ذلك قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد فبعث إليه ينهاه عن نبش القبور ورمى العظام ويخوفه عاقبة ذلك . فقال إذا مت يجروا رجلى ويرمونى . فقال القاضى لما أعيد عليه

هذا الجواب . وقد يكون ذلك . فقدر الله انه لما ضربت رقبته ورقبة أقوش ربط فى رجليهما حبل وجرا من دار النيابة بالقلعة إلى المجاير بالكيمان نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء . ثم عرفت هذه الدار ببيت الأمير جركتمر بن بهادر المذكور، وكان خصيصا بالأمير قوصون . فبعثه لقتل السلطان الملك المنصور أبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما نفاه إلى مدينة قوص بعد خلعه . فتولى قتله، فلما قبض على قوصون قبض على جركتمر فى ثانى شعبان سنة اثنين وأربعين وسبعمائة وقتل بالإسكندرية هو وقوصون فى ليلة الثلاثاء ثامن عشر شوال . تولى قتلهما الأمير ابن طشتمر طلبة وأحمد بن صبيح، وكان جركتمر هذا فيه أدب وحشمة، وأول أمره كان من أصحاب الأمير بيبرس الجاشنكيرى . فقدمه وأعطاه إمرة عشرة، ثم اتصل بالأمير أرغون النائب فأعطاه إمرة طبلخاناه، وكان يلعب بالأكره ويجيد فى لعبها إلى الغاية، ثم عرفت هذه الدار بالأمير سيف الدين بهادر المنجكى استادار الملك الظاهر برقوق لسكنه بها، وتجديد عمارتها، وأنشأ بجوارها حماما وكانت وفاته يوم الإثنين الثانى من جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة . وهذه الدار باقية إلى اليوم تسكنها الأمراء .

(**دار البقر**) هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل وبركة ألفيل بالخط الذى يقال له اليوم حدرة البقر . كانت دارا للابقار التى برسم السواقى السلطانية ومنشرا للزبل، وفيه ساقية، ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأها دارا واصطبلا، وغرس بها عدة أشجار وتولى عمارتها القاضى كريم الدين عبدالكريم الكبير، فبلغ المصروف على عمارتها ألف ألف درهم، وعرفت بالأمير طقتمر الدمشقى، ثم عرفت بدار الأمير طاش تمر حمص أخضر، وهذه الدار باقية إلى وقتنا هذا ينزلها أمراء الدولة .

(**قصر بكتمر بالساقى**) هذا القصر من أعظم مساكن مصر وأجلها قدرا . وأحسنها بنيانا . وموضعه تجاه الكبش على بركة ألفيل أنشأه الملك الناصر محمد ابن قلاوون لسكن اجل أمراء دولته الأمير بكتمر الساقى، وأدخل فيه أرض الميدان التى أنشأها الملك العادل كتبغا، وقصد أن يأخذ قطعة من بركة ألفيل ليتسع بها الاصطبل الذى للأمير بكتمر بجوار هذا القصر فبعث إلى قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى ليحكم باستبدالها على قاعدة مذهبه فامتنع من ذلك تنزها وتورعا، واجتمع بالسلطان وحدثه فى ذلك . فلما رأى كثرة

ميل السلطان إلى أخذ الأرض نهض من المجلس مغضبا وصار إلى منزله فأرسل القاضى كريم الدين الكبير ناظر الخواص إلى سراج الدين الحنفى عن أمر السلطان وقلده قضاء مصر منفردا عن القاهرة. فحكم باستبدال الأرض فى غزة رجب سنة سبع عشرة وسبعمائة. فلم يلبث سوى مدة شهرين ومات فى أول شهر رمضان. فاستدعى السلطان قاضى القضاة شمس الدين الحريرى وأعاده إلى ولايته، وكمل القصر والاصطبل على هيئة قل ما رأت الأعين مثلها. بلغت النفقة على العمارة فى كل يوم مبلغ ألف وخمسمائة درهم فضة مع جاه العمل. لأن العجل التى تحمل الحجارة من عند السلطان، والحجارة أيضا من عند السلطان، وألفعلة فى العمارة أهل السجون المقيدون من المحابيس، وقدر لو لم يكن فى هذه العمارة جاه ولا سخرة لكان مصروفها فى كل يوم مبلغ ثلاثة آلاف درهم فضة. وأقاموا فى عمارته مدة عشرة أشهر فتجاوزت النفقة على عمارته مبلغ ألف ألف درهم فضة. عنها زيادة على خمسين ألف دينار، سوى ما حمل وسوى من سخر فى العمل. وهو بنحو ذلك فلما تمت عمارته سكنه الأمير بكتمر الساقى، وكان له فى اصطبله هذا مائة سطل نحاس لمائة سائس كل سائس على ستة أرؤس خيل سوى ما كان له فى الحشارات والنواحى من الخيل، وكان من المغرب يغلق باب اصطبله فلا يصير لأحد به حس ولما تزوج أنوك بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بابنة الأمير بكتمر الساقى فى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة خرج شوارها من هذا القصر، وكان عدة الحمالين ثمانمائة حمال. المساند الزركش على أربعين حمالا عدتها عشرة مساند، والمدورات ستة عشر حمالا، والكراسى اثنا عشر حمالا، وكراسى لطاف أربعة حمالين، وفضيات تسعة وعشرون حمالا، وسلم الدكك أربعة حمالين، والدكك والتخوت الأبنوس المفضضة والموشقة مائة واثنين وستين حمالا، والنحاس الكفت ثمانية وأربعين حمالا، والصينى ثلاثة وثلاثين حمالا، والزجاج المذهب اثنى عشر حمالا، والنحاس الشامى اثنين وعشرين حمالا، وصناديق الحوائج خاناه ستة حمالين، وغير ذلك تتمه العدة، والبغال المحملة ألفرش واللحف والبسط والصناديق التى فيها المصانع تسعة وتسعين بغلا. قال العلامة صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى: قال المهذب الكاتب: الزركش والمصاغ ثمانون قنطارا بالمصرى ذهب، ولما مات بكتمر هذا صار هذا الوقف من بعده من جملة أوقافه. فتولى أمره وأمر سائر أوقافه. أولاده حتى انقرض

أولاده وأولاد أولاده. فصار أمر الأوقاف إلى ابن ابنته وهو أحمد بن محمد بن قرطاى المعروف بأحمد بن بنت بكتمر، وهذا القصر فى غاية من الحسن ولا ينزله إلا أعيان الأمراء. إلى أن كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة، وكان العسكر غائبا عن مصر مع الملك المؤيد فى محاربة الأمير نوروز الحافظى بدمشق عمد هذا المذكور القصر فأخذ رخامه وشبابيكه وكثيراً من سقوفه وأبوابه وغير ذلك وباع الجميع، وعمل بدل الرخام البلاط وبدل الشبابيك الحديد بالخشب، وفطن به أعيان الناس فقصدوه، واخذوا منه أصنافا عظيمة بثمن وبغير ثمن وهو الآن قائم البناء يسكنه الأمراء.

(**الدار البيسرية**) هذه الدار بخط بين القصرين من القاهرة. كانت فى آخر الدولة ألفاطمية لما قويت شوكة الفرنج قد أعدت لمن يجلس فيها من قصاد الفرنج. عند ما تقرر الأمر معهم على أن يكون نصف ما يحصل من مال البلد للفرنج. فصار يجلس فى هذه الدار قاصد معتبر عند ألفرنج يقبض المال فلما زالت الدولة بالغز، ثم زالت دولة بنى أيوب، وولى سلطنة مصر الملوك من الترك إلى أن كانت أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى شرع الأمير ركن الدين بيبرس الشمسى الصالحى النجمى فى عمارتها فى سنة تسعه وخمسين وستمائة وتأنق فى عمارتها، وبالغ فى كثرة المصروف عليها، فأنكر الملك الظاهر ذلك من فعله. وقال له: ياأمير بدر الدين أى شىء خليت للغزاة والترك فقال صدقات السلطان والله ياخوند مابنيت هذه الدار إلا حتى يصل خبرها إلى بلاد العدو، ويقال بعض مماليك السلطان عمر دارا غرم عليها مالا عظيماً فأعجب من قوله ذلك السلطان وأنعم عليه بألف دينار عينا، وعد هذا من أعظم إنعام السلطان فجاء سعة هذه الدار باصطبلها وبستانها والحمام بجانبها نحو فدانين، ورخامها من أبهج رخام عمل فى القاهرة وأحسنه صنعة. فكثر تعجب الناس إذ ذاك من عظمها. لما كان فيه أمراء الدولة ورجالها حينئذ من الاقتصاد. حتى أن الوأحد منهم إذا صار أميراً لايتغير عن داره التى كان يسكنها وهو من الأجناد، وعندما كملت عمارة هذه الدار وقفها وأشهد عليه بوقفها اثنين وتسعين عدلا من جملتهم قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد وقاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز وقاضى القضاة تقى الدين بن رزين قبل ولايتهم القضاء فى حال تحملهم الشهادة، ومازالت بيد ورثة بيسرى إلى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة. فشرهت نفس الأمير قوصون إلى أخذها وسأل السلطان الملك الناصر محمد بن

قلاوون فى ذلك فأذن له فى التحدث مع ورثة بيسري . فأرسل إليهم ووعدهم ومناهم وأرضاهم حتى أذعنوا له فبعث السلطان إلى قاضى القضاة شرف الدين الحرانى الحنبلى يلتمس منه الحكم باستبدالها كما حكم باستبدال بيت قتال السبع وحمامه الذى أنشأ جامعه بخط خارج الباب الجديد من الشارع . فأجاب إلى ذلك ونزل إليها علاء الدين بن هلال الدولة شاد الدواوين ومعه شهود القيمة . فقومت بمائة ألف درهم وتسعين ألف درهم نقرة ، وتكون الغبطة للأيتام عشرة آلاف درهم نقرة . لتتم الجملة مائتى ألف درهم نقرة ، وحكم قاضى القضاة شرف الدين الحرانى ببيعها ، وكان هذا الحكم مما شنع عليه فيه ، ثم اختلفت الأيدى فى الاستيلاء على هذه الدار ، واقتدى القضاة بعضهم ببعض فى الحكم باستبدالها وآخر ماحكم به من استبدالها فى أعوام بضع وثمانين وسبعمائة فصارت من جملة الأوقاف الظاهرية برقوق . وهى الآن بيد ابنة بيرم ، وكان لها باب بوابته من أعظم ماعمل من البوابات بالقاهرة ويتوصل إلى هذه الدار من هذا الباب ، وهو بجوار حمام بيسرى من شارع بين القصرين ، وقد بنى تجاه هذا الباب حوانيت حتى خفي ، وصار يدخل إلى هذه الدار من باب آخر بخط الخرشتف .

(بيسرى) الأمير شمس الدين الشمسى الصالحى النجمى أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية . تنقل فى الخدم حتى صار من أجل الأمراء فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، واشتهر بالشجاعة والكرم وعلو الهمة ، وكانت له عدة مماليك راتب كل واحد منهم مائة رطل لحم وفيهم من له عليه فِي اليوم مبلغ ستين عليقة لخيله ، وبلغ عليق خيله وخيل مماليكه فى كل يوم ثلاثة آلاف عليقة سوى علف الجمال ، وكان ينعم بالألف دينار وبالخمسمائة غير مرة ، ولما فرق الملك العادل كتبغا المماليك على الأمراء بعث إليه بستين مملوكاً . فأخرج إليهم فى يومهم لكل واحد فرسين وبغلا ، وشكا إليه استاداره كثرة خرجه وحسن له الاقتصاد فى النفقة فحنق عليه وعزله ، وأقام غيره وقال لايرنى وجهه أبداً ، ولم يعرف عنه أنه شرب الماء فى كوز واحد مرتين ، وإنما يشرب كل مرة فى كوز جديد ثم لايعاود الشرب منه ، وتنكر عليه الملك المنصور قلاوون فسجنه فى سنة ثمانين وستمائة ومازال فى سجنه إلى أن مات الملك المنصور ، وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل فأفرج عنه فى سنة اثنين وتسعين وستمائة بعد عوده من دمشق بشفاعة الأمير بيدرا والأمير سنجر

الشجاعي، وأمر أن يحمل إليه تشريف كامل، ويكتب له منشور بإمرة مائة فارس وإنه يلبس التشريف من السجن. فجهز التشريف وحمل إليه المنشور فى كيس حرير أطلس وعظم فيه تعظيماً زائداً، وأثنى عليه ثناء جما وسار إليه بيدر والجشاعى والدوادار والأفرم إلى السجن ليمشوا فى خدمته إلى أن يقف بين يدى السلطان فامتنع من لبس التشريف والتزم بأيمان مغلظة أنه لايدخل على السلطان إلا بقيده ولباسه الذى كان عليه فى السجن، وتسامعت الأمراء وأهل القلعة بخروجه فهرعوا إليه، كان لخروجه نهار عظيم، ودخل على السلطان بقيده فأمر به ففك بين يديه وأفيض عليه التشريف. فقبل الأرض وأكرمه السلطان وأمره فنزل إلى داره وخرج الناس إلى رؤيته وسروا بخلاصه. فبعث إليه السلطان عشرين فرساً وعشرين اكديشا وعشرين بغلا، وأمر جميع الأمراء أن يبعثوا إليه. فلم يبق أحد حتى سير إليه مايقدر عليه من التحف والسلاح، وبعث إليه أمير سلاح ألفى دينار عينا، وكانت مدة سجنه أحدى عشرة سنة وأشهر فصار يكتب بعد خروجه من السجن بيسرى الأشرفى بعد ما كان يكتب بيسرى الشمسي، ومازال إلى أن تسلطن الملك المنصور لاجين فأخذ الأمير منكو تمر يغريه بالأمير بيسرى ويخوفه منه، وإنه قد تعين للسلطنة. فعمله كاشف الجيزه وأمره أن يحضر الخدمة يومى الأثنين والخميس بالقلعة ويجلس رأس الميمنة تحت الطواشى حسام الدين بلال المغيثى لأجل كبره وتقدمه ثم زاد منكوتمر فى الإغراء به والسلطة تستمهله إلى أن قبض عليه وسجنه فى سنة سبع وتسعين وستمائة، وأحاط بسائر موجوده، وحبس عدة من مماليكه فسر منكوتمر بمسكه سروراً عظيما واستمر فى السجن إلى أن مات فى تاسع عشر شوال سنة ثمان وتسعين وستمائة وعليه ديون كثيرة ودفن بتربته خارج باب النصر رحمة الله تعالى.

(قصر بشتاك) هذا القصر هو الآن تجاه الدار البيسرية، وهو من جملة القصر الكبير الشرقى الذى كان مسكنا للخلفاء ألفاطميين، ويسلك إليه من الباب الذى كان يعرف فى أيام عمارة القصر الكبير فى زمن الخلفاء بباب البحر، وهو يعرف اليوم بباب قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملية، ومازال إلى أن اشتراه الأمير بدر الدين بكتاش ألفخرى المعروف بأمير سلاح، وأنشأ دورا واصطبلات ومساكن له ولحواشيه، وصار ينزل إليه هو والأمير بدر الدين بيسرى عند انصرافهما من الخدمة السلطانية بقلعة الجبل فى موكب عظيم زائد

الحشمة، ويدخل كل منهما إلى داره، وكان موضع هذا القصر عدة مساجد فلم يتعرض لهدمها وأبقاها على ماهى عليه. فلما مات أمير سلاح، وأخذ الأمير قوصون الدار البيسرية كما تقدم ذكره أحب الأمير بشتاك أن يكون له أيضاً دار بالقاهرة، وذلك أن قوصون وبشتاك كانا يتناظران فى الأمور، ويتضادان فى سائر الأحوال، ويقصد كل منهما أن يسامى الآخر، ويزيد عليه فى التجمل. فأخذ بشتاك يعمل فى الإستيلاء على قصر أمير سلاح حتى اشتراه من ورثته. فأخذ من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قطعة أرض كانت داخل هذا القصر من حقوق بيت المال، وهدم دارا كانت قد أنشئت هناك، عرفت بدار قطوان الساقي، وهدم أحد عشر مسجداً وأربعة معابد كانت من آثار الخلفاء يسكنها جماعة ألفقراء، وأدخل ذلك فى البناء إلا مسجداً منها فإنه عمره، ويعرف اليوم بمسجد ألفجل. فجاء هذا القصر من أعظم مبانى القاهرة فإن ارتفاعه فى الهواء أربعون ذراعاً، ونزول أساسه فى الأرض مثل ذلك والماء يجرى بأعلاه، وله شبابيك من حديد تشرف على شارع القاهرة، وينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين، وهو مشرق جليل مع حسن بنائه وتأنق زخرفته والمبالغة فى تزويقه وترخيمه، وأنشأ أيضاً فى أسفله حوانيت كان يباع فيها الحلوى وغيرها. فصار الأمر أخيراً كما كان أولاً بتسمية الشارع بين القصرين. فإنه كان أولاً كما تقدم بالقاهرة القصر الكبير الشرقى الذى قصر بشتاك من جملته، وتجاهه القصر الغربى الذى الخرشتف من جملته. فصار قصر بشتاك وقصر بيسرى وما بينهما من الشارع يقال له بين القصرين. ومن لا علم له يظن إنما قيل لهذا الشارع بين القصرين لأجل قصر بيسرى وقصر بشتاك. وليس هذا بصحيح، وإنما قيل له بين القصرين قبل ذلك من حين بنيت القاهرة. فإنه كان بين القصرين القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربي، وقد تقدم ذلك مشروحاً مبيناً، ولما أكمل بشتاك بناء هذا القصر والحوانيت التى فى أسفله والخان المجاور له فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة لم يبارك له فيه، ولاتمتع به، وكان إذا نزل إليه ينقبض صدره ولا تنبسط نفسه مادام فيه حتى يخرج منه. فترك المجىء إليه فصار يتعاهده أحياناً فيعتريه ماتقدم ذكره فكرهه وباعه لزوجة بكتمر الساقي، وتداوله ورثتها إلى أن أخذه السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، فاستقر بيد أولاده إلى أن تحكم الأمير الوزير المشير جمال الدين الأستادار فى مصر أقام من شهد عند قاضى القضاة كمال الدين

عمر بن العديم الحنفى بأن هذا القصر يضر بالجار والمار وأنه مستحق للإزالة والهدم. كما عمل ذلك فى غير موضع بالقاهرة. فحكم له باستبداله وصار من جمة أملاكه فلما قتله الملك الناصر. فرج بن برقوق استولى على سائر ماتركه وجعل هذا القصر فيما عينه للتربة التى أنشاها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر فاستمر فى جملة أوقاف التربة المذكورة إلى أن قتل الملك الناصر بدمشق فى حرب الأمير شيخ والأمير نوروز، وقدم الأمير شيخ إلى مصر هو والخليفة المستعين بالله العباسى ابن محمد وقف له من بقى من أولاد جمال الدين وأقاربه، وكان لأهل الدولة يومئذ بهم عناية. فحكم قاضى القضاة صدر الدين على بن الأدمى الحنفى بارتجاع أملاك جمال الدين التى وقفها على ماكانت عليه. فتسلمها أخوه وصار هذا القصر إليهم، وهو الآن بيدهم.

(**قصر الحجازية**) هذا القصر بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسة الحجازية. كان يعرف أولا بقصر الزمرد فى أيام الخلفاء الفاطميين من أجل أن باب القصر الذى كان يعرف بباب الزمرد كان هناك كما تقدم ذكره فى هذا الكتاب عند ذكر القصور. فلما زالت الدولة الفاطمية صار من جملة ماصار بيد ملوك بنى أيوب واختلفت عليه الأيدى إلى أن اشتراه الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير الحاجب من أولاد الملوك بنى أيوب، واستمر بيده إلى أن رسم بتسفيره من مصر إلى مدينة غزة واستقر نائب السلطنة بها فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. وكاتب الأمير سيف الدين قوصون عليه وملكه أياه فشرع فى عمارة سبع قاعات. لكل قاعة اصطبل ومنافع ومرافق، وكانت مساحة ذلك عشرة أفدنة فمات قوصون قبل أن يتم بناء ما أراد من ذلك فصار يعرف بقصر قوصون إلى أن اشترته خوندتتر الحجازية ابنة للملك الناصر محمد بن قلاوون وزوج الأمير ملكتمر الحجازى فعمرتة عمارة ملوكية وتأنقت فيه تألقا زائدا، وأجرت الماء إلى أعلاه وعملت تحت القصر اصطبلا كبيراً لخيول خدامها، وساحة كبيرة يشرف عليها من شبابيك حديد. فجاء شيئاً عجيباً حسنه، وأنشأت بجواره مدرستها التى تعرف إلى اليوم بالمدرسة الحجازية وجعلت هذا القصر من جملة ماهو موقوف عليها. فلما ماتت سكنه الأمراء بالأجرة. إلى أن عمر الأمير جمال الدين يوسف الاستادار داره المجاورة للمدرسة السابقية وتولى استادارية الملك الناصر فرج صار يجلس برحبة هذا القصر والمقعد الذى كان بها، وعمل القصر سجنا يحبس فيه من

يعاقبه من الوزراء والأعيان فصار موحشاً يروع النفوس ذكره لما قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة، من بعد ماأقام دهراً وهو مغنى صبابات وملعب أتراب وموطن أفراح ودار عز ومنزل لهو ومحل أمانى النفوس ولذاتها، ثم لما فحش كلب جمال الدين وشنع شرهه فى اغتصاب الأوقاف أخذ هذا القصر يتشعث شيء من زخارفه، وحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى باستبداله كما تقدم الحكم فى نظائره. فقلع رخامه فلما قتل صار معطلا مدة وهم الملك الناصر فرج ببنائه رباطا ثم انثنى عزمه عن ذلك. فلما عزم على المسير إلى محاربة الأمير شيخ والأمير نوروز فى سنة أربع عشرة وثمانمائة نزل إليه الوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم بن البشيرى وقلع شبابيكه الحديد لتعمل آلات حرب وهو الآن بغير رخام ولا شبابيك قائم على أصوله لايكاد ينتفع به إلا أن الأمير المشير بدر الدين حسن بن محمد الاستادار لما سكن فى بيت الأمير جمال الدين جعل ساحة هذا القصر اصطبلا لخيوله، وصار يحبس فى هذا القصر من يصادره أحياناً، وفى رمضان سنة عشرين وثمانمائة ذكر الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى ألفرج الاستادار ما يجده المسجونون فى السجن المستجد عند باب الفتوح بعد هدم خزانة شمائل من شدة الضيق وكثرة الغم. فعين هذا القصر ليكون سجنا لأرباب الجرائم، وأنعم على جهة وقف جمال الدين بعشرة آلاف درهم فلوساً عن أجرة سنتين فشرعوا فى عمله سجنا وأزالوا كثيرا من معالمه ثم ترك على مابقى فيه ولم يتخذ سجنا.

(**قصر يلبغا اليحياوى**) هذا القصر موضعه الآن مدرسة السلطان حسن المطلة على الرميلة تحت قلعة الجبل كان قصرا عظيماً أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ببنائه. لكن الأمير يلبغا اليحياوى رأى أن يبنى أيضاً قصرا يقابله برسم سكنى الأمير الطنبغا الماردينى لتزايد رغبته فيهما وعظيم محبته لهما حتى يكونا تجاهه وينظر إليهما من قلعة الجبل. فركب بنفسه إلى حيث سوق الخيل من الرميلة تحت القلعة وسار إلى حمام الملك السعيد وعين اصطبل الأمير أيدغمش أميرا خور، وكان تجاهها ليعمره هو وما يقابله قصرين متقابلين، ويضاف إليه اصطبل الأمير طاشتمر الساقى واصطبل الجوق، وأمر الأمير قوصون أن يشترى مايجاور اصطبله من الأملاك ويوسع فى اصطبله وجعل أمر هذه العمارة إلى الأمير أقبغا عبد الواحد فوقع الهدم فيما كان بجوار بيت الأمير قوصون وزيد فى

الاصطبل وجعل باب هذا الاصطبل من تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة، وأمر السلطان بالنفقة على العمارة من مال السلطان على يد النشو، وكان لذلك الناصر رغبة كبيرة في العمارة بحيث أنه أفرد لها ديوانا وبلغ مصروفها في كل يوم اثنا عشر ألف درهم نقرة، وأقل ما كان يصرف من ديوان العمارة في اليوم برسم العمارة مبلغ ثمانية آلاف درهم. فلما كثر الاهتمام في بناء القصرين المذكورين وعظم الاجتهاد في عمارتهما، وصار السلطان ينزل من القلعة لكشف العمل ويستحث على فراغهما، وأول مابدئ به قصر يلبغا اليحياوي فعمل أساسه حضيرة وأحدة انصرف عليها وحدها مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة، ولم يبق في القاهرة ومصر صانع له تعلق في العمارة إلا وعمل فيها حتى كمل القصر فجاء في غاية الحسن وبلغت النفقة عليه مبلغ أربعمائة ألف وستين ألف درهم نقرة منها ثمن لازورد خاصة مائة ألف درهم. فلما كملت العمارة نزل السلطان لرؤيتها، وحضر يومئذ من عند الأمير سيف الدين طرغاى نائب حلب تقدمة من جملتها عشرة أزواج بسط. أحدها حرير، وعدة أواني من بلور ونحوه وخيل وبخاتي. فأنعم بالجميع على الأمير يلبغا اليحياوي، وأمر الأمير أقبغا عبد الواحد أن ينزل إلى هذا القصر ومعه أخوان سلار برفقته وسائر أرباب الوظائف لعمل مهم. فبات النشو ناظر الخاص هناك لتعبية مايحتاج إليه من اللحوم والتوابل ونحوها، فلما تهيأ ذلك حضر سائر أمراء الدولة من أول النهار وأقاموا بقصر يلبغا اليحياوي في أكل وشرب ولهو وفي آخر النهار حضرت إليهم التشاريف السلطانية وعدتها أحد عشر تشريفاً برسم أرباب الوظائف، وهم الأمير أقبغا عبد الواحد والاستادار والأمير قوصون الساقي والأمير بشتاك والأمير طفوزدمر أمير مجلس في آخرين، وحضر لبقية الأمراء خلع وأقبية على قدرمراتبهم فلبس الجميع التشاريف والخلع والأقبية، وأركبوا الخيول المحضرة إليهم من الاصطبل السلطاني بسروج وكنابيش مابين ذهب وفضة بحسب مراتبهم، وساروا إلى منازلهم وذبح في هذا المهم ستمائة رأس غنم وأربعون بقرة وعشرون فرساً، وعمل فيه ثلاثمائة قنطار سكر برسم المشروب فإن القوم يومئذ لم يكونوا يتظاهرون بشرب الخمر ولاشيء من المسكرات البتة، ولايجسر أحد على عمله في مهم ألبتة، ومازالت هذه الدار باقية إلى أن هدمها السلطان الملك الناصر حسن وأنشأ موضعها مدرسته الموجودة الآن.

(**اصطبل قوصون**) هذا الاصطبل بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان باب من الشارع بجوار حدرة البقر وبابه الآخر تجاه باب السلسلة الذى يتوصل منه إلى الاصطبل السلطانى وقلعة الجبل. أنشأه الأميرعلم الدين سنجر الجمقدار، فأخذه منه الأمير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال. فزاد فيه قوصون اصطبل الأمير سنقر الطويل، وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل. فبنى فيه كثيرا وادخل فيه عدة عمائر ما بين دور واصطبلات. فجاء قصرا عظيما إلى الغاية، وسكنه الأمير قوصون مدة حياة الملك الناصر فلما مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر عمل عليه قوصون وخلعه، واقام بعده بدله الملك الأشرف كجك بن الملك الناصر محمد. فلما كان فى سنة اثنين واربعين وسبعمائة حدث فى شهر رجب منها فتنة بين الأمير قوصون وبين الأمراء وكبيرهم ايدغمش اميراخور فنادى ايدغمش فى العامة يا كسابة عليكم باصطبل قوصون. انهبوه. هذا وقوصون محصور بقلعة الجبل فاقبلت العامة من السؤال والغلمان والجند إلى اصطبل قوصون فمنعهم المماليك الذين كانوا فيه، ورموهم بالنشاب واتلفوا منهم عدة. فثارت مماليك الأمير يلبغا اليحياوى من أعلى قصر يلبغا، وكان بجوار قصر قوصون حيث مدرسة السلطان حسن، ورموا مماليك قوصون وأنهبوا مكا كان بركاب خاناته وحواصله وكروا باب القصر بألفوس وصعدوا إليه بعد ما تسلقوا إلى القصر من خارجه فخرجت مماليك قوصون من الاصطبل يدا وأحدة بالسلاح وشقوا القاهرة وخرجوا إلى ظاهر باب النصر يريدون الأمراء الواصلين من الشام فأتت النهاية على جميع ما فى اصطبل قوصون من الخيل والسروج وحواصل المال التى كانت بالقصر، وكانت تشتمل من أنواع المال والقماش والاوانى الذهب وألفضة على مالا يحد ولا يعد كثرة وعندما خرجت العامة بما نهبته وجدت مماليك الأمراء والاجناد قد وقفوا على باب الاصطبل فى الرميلة لانتظار من يخرج، وكان إذا خرج أحد بشىء من النهب اخذه منه أوقى منه، فإن امتنع من إعطائه قتل واحتمل النهاية أكياس الذهب ونثروها فى الدهاليز والطرق وظفروا بجواهر نفسية وذخائر ملوكية وامتعة جليلة القدر وأسلحة عظيمة وأقمشة مثمنة وجروا البسط الرومية والآمدية وما هو من عمل الشريف، وتقابلوا عليها وقطعوها قطعا بالسكاكين وتقاسموها، وكسروا اوانى البلور والصينى، وقطعوا سلاسل الخيل ألفضة والسروج الذهب وألفضة، وفككوا

اللجم وقطعوا الخيم، وكسروا الخركاوات واتلفوا سترها وأغشيتها الاطلس والزركفت وذكر عن كاتب قوصون أنه قال: أما الذهب المكيس والفضة كان ينيف على أربعمائة ألف دينار والبلور والمصاغ المعمول برسم النساء فإنه لا يحصر، وكان هناك ثلاثة أكياس اطلس فيها جوهر قد جمعه فى طول أيامه لكثرة شغفه بالجوهر لم يجمع مثله كان ثمنه نحو المائة ألف دينار، وكان فى حاصله عدة مائة وثمانين زوج بسط منها ما طوله من أربعين ذراعا إلى ثلاثين ذراعا عمل البلاد، وستة عشر زوجا من عمل الشريف بمصر ثمن كل زوج اثنا عشر ألف درهم نقره. منها اربعة ازواج بسط من حرير، وكان من جملة الخام نوبة خام جميعها أطلس قصب. جميع ذلك نهب وكسر وقطع وانحط سعر الذهب بديار مصر عقيب هذه النهبة من دار قوصون حتى بيع المثقال بأحد عشر درهما لكثرته فى أيدى الناس بعد ما كان سعر المثقال عشرين درهما، ومن حينئذ تلاشى أمر هذا القصر لزوال رخامه فى النهب وما برح مسكنا لأكابر الأمراء. وقد اشتهر أنه من الدور المشئومة، وقد أدركت فى فى عمرى غير واحد من الأمراء سكنه وآل أمره إلى مالا خير فيه، وممن سكنه الأمير بركة الزيينى، ونهب نهبة فاحشة، وأقام عدة أعوام خرابا لا يسكنه أحد، ثم أصلح وهو الآن من أجل دور القاهرة.

(**دار أرغون الكامل**) هذه الدار بالجسر الأعظم على بركة ألفيل. انشأها الأمير أرغون الكاملى فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة، وأدخل فيها من أرض بركة الفيل عشرين ذراعا.

(**أرغون الكاملي**) الأمير سيف الدين نائب حلب ودمشق تبناه الملك الصالح إسماعيل بن محمد قلاوون، وزوجه أخته من أمه بنت الأمير أرغون العلائى فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وكان يعرف اولا بأرغون الصغير فلما مات الملك الصالح وقام من بعده فى مملكة مصر اخوه الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون إعطاه مائة وتقدمه ألف، ونهى أن يدعى أرغون الصغير، وتسمى أرغون الكاملى. فلمامات الأمير قطليجا الحموى فى نيابة حلب رسم له الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بنيابة حلب فوصل إليها يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رجب سنة خمسين وسبعمائة، وعمل النيابة بها على أحسن ما يكون من الحرمة والمهابة، وهابه التركمان والعرب ومشت الاحوال به، ثم جرت له فتنة مع أمراء حلب فخرج فى نفر يسير إلى دمشق فوصلها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة إحدى

وخمسين فأكرمه ايتمش الناصرى نائب دمشق وجهزه إلى مصر. فأنعم عليه السلطان وأعاده إلى نيابة حلب. فاقام بها إلى أن عزل ايتمش من نيابة دمشق فى أول سلطنة الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون. فنقل من نيابة إلى نيابة دمشق فدخلها فى حادى عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسين وأقام بها. فلم يصف له بها عيش فاستعفى فلم يجب، ومازال بها إلى أن خرج يلبغاروس وحضر إلى دمشق فخرج إلى لد واستولى يلبغا روس على دمشق فلما خرج الملك الصالح من مصر وسار إلى بلاد الشام بسبب حركة يلبغاروس تلقاه أرغون وسار بالعساكر إلى دمشق ودخل السلطان بعده وقد فر يلبغا روس فقلده نيابة حلب فى خامس عشرى شهر رمضان وعاد السلطان إلى مصر، فلم يزل الأمير أرغون بحلب، وخرج منها إلى الابلستين فى طلب ابن دلغادر، وحرقها وحرق قراها ودخل إلى قيصرية وعاد إلى حلب فى رجب سنة أربع وخمسين. فلما خلع الملك الصالح بأخيه الملك الناصر حسن فى شوال سنة خمس وخمسين طلب الأمير أرغون من حلب فى آخر شوال فحضر إلى مصر، وعمل امير مائة مقدم ألف إلى تاسع صفر سنة ست وخمسين فامسك وحمل إلى الإسكندرية واعتقل فيها وعنده زوجته ثم نقل من الإسكندرية إلى القدس. فاقام بها بطالا، وبنى هناك تربة ومات بها يوم الخميس لخمس بقين من شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة.

(دار طاز) هذه الدار بجوار المدرسة البندقدارية تجاه حمام ألفارقانى على يمنه من سلك من الصليبة يريد حدرة البقر وباب زويلة. انشأها الأمير سيف الدين طاز فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، وكان موضعها عدة مساكن هدمها برضا أربابها وبغير رضاهم، وتولى الأمير منجك عمارتها وصار يقف عليها بنفسه حتى كملت فجاءت قصرا مشيدا واصطبلا كبيرا، وهى باقية إلى يومنا هذا يسكنها الأمراء، وفى يوم السبت سابع عشرى جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين عمل الأمير طاز فى هذه الدار وليمة عظيمة حضرها السلطان الملك الصالح صالح وجميع الأمراء. فلما كان وقت انصرافهم قدم الأمير طاز للسلطان اربعة افراس بسروج ذهب وكنابيش ذهب، وقدم للامير سنجر قرسين كذلك، وللامير صرغتمش فرسين ولكل وأحد من أمراء الألوف فرسا كذلك، ولم يعهد قبل هذا أن أحدا من ملوك الأتراك نزل إلى بيت أمير قبل الصالح هذا، وكان يوما مذكورا.

(طاز) الأمير سيف الدين أمير مجلس اشتهر ذكره فى أيام الملك الصالح إسماعيل، ولم يزل أميرا إلى أن خلع الملك الكامل شعبان، وأقيم المظفر حاجى وهو أحد الأمراء الستة ارباب الحل والعقد. فلما خلع الملك المظفر وأقيم الملك الناصر حسن زادت وجاهته وحرمته، وهو الذى أمسك الأمير يلبغا روس فى طريق الحجاز وأمسك أيضا الملك المجاهد سيف الإسلام على ابن المؤيد صاحب بلاد اليمن بمكة وأحضره إلى مصر، وهو الذى قام فى نوبة السلطان حسن لما خلع، وأجلس الملك الصالح صالح على كرسى الملك، وكان يلبس فى درب الحجاز عباءة وسر قولا، ويخفى نفسه ليجسس على أخبار يلبغا روس، ولم يزل على حالة إلى ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فخلع الصالح، وأعيد الناصر حسن فأخرج طاز إلى نيابة حلب وأقام بها.

(دار صرغتمش) هذه الدار بخط بئر الوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع احمد بن طولون من شارع الصليبة كان موضعها مساكن فاشتراها الأمير صرغتمش وبناها قصرا واصطبلا فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، وحمل إليه الوزراء والكتاب والأعيان من الرخام وغيره شيئا كثيرا، وقد ذكر التعريف به عند ذكر المدرسة الصرغتمشية من هذا الكتاب فى ذكر المدارس، وهذه الدار عامرة إلى يومنا هذا يسكنها الأمراء ووقع الهدم فى القصر خاصة فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة.

(دار الماس) هذه الدار بخط حوض ابن هنس فيما بينه وبين حدرة البقر بجوار جامع الماس. أنشأها الأمير الماس الحاجب، واعتنى برخامها عناية كبيرة، واستدعى به من البلاد فلما قتل فى صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلع ما فى هذه الدار من الرخام فقلع جميعه، ونقل إلى القلعة، وهذه الدار باقية إلى يومنا هذا ينزلها الأمراء.

(دار بهادر المقدم) هذه الدار بخط الباطلية من القاهرة أنشأها الأمير الطواشى سيف الدين بهادر مقدم المماليك السلطانية فى أيام الملك الظاهر برقوق، وبهادر هذا من مماليك الأمير يلبغا وأقام فى تقدمه المماليك جميع الأيام الظاهرية وكثر ماله وطال عمره حتى هرم ومات فى أيام الملك الناصر فرج وهو على إمرته وفى وظيفته تقدمة المماليك السلطانية يوم

الأحد سابع عشر رجب سنة اثنتين وثمانمائة، وموضع هذه الدار من جملة ما كان احترق من الباطلية فى أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم فى ذكر حارة الباطلية عند ذكر الحارات من هذا الكتاب، ولما مات المقدم بهادر استقرت من بعده منزلا لأمراء الدولة، وهى باقية على ذلك إلى يومنا هذا.

(**دار الست شقراء**) هذه الدار من جملة كتامة وهى اليوم بالقرب من مدرسة الوزير الصاحب كريم الدين بن غنام بجوار حمام كراى، وهى من الدور الجليلة. عرفت بخوند الست شقراء ابنة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون وتزوجها الأمير روس، ثم انحط قدرها واتضعت فى نفسها إلى أن ماتت فى يوم الثلاثاء ثامن عشرى جمادى الأولى سنة أحدى وتسعين وسبعمائة.

(**دار ابن عنان**) هذه الدار بخط الجامع الأزهر أنشأها نور الدين على بن عنان التاجر بقيسارية جهاركس من القاهرة وتاجر الخاص الشريف السلطانى فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون. كان ذا ثروة ونعمة كبيرة ومال متسع فلما زالت دولة الأشرف أجمع وداخله وهم واظهر فاقة، وتذكر أنه دفن مبلغا كبيرا من الألف مثقال ذهب فى هذه الدار، ولم يعلم به أحد سوى زوجته أم اولاده فأتفق أنه مرض وخرس، ومرضت زوجته أيضا فمات يوم الجمعة ثامن شوال سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وماتت زوجته ايضا فأسف اولاده على فقد ماله وحفروا مواضع من هذه الدار فلم يظفروا بشىء ألبته، واقامت مدة بايديهم وهى من وقف أبيهم. ومات ولده شمس الدين محمد بن على بن عنان يوم السبت تاسع صفر سنة ثلاث وثمانمائة ثم باعوها سنة سبع عشر وثمانمائة كما بيع غيرها من الأوقاف.

(**دار بهادر الأعسر**) هذا الدار بخط بين السورين فيما بين سويقة المسعودى من القاهرة وبين الخليج الكبير الذى يعرف اليوم بخليج اللؤلؤة. كان مكأنها من جملة دار الذهب التى تقدم ذكرها فى ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب، وإلى يومنا هذا بجوار هذه الدار قبو فيما بينها وبين الخليج يعرف بقبو الذهب من جملة أقباء دار الذهب، ويمر الناس من تحت هذا القبو.

بهادرهذا هو الأمير سيف الدين بهادر الأعسر اليحياوى كان مشرفا بمطبخ الأمير سيف الدين. فجاء الأمير شكار، ثم صار زردكاش الأمير الكبير يلبغا الخاصكى، وولى بعد ذلك مهمندار السلطان بدار الضيافة، وولى وظيفة شد الدواوين أن قدم الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب بعساكر الشام إلى مصر وأزال دولة الملك الظاهر برقوق فى جمادى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة قبض عليه ونفاه من القاهرة إلى غزة، ثم عاد بعد ذلك إلى القاهرة وأقام بها إلى أن مات بهذه الدار فى يوم عيد ألفطر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وحصرت تركته وكان فيها عدة كتب فى أنواع من العلوم، وهذه الدار باقية الى يومنا هذا وعلى بابها بئر بجانبها حوض يملأ لشرب الدواب منه.

(دار ابن رجب) هذه الدار من جملة أراضى البستان الذى يقال له اليوم الكافورى. كان اصطبلا للأمير علاء الدين على بن كلفت التركمانى شاد الدواوين فيما بين داره ودار الأمير تنكز نائب الشام. فلما استقر ناصر الدين محمد بن رجب فى الوزارة أنشأ هذا الاصطبل مقعدا صار يجلس فيه، وقصرا كبيرا واستولى بعده على ذلك كله أولاده فلما عمر الأمير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته بخط رحبة باب العيد أخذ هذا القصر والاصطبل فى جملة ما أخذ من أملاك الناس وأوقافهم، فلما قتله الناصر فرج واستولى على جميع ما خلفه أفرد هذا القصر والاصطبل فيما أفرده للمدرسة المذكورة فلم يزل من جملة أوقافها إلى أن قتل الملك الناصر فرج، وقدم الأمير شيخ نائب الشام إلى مصر فلما جلس على تخت الملك وتلقب بالملك المؤيد فى غرة شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وقف إليه من بقى من أولاد علاء الدين على بن كلفت، وهما أمرأتان كانت إحداهما تحت الملك المؤيد قبل ان يلى نيابة طرابلس، وهو من جملة أمراء مصر فى ايام الملك الظاهر برقوق، وذكرتا أن الأمير جمال الدين الاستادار أخذ وقف أبيهما بغير حق وأخرجتا كتاب وقف أبيهما، ففوض أمر ذلك لقاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقينى الشافعى. فلم يجد بيد أولاد جمال الدين مستندا فقضى بهذا المكان لورثة ابن كلفت وبقائه على ما وقفه حسبما تضمنه كتاب وقفه. فتلسم مستحقوا وقف ابن كلفت القصر والاصطبل، وهو الآن بأيديهم، وبينهم وبين أولاد ابن رجب نزاع فى القصر فقط.

(محمد بن رجب) ابن محمد بن كلفت الأمير الوزير ناصر الدين نشأ بالقاهرة على طريقة مشكورة. فلما استقر ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدى شاد الدواوين بعد انتقال الأمير جمال الدين محمود بن على من شاد الدواوين إلى استادارية السلطان فى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة أقام ابن رجب هذا استادارا عند الأمير سودون باق وكانت أول مباشراته، ثم ولى شد الدواوين بعد الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص فى ثامن شهر رمضان سنة اثنيتن وتسعين. فباشر ذلك إلى أن صرف بابن أقبغا آص فى سابع عشرى ذى الحجة، وعوض فى شد الدواوين بشد دواليب الخاص عوضا عن خاله الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام عند انتقاله إلى الوزارة. فلم يزل إلى ان توجه الملك الظاهر برقوق إلى الشام وأقام الأمير محمود الاستادار. فقدم عليه ابن رجب بكتاب السلطان وهو مختوم. فإذا فيه أن يقبض على ابن رجب، ويلزمه بحمل مبلغ مائة وستين ألف درهم نقرة. فقبض عليه فى رابع شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وأخذ منه مبلغ سبعين ألف درهم نقره. فلما كان فى يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين صرف السلطان عن الوزارة الصاحب موفق الدين أبا الفرج، واستقر بابن رجب فى منصب الوزارة وخلع عليه. فلم يغير زى الأمراء وباشر الوزارة على قالب ضخم وناموس مهاب، وصار أميرا ووزيرا مدبر الممالك، وسلك سيرة خاله الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام فى استخدام كل من باشر الوزارة فأقام الصاحب سعد الدين بن نصر الله بن البقرى ناظر الدولة والصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الغنام ناظر البيوت والصاحب علم الدين عبد الوهاب سن إبرة مستوفى الدولة والصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر رفيقا له فى استيفاء الدولة وأنعم عليه بأمره عشرين فارسا فى سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين فلم يزل على ذلك إلى أن مات من مرض طويل فى يوم الجمعة لأربع بقين من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وهو وزير من غير نكبة. فكانت جنازته من الجنائز المذكورة وقدذكرته فى كتاب درر العقود ألفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة.

(دارالقليجي) هذه الدار من جملة خط قصر بشتاك. كانت أولا من بعض دور القصر الكبير الشرقى. الذى تقدم ذكره عند ذكر قصور الخلفاء ثم عرفت بدار حمال الكفاة، وهو

القاضى جمال الدين إبراهيم المعروف بجمال الكفاة ابن خالة النشو ناظر الخاص كان أولا من جملة الكتاب النصارى فأسلم وخدم فى بستان الملك الناصر محمد بن قلاوون ـ الذى كان ميدانا للملك الظاهر بيبرس بأرض اللوق، ثم خدم فى ديوان الأمير بيدمر البدرى. فلما عرض السلطان دواوين الأمراء واختار منهم جماعة كان من جملة من اختاره السلطان جمال الكفاة هذا، فجلعه مستوفيا إلى أن مات المهذب كاتب الأمير بكتمر الساقى فولاه السلطان مكأنه فى ديوان الأمير بكتمر. فخدمه إلى أن مات فخدم بديوان بشتاك إلى أن قبض الملك الناصر على النشو ناظر الخاص ولاه وظيفة نظر الخاص بعد النشو ثم أضاف إليه وظيفة نظر الجيش بعد المكين بن قزوينة عند غضبه عليه ومصادرته فباشر الوظيفتين إلى أن مات الملك الناصر. فاستمر فى أيام الملك المنصور أبى بكر والملك الأشرف كجك والملك الناصر أحمد. فلما ولى الملك الصالح إسماعيل جعله مشير الدولة مع مابيده من نظر الخاص والجيش، وكان الوزير إذ ذاك الأمير نجم الدين محمود وزير بغداد وكتب له توقيعا باستقراره فى وظيفة الإشارة فعظم أمره وكثر حساده إلي أن قبض عليه وضرب بالمقارع وخنق ليلة الأحد سادس ربيع الأول سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ودفن بجوار زواية ابن عبود من القرافة، وكانت مدة نظره فى الخاص خمس سنين وشهرين تنقص أياما، وكان مليح الوجه حسن العبارة كثير التصرف يعرف باللسان التركى، ويتكلم به ويعرف باللسان النوبى والتكرورى، ولم تزل هذه الدار بغير تكملة إلى أن ترأس القاضى شمس الدين محمد بن أحمد القليجى الحنفى. كان أولا يكتب على مبيضة الغزل وهى يومئذ مضمنه لديوان السلطان، ثم اتصل بقاضى القضاة سراج الدين عمر بن اسحاق الهندى يومئذ فرفع من شنه واستنابه فى الحكم فعيب ذلك على الهندى، وقال فيه شمس الدين محمد بن محمد الصائغ الحنفى.

ولما رأينا كاتب المكس قاضيا

علمنا بأن الدهر عاد إلى ورا

فقلت لصحبى ليس هذا تعجبا

وهل يجلب الهندى شيئا سوى الخمرا

وولى إفتاء دار العلم، وناب عن القضاة فى الحكم بعد مباشرة توقيع الحكم عدة سنين. فعظم ذكره وبعد صيته، وصار يتوسط بين القضاة والأمراء فى حوائجهم، ويخدم أهل الدولة فيما يعن لهم من الأمور الشرعية. فصار كثير من أمور القضاة لا يقوم به غيره حتى لقد كان شيخنا الأستاذ قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون يسميه دريد بن الصمة. يعنى أنه صاحب رأى القضاة كما أن دريد بن الصمة كان صاحب رأى هوازن يوم حنين. فلما فخم أمره أخذ هذه الدار، وقد تم بناء جدرأنها فرخمها وزخرفها وبيضها. فجاءت فى أعظم قالب وأحسن هندام وأبهج زى. وسكنها إلى أن مات يوم الثلاثاء لعشرين من شهر رجب سنة سبع وتسعين وسبعمائة بعد ما وقفها فاستمرت فى يد أولاده مدة إلى أن أخذها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار كما أخذ غيرها من الدور.

(دار بهادر المعزي) هذه الدار بدرب راشد المجاور لخزانة البنود من القاهرة. عمرها الأمير سيف الدين بهادر المعزى. كان أصله من اولاد مدينة حلب من أبناء التركمان واشتراه الملك المنصور لاجين قبل أن يلى سلطنه مصر، وهو فى نيابة السلطنة بدمشق فترقى حتى صار أحد أمراء الألوف إلى أن مات فى يوم الجمعة تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن ابنتين. إحداهما تحت الأمير أسدمر المعزى والأخرى تحت مملوكة أقتمر وترك كثيرا منه ثلاثة عشر ألف دينار وستمائة ألف درهم نقرة وأربعمائة فرس وثلاثمائة جمل ومبلغ خمسين ألف إردب غلة، وثمان جوايص ذهب، وثلاث كلوتات زركش واثنى عشر طراز زركش، وعقارا كثيرا. فأخذ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما خلفه، وكان جميل الصورة معروفا بالفروسية، ورمى فى القبق النشاب بيمينه ويساره، ولعب الرمح لعبا جيدا، وكان لين الجانب حلو الكلام جميل العشرة إلا أنه كان مقترا على نفسه فى مأكله وسائر أحواله لكثرة شحه. بحيث إنه اعتقل مرة فجمع من راتبه الذى كان يجرى عليه وهو فى السجن مبلغ اثنى عشر ألف درهم نقرة أخرجها معه من الاعتقال.

(دار طينال) هذه الدار بخط الخراطين فى داخل الدرب الذى كان يعرف بخربة صالح. كان موضعها وما حولها فى الدولة ألفاطمية مارستانا، وأنشأ هذه الدار الأمير طينال أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون. اقامه ساقيا ثم عمله حاجبا صغيرا، ثم أعطاه إمره دكتمر

وجعله أمير مائة مقدم ألف فباشر ذلك مدة ثم أخرجه لنيابة طرابلس فأقام بها زمانا، ثم نقله إلى نيابة صفد فمات بها فى ثالث شهر ربع سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان تترى الجنس. قصيرا إلى الغاية مليح الوجه مشكورا فى أحكامه. محبا لجمع المال شحيحا. وهذه الدار تشتمل على قائمتين متجاورتين، وهى من الدور الجليلة، ولطينال أيضا قيسارية بسويقة أمير الجيوش.

(دار الهرماس) هذه الدار كانت بجوار الجامع الحاكمى من قبلية شارعة فى رحبة الجامع على يسرة من يمر الى باب النصر. عمرها الشيخ قطب الدين محمد بن المقدسى المعروف بالهرماس، وسكنها مدة، وكان أثيرا عند السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون له فيه اعتقاد كبير. فعظم عند الناس قدره، واشتهر فيما بينهم ذكره إلى أن دبت بينه وبين الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش عقارب الحسد. فسعى به عند السلطان إلى أن تغير عليه وأبعده، ثم ركب فى يوم سنة أحدى وستين وسبعمائة من قلعة الجبل بعساكره إلى باب زويلة فعندما وصل إليه ترجل الأمراء كلهم عن خيولهم ودخلوا مشاة من باب زويلة كما هى العادة وصار السلطان راكبا بمفرده وابن النقاش أيضا راكب بجانبه وسائر الأمراء والمماليك مشاة فى ركابه على ترتيبهم إلى أن وصل السلطان إلى المارستان المنصورى بين القصرين فنزل إليه ودخل القبة وزار قبر أبيه وجده وإخوته، وجلس وقد حضر هناك مشايخ العلم والقضاة فتذاكروا بين يديه مسائل علمية، ثم قام إلى النظر فى امور المرضى بالمارستان فدار عليهم حتى انتهى غرضه من ذلك، وخرج فركب وسار نحو باب النصر والناس مشاة فى ركابه إلا ابن النقاش فإنه راكب بجانبه إلى أن وصل إلى رحبة الجامع الحاكمى. فوقف تجاه دار الهرماس وأمر بهدمها. فهدمت وهو واقف وقبض على الهرماس وابنه وضرب بالمقارع عدة شيوب، ونفى من القاهرة إلى مصياف فقال الإمام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى فى ذلك.

قد ذاق هرماس الخسارة
من بعد عز وجساره
حسب البهتان يبقى
اخرب الله دياره

فلما قتل السلطان فى سنة اثنين وستين عاد الهرماس إلى القاهرة، وأعاد بعض داره. فلما كانت سنة ثمانين وسبعمائة صارت هذه الدار إلى الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب فأنشأها قاعة وعدة حوانيت وربعا علو ذلك، وانتقل من بعده إلى أولاده وهو بأيديهم إلى اليوم.

(**دار أوحد الدين**) هذه الدار بداخل درب السلامى فى رحبة باب العيد مقابل قصر الشوك وإلى جانب المارستان العتيق الصلاحى. كان موضعها من حقوق القصر الكبير وصار أخيرا طاحونا. فهدمها القاضى أوحد الدين عبد الواحد أيام كان يباشر توقيع الأمير الكبير برقوق بعد سنة ثمانين وسبعمائة. فلما حفر أساس هذه الدار وجد فيه هيئة معقودة من لبن وفى داخلها إنسان ميت قد بليت أكفانه وصار عظما نخرا، وهو فى غاية طول القامة يكون قدر خمسة أذرع، وعظام ساقيه خلاف ما عهد من الكبر، ودماغه عظيم جدا، فلما كملت هذه الدار سكنها أيام مباشرته وظيفة كتابة السر إلى ان مات بها وقد حبسها على أولاده. فاستمرت بأيديهم إلى أن أخذها منهم الأمير جمال الدين يوسف الاستادار كما أخذ غيرها من الأوقاف فاستمرت فى جملة ما بيده إلى أن قتله الملك الناصر فرج فقبضها فيما قبض مما خلفه جمال الدين. فلما قتل الملك الناصر فرج، واستقل الملك المؤيد شيخ بمملكة مصر، واسترجع اولاد جمال الدين ما كان أخذه الناصر من أملاك جمال الدين، وصارت بايديهم إلى أن وقف له أولاد أوحد الدين فى طلب دار أبيهم فعقد لذلك مجلسا اجتمع فيه القضاة فتبين أن الحق بيد أولاد أوحد الدين فقضى بإعادة الدار إلى ما وقفها عليه أوحد الدين. فتسلمها أولاد أوحد الدين من ورثة جمال الدين وهي الآن بأيديهم.

(**عبد الواحد**) بن إسماعيل ابن ياسين الحنفى اوحد الدين كاتب السر. ولد بالقاهرة ونشأ بها فى كنف قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن على التركمانى الحنفى لصهارة كانت بين ابيه وبين التركمانية، وباشر توقيع الحكم مدة، واتفق أن أميرا من أمراء الملك الأشرف شعبان بن حسين يعرف بيونس الرماح مات فادعى برقوق العثمانى أحد المماليك اليلبغاوية أنه ابن عم يونس هذا وأنه يستحق إرثه لموته عن غير ولد، وحضر إلى المدرسة الصالحية بين القصرين حيث يجلس القضاة للحكم بين الناس حتى يثبت ما ادعاه. فلما أراد الله من إسعاد جد أوحد الدين لم يقف برقوق على أحد من موقعى الحكم إلا عليه وأخبره بما يريد فبادر إلى توريق سؤال باسم برقوق وإنهائه انه ابن عم يونس الرماح وأن عنده بينه تشهد

بذلك، ودخل بهذا السؤال إلى قاضى القضاة وأنهى العمل حتى ثبت أن برقوق ابن عم يونس يستحق إرثه فلما فرغ من ذلك دفع برقوق إلى أوحد الدين مبلغ دراهم أجرة توريقه كما هى عادة أهل مصر فى هذا فامتنع من أخذها، وألحف برقوق فى سؤاله وهو يمتنع. فتقلد له برقوق المنة بذلك، واعتقد أمانته وخيره وصار لكثرة ركونه إليه إذا قدم فلاحو إقطاعه يبعثهم إليه حتى يحاسبهم عما حملوه من الخراج. فلما قتل الملك الأشرف وثارت المماليك وكان من أمرهم ماكان إلى أن تغلب برقوق وصار من جملة الأمراء، واستولى على الاصطبل السلطانى فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة، وصار أميرا آخور أقام اوحد الدين موقعا عنده، ومازال أمر برقوق يزداد قوة حتى انيطت به أمور المملكة كلها فصار أوحد الدين صاحب الحل والعقد، وكاتب السر بدر الدين محمد بن على بن فضل الله اسما لا معنى له إلى أن جلس الأمير برقوق على تخت المملكة فى شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة. فقرر القاضى أوحد الدين فى وظيفة كتابة السر عوضا عن ابن فضل الله، وخلع عليه فى يوم السبت ثانى عشر شوال من السنة المذكورة. فباشر كتابة السر على القالب الجائز، وضبط الأمور أحسن وعكف سائر الناس على بابه لتمكنه من سلطانه، وكان الأمير يونس الدوادار يرى أنه أكثر الناس من الأمراء تمكينا من السلطان، وجرت العادة بانتماء كاتب السر إلى الدوادار فأحب أوحد الدين الاستبداد على الأمير يونس الدوادار. فقال للسلطان سرا فى غيبة يونس: إن السلطان يرسم بكتابة مهمات الدولة وأسرار المملكة إلى البلاد الشامية وغيرها، والأمير الدوادار يريد من المملوك أن يطلع على ذلك، فلم يقدر المملوك على مخالفته ولا أمكنه إعلامه إلا بإذن فأنف السلطان من ذلك، وقال الحذر أن يطلع على شىء من مهمات السلطان أو أسراره فقال أخاف منه إن سأل ولم أعلمه لأسراره. فقال السلطان: ما عليك منه فرأى أنه قد تمكن حينئذ فأمسك أياما ثم أراد الازدياد من الاستبداد فقال للسلطان سرا: قد رسم السلطان أن لا يطلع أحد على سر السلطان، ولا يعرف بما يكتب من المهمات وطائفة البريدية كلهم يمشون فى خدمة الأمير الدوادار فإذا اقتضت آراء السلطان تسفير أحد منهم فى مهم يحتاج المملوك إلى استدعائه من خدمة الأمير الدوادار، فإذا التمس منى أنى أخبره بالمعنى الذى توجه فيه البريدى لا أقدر على إعلامه بذلك ولا آمن أن كتمته وانصرف. فلما كان من الغد وطلع الأمراء إلى الخدمة على العادة قال السلطان للامير يونس الدوادار أرسل البريدية كلهم إلى كاتب السر ليمشوا ويركبوا معه. فلم يجد بدا من إرسالهم وحصل عنده من إرسالهم المقيم المقعد. فصار

البريدية يركبون نوبا فى خدمة أوحد الدين، ويتصرف فى أمور الدولة وحده مع سلطانه. فانفرد بالكلمة، وخضع له الخاص والعام. إلا أنه نغص عليه فى نفسه ومرض مرضا طويلا سقطت معه شهوة الطعام بحيث إنه لم يكن يشتهى شيئا من الغذاء، وتنوع له المأكل بين يديه لكى تميل نفسه إلى شىء منها، ومتى تناول غذاء تقيأه فى الحال، ومازال على ذلك إلى أن مات عن سبع وثلاثين سنة فى يوم السبت ثانى ذى الحجة سنة ست وثمانين وسبعمائة ودفن خارج باب النصر. فلم يتأخر أحد من الأمراء والاعيان عن جنازته، وكان حسن السياسة رضى الخلق كثير السكون. جيد السيرة. جميل الصورة. حسن الهيئة. عارفا بأمر دنياه محبا للمداراة. صاحب باطن. قليل العلم. رحمه الله.

(**ربع الزيتي**) هذا الربع كان بجوار قنطرة الحاجب التى على الخليج الناصرى، وكان يشتمل على عدة مسالك ينزلها أهل الخلاعة للقصف. فإنه كان يشرف من جهاته الاربع على رياض وبساتين. ففى شرقية غيط الزيتى، وقد خرب، وموضعه اليوم بركة ماء، وفى غربية غيط الحاجب بيبرس، وأدركته عأمرا. وهو اليوم مزارع بعد ما كان له باب كبير بجانبه حوض ماء للسبيل، وعليه سياج من طين دائر به، ومن قبلى هذا الربع الخليج وقنطرة الحاجب والجنينة التى بأرض الطبالة، ومن بحرية بساتين تتصل بالبعل وكوم الريش. ومازال هذا الربع معمورا باللذات. آهلا بكثرة المسرات إلى أن كانت سنة الغرقة وهى سنة خمس وخمسين وسبعمائة. فخربت دور كوم الريش وغيرها، ووصل ماء النيل إلى قنطرة الحاجب فخرب ربع الزيتى. وأهمل أمره حتى صار كوما عظيما تجاه قنطرة الحاجب وغيط الحاجب، وسمعت من أدركته يخبر عن هذا الربع بعجائب من الملاذ التى كانت فيه، وكانت العامة تقول فى هزلها ستى اين كنتى واين رحتى واين جيتى قالت من ربع الزيتى.

ثم انقضت تلك السنون وأهلها

فكأنهـــــا احـــــلام

(**الدار التي في اول البرقية من القاهرة التي حيطانها حجارة بيض منحوتة**) هذه الدار بقى منها جدار على يمين من سلك من المشهد الحسينى يريد باب البرقية، وبقى منها أيضا جدار على يمين من سلك من رحبة الايدمرى الى باب البرقية، وهى دار الأمير صبيح بن شاهنشاه أحد أمراء الدولة ألفاطمية فى أيام الصالح طلائع بن رزيك، وكانت فى غاية الكبر

والتحسين. قال بعض أصحاب الصالح: يا مولانا أبقاك الله حتى تتم دار ابن شاهنشاه، وكان الضرغام قبل أن يلى وزارة مصر قد فرس العادل أبا شجاع رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك فظهر منه فارسا فى غاية ألفروسية. بحيث أنه قد حضر فى يوم عيد الحلقة، وأخذ رمحا وحربة وقوسا وسهما فأخذ الحلقة بالرمح ورمى بالسهم فأصاب الغرض وحذف بالحربة فأثبتها فى المرمى ولعب بالرمح فى غاية الحسن ثم دخل صبيح بن شاهنشاه فعمل مثل ذلك فتحرك الضرغام، وكان يلبس عمامة بعذبة وأكمام واسعة على زى المصريين يومئذ فتلثم بعذبته ولف أكمامه وأخذ رمحه ولعب به فى غاية الحسن وطرد ذلك، ودخل فى الحلقة وأخذها فعجب منه كل من فى العسكر. فأخذ عند ذلك الأمير صبيح بن شاهنشاه المبخرة وأتى إليه وقال يامولاي: كفاك الله أمر العين فإن هذا شئ ما يقدم عليه أحد، وجعل يدور حول فرسه ويبخره والضرغام يتبسم ويعجبه ذلك، وبعد هذا كان قتل ابن شاهنشاه على يده فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ولم تكمل هذه الدار.

(دار ألتمر) هذه الدار بمدينة مصر من خارجها فيما انحسر عنه ماء النيل بعد الخمسمائة من سنى الهجرة، وتعرف اليوم بصناعة ألتمر تجاه الصاغة بخط سوق المعاريج ومن جملتها بيت برهان الدين إبراهيم الحلى ومدرسته، وهذه الدار وقفها القاضى عبد الرحيم بن على البيسانى على فكاك الأسرى من المسلمين ببلاد ألفرنج قال القاضى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى كتاب الدر النظيم فى أوصاف القاضى ألفاضل عبد الرحيم: ومن جملة بنائه دار ألتمر بمصر المحروسة ولها دخل عظيم يجمع ويشترى به الأسرى من بلاد ألفرنج، وذلك مستمر إلى هذا الوقت، وفى كل وقت يحضر بالأسارى فيلبسون ويطوفون ويدعون له. وسمعتهم مراراً يقولون يا الله يا رحمن يا رحيم. ارحم القاضى ألفاضل عبد الرحيم. وقال القاضى جمال الدين بن شيث: كان للقاضى ألفاضل ربع عظيم يؤجر بمبلغ كبير. فلما عزم على الحج ركب ومر به ووقف عليه وقال أللهم إنك تعلم أن هذا الخان ليس شئ أحب الى منه. أو قال أعز على منه. أللهم فاشهد أنى وقفته على فكاك الأسرى من بلاد ألفرنج. وقال ابن المتوج: ومن جملة الأوقاف الوقف ألفاضلى وهو الدار المشهورة بصناعة ألتمر الوقف على فكاك الأسرى من يد العدو المشتملة على مخازن وأخصاص وشون ومنازل علوية وحوانيت بمجازها وظاهرها. وهى اثنا عشر حانوتاً وخمسة مقاعد وثمانية وخمسون مخزناً

وخمسة عشر خصاً وست قاعات وساحة وست شون وخمسة وسبعون منزلا وخمسة مقاعد علوية . الأجرة عن ذلك جميعه إلى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وستمائه فى كل شهر ألف ومائة وست وثلاثون درهما نقرة ، واستجد بها القاضى جمال الدين الوجيزى خليفة الحكم بمصر حين كان ينظر فى الأوقاف دارا من ربع الوقف فأكلها البحر فأمر ببناء زريبة أمامها من مال الوقف .

(**عمارة أم السلطان**) هذه العمارة من جملة المنحر . كانت دارا تعرف بالأمير جمال الدين إيدغدى العزيزى ولها باب من الدرب الأصفر الذى هو الأن تجاه خانقاه بيبرس وباب من المحايريين تجاه الجامع الأقمر . عرفت هذه الدار بالأمير مظفر الدين موسى الصالح على بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي ، ثم خربت فأنشأتها خوند أم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، وجعلت منها قيسارية بخط الركن المخلق يباع بها الجلود ، ويعلوها ربع جليل لسكن العامة يشتمل على عدة طباق ، ووقفت ذلك على مدرستها بخط التبانة خارج باب زويلة . فلم تزل جارية فى وقفها إلى أن أغتصبها الوزير الأمير جمال الدين يوسف الاستادار فيما أخذ من الأوقاف وجعلها وقفاً على مدرسته بخط رحبة باب العيد من القاهرة ، وجعلت خوند بركة من جملة هذه الدار قاعة لم يعمر فيها سوى بوابتها لا غير ، وهى أجل بوابات الدور ، وقد دخلت أيضا فيما أخذه جمال الدين وصارت بيد مباشرى مدرسته إلى أن أخذها السلطان الملك الأشرف أبو العزيزى برسباى الدقماقى الظاهري ، وابتدأ بعملها وكالة فى شوال سنة خمس وعشرين وثمانمائة فكملت فى رجب سنة ست وعشرين ، وغير من الطراز المنقوش فى الحجارة بجانبى باب الدخول اسم شعبان بن حسين وكتب برسباى فجاءت من أحسن المباني ، ويعلوها طباق للسكني ، ولم يسخر فى عمارتها أحد من الناس كما أحدثه ولاة السوء فى عمائرهم . بل كان العمال من البنايين والفعلة ونحوهم يوفون أجورهم من غير عنف ولا عسف . فإنه كان القائم على عمارتها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش وهذه عادته فى أعماله . أن لا يكلف فيها العمال غير طاقتهم ويدفع إليهم أجورهم . والله أعلم .

ذكر الحمامات

قال أبن سيده : الحمام والحميم والحميمة جميعا الماء الحار ، والحميمة أيضا المخض إذا سخن وقد أحمه وحمه ، وكلما سخن فقد حم . قال ابن الأعرابي : والحمائم جميع الحميم الذى هو الماء الحار وهذا خطأ لأن فعيلا لا يجمع على فعائل وإنما هو جميع الحميمة الذى هو الماء الحار لغة فى الحميم مذكر ، وهو أحد ما جاء من الأسماء على فعال نحو القذاف والجبان والجمع حمامات قال سيبويه : جمعوه بالالف والتاء وإن كان مذكراً حيث لم يكسر . جعلوا ذلك عوضا من التكسير والاستحمام والاغتسال بالماء الحار وقيل هو الاغتسال بأى ماء كان ، والحميم العرق واستحم الرجل عرق . وأما قولهم لداخل الحمام إذا خرج طاب حميمك فقد يعنى به العرق أى طاب عرقك ، وإذا دعى له بطيب العرق فقد دعى له بالصحة لان الصحيح يطيب عرقه ، ورى عن سفيان الثورى أنه قال ما درهم ينفقه المؤمن هو فيه أعظم أجراً من درهم يعطيه صاحب الحمام ليخليه له ، وقال محمد بن إسحاق فى كتاب المبتدي : إن أول من اتخذ الحمامات والطلاء بالنورة سليمان بن داود عليهما السلام ، وأنه لما دخل ووجد حميمه قال : «أواه من عذاب الله أواه» وذكر المسيحى فى تاريخه أن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أول من بنى الحمامات بالقاهرة . وذكر الشريف أسعد الجوانى عن القاضى القضاعى أنه كان فى مصر الفسطاط ألف ومائة وسبعون حماماً . وقال أبن المتوج : إن عدة حمامات مصر فى زمنه بضع وسبعون حماماً . وذكر أبن عبد الظاهر أن عدة حمامات القاهرة إلى آخر سنة خمس وثمانين وستمائة تقرب من ثمانين حماماً . وأقل ما كانت الحمامات ببغداد فى أيام الخليفة الناصر أحمد أبن المستنصر نحو الالفى حمام .

حمامى السيدة العمة

قال أبن عبد الظاهر حمامى الكافى يعرفان بحمامى السيدة العمة وانتقلتا إلى الكامل بن شاور ، ثم إلى ورثة الشريف بن ثعلب ، وهما الآن بأيديهم ولا تدور إلا الواحدة وهاتان

الحمامان كانتا على يمنة من يدخل من أول حارة الروم تجاه ربع الحاجب لؤلؤ المعروف الآن بربع الزياتين علو الفندق الذى بابه بسوق الشوايين، وكانت إحداهما برسم الرجال والآخرى برسم النساء، وقد خربتا ولم يبق لها أثر البته.

حمام الساباط

قال أبن عبد الظاهر كان فى القصر الصغير باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة فى العيد يخرج منه إلى الميدان، وهو الخرشتف الآن إلى المنحر لينحر فيه الضحايا. قلت حمام الساباط هذا يعرف فى زمننا بحمام المارستان المنصوري، وهو برسم دخول النساء عند باب سر المارستان المنصوري. وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربي، ويعرف أيضا بحمام الصنيمة. فلما زالت دولة الخلفاء الفاطميين من القاهرة باعها القاضى مؤيد الدين أبو المنصور محمد بن المنذر بن محمد العدل الأنصارى الشافعى وكيل بيت المال فى أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب للأمير عز الدين أيبك العزيزي، هى وساحات تجاذبها بألف ومائتى دينار فى ذى الحجة سنة تسعين وخمسمائة، ثم باعها الأمير عز الدين أيبك للشيخ أمين الدين قيمار بن عبد الله الحموى التاجر بألف وستمائة دينار، فورثها من بعده من استحق إرثه، ثم اشترى من الورثة نصفها الأمير الفارس صارم الدين خطلبا الكامى العادلى فى سنة سبع وثلاثين وستمائة، وأنتقلت أيضا منها حصة إلى ملك الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى استادار الملك الظاهر بيبرس فى سنة ثمان وسبعين وستمائة. فلما تملك الملك المنصور قلاوون الألفى وأنشأ المارستان الكبير المنصورى صارت فيما هو موقوف عليه. وهى الآن فى أوقافه ولها شهرة فى حمامات القاهرة.

حمام لؤلؤ

هذه الحمام برأس رحبة الأيدمرى ملاصقة لدار السناني . أنشأها الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب فى أيام . . .

حمام الصنيمة

هذه الحمام كانت بالقرب من خزانة البنود، على يسرة من سلك فى رحبة باب العيد إلى قصر الشوك، وقد خربت وعمل فى موضعها مبيضة للغزل بالقرب من الجمالية .

حمام تتر

هذه الحمام كانت بخط دار الوزارة الكبري، وقد خربت وصار مكانها دار عفرت بالأمير الشيخ علي، وهى الدار المجاورة للمدرسة النابلسية فى الزقاق المقابل للخانقاه الصلاحية سعيد السعداء .

(وتتر هذا) بتاءين مفتوحين كل منهما منقوط بنقطتين من فوق أحد مماليك أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . . استولى على هذه الحمام وكانت معدة لدار الوزارة فى مدة الدولة الفاطمية . فعرفت به وما حولها وإلى الآن يعرف ذلك الخط بخط خرائب تتر، والعامة تقول خرائب التتر بالتعريف وهو خطأ .

حمام كرجي

هذه الحمام كانت بخط خرائب تتر أيضاً فى جوار المدرسة النابلسية تجاه باب الخانقاه الصلاحية عرفت بالأمير علم الدين كرجى الأسدى أحد الأمراء الأسدية فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد خربت هذه الحمام، وبنى فى مكانها هذا البناء الذى تجاه باب الخانقاه بأول الزقاق.

حمام كتيلة

هذه الحمام كانت داخل باب الخوخة برأس سويقة الصاحب. عرفت أخيراً بالأمير صارم الدين ساروج شاد الدواوين، ثم خربت فى أيام ومكانها الآن مسمط يذبح فيه الغنم وتسمط.

حمام ابن أبى الدم

هذه الحمام كانت فيما بين سويقه المسعودى وباب الخوخة أنشأها أبن أبى الدم اليهودى أحد كتاب الانشاء فى أيام الخليفة الحاكم، وتولى ابن خيران الديوان، ونقل عنه أنه وسع بين السطور فى كتابه كتبه إلى الخليفة، وهذه مكاتبة الأعلى إلى الأدنى فلما حضر وأنكر عليه الحق بين السطر والسطر سطرا مناسباً لسلفظ والمعنى من غيره أن يظهر ذلك. فعفا عنه، وقد خربت وصار مكانها درب فيه دور يعرف بسكن القاضى بدر الدين حسن البردينى أحد خلفاء الحاكم العزيزى الشافعي، وأدركت بعض آثار هذه الحمام.

حمام الحصينية

هذه الحمام كانت فى سويقة الصاحب من داخل درب الحصينية الذى يعرف اليوم بدرب أبن عرب . . وقد خربت .

حمام الذهب

هذه الحمام كانت بدار الذهب أحد مناظر الخلفاء الفاطميين التى ذكرت فى المناظر من هذا الكتاب، وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها أثر .

حمام ابن قرقة

هذه الحمام كانت بخط سويقة المسعودى من حارة زويلة . أنشأها أبو سعيد بن قرقه الحكيم متولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح فى الدولة الفاطمية بجوار داره التى تقدمت فى الدور من هذا الكتاب، ثم عرفت هذه الحمام فى الدولة الأيوبية بالأمير صارم الدين المسعودى وإلى القاهرة المنسوب إليه سويقة المسعودى المذكورة فى الاسواق من هذا الكتاب، ، ثم خربت هذه الحمام وعمل فى موضعها فندق عرف أخيراً بفندق عمار الحمامى بجوار جامع أبن المغربى من جانبه الغربي، وأخذت بئر هذه الحمام فعملت للحمام التى تعرف اليوم بحمام السلطان .

حمام السلطان

هذه الحمام بيتوصل إليها الآن من سويقة المسعودى ومن قنطرة الموسكي، وهى من الحمامات القديمة. عرفت فى الدولة الفاطمية بحمام الأوحد، ثم عرفت بحمام الطيبرسي، ثم هى الآن تعرف بحمام السلطان.

حمام خوند

هذه الحمام بجوار رحبة خوند المذكورة فى الرحاب من هذا الكتاب، وكانت برسم الدار التى تعرف الآن بدار خوند أردتكين ثم أفردت وصارت إلى الآن حماما يدخله عامة الرجال فى أوائل النهار، ثم تعقبهم النساء من بعد. إلى أن هدمها الأمير صلاح الدين محمد استادار السلطان أبن الأمير الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وعمل موضعها من جملة داره التى هناك.

حمام ابن عبود

هذه الحمام موضعها فيما بين اصطبل الجميزة المذكورة فى اصطبلات الخلفاء من هذا الكتاب وبين رأس حارة زويلة. وهى من الحمامات القديمة عرفت بحمام الفلك، وهو القاضى فلك الملك العادل. ثم عرفت بالأمير على بن أبى الفوارس، ثم عرفت بأبن عبود، وهو الشيخ نجم الدين أبو الحسين بن محمد بن إسماعيل بن عبود القرشى الصوفي. مات فى يوم الجمعة ثالث عشرى شوال سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بعد ما عظم قدره، ونفذ فى أرباب الدولة نهيه وأمره. وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية أبن عبود بلحف الجبل

قريباً من الدينوري من القرافة. فانظرها في الزوايا من هذا الكتاب، ولم تزل هذه الحمام جارية في أوقاف التربة المذكورة إلى أن تسلط الأمير جمال الدين على أموال أهل مصر فاغتصب أبن أخته الأمير شهاب الدين أحمد المعروف بسيد أحمد أبن أخت جمال الدين هذه الحمام، واغتصب دار أبن فضل الله التي تجاه هذه الحمام، واغتصب دارا أخرى بجوارها وعمر هناك دارا عظيمة كما قد ذكر في الدور من هذا الكتاب.

حمام الصاحب

هذه الحمام بسويقة الصاحب عرفت بالصاحب. الوزير صفي الدين عبدالله بن شكر الدمري. صاحب المدرسة الصاحبية التي بسويقة الصاحب، ثم تعطلت مدة سنين. فلما ولى الأمير تاج الدين الشوبكي ولاية القاهرة في أيام الملك المؤيد شيخ جددها وأدار بها الماء في سنة سبع عشرة وثمانمائة.

حمام السلطان

هذه الحمام كان موضعها قديماً من جملة دار الديباج. وهي الآن بخط بين العواميد من البندقانيين بجوار خوخة سوق الجوار ومدرسة سيف الإسلام. أنشأها الأمير فخر الدين عثمان بن قزل استادار السلطان الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وتنقلت إلى أن صارت في أوقاف الملك الناصر محمد بن قلاوون.

حمام طغريك

هاتان الحمامان بجوار فندق فخر الدين بالقرب من سويقة حارة الوزيرية أنشأهما الأمير حسام الدين طغريك المهراني أحد الأمراء الأيوبية .

حمام السوباشي

هذه الحمام كانت بدرب طلائع بخط الخروقيين . الذى يعرف اليوم بسوق الفرايين . عرفت بالأمير الفارس همام الدين أبو سعيد برغش السوباشي ، واسمه عمرو بن كحت بن شيرك العزيزى والى القاهرة .

حمام عجينة

هذه الحمام كانت بخط الأكفانيين . أنشأها الأمير فخر الدين أخو الأمير عز الدين موسك في الدولة الأيوبية ، وتنقلت حتى صارت بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى مما أوقف عليهم ، وعرفت أخيرا بحمام عجينة ، ثم خربت بعد سنة أربعين وسبعمائة ، وموضعها الآن خربة بجوار الفندق الكبير المعد لديوان المواريث .

حمام دري

هذه الحمام كانت بخط الأكفانيين الآن . عرفت بشهاب الدولة درى الصغير غلام المظفر بن أمير الجيوش . قال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب النقط . لمعجم ما أشكل

من الخطط : شهاب الدولة درى المعروف بالصغير المظفرى غلام المظفر أمير الجيوش . كان أرمنيا وأسلم، وكان من المشددين فى مذهب الإمامية وقرأ الجمل فى النحو للزجاجى وكتاب اللمع لأبن جني، وكان له خرائط من القطن الابيض فى يديه ورجليه وكان يتولى خزائن الكسوة، ولا يدخل على بسط السلطان ولا بسط الخليفة الحافظ لدين الله ولا يدخل مجلسه إلا بتلك الخرائط فى رجليه ولا يأخذ من أحد شيئا إلا وفى يديه خريطة يظن أن كل من لمسه نحسه وسوسة منه. فإذا اتفق أنه صافح أحدا أو مس رقعة بيده من غير خريطة لا يمس ثوبه بها أبدا حتى يغسلها فإن لمس ثوبه بها غسل الثوب، وكان الاستاذون المحنكون يرمون له فى بساط الخليفة الحافظ العنب فإذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه إلى رجليه سهم وحرد، فيعجب الخليفة من ذلك ويضحك، ولا يؤاخذه بما صدر منه ومات بعد سنة وثلاث وثلاثين وخمسمائة، وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها أثر يعرف .

حمام الرصاصي

هذه الحمام كانت بحارة الديلم . أنشأها الأمير سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء المروانى حامل السيف المنصور وأوقفها هى وجميع الآدر المجاورة لها على أولاده وذريته . فلما زالت الدولة الفاطمية عرفت بالأمير عز الدين أيبك الرصاصي، ولم تزل باقية إلى بعد سنة أربعين وسبعمائة ثم خربت .

حمام الجيوشي

هذه الحمام كانت بحارة برجوان على يمنة من دخل من رأس الحارة، وكانت من حقوق دار المظفر أبن أمير الجيوش، ثم صارت بعد زوال الدولة الفاطمية من جملة ما أوقفه الملك العادل أبو بكر أبن أيوب على رباطه الذى كان بخط النخالين من فسطاط مصر، ثم وضع

بنو الكويك أصهار قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة أيديهم عليها فى جملة ما وضعوا أيديهم عليه من الأوقاف بحارة أبن جماعة وانتفعوا بربعها مدة سنين، ثم خربوها بعد سنة أربعين وسبعمائة، وموضعها الآن بجوار دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي، وبعضها داخل فى الدار المذكورة، وبئرها بجوار القبو الذى يسلك من تحته إلى حمام الرومى داخل حارة برجوان. يعلو هذا العقد حاصل الماء الذى للحمام، ويمر على مجراه من حجرة مركبة على جدار بجوار القبو إلى الحمام المذكورة، وآثار هذا الجدار باقية إلى اليوم، وكان قد استأجر هذه البئر والقبو بعد تعطل الحمام القاضى أبو الفداء تاج الدين إسماعيل بن أحمد أبن الخطباء المخزومى من مباشرى أوقاف رباط العادل، وبنى على البئر وبجوارها دارا سكنها مدة أعوام، وأنشأ بأعلى حاصل الماء المركب على القبو مشرفا عليا تأنق فى ترخيمه ودهانه وكتب بدائره.

مشترف كم شبهوه الأدبا
لحسنه إذ جاء شيئا عجبا
فقال قـــــوم قلعة مبنية
وآخـرون شبهوه مرقبا
وشـــاعر أعجبه ترخيمه
فقال تلك روضة فوق الربا
وقائل ماذا ترى تشـبيهه
فقلت هذا منبر ابن الخطبا

ثم خربت هذا الدارب بعد موت أبن الخطباء واحترقت فى سنة تسع وثمانمائه وآثارها باقية. وما زال أبن الخطباء يدفع حكر هذه البئر وهذا القبو لجهة الرباط العادلى حتى خرب وعفى أثره وجهل مكانه، وقد رأيته فى سنة أربع وتسعين وسبعمائه عامرا.

حمام الرومي

هذه الحمام بجوار حارة برجوان عرفت بالأمير سنقر الرومى الصالحى أحد الأمراء فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري. أنشأها بجوار اسطبله الذى يعرف إليوم باسطبل أبن الكويك، وذلك تجاه رحبة داره. التى عرفت بدار مازان، ووقف هذه الدار والاسطبل والحمام المذكورة فى سنة اثنتين وستين وستمائة. فأما الدار فإنها صارت خربة فابتاعها بعض الناس من ورثة المذكور، وشرع فى عمارة شئ منها. وأما الاصطبل والحمام فوضع بنو الكويك أيديهم عليهما مدة أعوام حتى صارا ملكا لهم يورثان. وهما الآن بيد شرف الدين محمد بن محمد بن الكويك، وجعل ما يخصه من الحمام وقفا على نفسه ثم على أناس من بعده، وفى هذه الحمام حصة أيضا وقفها شيخنا برهان الدين إبراهيم الشامى الضرير على أمته وهى بيدها.

(سنقر الرومى) الصالحى النجمى أحمد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية، ترقى عنده فى الخدم حتى صار جمدار وكان من خوشداشية بيبرس البندقدارى وأصدقائه. فلما قتل الفارس أقطاى فى أيام الملك المعز أيبك التركماني، وخرج البحرية من القاهرة إلى بلاد الشام كان سنقر ممن خرج ورافق بيبرس، وارتفق بصحبته، ونال منه مالا وثيابا وغير ذلك، وتنقل معه فى الكرك إلى أن كان من أمره فى الصيد مع صاحب الكرك فطلب سنقر من بيبرس شيئا يحبه وامتنع عن إعطائه فحنق وفارقه إلى مصر فأقام بها، ثم إن بيبرس قدم إلى مصر بعد ذلك وقد صار أميرا فلم يعبأ سنقر به، ولا قدم إليه شيئا كعادة الخوشداشية. فلما صار الأمر إلى بيبرس وملك بعد قطز قدم سنقر وأعطاه الإقطاعات الجليلة ونوه بقدره فلم يرض فصار إذا ورد عليه الإنعام السلطانى لايأخذه بقبول، ويخلو كل وقت بجماعة بعد جماعة، ويفرق فيهم المال فيبلغ ذلك السلطان ويغضى عنه، وربما بعث إليه وحذره مع الأمير قلاوون وغيره فلم ينته ثم أنه قتل مملوكين من مماليكه بغير ذنب فعز قتلهما على السلطان فطلبه فى رابع شهر ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة واعتقله. فقال: أريد أعرف ذنبي! فبعث إليه السطان يعدد ذنوبه. فتحسر وقال: أواه لو كنت حاضرا قتل الملك

المظفر قطز حتى أعاند فى الذى جري، وكان كثيرا ما يقول ذلك، وبلغ هذا القول منه السلطان فى حال إمرته فقال: انت أخى وتتحسر لكونك ما قدرت أن تعين علي.

حماما سويد

هاتان الحامان بآخر سويقه أمير الجيوش عرفنا بالأمير عز الدين معالى بن سويد وقد خربت إحداهما. ويقال إنها غارت فى الأرض وهلك فيها جماعة وبقيت الأخري، وهى الآن بيد الخليفة أبى الفضل العباسى بن محمد المتوكل.

حمام طغلق

هذه الحمام بجوار درب المنصورى من خط حارة الصالحية. صارت أخيرا بيد ورثة الأمير قطلوبغا المنصورى حاجب الحجاب فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين، وكانت معدة لدخول الرجال. ثم تعطلت بعد سنة تسعين وسبعمائة، وأخذ حاصلها وعهدى بها بعد سنة ثمانمائة أطلالا واهية.

حمام ابن علكان

هذه الحمام كانت بحارة الجودرية. أنشأها الأمير شجاع الدين عثمان بن علكان. صهر الأمير الكبير فخر الدين عثمان بن قزل، ثم انتقلت إلى الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى النجمي، ومازالت إلى أن خربت بعد سنة أربعين وسبعمائة. فعمر مكانها الأمير أزدمر الكاشف اسطبلا بعد سنة خمسين وسبعمائة.

حمام الصاحب

هذه الحمام بخط طواحين الملحيين .

حمام كتبغا الأسدي

هذه الحمام موضعها الآن المدرسة الناصرية بخط بين القصرين .

حمام التطمش خان

هذه الحمام كانت بجوار ميضاة الملك ركن الدين الظاهر بيبرس المجاورة للمدرسة الظاهرية بخط بين القصرين . أنشأتها الخاتون التطمش خان زوجة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، ثم خربت وصار موضعها زقاق فلما ولى كمال الدين عمر بن العديم قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية فى سلطنة الملك الناصر فرج شرع فى عمارة هذا الزقاق فمات ولم يكمله . فوضع الأمير جمال الدين يده فى العمارة وأنشأها فندقا جعله وقفا فيما وقف على مدرسته التى أنشأها برحبة باب العيد . فلما قتله الملك الناصر فرج واستولى على جميع ما تركه جعل هذا الفندق من جملة ما أرصده للتربة التى أنشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر .

حمام القاضي

هذه الحمام من جملة خط درب الأسواني . وهى من الحمامات القديمة . كانت تعرف بإنشاء شهاب الدولة بدر الخاص أحد رجال الدولة الفاطمية ، ثم انتقلت إلى ملك القاضى

رضى الدين عبد الناصر بن تقى الدين . فعرفت به . ثم صارت إلى ملك القاضى السعيد أبى المعالى هبة الله بن فارس، وصارت بعده إلى ملك القاضى كمال الدين أبى حامد محمد أبن قاضى القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى فعرتف بحمام القاضى إلى اليوم . ثم باع ورثة أبى حامد منها حصة للأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، وصارت منها حصة إلى الأميرعلاء الدين طيبرس الخازندارى فجعلها وقفا على مدرسته المجاورة للجامع الأزهر .

حمام الخراطين

هذه الحمام أنشأها الأمير نور الدين أبو الحسن على بن لجا بن راجح أبن طلائع . فعرفت بحمام أبن طلائع، وكان بجوارها ثم حمام أخرى تعرف بحمام السوباشى فخربت ومستوقد حمام ابن طلائع هذه إلى الآن من درب ابن طلائع الشارع بسوق الفرايين الآن، ولها منه أيضا باب، وصارت أخيرا فى وقف الأمير علم الدين سنجر السرورى المعروف بالخياط والى القاهرة، وتوفى فى سنة ثمان وتسعين وستمائة فاغتصبها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار فى جملة ما اغتصب من الأوقاف والأملاك وغيرها، وجعلها وقفا على مدرسته برحبة باب العيد، وهى الآن موقوفة عليها .

حمام الخشيبة

هذه الحمام بجوار درب السلسلة كانت تعرف بحمام قوام الدولة خير، ثم صارت حماما لدار الوزير المأمون بن البطائحى فلما قتل الخليفة الآمر بأحكام الله، وعملت خشيبة تمنع الراكب أن يمر من تجاه المشهد الذى بنى هناك عرفت هذه الحمام بخشيبة تصغير خشبة، وقد تقدم ذلك مبسوطا عند ذكر الاخطاط من هذا الكتاب . قال ابن عبد الظاهر : مدرسة

السيوفيين وقفها الأمير عز الدين فرج شاه على الحنفية، وكانت هذه الدار قديماً تعرف بدار المأمون بن البطائحى وحمام الخشيبة كانت لها فبيعت. وهذه الحمام هى الآن فى أوقاف خوند طغاى أم أنوك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على تربتها التى فى الصحراء خارج باب البرقية.

حمام الكويك

هذه الحمام فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة. أنشأها الوزير عباس أحد وزراء الدولة، الفاطمية لداره التى موضعها الآن درب شمس الدولة ثم جددها شخص من التجار يعرف بنور الدين على بن محمد بن أحمد بن محمود بن الكويك الربعى التكريتى فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة. فعرفت به إلى اليوم.

حمام الجويني

هذه الحمام بجوار حمام أبن الكويك فيما بينها وبين البندقانيين عرفت بالأمير عز الدين إبراهيم بن محمد بن الجوينى وإلى القاهرة فى أيام الملك العادل أبى بكر بن أيوب. توفى سلخ جمادى الأولى سنة إحدى وستمائة فإنه أنشأها بجوار داره والعامة تقول حمام الجهينى بهاء وهو خطأ، وتنقلت إلى أن اشتراها القاضى أوحد الدين عبد الواحد بن ياسين كاتب السر الشريف فى أيام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن الملك الظاهر، وجعلها وقفا على مدرسته العظمى بخط بين القصرين. وهى الآن فى جملة الموقوف عليها.

حمام القفاصين

هذه الحمام بالقرب من رأس حارة الديلم أنشأها نجم الدين يوسف بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

حمام الصغيرة

هذه الحمام على يمنة من سلك من رأس حارة بهاء الدين ، وهى تجاه دار قرا سنقر . أنشأها الأمير فخر الدين بن رسول التركماني ، ورسول هذا جد ملوك اليمن الآن ، وقد تعطلت هذه الحمام منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة .

حمام الأعسر

هذه الحمام موضعها من جملة دار الوزارة ، وهى الآن بجوار باب الجوانية . أنشأها الأمير شمس الدين سنقر المعزى الظاهرى المنصوري .

سنـــقـــر الأعسر

كان أحد مماليك الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب الشام ، وجعله دواداره . فباشر الدوادارية لاستاذه بدمشق ونفسه تكبر عنها فلما عزل أيدمر من نيابة الشام فى أيام الملك المنصور قلاوون وحضر إلى قلعة الجبل اختار السلطان عدة من مماليكه منهم سنقر الأعسر

هذا. فاشتراه وولاه نيابة الاستادارية، ثم سيره فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة إلى دمشق وأعطاه إمرة، وولاه شد الدواوين بها واستادارا. فصارت له بالشام سمعة زائدة إلى أن مات قلاوون، وقام من بعده الأشرف خليل واستوزر الوزير شمس الدين السلعوس طلب سنقر إلى القاهرة وعاقبة وصادره فتوصل حتى تزوج بابنة الوزير على صداق مبلغه ألف وخمسمائة دينار فأعاده إلى حالته ولم يزل إلى أن تسلطن الملك العادل كتبغا، واستوزر الصاحب فخر الدين بن خليل، وقبض على سنقر وعلىّ سيف الدين استدمر وصادرهما، وأخذ من سنقر خمسمائة ألف درهم، وعزله عن شد الدواوين وأحضره إلى القاهرة. فلما وثب الأمير حسام الدين لاجين على كتبغا وتسلطن ولى سنقر الوزارة عوضاً عن أبن خليل فى جمادى الأولى سنة ست وتسعين وسبعمائة ثم قبض عليه فى ذى الحجة منها وذلك أنه تعاظم فى وزارته، وقام بحق المنصب يريد أن يتشبه بالشجاعي، وصار لايقبل شفاعة أحد من الأمراء، ويخرق بنوابهم وكان فى نفسه متعاظما وعنده شمم إلى الغاية مع سكون فى كلامه. بحيث إنه إذا فاوض السلطان فى مهمات الدولة كما هى عادة الوزارة لايجيب السلطان بجواب شاف، وصار يتبين منه للسلطان قلة الاكتراث به، فأخذ فى ذمه وعيبه بما عنده من الكبر وصادفه الغرض من الأمراء وشرعوا فى الحط عليه حتى صرف وقيد. فأرسل يسأل السلطان عن الذنب الذى أوجب هذه العقوبة. فقال: ماله عندى ذنب غير كبره فإنى كنت إذا دخل إلى أحسب أنه هو السلطان وأنا الأعسر. فصدره منقام وحديثى معه كأنى أحدث أستاذي، وقرر من بعده فى الوزارة ابن الخليلي. فلما قتل لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك ثانيا أفرج عن سنقر الاعسر، وعين جماعة من الأمراء، وأعاد الاعسر إلى الوزارة فى جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، وفى وزارته هذه كانت هزيمة الملك الناصر بعساكره من غازان فتولى ناصر الدين الشيخى وإلى القاهرة جباية الأموال من التجار وأرباب الأموال لأجل النفقة على العساكر، وقرر فى وزارته على كل إردب غلة خروبة إذا طلع إلى الطحان، وقرر أيضا نصف الشمسرة ومعناها انه كان للمنادى على الثياب أجر دلالته على كل ما مبلغه مائة درهم درهمين. فيؤخذ منه درهم منهما ويفضل له درهم، واستخدم على هاتين الجهتين نحو مائتين من الأجناد

البطالين، وتحصل فى بيت المال من أموال المصادرات مبلغ عظيم، ثم خرج الوزير بمائة من مماليك السلطان وتوجه إلى بلاد الصعيد، وقد وقعت له فى النفوس مهابة عظيمة فكبس البلاد وأتلف كثيراً من المفسدين، من أجل أنه لما حصلت وقعة غازان كثر طمع العربان فى المغل، ومنعوا كثيراً من الخراج، وعصوا الولاة وقطعوا الطريق وما زال يسير إلى الأعمال القوصية فلم يدع فرسا لفلاح ولا قاض ولا متعمم حتى أخذه، وتتبع السلاح ثم حضر بألف وستين فرسا وثمانمائة وسبعين جملا وألف وستمائة رمح وألف ومائتى سيف وتسعمائة درقة وستة آلاف رأس غنم، وقتل عدة من الناس فتمهدت البلاد، وقبض الناس مغلهم بتمامه واتفقت واقعة النصارى التى ذكرت عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب فى أيامه. فأمر بالتاج أبن سعيد الدولة أحد مستوفى الدولة، وكان فيه زهو وحمق عظيم، وله اختصاص بالأمير ركن الدين بيبرس الجاشكنيري. فعرى وضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً فأظهر الإسلام وهو فى العقوبة. فأمسك عنه وألزمه بحمل مال فالتجأ إلى زاوية الشيخ نصر المنيحى وترامى على الشيخ. فقام فى أمره حتى عفى عنه فكره الأمراء الأعسر لكثرة شممه وتعاظمه. فكلموا الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى وإليه أمر الدولة فى ولاية الأمير عز الدين أيبك البغدادى الوزارة، وساعدهم على ذلك الأمير سلار فولى الأعسر كشف القلاع الشامية وإصلاح أمورها وترتيب رجالها وسائر مايحتاج إليه، وخلع على الأمير أيبك خلع الوزارة فى آخر سنة سبعمائة، فلما عاد استقر أحد أمراء الالوف وحج فى صحبة الأمير سلار ومات بالقاهرة بعد أمراض فى سنة تسع وسبعمائة، وكان عارفا خيرا مهاباً له سعادات طائلة ومكارم مشهورة، ولحاشيته ثروة متسعة. وغالب مماليكه تأمروا بعده وممن مدحه الوداعى وابن الوكيل.

حمام الحسام

هذه الحمام بداخل باب الجوانية.

حمام الصوفية

هذه الحمام بجوار الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء . أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لصوفية الخانقاه وهى إلى الآن جارية فى أوقافهم، ولا يدخلها يهودى ولا نصراني .

حمام بهادر

هذه الحمام موضعها من جملة القصر ، وهى بجوار دار جرجي . أنشأها الأمير بهادر استادار الملك الظاهر برقوق وقد تعطلت .

حمام الدود

هذه الحمام خارج باب زويلة فى الشارع تجاه زقاق خان حلب بجوار حوض سعد الدين مسعود بن هنس . عرفت بالأمير سيف الدين الدود الجاشنكيري . أحد أمراء الملك المعز أيبك التركماني، وخال ولده الملك المنصور نور الدين على أبن الملك المعز أيبك . فلما وثب الأمير سيف الدين قطز نائب السلطنة بديار مصر على الملك المنصورعلى أبن الملك المعز أيبك واعتقله وجلس على سرير الملكة قبض على الأمير الدود فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة واعتقله، وهذه الحمام إلى إليوم بيد ذرية الدود من قبل بناته موقوفة عليهم .

حمام ابن أبى الحوافر

هذه الحمام خارج مدينة مصر بجوار الجامع الجديد الناصري . كان موضعها وما حولها عامراً بماء النيل، ثم انحسر عنه الماء وصار جزيرة فبنى الناس عليها بعد الخمسمائة من سنى الهجرة كما ذكر عند ذكر ساحل مصر من هذا الكتاب، وعرفت هذه الحمام بالقاضى فتح الدين أبى العباس أحمد أبن الشيخ جمال الدين أبى عمر وعثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل بن محمد بن أبى الحوافر رئيس الأطباء بديار مصر، ومات ليلة الخميس الرابع عشر من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة .

حمام قتال السبع

هذه الحمام خارج باب القوس من ظاهر القاهرة فى الشارع المسلوك فيه من باب زويلة إلى صليبة جامع أبن طولون، وموضعها إليوم بجوار جامع قوصون عمرها الأمير جمال الدين أقوش المنصورى المعروف بقتال السبع الموصلي، بجانب داره التى هى اليوم جامع قوصون . فلما أخذ قوصون الدار المذكورة وهدمها وعمر مكانها هذا الجامع أراد أخذ الحمام، وكانت وقفاً فبعث إلى قاضى القضاة شرف الدين الحنبلى الحرانى يلتمس منه حل وقفها، فأخرب منها جانباً وأحضر شهود القيمة فكتبوا محضراً يتضمن أن الحمام المذكورة خراب، وكان فيهم شاهد امتنع من الكتابة فى المحضر، وقال : ما يسعنى من الله أن أدخل بكرة النهار فى هذا الحمام وأطهر فيها، ثم أخرج منها وهى عامرة وأشهد بعد ضحوة نهار من ذلك اليوم أنها خراب . فشهد غيره وأثبت قاضى القضاة الحنبلى المحضر المذكور، وحكم ببيعها فاشتراها الأمير قوصون من ورثة قتال السبع وهى إليوم عامرة بعمارة ما حولها .

حمام لؤلؤ

هذه الحمام برأس رحبة الأيدمرى ملاصقة لدار السنانى من القاهرة . أنشأها الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب .

لؤلؤ الحاجب

كان أرمنى الأصل من جملة أجناد مصر فى أيام الخلفاء الفاطميين . فلما استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر خدم تقدمة الأسطول ، وكان حيثما توجه فتح وانتصر وغنم ثم ترك الجندية وزوج بناته وكن أربعاً بجهاز كاف ، وأعطى أبنيه ما يكفيهما ، ثم شرع يتصدق بما بقى معه على الفقراء بترتيب لا خلل فيه ، ودواماً لا سآمة معه ، وكان يفرق فى كل يوم اثنى عشر ألف رغيف مع قدور الطعام ، وإذا دخل شهر رمضان أضعف ذلك وتبتل للتفرقة من الظهر فى كل يوم إلى نحو صلاة العشاء الآخرة ويضع ثلاثة مراكب طول كل مركب أحد وعشرون ذراعاً مملوءة طعاماً ، ويدخل الفقراء أفواجاً وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعى غنم ، وفى يده مغرفة وفى الأخرى جرة سمن وهو يصلح صفوف الفقراء ويقرب إليهم الطعام والودك ويبدأ بالرجال ثم بالنساء ثم بالصبيان ، وكان الفقراء مع كثرتهم لايزدحمون لعلمهم أن المعروف يعمهم . فإذا انتهت حاجة الفقراء بسط سماطاً للأغنياء تعجز الملوك عن مثله ، وكان له مع ذلك على الإسلام منة توجب أن يترحم عليه المسلمون كلهم ، وهى أن فرنج الشوبك والكرك توجهوا نحو مدينة رسول الله ﷺ لينبشوا قبره ﷺ وينقلوا جسده الشريف المقدس إلى بلادهم ويدفنوه عندهم ، ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل . فأنشأ البرنس أرباط صاحب الكرك سفناً حملها على البر إلى بحر القلزم وأركب فيها الرجال ، وأوقف مركبين على جزيرة قلعة القلزم تمنع أهلها من استقاء الماء . فسارت الفرنج نحو عيذاب فقتلوا وأسروا ، ومضوا يريدون المدينة النبوية على

ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، وذلك في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على حران. فلما بلغه ذلك بعث إلى سيف الدولة أبن منقذ على مصر يأمره بتجهيز الحاجب لؤلؤ خلف العدو. فاستعد لذلك، وأخذ معه قيوداً وسار في طلبهم إلى القلزم وعمر هناك مراكب وسار إلى ايلة فوجد مراكب للفرنج فحرقها وأسر من فيها، وسار إلى عيذاب وتبع الفرنج حتى أدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم إلا مسافة يوم، وكانوا ثلاثمائة ونيفاً وقد انضم إليهم عدة من العربان المرتدة. فعندما لحقهم لؤلؤ فرت العربان فرقا من سطوته ورغبة في عطيته. فإنه كان قد بذل الأموال حتى انه علق اكياس الفضة على رءوس الرمال. فلما فرت العربان التجأ الفرنج إلى رأس جبل صعب المرتقى فصعد إليهم في عشرة أنفس وضايقهم فيه فخارت قواهم بعد ما كانوا معدودين من الشجعان واستسلموا، فقبض عليهم وقيدهم وحملهم إلى القاهرة. فكان لدخولهم يوم مشهود، وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة بعد ما ساق رجلين من أعيان الفرنج إلى منى ونحرهما هناك كما تنحر البدن التي تساق هديا إلى الكعبة، ولم يزل على فعل المعروف إلى أن مات رحمة الله في صميم الفلا وقد قرب منتهاه في اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته من القرافة، وهي التي حفر فيها البئر ووجد في قعرها عند الماء اسطام مركب، وهذه الحمام تفتح تارة وتغلق كثيراً، وهي باقية إلى يومنا هذا من جملة أوقاف الملك، والله تعالى أعلم بالصواب.

ذكر القياسر

ذكر ابن المتوج قياسر مصر. وهي قيسارية المحلى وقيسارية الضيافة وقف المارستان المنصوري، وقيسارية شبل الدولة وقيسارية أبن الأرسوفي وقيسارية ورثة الملك الظاهر بيبرس وقيساريتا أبن ميسر وقد خربت كلها.

قيسارية ابن قريش

هذه القيسارية فى صدر سوق الجملون الكبير بجوار باب سوق الوراقين ويسلك إليها من الجملون ومن سوق الاخفافين المسلوك إليه من البندقانيين، وبعضها الآن سكن الأرمنيين وبعضها سكن البزازين. قال أبن عبد الظاهر: استجدها القاضى المرتضى أبن قريش فى الأيام الناصرية الصلاحية، وكان مكانها اسطبلا انتهي.

وهو القاضى المرتضى صفى الدين أبو المجد عبد الرحمن بن على بن عبد العزيز بن على بن قريش المخزومى أحد كتاب الإنشاء فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. قتل شهيداً على عكا فى يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة، ودفن بالقدس ومولده فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وسمع السلفى وغيره.

قيسارية الشرب

هذه القيساوية بشارع القاهرة تجاه قيساوية جهاركس. قال أبن عبد الظاهر: وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجماعة الصوفية. يعنى بخانقاه سعيد السعداء وكانت اسطبلا انتهى، وما برحت هذه القيساوية مرعية الجانب إكراما للصوفية الى أن كانت ايام الملك الناصر فرج، وحدثت الفتن وكثرت مصادرات التجار انخرق ذاك السياج وعومل سكانها بانواع من العسف، وهى اليوم من اعمر أسواق القاهرة.

قيسارية ابن أبى أسامة

هذه القيساوية بجوار الجملون الكبير على يسرة من سلك الى بين القصرين . يسكنها الان الخردفوشية . وقفها الشيخ الأجل أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن أبى اسامة صاحب ديوان الإنشاء فى ايام الخليفة الآمر بأحكام الله ، وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة وينعت بالشيخ الاجل كاتب الدست الشريف ، ولم يكن أحد يشاركه فى هذا النعت بديار مصر فى زمانه ، وكان وقف هذه القيساوية فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وتوفى فى شوال سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة .

قيسارية سنقر الأشقر

هذه القيساوية على يسرة من يدخل من باب زويلة فيما بين خزانة شمائل ودرب الصغيرة تجاه قيسارية الفاضل . أنشأها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الصالحى النجمى أحد المماليك البحرية ، ولم تزل الى أن هدمت وأدخلت فى الجامع المؤيدى لأيام من جمادى الأولى ، سنة ثمان عشرة وثمانمائة .

قيسارية أمير على

هذه القيساوية بشارع القاهرة تجاه الجملون الكبير بجوار قيساوية جهاركس . يفصل بينهما درب قيطون . عرفت بالأمير على أبن الملك المنصور قلاوون . الذى عهد له بالملك ولقبه بالملك الصالح ومات فى حياة أبيه كما قد ذكر فى فندق الملك الصالح .

قيسارية رسلان

هذه القيساوية فيما بين درب الصغيرة والحجارين أنشأها الأمير بهاء الدين رسلان الدوادار، وجعلها وقفا على خانقاه له بمنشأة المهرانى، وكانت من أحسن القياسر. فلما عزم الملك المويد شيخ على بناء مدرسته هدمها فى جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وعوض أهل الخانقاه خمسمائة دينار.

قيسارية جهاركس

قال أبن عبد الظاهر: بناها الأمير فخر الدين جهاركس فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكانت قبل ذلك يعرف مكانها بفندق الفراخ، ولم تزل فى يد ورثته وانتقل الى الأمير علم الدين أيتمش منها جزء بالميراث عن زوجته والى بنت شومان من أهل دمشق ثم اشتريت لوالدة خليل المسماة بشجرة الدر الصالحية فى سنة خمس وخمسين وستمائة، وهى مع حسنها وإتقان بنائها كلها تجرد من الغصب جميع ما فيها، وذكر بعض المؤرخين أن صاحبها جهاركس نادى عليها حين فرغت فبلغت خمسة وتسعين ألف دينار على الشريف فخر الدين إسماعيل بن ثعلب، وقال لصاحبها: أنا أنقدك ثمنها أى نقد شئت، إن شئت ذهبا، وإن شئت فضة وإن شئت عروض تجارة، وقيسارية جهاركس تجرى الآن فى وقف الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بعد سلار على ورثته، وقال القاضى شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان.

جهاركس

ابن عبد الله فخر الدين أبو المنصور الناصرى الصلاحى. كان من أكبر أمراء الدولة الصلاحية، وكان كريما نبيل القدر على الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه،

رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نر فى شىء من البلاد مثلها فى حسنها وعظمها وإحكام بنائها، وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا، وتوفى فى بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق، ودفن فى جبل الصالحية، وتربته مشهورة هناك ـ رحمه الله ـ وجهاركس بفتح الجيم والهاء وبعد الالف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ومعناه بالعربى أربعة أنفس وهو لفظ عجمى، وقال الحافظ جمال الدين يوسف أبن أحمد بن محمود اليغمورى: سمعت الأمير الكبير الفاضل شرف الدين أبا الفتح عيسى أبن الأمير بدر الدين محمد بن أبى القاسم ابن محمد بن أحمد الهكارى البحترى الطائى المقدسى بالقاهرة، ومولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالبيت المقدس شرفه الله تعالى وتوفى بدمشق فى ليلة الأحد تاسع عشرى ربيع الآخر سنة تسع وستمائة، ودفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله. قال: حدثنى الأمير صارم الدين خطلبا التبنينى صاحب الأمير فخر الدين أبى المنصور جهاركس بن عبد الله الناصرى الصلاحى رحمه الله قال: بلغ الأمير فخر الدين أن بعض الأجناد عنده فرس قد دفع له فيه ألف دينار، ولم يسمح ببيعه وهو فى غاية الحسن. فقال لى الأمير ياخطلبا إذا ركبنا ورأيت فى الموكب هذا الفرس نبهنى عليه حتى أبصره. فقلت السمع والطاعة، فلما ركبنا فى الموكب مع الملك العزيز عثمان أبن الملك الناصر رحمه الله رأيت الجندى على فرسه. فتقدمت الى الأمير فخر الدين وقلت له هذا الجندى، وهذا الفرس راكبه. فنظر إليه وقال إذا خرجنا من سماط السلطان فانظر أين الفرس وعرفنى به. فلما دخلنا إلى سماط الملك العزيز عجل الأمير فخر الدين وخرج قبل الناس فلما بلغ الى الباب قال لى أين الفرس؟ قلت ها هو مع الركاب دار. فقال لى ادعه فدعوته إليه فلما وقف بين يديه والفرس معه أمره الأمير باخذ الغاشية ووضع الأمير رجله فى ركابه وركبه ومضى به إلى داره واخذ الفرس. فلما خرج صاحبه عرفه الركاب دار بما فعله الأمير فخر الدين فسكت ومضى إلى بيته وبقى أياما ولم يطلب الفرس. فقال لى الأمير فخر الدين: يا خطلبا ما جاء صاحب الفرس ولا طلبه. اطلب لى صاحبه قال فاجتمعت به وأخبرته بأن الأمير يطلب الاجتماع به فسارع إلى الحضور فلما دخل عليه أكرمه الأمير ورفع مكانه وحدثه وآنسه وبسطه وحضر سماطة فقربه وخصصه من طعامه. فلما فرغ من الاكل قال له الأمير يا فلان ما بالك ما طلبت فرسك وله عندنا مدة؟ فقال يا خوند. وما عسى أن يكون من هذا الفرس وما ركبه الأمير إلا وهو قد صلح له وكل ما صلح للمولى

فهو على العبد حرام . ولقد شرفنى مولانا بأن جعلنى أهلا أن يتصرف فى عبده والمملوك يحسب أن هذا الفرس قد أصابه مرض فمات وأما الآن فقد وقع فى محله وعند أهله ومولانا أحق به وما أسعد المملوك إذا صلح لمولانا عنده شيء . فقال له الأمير بلغنى أنك أعطيت فيه ألف دينار . قال كذلك كان . قال : فلم لم تبعه؟ فقال : يا مولانا هذا الفرس جعلته للجهاد وأحسن ما جاهد الإنسان على فرس يعرفه ويثق به ، وما مقدار هذا الفرس له اسوة برأسى فاستحسن الأمير همته وشكره . ثم أشار إلى فتقدمت إليه فقال لى فى أذنى إذا خرج هذا الرجل فاخلع عليه الخلعة ألفلانية فى أفخر ملبوس الأمير واعطه ألف دينار وفرسه . فلما نهض الرجل أخذته إلى ألفرش خاناه ، وخلعت عليه الخلعة ، ودفعت إليه الكيس وفيه ألف دينار فخدم وشكر وخرج فقدم إليه فرسه وعليه سرج خاص من سروج الأمير وعدة فى غاية الجودة فقيل اركب فرسك فقال : كيف أركبه وقد أخذت ثمنه؟ وهذه الخلعة زيادة على ثمنه . ثم رجع إلى الأمير فقبل الأرض وقال : يا خوند تشريف مولانا لا يرد ، وهذا ثمن الفرس قد أحضره المملوك . فقال له الأمير فخر الدين : يا هذا نحن جربناك فوجدناك رجلا ولك همة ، وأنت أحق بفرسك . خذ هذا ثمنه ولا تبعه لأحد ، فخدمه وشكره ودعا له ، وأخذ ألفرس والخلعة والألف دينار وانصرف .

وأخبرنى أيضا الأمير شرف الدين بن أبى القاسم قال : أخبرنى صارم الدين التبنينى أيضا أن الأمير فخر الدين خدم عنده بعض الأجناد فعرض عليه فأعجبه شكله . وقال لديوانه : استخدموا هذا الرجل فتكملوا . معه ، وقدروا له فى السنة اثنى عشر ألف درهم . فرضى الرجل وانتقل إلى حلقة الأمير قوصون وضرب خيمته ، واحضر بركه . فلما كان بعض الأيام رجع الأمير من الخدمة فعبر فى جنب خيمة هذا الرجل . فرأى خيمة حسنة وخيلا جيادا وجمالا وبركا فى غاية الجودة . فقال هذا البرك لمن؟ فقيل : هذا برك فلان الذى خدم عند الأمير فى هذه الأيام . فقال قولوا له مالك عندنا شغل تمضى فى حال سبيلك . فلما قيل للرجل ذلك أمر بان تحط خيمته وأتى إلى وقال : يامولانا أنا رائح وها انا قد حملت بركى ، ولكن اشتهى منك أن تسأل الأمير ما ذنبى . قال فدخلت إلى الأمير وأخبرته بما قال الرجل . فقال : والله مالك عندى ذنب إلا أن هذا البرك وهذه الهمة يستحق بها أضعاف ما أعطى فانكرت عليه كيف رضى بهذا القدر اليسير وهو يستحق أن تكون أربعين ألف درهم وتكون قليلة فى حقه . فإذا خدم بثلاثين ألف درهم يكون

قد ترك لنا عشرة آلاف درهم . فهذا ذنبة عندى . فرجعت إلى الرجل فأعلمته بما قال الأمير . فقال إنما خدمت عند الأمير . ورضيت بهذا القدر لعملى أن الأمير إذا عرف حالى فيما بعد لا يقنع لى بهذا الجارى . فكنت على ثقة من إحسان الأمير إبقاه الله . وأما الآن فلا أرضى أن أخدم إلا بثلاثين ألف درهم كما قال الأمير فرجعت إلى الأمير وأخبرته بما قال الرجل . فقال : يجرى له ما طلب ، وخلع عليه وأحسن إليه ، وكان الأمير فخر الدين جهاركس مقدم الناصرية والحاكم بديار مصر فى أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن مات العزيز فمال الأمير فخر الدين جهاركس إلى ولاية ابن الملك العزيز وفاوض فى ذلك الأمير سيف الدين يازكوج الأسدى . وهو يومئذ مقدم الطائفة الأسدية ، وكان الملك العزيز قد أوصى بالملك لولده محمد وأن يكون الأمير الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى مدبر أمره فأشار باز كوج باقامة الملك الافضل على بن صلاح الدين فى تدبير امر ابن العزيز فكره جهاركس ذلك ، ثم إنهم أقاموا ابن العزيز ولقبوه بالملك المنصور وعمره نحو تسع سنين ونصبوا قراقوش اتابكا ، وهم فى الباطن مختلفون عليه ، ومازالوا يسعون عليه فى إبطال أمر قراقوش حتى اتفقوا على مكاتبة الأفضل المتقدم ذكره وحضوره إلى مصر ويعمل أتابكية المنصور مدة سبع سنين حتى يتأهل بالاستبداد بالملك بشرط أن لا يرفع فوق رأسه سنجق الملك ، ولا يذكر اسمه فى خطبة ولاسكة .

فلما سار القاصد إلى الافضل بكتب الأمراء بعث جهاركس فى الباطن قاصدا على لسانه ولسان الطائفة الصلاحية بكتبهم إلى الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكتب إلى الأمير ميمون القصرى صاحب نابلس يأمره بان لا يطيع الملك الأفضل ، ولا يحلف له ، فاتفق خروج الملك الأفضل من صرخد ، ولقاه قاصد فخر الدين جهاركس فأخذ منه الكتب وقال له : ارجع فقد قضيت الحاجة ، وسار إلى القاهرة ومعه القاصد فلما خرج الأمراء من القاهرة إلى لقائه ببلبيس عمل له فخر الدين سماطا احتفل فيه احتفالا زائدا لينزل عنده فنزل عند أخيه الملك المؤيد نجم الدين مسعود . فشق ذلك على جهاركس وجاء إلى خدمته . فلما فرغ من طعام أخيه صار إلى خمية جهاركس وقعد ليأكل فرأى جهاركس قاصده الذى سيره فى خدمة الأفضل فدهش وأيقن بالشر فللحال استأذن الافضل أن يتوجه إلى العرب

المختلفين بأرض مصر ليصلح بينهم فاذن له، وقام من فوره واجتمع بالأمير زين الدين قراجا والأمير أسد الدين قراسنقر وحسن لهما مفارقة الافضل فسارا معه إلى القدس، وغلبوا عليه ووافقهم الأمير عز الدين أسامه والأمير ميمون القصرى فقدم عليهم فى سبعمائة فارس ولما صاروا كلمة وأحدة كتبوا إلى الملك العادل يستدعونه للقيام بأتابكية الملك المنصور محمد بن العزيز بمصر، وأما الأفضل فإنه لما دخل من بلبيس إلى القاهرة قام بتدبير الدولة وأمر الملك. بحيث لم يبق للمنصور معه سوى مجرد الاسم فقط، وشرع فى القبض على الطائفة الصلاحية أصحاب جهاركس. ففروا منه إلى جهاركس بالقدس فقبض على من قدر عليه منهم ونهب أموالهم. فلما زالت دولة الافضل من مصر بقدوم الملك العادل أبى بكر بن أيوب استولى فخر الدين جهاركس على بانياس بأمر العادل ثم انحرف عنه وكانت له انباء إلى أن مات فانقضى أمر الطائفة الصلاحية بموته وموت الأمير قراجا وموت الأمير أسامة كما انقضى أمر غيرهم.

قيسارية الفاضل

هذه القيسارية على يمنة من يدخل من باب زويلة عرفت بالقاضى ألفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى، وهى الآن فى أوقاف المارستان المنصورى أخبرنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز العذرى البشبيشى رحمه الله قال: أخبرنى القاضى بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن القاضى صدر الدين أبى البركات أحمد بن فخر الدين أبى الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المعروف بابن الخشاب أن قيسارية ألفاضل وقف بضع عشرة مرة منها مرتين أو أكثر زف كتب وقفها بالأغانى فى شارع القاهرة، وهى الآن تشتمل على قيسارية ذات بحرة ماء للوضوء بوسطها وأخرى بجانبها يباع فيها جهاز النساء وشوارهن، ويعلوها ربع فيه عدة مساكن.

قيسارية بيبرس

هذه القيسارية على رأس الجودرية من القاهرة. موضعها دار تعرف بدار الأنماط اشتراها وما حولها الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى قبل ولايته السلطنة، وهدمها وعمر موضعها هذه القيسارية والربع فوقها، وتولى عمارة ذلك مجد الدين بن سالم الموقع فلما كملت طلب سائر تجار قيسارية جهاركس وقيسارية ألفاضل وألزمهم بإخلاء حوانيتهم من القيساريتين وسكناهم بهذه القيسارية، واكرمهم على ذلك، وجعل أجرة كل حانوت منها مائة وعشرين درهما نقرة. فلم يسع التجار إلا استئجار حوانيتها، وصار كثير منهم يقوم بأجرة الحانوت الذى ألزم به فى هذه القيسارية من غير ان يترك حانوته الذى هو معه بإحدى القيساريتين المذكورتين، ونقل أيضا صناع الأخفاف وأسكنهم فى الحوانيت إلى خارجها فعمرت من داخلها وخارجها بالناس فى يومين، وجاء الى مخدومه الأمير بيبرس، وكان قد ولى السلطنة وتلقب بالملك المظفر وقال: بسعادة السلطان أسكنت القيسارية فى يوم واحد. فنظر إليه طويلا. وقال: يا قاضى إن كنت أسكنتها فى يوم واحد، فهى تخلو فى ساعة واحدة. فجاء الامر كما قال، وذلك انه لما فر بيبرس من قلعة الجبل لم يبت فى هذه القيسارية لأحد من سكانها قطعة قماش. بل نقلوا كل ما كان لهم فيها، وخلت حوانيتها مدة طويلة، ثم سكنها صناع الاخفاف. كل حانوت بعشرة دراهم. وفى حوانيتها ما أجرته ثمانية دراهم. وهى الآن جارية فى أوقاف الخانقاه الركنية بيبرس، ويسكنها صناع الأخفاف وأكثر حوانيتها غير مسكون لخرابها، ولقلة الأخفافيين. ويعرف الخط الذى هى فيه اليوم بالاخفافيين رأس الجودرية.

القيسارية الطويلة

هذه القيسارية فى شارع القاهرة بسوق الخردفوشيين فيما بين المهامزيين وسوق الجوخيين، ولها باب آخر عند باب سر حمام الخراطين. كانت تعرف قديما بقيسارية السروج بناها.

قيســــارية ٣

هذه القيسارية تجاه قيسارية السروج المعروفة الآن بالقيسارية الطويلة . بعضها وقفه القاضى الأشرف ابن القاضى ألفاضل بعد الرحيم بن على البيسانى على ملء الصهريج بدرب ملوخيا ، وبعضها وقف الصالح طلائع بن رزيك الوزير ، وقد هدمت هذه القيسارية وبناها الأمير جانى بك دوادار السلطان الملك الأشرف برسباى الدقماقى الظاهرى فى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة تربيعة تتصل بالوراقين ، ولها باب من الشارع ، وجعل علوها طباقا ، وعلى بابها حوانيت . فجاءت من أحسن المبانى .

قيسارية العصفر

هذه القيسارية بشارع القاهرة لها باب من سوق المهامزيين وباب من سوق الوراقين . عرفت بذلك من اجل ان العصفر كان يدف بها أنشأها الأمير علم الدين سنجر المسرورى . المعروف بالخياط والى القاهرة ، ووقفها فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة ، ولم تزل بيد ورثته إلى أن ولى القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى كتابة السر فى أيام المؤيد شيخ فاستأجرها مدة أعوام من مستحقها ، ونقل إليها العنبريين . فصارت قيسارية عنبر ، وذلك فى سنة ست عشرة وثمانمائة ، ثم انتقل منها اهل العنبر إلى سوقهم فى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة .

قيسارية العنبر

قد تقدم فى ذكر الأسواق أنها كانت سجنا ، وأن الملك المنصور قلاون عمرها فى سنة ثمانين وستمائة ، وجعلها سوق عنبر .

قيسارية الفائزى

هذه القيسارية كانت بأول الخراطين مما يلى المهامزيين . لها باب من المهامزيين ، وباب من الخراطين . أنشأها الوزير الأسعد شرف الدين ابو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب ألفارسى . كان من جملة نصارى صعيد مصر وكتب على مبايض ناحية سيوط بدرهم وثلث فى كل يوم . ثم قدم إلى القاهرة وأسلم فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وخدم عند الملك ألفائز ابراهيم ابن الملك العادل . فنسب إليه ، وتولى نظر الديوان فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة ، ثم ولى بعض أعمال ديار مصر فنقل عنه ما أوجب الكشف عليه . فندب موفق الدين الآمدى لذلك . فاستقر عوضه وسجنه مدة ، ثم افرج عنه وسافر إلى دمشق ، وخدم بها الأمير جمال الدين يغمور نائب السلطنة بدمشق . فلما قدم الملك المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب من حصن كتبغا إلى دمشق بعد موت أبيه ليأخذ مملكة مصر سار معه إلى مصر فى شوال سنة سبع وأربعين وستمائة فلما قامت شجرة الدر بتدبير المملكة بعد قتل المعظم تعلق بخدمة الأمير عز الدين أيبك التركمانى مقدم العساكر إلى ان تسلطن وتلقب بالملك المعز . فولاه الوزارة فى سنة ثمان وأربعين وستمائة . فأحدث مظالم كثيرة . وقرر على التجار وذوى اليسار أموالا تجبى منهم، وأحدث التقويم والتصقيع على سائر الاملاك وجبى منها مالا جزيلا ، ورتب مكوسا على الدواب من الخيل والجمال والحمير وغيرها ، وعلى الرقيق من العبيد والجوارى ، وعلى سائر المبيعات ، وضمن المنكرات من الخمر والمزر والحشيش وبيوت الزوانى بأموال وسمى هذه الجهات بالحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية ، وتمكن من الدولة تمكنا زائدا إلى الغاية بحيث أنه سار إلى بلاد الصعيد بعساكر لمحاربة بعض الأمراء ، وكان الملك المعز ايبك يكاتبه بالمملوك ، وكثر ماله وعقاره حتى أنه لم يبلغ صاحب قلم فى هذه الدول ما بلغه من ذلك ، واقتنى عدة مماليك منهم من بلغ ثمنه ألف دينار مصرية ، وكان يركب فى سبعين مملوكا من مماليكه سوى أرباب الأقلام والأتباع ، وخرج بنفسه إلى اعمال مصر ، واستخرج اموالها ، وكان ينوب عنه فى الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير ، وكان فاضلا يعرف

اللسان التركى فصار يضبط له مجالس الأمراء ويعرفه ما يدور بينهم من الكلام. فلم يزل على تمكنه، وبسط يده وعظم شأنه إلى أن قتل الملك المعز، وقام من بعده ابنه الملك المنصور نور الدين على وهو صغير. فاستقر على عادته. حتى شهد عليه الأمير سابق الدين بوزبا الصيرفى والأمير ناصر الدين محمد بن الأطروش الكردى أمير جاندار أنه قال: المملكة لا تقوم بالصبيان الصغار، والرأى ان يكون الملك الناصر صاحب الشام ملك مصر، وأنه قد عزم على أن يسير إليه يستدعيه إلى مصر ويساعده على أخذ المملكة. فخافت أم السلطان منه، وقبضت عليه وحبسته عندها بقلعة الجبل، ووكلت بعذابه الصارم أحمر. عينه العمادى الصالحى فعاقبه عقوبة عظيمة ووقعت الحوطة على سائر أمواله وأسبابه وحواشيه، وأخذ خطه بمائة ألف دينار، ثم خنق لليال مضت من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وستمائة ولف فى نخ ودفن بالقرافة، واستقر من بعده فى الوزارة قاصى القضاة بدر الدين السنجارى مع مأبيده من قضاء القضاة، ولم تزل هذه القيبسارية باقية، وكانت تعرف بقيسارية النشاب إلى أن أخذها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار هى والحوانيت على يمنة من سلك من الخراطين يريد الجامع الأزهر وفيما بينهما كان باب هذه القيسارية، وكانت هذه الحوانيت تعرف بوقف تمرتاش وهدم الجميع وشرع فى بنائه. فقتل قبل ان يكمل، وأخذه الملك الناصر فرج. فبنيت الحوانيت التى هى على الشارع بسوق المهامزيين، وصار ما بقى ساحة عمرها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى ناظر الجيش- قيسارية يعلوها ربع وبنى أيضا على حوانيت جمال الدين ربعا، وذلك فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة، وقال الإمام عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان يمدح الأسعد ألفائزيرحمه الله ابن صاعد وابنه المرتضى.

مذ تـــولى أمـــورنا

لـــم ازل منـــه ذاهـــبه

وهـــــو إن دام أمـره

شـــدة العيـــش ذاهبـــة

قيسارية بكتمر

هذه القيسارية بسوق الحريريين بالقرب من سوق الوراقين. كانت تعرف قديما بالصاغة. ثم صارت فندقا يقال له فندق حكم، وأصلها من جملة الدار العظمى التى تعرف بدار المأمون بن البطائحى وبعضها المدرسة السيوفية *أنشأ هذه القيسارية الأمير بكتمر الساقى فى أيام الناصر محمد بن قلاوون.

قيسارية ابن يحيى

هذه القيسارية كانت تجاه قيسارية جهاركس حيث سوق الطيور وقاعات الحلوى أنشأها القاضى المفضل هبة الله بن يحيى التميمى المعدل. كان موثقا كاتبا فى الشروط الحكمية فى حدود سنة أربعين وخمسمائة فى الدولة ألفاطمية، ثم صار من جملة العدول، ونفى إلى سنة ثمانين، وله ابن يقال له كمال الدين عبد المجيد ابن القاضى المفضل هبة الله بن يحيى. مات فى آخر سنة ستين وسبعمائة، وقد خربت هذه القيسارية ولم يبق لها اثر.

قيسارية طاشتمر

هذه القيسارية بجوار الوراقين لها باب كبير من سوق الحريريين على يسرة من سلك إلى الزجاجين وباب من الوراقين أنشأها الأمير طاشتمر فى أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة، وسكهنا عقادوا لاازرار حتى غصت بهم مع كبرها وكثرة حوانيتها، وكان لهم منظر بهيج فإن أكثرهم من بياض الناس، وتحت يد كل معلم منهم عدة صبيان من أولاد الأتراك وغيرهم، فطال ما مررت منها إلى سوق الوراقين وداخلنى حياء من كثرة أمر به هناك. ثم لما حدثت المحن فى سنة ست وثمانمائة تلاشى أمرها وخرب الربع الذى كان علوها، وبيعت أنقاضه وبقيت فيها اليوم بقية يسيرة.

قيسارية الصفراء

هذه القيسارية خارج باب زويلة بخط تحت الربع . . .

قيسارية بشتاك

خارج باب زويلة بخط تحت الربع أنشأها الأمير الناصرى وهى الآن . . .

قيسارية المحسنى

خارج باب زويلة تحت الربع أنشأها الأمير بدر الدين بيلبك المسحنى والى الإسكندرية، ثم والى القاهرة. كان شجاعا مقداما فأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الشام، وبها مات فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، فأخذ ابنه الأمير ناصر الدين محمد بن بيلبك المسحنى إمرته فلما مات الملك الناصر قدم الى القاهرة وولاه الأمير قوصون ولاية القاهرة، فى سابع عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة. فلما قبض على قوصون فى يوم الثلاثاء آخر شهر رجب منها، امسك ابن المحسنى وأعيد نجم الدين إلى ولاية القاهرة، ثم عزل من يومه، وولى الأمير جمال الدين يوسف والى الجيزة فأقام اربعة وعزل بطلب العامة عزل ورجمه فاعيد نجم الدين.

قيسارية الجامع الطولونى

هذه القيسارية كان موضعها فى القديم من جملة قصر الإمارة الذى بناه الأمير أبو العباس أحمد بن طولون، وكان يخرج منه إلى الجامع من باب فى جداره القبلى. فلما خرب صار ساحة أرض. فعمر فيها القاضى تاج الدين المناوى خليفة الحكم عن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة قيسارية فى سنة خمسين وسبعمائة من فائض مال الجامع الطولونى. فكمل فيها ثلاثون حانوتا. فلما كانت ليلة النصف من شهر رمضان من هذه السنة رأى شخص من أهل الخير رسول الله ﷺ فى منامه، وقد وقف على باب هذه القيسارية، وهو يقول: بارك الله لمن يسكن هذه القيسارية، وكرر هذا القول ثلاث مرات. فلما قص هذه الرؤيا رغب الناس فى سكناها، وصارت إلى اليوم هى وجميع ذلك السوق فى غاية العمارة، وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة أنشأها قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن نصير بن رسلان البلقينى من مال الجامع المذكور قيسارية أخرى فرغب الناس فى سكناها لوفور العمارة بذلك الخط.

قيسارية ابن ميسر الكبرى

هذه القيسارية أدركتها بمدينة مصر فى خط سويقة وردان وهى عامرة. يباع بها القماش الجديد من الكتان الأبيض والأزرق والطرح، وتمضى تجار القاهرة إليها فى يومى الأحد والأربعاء لشراء الأصناف المذكورة، وذكر ابن المتوج أن لها خمسة أبواب وأنها وقف، ثم وقعت الحوطة عليها فجرت فى الديوان السلطانى وقصدوا بيعها مرارا فلم يقدر أحد على شرائها، وكان بها عمد رخام. فأخذها الديوان وعوضت بعمد كدان، وأنه شاهدها مسكونة. جميعها عامرة. انتهى، وقد خرب ما حولها بعد سنة ستين وسبعمائة وتزايد الخراب حتى لم يبق حولها سوى كيمان. فعمل لها باب واحد وتردد الناس إليها فى اليومين

المذكورين لاغير فلما كانت الحوادث منذ سنة ست وثمانمائة ، واستولى الخراب على إقليم مصر تعطلت هذه القيسارية ، ثم هدمت فى سنة ست عشرة وثمانمائة .

قيسارية عبد الباسط

هذه القيسارية برأس الخراطين من القاهرة كان موضعها يعرف قديما بعقبة الصباغين ثم عرف بالقشاشين ثم عرف بالخراطين ، وكان هناك مارستان ووكالة فى الدولة ألفاطمية وأدركنا بها حوانيت تعرف بوقف تمرتاش المعظمى فأخذها الأمير جمال الدين الاستادار فيما أخذ من الأوقاف . فلما قتل أخذ الناصر فرج جانبا منها وجدد عمارتها ، ووقفها على تربة أبيه الظاهر برقوق ، ثم أخذها زين الدين عبد الباسط بن خليل فى أيام المؤيد شيخ . وعمل فى بعضها هذه القيسارية وعلوها ، ووقفها على مدرسته وجامعة ، ثم أخذ السلطان الملك الاشرف برسباى بقية الحوانيت من وقف جمال الدين ، وجدد عمارتها فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

ذكر الخانات والفنادق
خان مسرور

خان مسرور مكانان أحدهما كبير ، والآخر صغير . فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الحريريين كان موضعه خزانة الدرق التى تقدم ذكرها فى خزائن القصر الصغير على يمنه من سلك من سوق باب الزهومة الى الجامع الأزهر . كان ساحة يباع فيها الرقيق بعد ما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق . قال ابن الطوير : خزانة الدرق كانت فى المكان الذى هو خان مسرور ، وهى برسم استعمالات الاساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك ، وقال ابن عبد الظاهر : فندق مسرور . مسرور هذا من

خدام الدولة المصرية، واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله، وقدمه على حلقته، ولم يزل مقدما فى كل وقت، وله بر واحسان ومعروف ويقصد فى كل حسنة أجر وبرا، وبطل الخدمة فى الأيام الكاملية وانقطع إلى الله تعالى، ولزم داره، ثم بنى ألفندق الصغير الى جانبه، وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق. اشترى ثلثها من والدى رحمه الله والثلثين من ورثة ابن عنتر، وكان قد ملك ألفندق الكبير لغلامه ريحان وحبسه عليه ثم من بعده على الأسرى وألفقراء بالحرمين، وهو مائة بيت إلا بيتا، وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع، ولمسرور المذكور بر كثير بالشام وبمصر، وكان قد وصى أن تعمل داره ـ وهى بخط حارة الأمراء مدرسة، ويوقف ألفندق الصغير عليها وكانت له ضيعة بالشام بيعت للأمير سيف الدين أبى الحسن القيمرى بجملة كبيرة، وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته. انتهى، وقد ادركت فندق مسرور الكبير فى غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم، وكان فيه أيضا مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى والغياب، وكان من أجل الخانات وأعظمها: فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمورلنك، وتلاشت أحوال إقليم مصر قل التجار وبطل مودع الحكم فقلت مهابة هذا الخان، وزالت حرمته، وتهدمت عدة اماكن منه. وهو الآن بيد القضاة.

فندق بلال المغيثى

هذا ألفندق فيما بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية. أنشأه الأمير الطواشى أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثى أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك. كان حبشيا حالك السواد. خدم عدة من الملوك، واستقر للملك الصالح على ابن الملك المنصور قلاوون، وكان معظما إلى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة، وكان الملك المنصور قلاوون إذا رآه يقول: رحم الله استاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب: انا كنت أحمل شارموزة هذا الطواشى حسام الدين كلما دخل إلى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده فأقدمها

له، وكان كثير البر والصدقات، وله أموال جزيلة، ومدحه عدة من الشعراء، وأجاز على المديح، وتجاوز عمره ثمانين سنة فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتر فى سنة تسع وتسعين وستمائة سافر معه فمات بالسوادة ودفن بها، ثم نقل منها بعد وقعة شقحب إلى تربته بالقرافة فدفن هناك، وما يرح هذا ألفندق يودع فيه التجار وارباب الأموال صناديق المال، ولقد كنت أدخل فيه فإذا بدائرة صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير لا يفضل عنها من ألفندق غير ساحة صغيرة بوسطه، وتشتمل هذه الصناديق من الذهب وألفضة على ما يجل وصفة. فلما انشأ الأمير الطواشى زين الدين مقبل الزمام ألفندق بالقرب منه، وأنشأ الأمير قلمطاى ألفندق بالزجاجين، وأخذ الأمير بلبغا السالمى أموال الناس فى واقعة تيمور لنلك فى سنة ثلاث وثمانمائة تلاشى أمر هذا ألفندق، وفيه إلى الآن بقية.

فندق الصالح

هذا ألفندق بجوار باب القوس الذى كان أحد بأبى زويلة. فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام بن نوح يريد باب زويلة صار هذا ألفندق على يساره، وأنشأه هو وما يعلوه من الربع الملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، وكان أبوه لما عزم على المسير إلى محاربة التتر ببلاد الشام سلطنه وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل فى شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة وشق به شارع القاهرة من باب النصر إلى أن عاد إلى قلعة الجبل وأجلسه على مرتبته، وجلس إلى جانبه فمرض عقيب ذلك ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان فأظهر السلطان لموته جزعا مفرطا وحزنا زائدا، وصرخ باعلى صوته: واولداه ورمى كلوتته عن رأسه إلى الأرض، وبقى مكشوف الرأس إلى أن دخل الأمراء إليه وهو مكشوف الرأس يصرخ. واولداه. فعند ما عاينوه كذلك ألقوا كلوتاتهم عن رءوسهم وبكوا ساعة ثم أخذ الأمير طرنطاى النائب شاش السلطان من الأرض وناوله للأمير سنقر فأخذه ومشى وهو مكشوف الرأس وباس الأرض وناول الشاش للسلطان.

فدفعه وقال: ايش اعمل بالملك بعد ولدى، وامتنع من لبسه. فقبل الأمراء الأرض يسألون السلطان فى لبس شاشة ويخضعون له فى السؤال ساعة حتى أجابهم وغطى رأسه. فلما أصبح خرجت جنازته من القلعة، ومعها الأمراء من غير السلطان وساروا بها إلى تربة أمه المعروفة بتربة خاتون قريبا من المشهد النفيسى فواروه وانصرفوا. فلما كان يوم السبت ثانية نزل السلطان من القلعة وعليه البياض تحزنا على ولده، وسار ومعه الأمراء بثياب الحزن إلى قبر ابنه وأقيم العزاء لموته عدة أيام.

خان السبيل

هذا الخان خارج باب ألفتوح قال ابن عبد الظاهر: خان السبيل بناه الأمير بهاء الدين أبو سعيد قراقوش ابن عبد الله الأسدى خادم أسد الدين شيركوه وعتيقه لأبناء السبيل والمسافرين بغير أجرة وبه بئر ساقية وحوض، وقراقوش هذا الذى بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما، وبنى قلعة الجبل، وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الأهرام، وعمر بالمقس رباطا وأسره ألفرنج فى عكا وهو واليها فافتكه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعشرة آلاف دينار، وتوفى مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة.

خان منكورش

هذا الخان بخط سوق الخيميين بالقرب من الجامع الأزهر. قال ابن عبد الظاهر: خان منكورش بناه الأمير ركن الدين منكورش زوج أم الأوحد بن العادل، ثم انتقل إلى ورثته، ثم انتقل إلى الأمير صلاح الدين أحمد بن شعبان الاربلى فوقفه، ثم تحيل ولده فى ابطال وقفه. فاشتراه منه الملك الصالح بعشرة آلاف دينار مصرية، وجعله مرصدا لوالدة خليل،

ثم انتقل عنها انتهى. قال مؤلفه: ومنكورش هذا كان أحد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتقدم حتى صار أحد الأمراء الصالحية، وعرف بالشجاعة والنجدة وإصابة الرأى وجودة الرمى وثبات الجأش. فلما مات فى شوال سنة سبع وسبعين وخمسمائة أخذ إقطاعه الأمير ياركوج الأسدى. وهذا الخان الآن يعرف بخان النشارين على يسرة من سلك من الخراطين إلى الخيميين، وهو وقف على جهات بر.

فندق ابن قريش

هذا ألفندق قال ابن عبد الظاهر: فندق ابن قريش استجده القاضى شرف الدين إبراهيم بن قريش كاتب الإنشاء، وانتقل إلى ورثته. انتهى (إبراهيم بن عبد الرحمن على بن عبد العزيز بن على بن قريش) أبو إسحاق القرشى المخزومى المصرى الكاتب شرف الدين أحد الكتاب المجيدين خطا وإنشاء خدم فى دولة الملك العادل أبى بكر بن ايوب وفى دولة ابنه الملك الكامل محمد بديوان الإنشاء وسمع الحديث بمكة ومصر، وحدث، وكانت ولادته بالقاهرة فى أول يوم من ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المهذب فى ألفقة على مذهب الإمام الشافعى، وبرع فى الأدب، وكتب بخطه ما يزيد على أربعمائة مجلد، ومات فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وكالة قوصون

هذه الوكالة فى معنى ألفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس وألفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك. وموضعها فيما بين الجامع الحاكمى ودار سعيد السعداء. كانت أخيرا دارا تعرف بدار تعويل

البوعانى . فأخربها وما جاورها الأمير قوصون ، وجعلها فندقا كبيرا إلى الغاية وبدائره عدة مخازن ، وشرط أن لا يؤجر كل مخزن إلا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك ، ولا يخرج أحد من مخزنه . فصارت هذه المخازن تتوراث لقلة أجرتها وكثرة فوائدها . وقد أدركنا هذه الوكالة وان رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش . لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع وثقلها لمن يبتاعها ثم تلاشى أمرها منذ خريت الشام فى سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمورلنك . وفيها إلى الآن بقية ، ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلاثمائة وستين بيتا أدركناها عامرة كلها ويحزر أنها تحوى نحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة ، وصغير وكبير . فلما كانت هذه المحن فى سنة ست وثمانمائة خرب كثير من هذه البيوت ، وكثير منها عامر آهل .

فندق دار التفاح

هذه الدار هى فندق تجاه باب زويلة يرد إليه ألفواكه على إختلاف أصنافها مما ينبت فى بساتين ضواحى القاهرة ، ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية إنما يباع فى وكالة قوصون إذا قدم ، ومنها يتقل إلى سائر أسواق القاهرة ومصر ونواحيهما ، وكان موضع دار التفاح هذه فى القديم من جملة حارة السودان التى عملت بستانا فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأنشأ هذه الدار الأمير طقوزدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة ، ووقفها على خانقاه بالقرافة ، وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها ألفاكهة تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة . لطيبها وحسن منظرها وتأنق الباعة فى تنضدها واحتفافها بالرياحين والأزهار ، وما بين الحوانيت مسقوف حتى لا يصل إلى الفواكه حر الشمس . ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا . إلا انه قد اختل منذ سنة ست وثمانمائة ، وفيه بقية ليست بذاك . ولم تزل إلى ان هدم علو ألفندق وما بظاهرة من الحوانيت فى يوم السبت سادس عشر شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وذلك أن الجامع المؤيدى جاءت شبأبيكه الغربية

من جهة دار التفاح فعمل فيها كما صار يعمل فى الأوقاف وحكم باستبدالها ودفع فى ثمن نقضها ألف دينار أفريقية . عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدى فضة ، ويتحصل من اجرتها إلى أن ابتدىء بهدمها فى كل شهر سبعة آلاف درهم فلوسا . عنها ألف مؤيدى فاستشنع هذا الفعل ، ومات الملك المؤيد ، ولم تكمل عمارة الفندق .

وكالة باب الجوانية

هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون . كان موضعها عدة مساكن . فابتدا الأمير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها فى يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبناها فندقا وربعا باعلاه . فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق ان تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة ، وما يرد من صنف متجر الشام فى البحر كالزيت والرب والدبس ، ويصير ما يرد فى البر يدخل به على عادته الى وكالة قوصون ، وجعلها وقفا على المدرسة الخانقاه التى أنشأها بخط بين القصرين . فاستمر الأمر على ذلك اليوم .

خان الخليلى

هذا الخان بخط الزراكشة العتيق . كان موضعه تربة القصر التى فيها قبور الخلفاء ألفاطميين المعروفة بتربة الزعفران ، وقد تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب أنشأه الأمير جهاركس الخليلى أميراخور الملك الظاهر برقوق ، وأخرج منها عظام الأموات فى المزابل على الحمير ، والقاها بكيمان البرقية هوانا بها فإنه كان يلوذ به شمس الدين محمد بن أحمد القليجى . الذى تقدم ذكره فى ذكر الدور من هذا الكتاب . وقال له : ان هذا عظام الفاطميين وكانوا كفارا رفضة ، فاتفق للخليلى فى موته أمر فيه عبرة لأولى الالباب وهو أنه

لما ورد الخبر بخروج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب ومجيء الأمير منطاش نائب ملطية إليه ومسيرهما بالعساكر إلى دمشق أخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك وتقدم لعدة من الأمراء بالمسير بهم فخرج الأمير الكبير أيتمش الناصرى والأمير جهاركس الخليلى هذا والأمير يونس الدوادار والأمير أحمد يلبغا الخاصكى والأمير ندكار الحاجب، وساروا إلى دمشق فلقيهم الناصرى ظاهر دمشق فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن يلبغا وندكار وفر أيتمش إلى قلعة دمشق وقتل فى يوم الإثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وترك على الأرض عاريا وسوأته مكشوفة وقد انتفخ، وكان طويلا عريضا إلى أن تمزق وبلى عقوبة من الله تعالى بما هتك من رم الأئمة وأبنائهم، ولقد كان ـ عفا الله عنه ـ عارفا خبيرا بأمر دنياه كثير الصدقة، ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه فى اليوم رغيفان. فعمل ذلك مدة سنين، ثم لما عظمت الأسعار بمصر وتغيرت نقودها من سنة ست وثمانمائة صار يحمل إلى مكة مال، ويفرق بها على ألفقراء.

فندق طرنطاى

هذا ألفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس، وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام، وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام طول كل عمود ستة أذرع بذراع العمل فى دور ذراعين، ويعلوه ربع كبير. فلما كان فى واقعة هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة قدم تاجر بعد العصر بزيت وزن فى مكة عشرين ألف درهم نقرة سوى أصناف أخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة. فلم يتهيأ له ألفراغ من نقل الزيت إلى داخل هذا ألفندق إلا بعد العشاء الآخرة. فلما كان نصف الليل وقع الحريق بهذا ألفندق فى ليلة من شهر ربيع الآخر منها كما كان يقع فى غير موضع من فعل النصارى فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التى كان مبنيا بها وحتى الأعمدة المذكورة، وصارت كلها جيرا، واحترق علوه وأصبح التاجر يستعطى الناس. وموضع هذا ألفندق . . .

ذكر الأسواق

قال ابن سيدة ، والسوق التى يتعامل فيها تذكر وتؤنث والجمع أسواق وفى التزيل ﴿إلا إنهم ليأكلوا الطعام ويمشون في الأسواق﴾(١) .

والسوقة لغة فيها ، والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان . الذكر والانثى فى ذلك سواء ، وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الأسواق شيء كثير جدا قد باد أكثرها . وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذى خرب من الأسواق فيما بين أراضى اللوق إلى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقا . أدركناها عامرة فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتا . وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربى . فكيف ببقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر . وساذكر من أخبار الأسواق ما أجد سبيلا الى ذكره إن شاء الله تعالى .

القصبة

قال ابن سيدة : قصبة البلد مدينته وقيل معظمه . والقصبة هى أعظم أسواق مصر ، وسمعت غير وأحد ممن أدركته من المعمرين يقول : إن القصبة تحتوى على اثنى عشر ألف حانوت . كأنهم يعنون ما بين أول الحسينية مما يلى الرمل إلى المشهد النفيسى ، ومن اعتبر هذه المسافة اعتبارا جيدا . لا يكاد أن ينكر هذا الخبر ، وقد أدركت هذه المسافة بأسرها عامرة الحوانيت غاصة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة تبهج رؤيتها ، ويعجب الناظر هيئتها ويعجز العاد عن احصاء ما فيها من الأنواع . فضلا عن إحصاء ما فيها من الأشخاص ، وسمعت الكافة ممن أدركت يفاخرون بمصر سائر البلاد ، ويقولون يرمى بمصر فى كل يوم ألف دينار ذهبا على الكيمان والمزابل . يعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاف الحمر التى يوضع فيها اللبن ، والتى يوضع فيها الجبن ، والتى تأكل فيها الفقراء

(١) سورة الفرقان ـ الآية ٢٠ ـ ٢٥ ك .

الطعام بحوانيت الطباخين، وما يستعمله يباعوا الجبن من الخيط والحصر التى تعمل تحت الجبن فى الشقاف، وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق ألقوى، والخيوط التى تشد بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الحبوب والافاويه وغيرها. فإن هذه الأصناف المذكورة إذا حملت من الأسواق، وأخذ ما فيها ألقيت إلى المزابل، ومن أدرك الناس قبل هذه المحن وأمعن النظر فيما كانوا عليه من أنواع الحضارة والترف لم يستكثر ماذكرناه، وقد اختل حال القصبة وخرب وتعطل أكثر ما تشتمل عليه من الحوانيت بعد ما كانت مع سعتها تضيق بالباعة. فيجلسون على الأرض فى طول القصبة بأطباق الخبز، وأصناف المعايش. ويقال لهم أصحاب المقاعد وقلة بيع أرباب الحوانيت. وقد ذهب والله ما هناك، ولم يبق إلا القليل، وفى القصبة عدة أسواق. منها ما خرب، ومنها ما هو باق، وسأذكر منها ما يتيسر إن شاء الله تعالى.

سوق باب الفتوح

هذا السوق فى داخل باب ألفتوح من حد باب ألفتوح الآن إلى رأس حارة بهاء الدين معمور الجانبين بجوانيت اللحامين والخضريين وألفاميين والشرايحية وغيرهم، وهو من أجل اسواق القاهرة واعمرها. يقصده الناس من أقطار البلاد لشراء أنواع اللحمان الضأن والبقر والمعز، ولشراء أصناف الخضراوات، وليس هو من الأسواق القديمة، وإنما حدث بعد زوال الدولة ألفاطمية عند ما سكن قراقوش فى موضعه المعروف بحارة بهاء الدين، وقد تناقص عما كان فيه منذ عهد الحوادث وفيه إلى الآن بقية صالحة.

سوق المرحلين

هذا السوق أدركته من رأس حارة بهاء الدين الى بحرى المدرسة الصيرمية معمورة الجانبين بالحوانيت المملوءة برحالات الجمال وأقتابها وسائر ما تحتاج إليه. يقصد من سائر إقليم مصر. خصوصا فى مواسم الحج. فلو أراد الإنسان تجهيز مائة جمل وأكثر فى يوم لما شق عليه وجودما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار فى الحوانيت بهذا السوق وفى المخازن. فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة، وكثر سفر الملك الناصر فرج بن برقوق إلى محاربة الأمير شيخ والأمير نوروز بالبلاد الشامية صار الوزراء يستدعون ما يحتاج إليه الجمال من الرحال والأقتاب وغيرها. فاما لا يدفع ثمنها أو يدفع فيها الشىء اليسير من الثمن. فاختل من ذلك حال المرحلين. وقلت أموالهم، بعد بما كانوا مشتهرين بالغناء الوافر والسعادة الطائلة وخرب معظم حوانيت هذا السوق، وتعطل أكثر ما بقى منها، ولم يتأخر فيه سوى القليل.

سوق خان الرواسين

هذا السوق على رأس سويقة أمير الجيوش. قيل له ذلك من أجل أن هناك خانا تعمل فيه الرءوس المغمومة، وكان من أحسن أسواق القاهرة، فيه عدة من البياعين، ويشتمل على نحو العشرين حانوتا مملوءة بأصناف المآكل، وقد اختل وتلاشى أمره.

سوق حارة برجوان

هذا السوق من الاسواق القديمة، وكان يعرف فى القديم أيام الخلفاء الفاطميين بسوق أمير الجيوش، وذلك أن أمير الجيوش بدر الجمالى لما قدم إلى مصر فى زمن الخليفة

المستنصر، وقد كانت الشدة العظمى بنى بحارة برجوان الدار التى عرفت بدار المظفر، وأقام هذا السوق برأس حارة برجوان. قال ابن عبد الظاهر: والسويقة المعروفة بأمير الجيوش معروفة بأمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر، وهى من باب حارة برجوان إلى قريب الجامع الحاكم، وهكذا نشهد مكاتيب دور حارة برجوان القديمة فإن فيها الحد القبلى ينتهى إلى سويقة أمير الجيوش، وسوق حارة برجوان وأدركت سوق حارة برجوان أعظم أسواق القاهرة، ما برحنا ونحن شباب نفاخر بحارة برجوان سكان جميع حارات القاهرة. فتقول بحارة برجوان حمامات يعنى حمامى الرومى وحمام سويد. فإنه كان يدخل إليها من داخل الحارة، وبها فرنان، ولها السوق الذى لا يحتاج ساكنها إلى غيره، وكان هذا السوق من سوق خان الرواسين إلى سوق الشماعين معمور الجانبين بالعدة الوافرة من بياعى لحم الضأن السليخ، وبياعى السميط وبياعى اللحم البقرى، وبه عدة كثيرة من الزياتين، وكثير من الجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والبواردية والعطارين والخضريين، وكثير من بياعى الأمتعة. حتى إنه كان به حانوت لايباع فيه إلا حوائج المائدة، وهى البقل والكرات والشمار والنعناع، وحانوت لا يباع فيه إلا الشيرج والقطن فقط برسم تعمير القناديل التى تسرج فى الليل، وسمعت من أدركت أنه كان يشترى من هذا الحانوت فى كل ليلة شيرجا مما يوضع فى القناديل بثلاثين درهما فضة. عنها يومئذ دينار ونصف، وكان يوجد بهذا السوق لحم الضأن النىء والمطبوخ إلى ثلث الليل الأول، ومن قبل طلوع ألفجر بساعة، وقد خرب أكثر حوانيت هذا السوق، ولم يبق لها أثر وتعطل بأسره بعد سنة ست وثمانمائة، وصار أوحش من وتد فى قاع. بعد أن كان الإنسان لا يستطيع أن يمر فيه من ازدحام الناس ليلا ونهارا إلا بمشقة، وكان فيه قبانى برسم وزن الأمتعة والمال والبضائع لا يتفرغ من الوزن، ولا يزال مشغولا به ومعه من يستحثه ليزن له. فلما كان بعد سنة عشر وثمانمائة أنشأ الأمير طوغان الدوادار بهذا السوق مدرسة وعمر ربعا وحوانيت فتحايى بعض الشىء، وقبض على طوغان فى سنة ست عشرة وثمانمائة، ولم تكمل عمارة السوق، وفيه الآن بقية يسيرة.

سوق الشماعين

هذا السوق من الجامع الأقمر إلى سوق الدجاجين. كان يعرف فى الدولة ألفاطمية بسوق القماحين، وعنده بنى المأمون ابن البطائحى الجامع الاقمر باسم الخليفة الآمر بأحكام الله، وبنى تحت الجامع دكاكين، ومخازن من جهة باب ألفتوح، وادركت سوق الشماعين من الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية وألفانوسية والطوافات، لاتزال حوانيته مفتحة إلى نصف الليل، وكان يجلس به فى الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين. لهن سيما يعرفن بها، وزى يتميزن به، وهو لبس الملاءات الطرح وفى أرجلهن سراويل من أديم أحمر يعانين الزعارة، ويقفن مع الرجال المشالقين في وقت لعبهم، وفيهن من تحمل الحديد معها، وكان يباع فى هذا السوق فى كل ليلة من الشمع بمال جزيل، وقد خرب ولم يبق به إلا نحو الخمس حوانيت بعدما أدركتها تزيد على عشرين حانوتا، وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشمع، وكان يعلق بهذا السوق ألفوانيس فى موسم الغطاس. فتصير رؤيته فى الليل من أنزه الأشياء، وكان به فى شهر رمضان موسم عظيم لكثرة ما يشترى ويكترى من الشموع الموكبية التى تزن الواحدة منهن عشرة أرطال فما دونها، ومن المزهرات العجيبة الزى. المليحة الصنعة، ومن الشمع الذى يحمل على العجل، ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه. كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فيمر فى ليالى شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه. وقد تلاشى الحال فى جميع ما قلنا لفقر الناس وعجزهم.

سوق الدجاجين

هذا السوق كان مما يلى سوق الشماعين إلى سوق قبو الخرشتف. كان يباع فيه من الدجاج والاوز شىء كثير جليل إلى الغاية، وفيه حانوت فيه العصافير التى يبتاعها ولدان الناس

ليعتقوها. فيباع منها فى كل يوم عدد كثير جدا. ويباع العصفور منها بفلس، ويخدع الصبى بأنه يسبح فمن أعتقه دخل الجنة، ولكل واحد حينئذ رغبة فى فعل الخير، وكان يوجد فى كل وقت بهذه الحوانيت من الأقفاص التى بها هذه العصافير آلاف، ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير وفى كل يوم جمعة يباع فيه بكرة أصناف القمارى والهزارات والشحارير والببغا والسمان، وكنا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم، وكذلك بقية طيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الألف. لتنافس الناس فيها، وتوفر عدد المعتنين بها، وكان يقال لهم غواة طيور المسموع. سيما الطواشية. فأنه كان يبلغ بهم الترف أن يقتنوا السمان ويتأنقوا فى أقفاصه، ويتغالوا فى أثمانه. حتى بلغنا أنه بيع طائر من السمان بألف درهم فضة. عنها يومئذ نحو الخمسين دينارا من الذهب. كل ذلك لإعجابهم بصوته، وكان صوته على وزن قول القائل: طقطق وعوع، وكلما كثر صياحه كانت المغالاة فى ثمنه بما قصصته عليك حال الترف الذى كان فيه أهل مصر، ولا تتخذ حكاية ذلك هزؤا تسخر به. فتكون ممن لا تنفعه المواعظ، بل يمر بالآيات معرضا غافلا، فتحرم الخير، وكان بهذا السوق قيسارية عملت مرة سوقا للكتبيين، ولها باب من وسط سوق الدجاجين، وباب من الشارع الذى يسلك فيه من بين القصرين إلى الركن المخلق. فاتفق أن ولى نيابة النظر فى المارستان المنصورى عن الأمير الكبير أيتمش النحاسى الظاهرى أمير يعرف بالأمير خضر بن التنكزية فهدم هذا السوق والقيسارية وما يعلوها، وأنشأ هذه الحوانيت والرباع التى فوقها تجاه ربع الكامل الذى يعلو ما بنى درب الخضيرى وقبو الخرشتف: فلما كمل أسكن فى الحوانيت عدة من الزياتين وغيرهم، وبقى من الدجاجين بهذا السوق بقية قليلة.

سوق بين القصرين

هذا السوق أعظم أسواق الدنيا. فيما بلغنا، وكان فى الدولة ألفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل، ثم لمازالت الدولة ابتذل، وصار سوقا يعجز الواصف عن حكاية ما كان فيه، وقد تقدم ذكره فى الخطط من هذا الكتاب، وفيه إلى الآن بقية تحزننى رؤيتها إذ صارت إلى هذه القلة.

سوق السلاح

هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية بيبرس وبين باب قصر بشتاك. استجد فيما بعد الدولة الفاطمية فى خط بين القصرين، وجعل لبيع القسى والنشاب والزرديات وغير ذلك من آلات السلاح، وكان تجاهه خان يقابل الخان الذى هو الآن بوسط سوق السلاح، وعلى بابه من الجانبين حوانيت تجلس فيها الصيارف طول النهار. فإذا كان عصريات كل يوم جلس أرباب المقاعد تجاه حوانيت الصيارف لبيع أنواع من المآكل، ويقابلهم تجاه حوانيت سوق السلاح أرباب المقاعد أيضا. فإذا اقبل الليل اشعلت السرج من الجانبين، واخذ الناس فى التمشى بينهما على سبيل الاسترواح والتنزه. فيمر هنالك من الخلاعات والمجون مالا يعبر عنه بوصف. فلما أنشأ الملك الظاهر برقوق المدرسة الظاهرية المستجدة صارت فى موضع الخان وحوانيت الصرف تجاه سوق السلاح، وقل ما كان هناك من المقاعد، وبقى منها شيء يسير.

سوق القفيصات

بصيغة الجمع والتصغير. هكذا يعرف كأنه جمع قفيص. فإنه كله معد لجلوس أناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية، وفوق تلك التخوت إقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص، وأساور النسوان وخلاخليهن وغير ذلك. وهذه الأقفاص يأخذ أجرة الأرض التى هى عليها مباشر المارستان المنصوري، وأصل هذه الأرض كانت من حقوق أرض موقوفة على جامع المقس فدخل بعضها فى القبة المنصورية، وصار بعضها كما ذكرنا. وإلى اليوم يدفع من وقف المارستان حكر هذه الأرض لجامع المقس، ولما ولى نظر المارستان الأمير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك فى سنة ست وعشرين وسبعمائة عمل فيه أشياء من ماله. منها خيمة ذرعها مائة ذراع. نشرها من اول جدار القبة المنصورية بحذاء المدرسة الناصرية إلى آخر حد المدرسة المنصورية بجوار الصاغة. فصارت

فوق مقاعد الأقفاص تظلهم من حر الشمس، وعمل لها حبالا تمد بها عند الحر وتجمع بها إذا امتد الظل، وجعلها مرتفعه فى الجو حتى ينحرف الهواء، ثم لما كان شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة نقلت الأقفاص إلى القيسارية التى استجدت تجاه الصاغة.

سوق باب الزهومة

هذا السوق عرف بذلك من أجل أنه كان هناك فى الأيام ألفاطمية باب من أبواب القصر يقال له باب الزهومة تقدم ذكره فى ذكر أبواب القصر من هذا الكتاب، وكان موضع هذا السوق فى الدولة ألفاطمية سوق الصيارف، ويقابله سوق السيوفيين من حيث الخشيبة إلى نحو رأس سوق الحريريين اليوم، وسوق العنبر الذى كان اذ ذاك سجنا يعرف بالمعونة، ويقابل السيوفيين إذ ذاك سوق الزجاجين، وينتهى إلى سوق القشاشين. الذى يعرف اليوم بالخراطين. فلمازالت الدولة ألفاطمية تغير ذلك كله. فصار سوق السيوفيين من جوار الصاغة إلى درب السلسلة، وبنى فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغة سوق فيه حوانيت مما يلى المدرسة الصالحية. يباع فيها الامشاط بسوق الأمشاطيين، وفيه حوانيت فيما بين الحوانيت التى يباع فيها الأمشاط. وبين الصاغة بعضها سكن الصيارف وبعضها سكن النقليين، وهم الذين يبيعون ألفستق واللوز والزبيب ونحوه، وفى وسط هذا البناء سوق الكتبيين يحيط به سوق الأمشاطيين وسوق النقليين، وجميع ذلك جار فى أوقاف المارستان المنصورى، وكان سوق باب الزهومة من أجل أسواق القاهرة وأفخرها موصوفا بحسن المآكل وطيبها، واتفق فى هذا السوق أمر يستحسن ذكره لغرابته فى زمننا، وهو أنه عبر متولى الحسبة بالقاهرة فى يوم السبت سادس عشر شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة على رجل بواردى بهذا السوق. يقال له محمد بن خلف. عنده مخزن فيه حمام وزرازير متغيرة الرائحة لها نحو خمسين يوما فكشف عنها فبلغت عدتها أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين طائرا. من ذلك حمام ألف ومائة وستة وتسعون، وزرازير ثلاثة وثلاثون ألفا. كلها متغيرة اللون والريح فأدبه وشهره، وفيه إلى الآن بقايا.

سوق المهامزيين

هذا السوق مما استجد بعد زوال الدولة ألفاطمية ، وكان بأوله حبس المعونة الذى عمله الملك المنصور قلاوون سوق العنبر ، ويقابله المارستان والوكالة ودار الضرب فى الموضع الذى يعرف إليوم بدرب الشمسى وما بحذائه ، من الحوانيت إلى حمام الخراطين ، وما تجاه ذلك وهذا السوق معد لبيع المهاميز وأدركت الناس وهم يتخذون المهماز كله قالبه وسقطه من الذهب الخالص ، ومن ألفضة الخالصة ، ولا يترك ذلك إلا من يتورع ويتدين . فيتخذ القالب من الحديد ويطليه بالذهب أو ألفضة ويتخذ السقط من ألفضة وقد اضطر الناس إلى ترك هذا . فقل من بقى سقط مهمازه فضة ، ولا يكاد يوجد إليوم مهماز من ذهب ، وكان يباع بهذا السوق البدلات ألفضة التى كانت برسم لجم الخيل ، وتعمل تارة من ألفضة المجراة بالمنيا ، وتارة بألفصة المطلية بالذهب . فيبلغ زنه مافى البدلة من خمسمائة درهم فضة إلى مادونها . وقد بطل ذلك ، وكان يباع به أيضا سلاسل ألفضة ومخاطم ألفضة المطلية تجعل لجم الحجور من الخيل خاصة . فيركب بها أعيان الموقعين وأكابر الكتاب من القبط ورؤساء التجار ، وقد بطل ذلك أيضا ، ويباع فيه أيضا الدوى والطرف التى فيها ألفضة والذهب كسكاكين الأقلام ونحوها ، وكانت تجار هذا السوق تعد من بياض العامة ، ويتصل بسوق المهامزيين هذا .

سوق اللجميين

ويباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد ، وفى هذا السوق أيضا عدة وافرة من الطلائين وصناع الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز ونحو ذلك ، وعدة من صناع مياتر السروج وقرابيسها . تعمل ملونة ما بين أصفر وأزرق ، ومنها ما يعمل من الدبل ، ومنها ما يعمل سيورا من الجلد البلغارى الأسود ، ويركب بهذه السروج السود القضاة ومشايخ العلم اقتداء بعادة بنى العباس فى استعمال السواد على ما جدده بديار مصر السلطان صلاح الدين

يوسف بن أيوب بعد زوال الدولة وألفاطمية ، وادركت السروج التى تركب بها الأجناد والكتاب يعمل للسرج فى قربوسه ستة أطواق من فضة مقبلة مطلية ومعقربات ، ولا يكاد أحد يركب فرسا بسرج ساذج إلا أن يكون من القضاة ومشايخ العلم وأهل الورع . فلما تسلطن الملك الظاهر برقوق اتخذ سائر الأجناد السروج المغرقة ، وهى التى جميع قرابيسها من ذهب أو فضة ، إما مطلية أو سادجة ، وكثر عمل ذلك حتى لم يبق من العسكر فارس إلا وسرجه كما ذكرنا ، وبطل السرج المسقط ، فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة غلب على الناس ألفقر ، وكثرت ألفتن فقلت سروج الذهب وألفضة ، وبقى منها إلى إليوم بقايا يركب بها أعيان الأمراء وأماثل المماليك .

سوق الجوخيين

هذا السوق يلى سوق اللجميين . وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد ألفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها . وأدركت الناش وقلما تجد فيهم من يلبس الجوخ وإنما يكون من جملة ثياب الأكابر جوخ لا يلبس إلا فى يوم المطر ، وانما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب وألفرنج وأهل الإسكندرية وبعض عوام مصر . فأما الرؤساء والأكابر والأعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه إلا فى وقت المطر . فإذا ارتفع المطر نزع الجوخ ، وأخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطبا المخزومى خال أبى رحمه الله قال : كنت أنوب فى حسبه القاهرة عن القاضى ضياء الدين المحتسب . فدخلت عليه يوما وأنا لابس جوخة لها وجه صوف مربع . فقال لى : وكيف ترضى أن تلبس الجوخ؟ وهل الجوخ إلا لأجل البغلة؟ ثم أقسم على أن اخلعها . ومازال بى حتى عرفته أنى اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل ، فاستدعاه فى الحال ، وأمره باحضار ثمنها . ثم قال لى : لا تعد إلى لبس الجوخ استهجانا له . فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة أهل مصر إلى ترك أشياء مما كانوا فيه من الترفة ، وصار معظم الناس يلبسون الجوخ فنجد الأمير والوزير والقاضى ومن دونهم ممن ذكرنا لباسهم الجوخ . ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل أحيانا إلى الاصطبل ، وعليه قمجون من جوخ . وهو ثوب

قصير الكمين والبدن . يخاط من الجوخ بغير بطانه من تحته ولاغشاء من فوقه . فتداول الناس لبسه ، واجتلب ألفرنج منه شيئا كثيرا لا توصف كثرته ، ومحل بيعه بهذا السوق ، ويلى سوق الجوخيين هذا .

سوق الشرابشيين

وهذا السوق مما أحدث بعد الدولة ألفاطمية ، ويباع فيها الخلع التى يلبسها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم ، وإنما قيل له سوق الشرابشيين لأنه كان من الرسم فى الدولة التركية أن السلطان والأمراء وسائر العساكر إنما يلبسون على رءوسهم كلوتة صفراء مضربة تضريبا عريضا ، ولها كلاليب بغير عمامة ، وتكون شعورهم مضفورة مدلاة بدبوقة ، وهى فى كيس حرير . إما أحمر أو أصفر ، وأوساطهم مشدودة ببنود من قطن بعلبكى مصبوغ عوضا عن الحوائص ، وعليهم أقبية . إما بيض أو مشجرة أحمر وأزرق ، وهى ضيقة الأكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم ، وأخفافهم من جلد بلغارى أسود ، وفى أرجلهم من فوق الخف سقمان ، وهو خف ثان ، ومن فوق القباء كمران بحلق وأبزيم وصوالق بلغارى كبار . يسع الواحد منها أكثر من نصف ويبه غلة . مغروز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع . فلم يزل هذا زيهم منذ استولوا بديار مصر على الملك من سنة ثمان وأربعين وستمائة إلى أن قام فى المملكة الملك المنصور قلاوون فغير هذا الزى بأحسن منه ، ولبسوا الشاشات وأبطلوا لبس الكم الضيق ، واقترح كل احد من المنصورية ملابس حسنة . فلما ملك ابنه الأشرف خليل جمع خاصكيته ومماليكه وتخير لهم الملابس الحسنة ، وبدل الكلوتات الجوخ والصفر ، ورسم لجميع الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركش والطرازات الزركش والكنابيش الزركش والأقبية الأطلس المعدنى حتى يميز الأمير بلبسه عن غيره ، وكذلك فى الملبوس الأبيض أن يكون رفيعا ، واتخذ السروج المرصعة والأكوار المرصعة . فعرفت بالأشرفية ، وكانت قبل ذلك سروجهم بقرابيس كبار شنعة ، وركب كبار بشعة . فلما ملك ديار مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية ، وهى صغار . فلما قام الأمير يلبغا العمرى الخاصكى عمل الكلوتات اليلبغاوية ، وكانت كبارا